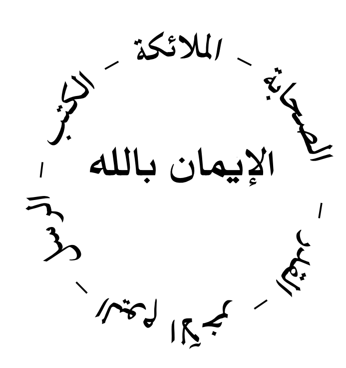


# الجامع الصحيح لأدلة الاعتقاد




## ❑ كتاب الإيمان باليوم الآخر ❑

تأليف

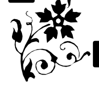
مجدي بن عطية حمودة

إشراف

أبي إسحاق السمنودي

مجدي بن عطية حمودة

المجلد الخامس



# الجامع الصحيح لأدلة الاعتقاد

## كتاب الإيمان باليوم الآخر

حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثانية

١٤٣٩هـ - ٢٠١٨م



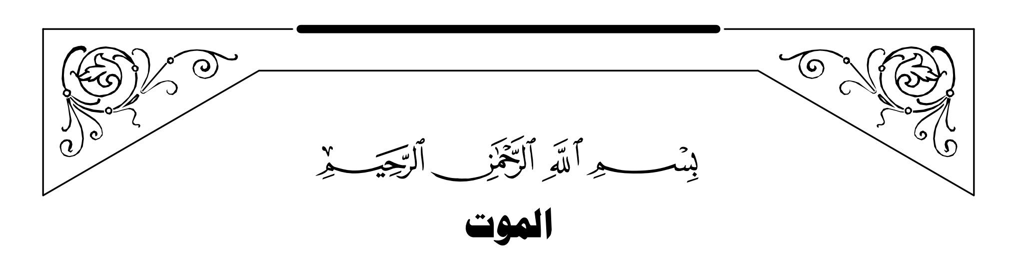
رقم الإيداع: ٨٢٨١ / ٢٠١٥م

الناشر

المكتب العلمي لتحقيق التراث

٠١٠٠٢٠٥٧٢٣٩


بسم الله الرحمن الرحيم



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

# الموت

الْحَمد لله الَّذِي أذلّ بِالْمَوْتِ رِقَاب الْجَبَابِرَة وكَسَر بصدمته ظُهُور الأكاسرة وقَصَّر ببغتته آمال القياصرة، الَّذِي أدَار عَلَيْهِم حلقته الدائرة وَأَخذهم بِيَدِهِ الْقَاهِرَة فقذفهم فِي ظلمات الحافرة وصيرهم بهَا رهنًا إِلَى وَقْفَة الساهرة فَأَصْبحُوا قد خسروا الدُّنْيَا وَلم يُحصلوا على شَيْء من الْآخِرَة، مصيبتهم وَالله لَا يُجْبر مصابها وَلَا يُتجرع صابها وَلَا تَنْقَضِي آلامها وَلَا أوصابها، لم يمنعهُم مَا حصنوه من المعاقل والحصون وَلَا حرسهم مَا بعثوه من الحرس والعيون وَلَا فداهم من ريب الْمَنون مَا ادخروه من علق مصون وَذهب مخزون بل صدمهم بركنه الشَّديد وصَبَّحهم بجيشه المديد وأنفذ فيهم مَا كُتب عَلَيْهِم من الْوَعيد.

نقلهم من لين المهود إِلَى خشونة اللحود وصيرهم بَين حَجَرها المنضود وجندلها الْمَعْقُود أكلًا للهوام وطعمًا للدود نظر إِلَيْهِم بِعَيْنِه الشوساء وَأرْسل عَلَيْهِم كتيبته الخرساء فأذل عزتهم القعساء وأبدل من نعمتهم بؤسًا وأنطق بالعويل أَلْسِنَة خرسًا وصيرهم حَدِيثًا يُذكر على مر الزَّمَان وَلَا يُنسى، نزلُوا عَن الأرائك والكلال والأسِرَّة والحجال إِلَى الْحِجَارَة والرمال والأراقم والصلال وشظف الْعَيْش وضيق المجال وحلوا بِربع غير محلال بِحَيْثُ لَا زَوَال وَلَا انْتِقَال وَلَا عَثْرَة تقال وَلَا يُسمع فِيهَا مقَال وَلَا يُلْتَفت عِنْدهَا إِلَى مَن قَالَ. . .

فسبحان مَن تفرد بِالْعِزَّةِ والكبرياء وتَوَحَّد بالديمومة والبقاء وطَوَّق عباده

بطوق الفناء وفَرَّقهم بِمَا كتب عَلَيْهِ من السَّعَادَة والشقاء، وَجعل الْمَوْت مخلصًا لأوليائه السُّعَدَاء وهلكًا لأعدائه الأشقياء، خلق خذلانًا وَقَدَّر تَوْفِيقًا وأنهج سَبِيلًا وأوضح طَرِيقًا فهدى إِلَيْهِ فريقًا وأضل عَنهُ فريقًا ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ ۝٢٣﴾ [الأنبياء: الآية ٢٣] ﴿فَسُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٨٣﴾ [يس: الآية ٨٣][(١)].

ويدخل في الإيمان باليوم الآخر «الإيمان بالموت» الذي هو المفضي بالعبد إلى منازل الآخرة، وهو ساعة كل إنسان بخصوصه؛ ولهذا قال النبي ﷺ في المتقدم: «**إن يعش هذا لم يدركه الهرم، قامت عليكم ساعتكم**»[(٢)].

### والإيمان بالموت يتناول أمورًا:

**منها:** تَحَتُّمه على من كان في الدنيا من أهل السماوات والأرض من الإنس والجن والملائكة وغيرهم من المخلوقات، قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ ۚ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القَصَص: الآية ٨٨] وقال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَـٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ وقال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَـٰعُ ٱلْغُرُورِ ۝١٨٥﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٥] وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝٣٠ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ وقال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ ٱلْخُلْدَ ۖ أَفَإِيْن مِّتَّ فَهُمُ ٱلْخَـٰلِدُونَ ۝٣٤ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً ۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ۝٣٥﴾ [الأنبياء: ٣٤، ٣٥] وقال تعالى: ﴿يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ أَرْضِى وَٰسِعَةٌ فَإِيَّـٰىَ

---

(١) «العاقبة في ذكر الموت» (ص٢٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٢).

فَٱعۡبُدُونِ ۝٥٦ كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۖ ثُمَّ إِلَيۡنَا تُرۡجَعُونَ ۝٥٧﴾ وقال تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ تُرۡجَعُونَ ۝١١﴾ [السَّجدَة: الآية ١١].

وفي «الصحيح» عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ كان يقول: «**أعوذ بعزتك – لا إله إلا أنت – أن تضلني، أنت الحي الذي لا يموت والجن والإنس يموتون**»[١].

**ومنها:** أن كلًّا له أجل محدود وأمد ممدود ينتهي إليه لا يتجاوزه ولا يقصر عنه، وقد علم الله تعالى جميع ذلك بعلمه الذي هو صفته، وجرى به القلم بأمره يوم خلقه، ثم كتبه المَلَك على كل أحد في بطن أمه بأمر ربه عز وجل عند تخليق النطفة في عينه، في أي مكان يكون وفي أي زمان، فلا يزاد فيه ولا ينقص منه ولا يغير ولا يبدل عما سبق به علم الله تعالى وجرى به قضاؤه وقدره، وأن كل إنسان مات أو قُتل أو حُرق أو غرق أو بأي حتف هلك بأجله لم يستأخر عنه ولم يستقدم طرفة عين وأن ذلك السبب الذي كان فيه حتفه هو الذي قَدَّره الله تعالى عليه وقضاه عليه وأمضاه فيه ولم يكن له بد منه ولا محيص عنه ولا مفر له ولا مهرب ولا فكاك ولا خلاص، وأنى وكيف وإلى أين ولات حين مناص.

قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفۡسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِ كِتَٰبٗا مُّؤَجَّلٗاۗ وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَن يُرِدۡ ثَوَابَ ٱلۡأٓخِرَةِ نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَاۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٥] الآية، وقال تعالى: ﴿قُل لَّوۡ كُنتُمۡ فِي بُيُوتِكُمۡ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَتۡلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمۡۖ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥٤]، وقال تعالى: ﴿أَيۡنَمَا تَكُونُواْ يُدۡرِككُّمُ ٱلۡمَوۡتُ وَلَوۡ كُنتُمۡ فِي بُرُوجٖ مُّشَيَّدَةٖۗ﴾ [النِّساء: الآية ٧٨] وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ ۝٦١ ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوۡلَىٰهُمُ ٱلۡحَقِّۚ أَلَا لَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَهُوَ أَسۡرَعُ ٱلۡحَٰسِبِينَ ۝٦٢﴾ وقال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٞۖ فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمۡ لَا يَسۡتَأۡخِرُونَ سَاعَةٗ وَلَا

---

(١) رواه البخاري (١٣/ ٣٦٨)، ومسلم (٢٧١٨).

يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [الأعراف: الآية ٣٤] في مواضع من القرآن.

وقال تعالى: ﴿كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: الآية ٢] وقال تعالى: ﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُّسَمًّى ﴿١٢٩﴾﴾ [طه: الآية ١٢٩] وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ﴾ [الرعد: الآية ٨] وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ۖ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: الآية ٨] وقال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزمر: الآية ٤٢] وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِٱلنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰٓ أَجَلٌ مُّسَمًّى ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٦٠] وغيرها من الآيات.

وروى مسلم بن الحجاج رحمه الله في «صحيحه»[١] عن المعرور بن سويد عن عبد الله بن مسعود قال: قالت أم حبيبة رضي الله عنها: اللهم مَتِّعني بزوجي رسول الله صلى الله عليه وسلم وبأبي أبي سفيان وبأخي معاوية!! فقال لها رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«إنكِ سألت الله تعالى لآجال مضروبة وآثار موطوءة وأرزاق مقسومة لا يعجل شيء منها قبل حله ولا يؤخر منها يوما بعد حله، ولو سألتِ الله تعالى أن يعافيك من عذاب في النار وعذاب في القبر لكان خيرًا لك»** وفي رواية: **«قد سألت الله لآجال مضروبة وأيام معدودة وأرزاق مقسومة لن يعجل شيئًا قبل حله أو يؤخر شيئًا عن حله، ولو كنت سألت الله تعالى أن يعيذك من عذاب في النار أو عذاب في القبر كان خيرًا وأفضل»** وفي أخرى: **«وآثار مبلوغة»**[٢].

---

(١) رقم (٢٦٦٣).

(٢) «معارج القَبول بشرح سُلَّم الوصول» (٢/ ٧٠٣).



# سكرات الموت وغمراته[١]

## المطلب الأول: تعريف السكرات والغمرات

### أولًا: تعريف السكرات:

السكرات جمع سَكْرة، مأخوذة من الفعل سَكِرَ يَسْكَرُ سُكْرًا. . .

والسَّكْرَانُ: خلاف الصاحي. والسُّكْرُ: نقيض الصَّحْوِ، وقولهم: «ذهب بين الصحوة والسكرة» إنما هو بين أن يعقل ولا يعقل.

وسكرة الموت: شدّته. وسكرة الميت: غشيته التي تدل الإنسان على أنه ميّت.

**قال الراغب الأصفهاني** رَحِمَهُ اللَّهُ: السكر حالة تعرض بين المرء وعقله، وأكثر ما يُستعمل في الشراب المسكر، ويطلق في الغضب والعشق والألم والنعاس، والغشي الناشئ عن الألم وهو المراد هنا.

**فالمراد بالسكرات إذن:** شدائد الموت وأهواله وكُرَبه التي تصيب المحتضر بسبب نزع الروح.

### ثانيًا: تعريف الغمرات:

الغمرات جمع غَمْرَة، وهي الشدة، وغَمْرةُ كل شيء: مُنْهَمَكه وشدّته،

---

(١) «أحوال المحتضر» (ص٨١).

كغمرة الهم والموت ونحوهما، وغَمَراتُ الحرب والموت وغِمَارُها: شدائدها.

وأصل الغَمْر: الماء الكثير، يقال: «ماء غَمْر»، أي: كثيرٌ مُغرِّق بيّن الغُمورة، وغَمَره الماء يَغْمُرُهُ غَمْرًا واغتمره: علاه وغطاه، ومنه قيل للرجل: غَمَرَه القوم يَغْمُرونه؛ إذا علوه شرفًا. وجيش يغتمر كل شيء: يغطيه ويستغرقه.

**قال الطبري** رَحِمَهُ اللَّهُ: والغمرات جمع غمرة، وغمرة كل شيء: كثرته ومعظمه، وأصله الشيء الذي يغمر الأشياء، فيغطيها.

**وغمرات الموت سكراته التي تغمر المحتضر، أي: تغطي عقله وتستره، فيصاب بالغمرة والإغماء**[1].

## المطلب الثاني:
## الأدلة من الكتاب والسنة على سكرات الموت

### أولًا: الأدلة من كتاب الله تعالى:

**ذَكَر الله ﷻ في كتابه الكريم - القرآن العظيم - سكرات الموت وشدائده في أكثر من آية، منها:**

١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟

---

(١) «أحوال المحتضر» (ص٧٦)، وانظر: «لسان العرب» (٢/ ١٧٠، ١٧١)، و«مفردات القرآن» (ص٢٣٦)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٦٢)، و«جامع البيان في تفسير القرآن» (٧/ ١٨٢، ١٨٣)، وانظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ص٦٧٨).

أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ﴾ [الأنعام: الآية ٩٣].

**قال الطبري في «تفسيره» (١٨٢/٧):** «يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ولو ترى يا محمد حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين... فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم... والغمرات جمع غمرة، وغمرة كل شيء: كثرته ومعظمه»، ثم روى عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ [الأنعام: الآية ٩٣]. أنه قال: سكرات الموت.

**يقول السعدي** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: ولما ذم الظالمين ذكر ما أعد لهم من العقوبة حال الاحتضار ويوم القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: شدائده وأهواله الفظيعة وكربه الشنيعة، لرأيت أمرًا هائلًا وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب...

٢- قوله تعالى: ﴿۞ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَٱلْقَآئِلِينَ لِإِخْوَٰنِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا ۖ وَلَا يَأْتُونَ ٱلْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ ۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلْخَوْفُ سَلَقُوكُم بِأَلْسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلْخَيْرِ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمْ يُؤْمِنُواْ فَأَحْبَطَ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾﴾.

٣- قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾.

فقوله تعالى في الآية الأولى: ﴿رَأَيْتَهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَٱلَّذِى يُغْشَىٰ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ﴾ يعني ينظرون إليك يا محمد ﷺ تدور أعينهم خوفًا من القتل

وفرارًا منه كالذي يغشى عليه من الموت، أي: كدوران عين الذي يغشى عليه من الموت النازل به وما يعانيه من سكرات وكُرَب.

**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: من شدة الرعب الذي في قلوبهم يُشْبهون المغمى عليه وقت النزع؛ فإنه يخاف ويذهل عقله، ويشخص بصره ولا يطرف، فكذلك هؤلاء؛ لأنهم يخافون القتل.

٤- قوله تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: الآية ١٩].

والمراد بسكرة الموت شدته وغمرته وغلبته التي تغشى الإنسان وتغلب على عقله، ومعنى ﴿بِٱلۡحَقِّۖ﴾ أي: من أمر الآخرة، فَتَبَيَّنه الإنسان حتى تَثَبَّته وعَرَفه، بمعنى أنه عند الموت يتضح له الحق ويظهر له صدق ما جاءت به الرسل من الإخبار بالبعث والوعد والوعيد. وقيل: الحق هو الموت، فيكون المعنى: وجاءت سكرة الموت بحقيقة الموت، كما قرأ أبو بكر الصديق وابن مسعود: «وجاءت سكرة الحق بالموت».

**ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية أيضًا:** «. . ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ق: الآية ١٩] أي: جاءت بما بعد الموت من ثواب وعقاب، وهو الحق الذي أخبرت به الرسل، ليس مراده أنها جاءت بالحق الذي هو الموت؛ فإن هذا مشهور لم ينازَع فيه، ولم يقل أحد: إن الموت باطل حتى يقال: جاءت بالحق».

٥- قوله تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ٨٣ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ٨٤ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ٨٥ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ٨٦ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ﴾ [الواقعة: ٨٣- ٨٧]. هذا دليل على سكرات الموت؛ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يقول: فهلَّا إذا بلغت النفوس عند خروجها من أجسادكم، أيها الناس، حلاقيكم، ومن حضرهم منكم من أهليهم حينئذٍ إليهم ينظر، ونحن أقرب

إليه بالعلم والقدرة والرؤية منكم، ورسلنا الذي يقبضون روحه أقرب إليه منكم ولكن لا تبصرون، فلولا إن كنتم غير مربوبين ومملوكين وغير مجزيين ترجعون تلك النفوس التي بلغت الحلقوم عند سكرات الموت إلى مقرها الذي كانت فيه، إن كنتم صادقين بأنكم غير مربوبين ولا مجزيين ولن ترجعوها، فبطل زعمكم.

**قال ابن كثير في تفسير هذه الآيات:** يقول تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي: الروح ﴿ٱلْحُلْقُومَ﴾ أي: الحلق، وذلك حين الاحتضار، كما قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦- ٣٠]؛ ولهذا قال هاهنا: ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ﴾ أي: إلى المحتضر، وما يكابده من سكرات الموت ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بملائكتنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: ولكن لا ترونهم، كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢]، وقوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾﴾ معناه: فهلا ترجعون هذه النفس التي قد بلغت الحلقوم إلى مكانها الأول ومقرها من الجسد، إن كنتم غير مدينين.

٦- وقد روى ابن كثير عن جماعة من السلف أن المراد بقوله تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات: ١، ٢]: الملائكة حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تؤخذ روحه بعسر فتغرق في نزعها، ومنهم من تؤخذ روحه بسهولة، وكأنما حلته من نشاط.

**وقال ابن تيمية:** «وأما ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾﴾ [النَّازعَات: الآية ١] فهي الملائكة القابضة للأرواح، وهذا يتضمن الجزاء، وهو من أعظم المقسم عليه».

**وقال البغوي:** «. . . ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ١﴾ [النَّازعَات: الآية ١]: يعني الملائكة تنزع أرواح الكفار من أجسادهم، كما يغرق النازع في القوس فيبلغ بها غاية المدّ، وقال ابن مسعود: ينزعها ملك الموت من تحت كل شعرة ومن الأظافر وأصول القدمين، ويرددها في جسده بعدما ينزعها حتى إذا كادت تخرج ردها في جسده بعدما ينزعها، فهذا عمله بالكفار. . .، ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢﴾ [النَّازعَات: الآية ٢] هي الملائكة تنشط نفس المؤمن، أي: تحل حلًّا رفيقًا فتقبضها، كما ينشط العقال من يد البعير، أي: يحل برفق»، ورُوي في تفسيرها غير ذلك.

٧- قوله تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ٢٦ وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨ وَٱلۡتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ٢٩ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡمَسَاقُ﴾.

دلت هذه الآية على سكرة الموت؛ فقوله ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ﴾ أي: النفس.

﴿ٱلتَّرَاقِيَ﴾ فحشرج بها عند سكرات الموت، والتراقي جمع الترقوة، وهي العظام بين ثغرة النحر والعاتق، فدل ذلك على الإشراف على الموت، ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧﴾ أي: قال من حضره: هل من طبيب يرقيه ويداويه، فيشفيه برقيته أو دوائه؟ ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلۡفِرَاقُ ٢٨﴾ [القِيَامَة: الآية ٢٨] أي: أيقن الذي بلغت روحه التراقي أنه مفارق الدنيا، حيث تتابعت عليه الشدائد، فلا يخرج من كَرْب إلا جاءه أشد منه، واجتمع فيه الحياة والموت، والتفَّتْ ساقاه.

**يقول السعدي في تفسير هذه الآيات:** يعظ تعالى عباده بذكر المحتضر حال السياق، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحينئذٍ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب يظن أن يحصل به الشفاء والراحة؛ ولهذا قال: ﴿وَقِيلَ مَنۡۜ رَاقٖ ٢٧﴾ أي: مَن يرقيه، مِن الرقية؛ لأنهم

انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فتعلقوا بالأسباب الإلهية، ولكن القضاء والقدر إذا حتم وجاء فلا مرد له، ﴿وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾﴾ للدنيا.

﴿وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾، أي: اجتمعت الشدائد، والتفت، وعظم الأمر، وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح من البدن الذي ألفته ولم تزل معه، فتساق إلى الله تعالى ليجازيها بأعمالها ويقررها بفعلها.

فهذا الزجر الذي ذكره الله يسوق القلوب إلى ما فيه نجاتها، ويزجرها عما فيه هلاكها، ولكن المعاند الذي لا تنفع فيه الآيات لا يزال مستمرًّا على غيه وكفره وعناده.

### ثانيًا: الأدلة على سكرات الموت من السنة والأثر:

**ثبتت أحاديث عن الرسول ﷺ تدل على أن للموت سكرات، ومن ذلك:**

١- ما أخرجه البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كانت بين يديه رَكْوَة - أو: علبة - فيها ماء، فجعل يُدخل يديه في الماء، فيمسح بها وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله!! إن للموت سكرات**»، ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**»، حتى قُبض ومالت يده[١].

٢- وعن أنس رضي الله عنه قال: لما ثقل النبي ﷺ جعل يتغشاه فقالت فاطمة: واكرب أباه!! فقال لها: «**ليس على أبيك كرب بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه أجاب ربًّا دعاه، يا أبتاه مَن جنة الفردوس مأواه، يا أبتاه إلى جبريل ننعاه!! فلما دُفن قالت فاطمة عليها السلام: يا أنس، أطابت نفوسكم أن

---

(١) أخرجه البخاري في كتاب الرقاق، باب سكرات الموت (ح٦٥١٠)، وفي كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (ح٤٤٤٩).

تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟![١].

٣- ما أخرجه البخاري بسنده عن عائشة رضي الله عنها قالت: «مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي[٢]، فلا أكره شدة الموت لأحد أبدًا بعد النبي ﷺ»[٣].

**قال أبو حامد الغزالي:** «اعلم أنه لو لم يكن بين يدي العبد المسكين كرب ولا هول ولا عذاب سوى سكرات الموت بمجردها، لكان جديرًا بأن يتنغص عليه عيشه ويتكدر عليه سروره ويفارقه سهوه وغفلته، وحقيقًا بأن يطول فيه فكره ويعظم له استعداده، لا سيما وهو في كل نَفَس بصدده. . .

واعلم أن شدة الألم في سكرات الموت لا يعرفها بالحقيقة إلا من ذاقها، ومن لم يذقها فإنما يعرفها إما بالقياس إلى الآلام التي أدركها، وإما بالاستدلال بأحوال الناس في النزع على شدة ما هم فيه:

فأما القياس الذي يشهد له فهو أن كل عضو لا روح فيه فلا يحس بالألم، فإذا كان فيه الروح فالمدرك للألم هو الروح، فمهما أصاب العضو جرح أو حريق سرى الأثر إلى الروح، فبقدر ما يسري إلى الروح يتألم، ويتفرق على اللحم والدم وسائر الأجزاء، فلا يصيب الروح إلا بعض الألم. فإن كان من الآلام ما يباشر نفس الروح ولا يلاقي غيره فما أعظم ذلك الألم وما أشده!!

والنزع عبارة عن مؤلم نزل بنفس الروح فاستغرق جميع أجزائه، حتى لم يَبْقَ جزء من أجزاء الروح المنتشر في أعماق البدن إلا وقد حل به الألم. . .

---

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (ح٤٤٤٦).

(٢) **الذاقنة:** الذقن، وقيل: طرف الحلقوم، وقيل: ما يناله الذقن من الصدر. انظر: «النهاية في غريب الحديث والأثر» (ص٣٢٨).

(٣) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته (ح ٤٤٦٢).

فألم النزع يهجم على نفس الروح ويستغرق جميع أجزائه؛ فإنه المنزوع المجذوب من كل عرق من العروق، وعصب من الأعصاب، وجزء من الأجزاء، ومفصل من المفاصل، ومن أصل كل شعرة وبشرة من العرق إلى القدم، . . .

فلا تسل عن بدن يُجْذَب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقًا واحدًا لكان ألمه عظيمًا، فكيف والمجذوب نفس الروح المتألم، لا من عرق واحد بل من جميع العروق، ثم يموت كل عضو من أعضائه تدريجيًّا، فتبرد أولًا قدماه، ثم ساقاه، ثم فخذاه، ولكل عضو سكرة بعد سكرة، وكربة بعد كربة، حتى يبلغ بها إلى الحلقوم، فعند ذلك ينقطع نظره عن الدنيا وأهلها(١).

## المطلب الثالث: سكرات الموت تحصل لكل المخلوقات

كل المخلوقات تجد سكرات الموت، ويشهد لهذا عموم قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٨٥](٢)، وقوله ﷺ: «**إن للموت سكرات**»(٣)، لكن تختلف المخلوقات في درجة إحساسها بالسكرات(٤).

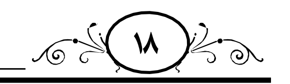
---

(١) كتاب «الموت» (ص٦٥- ٦٧)، ونقله ابن الجوزي في «الثبات عند الممات» (ص٦١- ٦٣).

(٢) **قال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١٧/ ٦٤)**: وَالْمُرَادُ بِالنَّفْسِ النُّفُوسُ الْحَالَّةُ فِي الْأَجْسَادِ كَالْإِنْسَانِ وَالْحَيَوَانِ.

(٣) رواه البخاري (٦٥١٠).

(٤) «أحوال المحتضر» (ص٨٤).





# الرُّوح

## المطلب الأول: تعريف الروح لغة وشرعًا

### أولًا: تعريف الروح لغة:

**يقول الخليل بن أحمد الفراهيدي** رَحِمَهُ اللَّهُ: الرُّوحُ: النَّفْسُ التي يحيا بها البدن. يقال: خرجت رُوحُهُ، أي: نَفْسُه، ويقال: «خَرَجَ» فيُذَكَّرُ، والجميعُ أرواحٌ[1].

### ثانيًا: تعريف الروح شرعًا:

**يقول شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: وَالرُّوحُ الْمُدَبِّرَةُ لِلْبَدَنِ الَّتِي تُفَارِقُهُ بِالْمَوْتِ هِيَ الرُّوحُ الْمَنْفُوخَةُ فِيهِ، وَهِيَ النَّفْسُ الَّتِي تُفَارِقُهُ بِالْمَوْتِ[2].

**ويقول ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: والروح جسم مخالف بالماهية لهذا الجسم المحسوس، وهو جسم نوراني علوي خفيف حي متحرك ينفذ في جوهر الأعضاء ويسري فيها سريان الماء في الورد وسريان الدهن في الزيتون والنار في الفحم، فما دامت هذه الأعضاء صالحة لقَبول الآثار الفائضة عليها من هذا الجسم اللطيف بقي هذا الجسم اللطيف متشابكًا بهذه الأعضاء وأفادها

(١) «العين» (٣/ ٢٩١).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٨٩).

هذه الآثار من الحس والحركة والإرادة، وإذا فسدت هذه الأعضاء بسبب استيلاء الأخلاط عليها وخرجت عن قَبول تلك الآثار، فارق الروح البدن وانفصل إلى عالم الأرواح[(١)].

## المطلب الثاني:
## كلمة الروح في القرآن تأتي على عدة أوجه

**كلمة الروح في القرآن تأتي على عدة أوجه:**

**١- القرآن:** كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾ [الشورى: الآية ٥٢].

**٢- الوحي:** كقوله تعالى: ﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾ [غافر: الآية ١٥].

**٣- جبريل:** كقوله تعالى: ﴿فَٱتَّخَذَتْ مِن دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾﴾ [مريم: الآية ١٧]. ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشُّعَراء: الآية ١٩٣].

**٤- القوة والثبات والنصرة التي يؤيد الله بها من شاء من عباده المؤمنين:** كما قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: الآية ٢٢].

**٥- المسيح ابن مريم:** قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا

---

(١) «الروح» لابن القيم (ص٢٢٦، ٢٧٢).

تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ۚ إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ﴾ [النساء: ١٧١].

**٦- تطلق الروح ويراد بها ما به حياة الإنسان: كقوله تعالى:** ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾﴾ [الإسراء: الآية ٨٥]، فهي الجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار. وهذا هو المقصود في كتابنا هذا[1].

## المطلب الثالث: الروح هل هي قديمة أو مخلوقة؟

**أجاب شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ، **فقال:** الحمد لله رب العالمين، روح الآدمي مخلوقة مبدعة باتفاق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة، وقد حكى إجماع العلماء على أنها مخلوقة غير واحد من أئمة المسلمين؛ مثل محمد بن نصر المروزي الإمام المشهور الذي هو أعلم أهل زمانه بالإجماع والإختلاف أو من أعلمهم. وكذلك أبو محمد بن قتيبة قال في كتاب اللقط لما تكلم على خلق الروح قال: النسم الأرواح. قال: وأجمع الناس على أن الله خالق الجثة وبارئ النسمة أي: خالق الروح. وقال أبو اسحاق بن شاقلا فيما أجاب به في هذه المسألة: سألتَ رحمك الله عن الروح مخلوقة أو غير مخلوقة؟ قال: هذا مما لا يَشُك فيه من وُفق للصواب... إلى أن قال: والروح من الأشياء المخلوقة وقد تكلم في هذه المسألة طوائف من أكابر العلماء المشائخ وردوا على من يزعم أنها غير مخلوقة... ونقل رَحِمَهُ اللهُ عن

---

(١) «الروح» لابن القيم (ص٢٤١)، و«مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (ص٣٦٩)، و«الإيمان باليوم الآخر» للصلابي (ص١٥).

عدد كبير من أهل العلم أنها مخلوقة[١]. . .

- ولو كانت الروح غير مخلوقة فإنها لا تدخل النار ولا تعذب، ولا تُحجب عن الله، ولا تغيب في البدن، ولا يملكها ملك الموت، ولَمَا كانت صورة توصف، ولم تحاسب ولم تعذب، ولم تتعبد ولم تَخَفْ، ولم تَرْجُ، ولأن أرواح المؤمنين تتلألأ، وأرواح الكفار سود مثل الفحم[٢].

- لو لم تكن مخلوقة مربوبة لما أقرت بالربوبية، وقد قال الله للأرواح حين أخذ الميثاق على العباد، وهم في عالم الذرّ: ألست بربكم؟ قالوا: بلى. وذلك ما قرره الحق في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأعراف: الآية ١٧٢]. . . وما دام هو ربهم فإنهم مربوبون مخلوقون[٣].

## المطلب الرابع:
## الرد على من زعم أن الروح غير مخلوقة وأنها جزء من ذات الله تعالى كما يقال: هذه الخرقة من هذا الثوب

فالمراد بقوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: الآية ٨٥]، أي: أنها تكونت بأمره، أو لأنها بكلمته كانت، والأمر في القرآن يُذكر ويراد به المصدر تارة، ويراد به المفعول تارة أخرى وهو المأمور به كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمْرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: الآية ١] أي: المأمور به.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢١٨).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٢١).

(٣) «القيامة الصغرى» (ص٩٥)، و«الإيمان باليوم الآخر» (ص١٩).

ويمكن أن يقال أيضًا: إن لفظة (من) في قوله: ﴿مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: الآية ٨٥] لابتداء الغاية وليس نصًّا في أن الروح بعض الأمر ومن جنسه، بل هي لابتداء الغاية إذ كُونت بالأمر وصدرت عنه، وهذا مثل قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النِّساء: الآية ١٧١] أي: من أمره كان الروح، وكقوله تعالى: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: الآية ١٣] ونظير هذا أيضًا قوله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية ٥٣] أي: منه صدرت ولم تكن بعض ذاته.

وأما قوله تعالى في آدم: ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحِجر: الآية ٢٩] وقوله في عيسى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التّحريم: الآية ١٢]، فينبغي أن يُعلم أن المضاف إلى الله تعالى نوعان:

صفات لا تقوم بأنفسها، كالعلم والقدرة والكلام والسمع والبصر، فهذه إضافة صفة إلى موصوف بها، فعلمه وكلامه وقدرته وحياته صفات له، وكذا وجهه ويده سبحانه.

والثاني: إضافة أعيان منفصلة عنه، كالبيت والناقة والعبد والرسول والروح كقوله تعالى: ﴿نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا﴾ [الشّمس: الآية ١٣]، وقوله: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِي نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ [الفُرقان: الآية ١]، وقوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾ [الحَجّ: الآية ٢٦] فهذه إضافة مخلوق إلى خالقه، لكنها إضافة تقتضي تخصيصًا وتشريفًا يتميز بها المضاف عن غيره[1].

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٢٠)، و«الإيمان باليوم الآخر» (ص١٩)، و«شرح الطحاوية» (ص٤٤٢)، و«القيامة الصغرى» (ص٩٩).

## المطلب الخامس: هل النفس هي الروح؟

**يقول ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ: لفظ النفس والروح والقلب والفؤاد ونحو ذلك مما يتنازع الناسُ في معناها إما لاختلاف اصطلاحاتهم وإما لاختلافهم في المعنى:

**فلفظ النفس** يُراد به تارةً ذاتُ الشيء وعينُه.

ويراد به الدم السائل كقول الفقهاء: «ليست له نفسٌ سائلة» وقول الشاعر:

**تَسيلُ على حَدِّ الظُّباةِ نفوسُنا وليستْ على غير الظُّباةِ تَسِيل**

ويراد به الروح التي في الإنسان كقوله: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ ٢٧ ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ [الفجر ٢٧-٢٨] ومنه قول النبي ﷺ لما نام عام خيبر: «**إنَّ الله قبضَ أنفسنا حيثُ شاء**» وفي الحديث: «قال بلال: أخذ نفسي الذي أخذ بنفسك» ومنه قوله في الحديث: «اخرجي أيتها النفسُ المطمئنَّة كانت في الجسد الطيب».

ويراد بها أيضًا بعض صفاتها المذمومة كالهوى المُرْدي فيقال: «فلان له نفس» كما يقال: «فلان له لسان» و«فلان له قلب» أي: لسان خاص وهو القادر على الكلام وقلب خاص وهو الذي له حالٌ من معرفةٍ ووجد وصدقٍ ونحو ذلك. فكثير من أهل السلوك يريدون بلفظ النفس النفس الخاصة المذمومة، وقد يقسمون لفظ النفس إلى ثلاثة: أمَّارة ولوَّامة ومطمئنة.

**وأما لفظ الروح** فقد يراد به الروح التي في الإنسان وهي النفس التي تُقبض وقت الموت. ولفظ الروح والنفس بهذا الاعتبار اسمان لذات واحدة لكن باعتبار صفات متنوعة، فتسمى روحًا باعتبار ونفسًا باعتبار وإن كانت الذات واحدة[١].

---

(١) «الرد على الشاذلي» (ص١٢٢).

**ويقول أيضًا:** «والروح المدبرة للبدن التي تفارقه بالموت هي الروح المنفوخة فيه، وهي النفس التي تفارقه بالموت»(١).

**ويقول صاحب كتاب «القيامة الصغرى» (ص٨٥):** وقد أخطأ الذين فرقوا بين الروح والنفس واعتقدوا أنهما أمران مختلفان، ومَن تأمل فيما سقناه في بحثنا من نصوص علم النفس يجد أنها هي التي تقبضها الملائكة، وتصعد بها إلى السماء، وتعود بها إلى الجسد، وتُسأل، وتنعم وتعذب، وهي الروح أيضًا التي إذا خرجت من الجسد تبعها البصر كما ثبت في الأحاديث.

وهذا المخلوق الذي تكون به الحياة، وتُفقد الحياة بفقده يسمى روحًا ونفسًا، ولا يمنع هذا أن تطلق كل من الروح والنفس إطلاقات أخرى.

**يقول ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «لفظ الروح والنفس يعبر بهما عن عدة معانٍ: فيراد بالروح الهواء الخارج من البدن والهواء الداخل فيه. ويراد بالروح البخار الخارج من تجويف القلب من سويداه الساري في العروق، وهو الذي تسميه الأطباء الروح، ويسمى الروح الحيواني. فهذان المعنيان غير الروح التي تفارق بالموت التي هي النفس. ويراد بنفس الشيء ذاته وعينه. وقد يراد بلفظ النفس الدم الذي يكون في الحيوان، كقول الفقهاء: «ما له نفس سائلة، وما ليس له نفس سائلة» فهذان المعنيان بالنفس ليسا هما معنى الروح. وتطلق الروح أيضًا على جبرائيل: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ١٩٣﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣]، وتطلق على القرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَاۚ﴾ [الشّورى: الآية ٥٢].

ويلاحظ شارح الطحاوية أن الروح والنفس وإن أُطلقا على تلك اللطيفة الربانية إلا أن «غالب ما يسمى نفسًا إذا كانت الروح متصلة بالبدن، وأما إذا أُخذت مجردة فتسمية الروح أغلب عليها».

(١) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٢٨٩).

**ويقول ابن تيمية في هذا:** «لكن تسمى نفسًا باعتبار تدبيره للبدن، وتسمى روحًا باعتبار لطفه؛ ولهذا يسمى الريح روحًا»(١).

## المطلب السادس: هل للروح كيفية تُعلم؟

لما كانت الروح مخلوقة من جنس لا نظير له في عالم الموجودات فإننا لا نستطيع أن نعرف صفاتها، فقد عَرَّفنا الله أنها تصعد وتهبط، وتسمع وتبصر وتتكلم... إلى غير ذلك، إلا أن هذه الصفات مخالفة لصفات الأجسام المعروفة، فليس صعودها وهبوطها وسمعها وبصرها وقيامها وقعودها من جنس ما نعرفه ونعلمه، فقد أخبرنا الرسول الكريم ﷺ أن الروح يُصعد بها إلى السماوات العلا، ثم تعاد إلى القبر ساعة من الزمن، فقد أخبرنا أنها تنعم أو تعذب في القبر، ولا شك أن هذا النعيم على نحو مخالف لما نعلمه ونعرفه(٢).

## المطلب السابع: أين تسكن الروح من الجسد؟

**يقول ابن تيمية:** وَأَمَّا قَوْلُ الْقَائِلِ: أَيْنَ مَسْكَنُهَا مِنَ الْجَسَدِ؟ فَلَا اخْتِصَاصَ لِلرُّوحِ بِشَيْءٍ مِنَ الْجَسَدِ، بَلْ هِيَ سَارِيَةٌ فِي الْجَسَدِ كَمَا تَسْرِي الْحَيَاةُ الَّتِي هِيَ عَرَضٌ فِي جَمِيعِ الْجَسَدِ فَإِنَّ الْحَيَاةَ مَشْرُوطَةٌ بِالرُّوحِ، فَإِذَا كَانَتْ الرُّوحُ فِي الْجَسَدِ كَانَ فِيهِ حَيَاةٌ وَإِذَا فَارَقَتْهُ الرُّوحُ فَارَقَتْهُ الْحَيَاةُ(٣).

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٤٤).

(٢) «القيامة الصغرى» د. عمر الأشقر (ص٨٧)، و«الإيمان باليوم الآخر» (ص١٥).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٩/ ٣٠٢).

## المطلب الثامن: هل تموت الأرواح؟

**يقول ابن تيمية:** «والأرواح مخلوقة بلا شك، وهي لا تعدم ولا تفنى، ولكن موتها بمفارقة الأبدان، وعند النفخة الثانية تعاد الأرواح إلى الأبدان».

**وقد تعرَّض شارح الطحاوية لهذه المسألة، فقال:** «واختلف الناس هل تموت الروح أم لا؟

فقالت طائفة: تموت لأنها نفس، وكل نفس ذائقة الموت.. وإذا كانت الملائكة تموت، فالنفوس البشرية أَوْلى بالموت.

وقال آخرون: لا تموت الأرواح، فإنها خُلقت للبقاء، وإنما تموت الأبدان. قالوا: وقد دل على ذلك الأحاديث الدالة على نعيم الأرواح وعذابها بعد المفارقة إلى أن يرجعها الله في أجسادها.

والصواب أن يقال: موت النفوس هو مفارقتها لأجسادها وخروجها منها، فإن أريد بموتها هذا القدر فهي ذائقة الموت، وإن أريد أنها تعدم وتفنى بالكلية فهي لا تموت بهذا الاعتبار بل هي باقية بعد خلقها في نعيم أو في عذاب... وقد أخبر سبحانه أن أهل الجنة ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ﴾ [الدخان: ٥٦]، وتلك الموتة هي مفارقة الروح للجسد[1]».

---

(١) انظر: «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٤/ ٢٧٩)، و«شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٤٦)، و«القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١٠١)، و«الموسوعة العقدية» (٤/ ١٧٣).

## المطلب التاسع: كيف تنزع الروح

١- قال تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٣- ٨٥].

﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾ أي: الروح، والحلقوم هو الحلق، وذلك حين الاحتضار ﴿وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾﴾ أي: إلى المحتضر وما يكابده من سكرات الموت ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ﴾ أي: بملائكتنا ﴿وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ﴾ أي: ولكن لا ترونهم.

٢- وقال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ ۚ أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ ﴿٦٢﴾﴾ [الأنعام: ٦١، ٦٢].

٣- وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ ۜ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ [القيامة: ٢٦- ٣٠].

﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ أي: الروح، والتراقي جمع ترقوة وهي العظام المكتنفة لنقرة النحر، وهو مقدم الحلق من أعلى الصدر موضع الحشرجة، ويكنى ببلوغ النفس التراقي عن الإشفاء على الموت مثله قوله: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾﴾، وقيل: ﴿كَلَّآ﴾ معناه، أي: حقًّا أن المساق إلى الله ﴿إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ﴾ أي: إذا ارتفعت الروح إلى التراقي. والمقصود تذكيرهم شدة الحال عند نزول الموت.

٤- وقال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرْقًا ﴿١﴾ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشْطًا ﴿٢﴾﴾ [النازعات: ١، ٢] والمقصود الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعسر فتُغرق في نزعهم، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حلته

من نشاط وهو قوله: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ٢﴾ [النَّازعَات: الآية ٢].

٥- وقال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ ١٩﴾ [ق: الآية ١٩]، سكرة الموت: شدته، وقوله: ﴿سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ﴾ سكرة الميت التي تدل الإنسان على أنه ميت، وهذه السكرة والشدة لا يَسْلَم منها أحد، ولو سلم منها أحد لسلم منها نبينا ﷺ. عن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله ﷺ كان بين يديه ركوة - أو: علبة - فيها ماء فجعل يُدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه ويقول: «**لا إله إلا الله إن للموت سكرات**»، ثم نصب يده فجعل يقول: «**في الرفيق الأعلى**» حتى قُبض ومالت يده[١].

**إن الإنسان إذا اقترب أجله فإن الروح ترتقي إلى أعلى الجسم عند النحر حتى تخرج من جسده، وهذا الخروج للروح ليس بالأمر الهين - حتى للمؤمن - بل له سكرات وغمرات ومشقات، ثم تنتزع الملائكة الروح، وهذا النزع يختلف شدة ويسرًا بحَسَب إيمان الرجل**[٢].

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق رقم (٦١٤٥).

(٢) «الإيمان باليوم الآخر» للصلابي (ص٢٥)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٦)، و«اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة» (ص٥٨)، و«لسان العرب» (٤/ ٣٧٣).



# الاحتضار

## المطلب الأول: تعريف الاحتضار

### تعريف الاحتضار:

الحضور: نقيض المغيب والغيبة، يقال: حَضَر الرجل يَحْضُرُ حُضُورًا وحِضَارة، ويعدَّى فيقال: حَضَرَه، يَحْضُرُهُ، وأحْضَرَ الشيء وأَحْضَرَه إياه، وكان ذلك بِحَضْرَةِ فلان وحِضْرَته وحُضْرَتِهِ، وحَضَرِه ومَحْضَرِه، وكلّمته بِحَضْرَةِ فُلان وبمَحْضَرٍ منه، أي: بمشهد منه.

وحَضْرَةُ الرجل: قُرْبه وفِناؤه، والحَضْرة: قرب الشيء، يقال: أُكْرِم فلانٌ بِحَضْرة فلان وبمَحْضَرِه، ويقال: حَضَرَت الصَلاة.

ورجل حَضِرٌ وحَضُرٌ: يتحيّن طعام الناس حتى يَحْضُرَه، تقول العرب: اللبن مُحْتضِرٌ ومَحْضُوْرٌ فَغَطِّه: أي: كثير الآفة، يعني يحتضره الجنّ والدواب وغيرها.

وقوله تعالى: ﴿وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: الآية ٩٨] أي: أعوذ بك من حضور الشياطين في شيء من أمري.

وحضره الهمُّ واحتضره وتَحَضّرَه: إذا نزل به.

وحُضِر المريض واحْتُضِرَ: إذا نزل به الموت.

**ونخلص مما سبق إلى أن الاحتضار هو حضور الموت ونزوله بالعبد(١).**

وما يحدث للميت حال موته لا نشاهده ولا نراه وإن كنا نرى آثاره، وقد حدثنا ربنا تبارك وتعالى عن حال المحتضر فقال: ﴿فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقعة: ٨٣ - ٨٥]: والمُتحدَّث عنه في الآية الروح عندما تبلغ الحلقوم في حال الاحتضار، ومَن حوله ينظرون إلى ما يعانيه من سكرات الموت، وإن كانوا لا يرون ملائكة الرحمن التي تسلُّ روحه ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٨٥] كما قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعَام: الآية ٦١] وقال في الآية الأخرى: ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِىَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ﴾ [القيامة: ٢٦ - ٣٠] والتي تبلغ التراقي هي الروح، والتراقي جمع ترقوة وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق(٢).

ولا شك أن الإنسان في حالة الاحتضار يكون في موقف صعب، يخاف فيه من المستقبل الآتي، كما يخاف على مَن خَلَّف بعده(٣).

### حضور مَلَك الموت:

إذا حان الأجل وشارفت حياة الإنسان على المغيب أرسل الله رسل

---

(١) «أحوال المحتضر» (ص٧١).

(٢) انظر: «تفسير البغوي» (٨/ ٢٨٥)، و«تفسير الرازي» (٣٠/ ٢٠٤)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٢٨١).

(٣) «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١٩)، و«الموسوعة العقدية» (٤/ ١٠٠).

الموت لسَلِّ الروح المدبِّرة للجسد والمحركة له، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: الآية ٦١]، فيأتي مَلَك الموت للمؤمن وكذلك الكافر والمنافق في صور على حَسَب أعمالهم، وسيأتي الكلام عليه في موضعه.

ففي حديث البراء بن عازب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن الرسول ﷺ قال: «**إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مدَّ بصره، ثم يجيء ملك الموت** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة** - وفي رواية: **المطمئنة - اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان!! قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فيأخذها...**

**وإن العبد الكافر** - وفي رواية: **الفاجر - إذا كان في انقطاع من الآخرة وإقبال من الدنيا، نزل إليه من السماء ملائكة - غلاظ شداد - سود الوجوه، معهم المسوح - من النار - فيجلسون منه مدَّ البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب!! قال: فتفرق في جسده، فينتزعها كما يُنتزع السفود - الكثير الشُّعب - من الصوف المبلول، فتقطع معها العروق والعصب**»(١)(٢).

❊ ❊ ❊

(١) **صحيح**: أخرجه أحمد (٣٠/ ٥٠٣)، والطيالسي (٧٥٣)، وأبو داود (٣٢١٢).

(٢) «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١٩)، و«الموسوعة العقدية» (٤/ ١٠٠).

## المطلب الثاني: حضور ملائكة مع ملك الموت يعاونونه في قبض الروح بأمر الله تعالى

إذا حان أجل العبد وأراد الله تعالى قبض روحه أرسل إليه ملك الموت ومعه ملائكة يعاونونه على قبض روح ذلك العبد، قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۖ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴿٦١﴾﴾ [الأنعام: الآية ٦١].

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ أي: احتضر وحان أجله، ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ أي: ملائكة موكلون بذلك، روى ابن كثير في تفسيره عن ابن عباس وغير واحد قولهم: إن لملك الموت أعوانًا من الملائكة يُخرجون الروح من الجسد فيقبضها ملك الموت إذا انتهت إلى الحلقوم(١).

**يقول الطبري:** «يقول تعالى ذكره: إن ربكم يحفظكم... إلى أن يحضركم الموت، وينزل بكم أمر الله، وإذا جاء ذلك أحدكم توفاه أملاكنا الموكلون بقبض الأرواح ورسلنا المرسلون به وهم لا يفرطون في ذلك فيضيعونه.

**فإن قال قائل:** أو ليس الذي يقبض الأرواح ملك الموت فكيف قيل ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: الآية ٦١] والرسل جملة، وهو واحد، أو ليس قد قال ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجدَة: الآية ١١]؟

**قيل:** جائز أن يكون الله تعالى أعان ملك الموت بأعوان من عنده، فيتولون ذلك بأمر ملك الموت، فيكون التوفي مضافًا وإن كان ذلك من

---

(١) انظر: «تفسير القرآن العظيم» (٢/ ١٣١).

فعل أعوان ملك الموت - إلى ملك الموت؛ إذ كان فعلهم ما فعلوا من ذلك بأمره، كما يضاف قتل من قَتَلَه أعوان السلطان وجلد من جلدوه بأمر السلطان إلى السلطان، وإن لم يكن السلطان باشر ذلك بنفسه ولا وليه بيده».

فالمتأمل في نصوص القرآن الكريم يدرك أن الله ﷻ أسند التوفي للملائكة كما في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ [النحل: الآية ٢٨]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٢]، وقوله: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا﴾ [الأنعام: الآية ٦١]، وغيرها من الآيات، وأسنده في آية أخرى لملك الموت، قال تعالى: ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾ [السَّجدَة: الآية ١١]، وأسنده سبحانه في آية أخرى إليه جل وعلا، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢].

ولا معارضة بين الآيات المذكورة، فإسناد التوفي إليه ﷻ لأنه لا يموت أحد إلا بمشيئته وإذنه كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تَمُوتَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ كِتَٰبًا مُّؤَجَّلًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٤٥]، وإسناده لملك الموت لأنه هو المأمور بقبض الأرواح، وإسناده للملائكة لأن لملك الموت أعوانًا من الملائكة ينزعون الروح من الجسد إلى الحلقوم فيأخذها ملك الموت[1].

❊ ❊ ❊

---

(١) «أحوال المحتضر» (ص٩٤)، وانظر: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٣/ ٢٦٧)، و«دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» (ص٢٣٦).



## المطلب الثالث: حضور الشيطان عند الموت(١)

إذا حضر الموت كان الشيطان حريصًا على الإنسان حتى لا يفلت منه، ففي صحيح مسلم عن جابر بن عبد الله أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الشيطان يحضر أحدكم عند كل شيء من شأنه، حتى يحضره عند طعامه، فإذا سقطت من أحدكم اللقمة فليمط ما كان بها من أذى ثم ليأكلها ولا يدعها للشيطان، فإذا فرغ فليلعق أصابعه فإنه لا يدري في أي طعامه تكون البركة**»(٢).

وقد ذكر العلماء أن الشيطان يأتي الإنسان في تلك اللحظات الحرجة فيحاول أن يجعله يموت على غير طاعة، وهو معنى قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ۝﴾ [آل عِمرَان: الآية ٨](٣).

وقد استدل بعض العلماء بهذا الحديث - حديث جابر بن عبد الله - على حضور الشيطان عند المحتضر؛ لإغوائه وافتتانه، كما استدلوا أيضًا بما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يدعو: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، ومن عذاب النار، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال**»(٤).

**قال ابن دقيق العيد:** (فتنة المحيا ما يَعْرِض للإنسان مدة حياته من الافتتان بالدنيا والشهوات والجهالات وأعظمها والعياذ بالله أمر الخاتمة عند الموت، وفتنة الممات يجوز أن يراد بها الفتنة عند الموت، أضيفت إليه

---

(١) «الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٤/ ١٠٥).

(٢) رواه مسلم (٢٠٣٣).

(٣) «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٩).

(٤) رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

لقربها منه، ويكون المراد بفتنة المحيا على هذا ما قبل ذلك، ويجوز أن يراد بها فتنة القبر)(١).

**كما قد استدل شيخ الإسلام ابن تيمية بحديث الاستعاذة من فتنة المحيا والممات على حضور الشيطان عند المحتضر لإغوائه، وأنه قد يَعْرِض الأديان على بعض العباد، حيث قال** رَحِمَهُ اللَّهُ: (أما عرض الأديان على العبد وقت الموت فليس هو أمرًا عامًّا لكل أحد، ولا هو أيضًا منتفيًا عن كل أحد، بل من الناس مَن تُعرض عليه الأديان قبل موته، ومنهم مَن لا تُعرض عليه، وقد وقع ذلك لأقوام، وهذا كله من فتنة المحيا والممات التي أُمرنا أن نستعيذ منها في صلاتنا، منها ما في الحديث الصحيح: «أَمَرنا النبي ﷺ أن نستعيذ في صلاتنا من أربع: من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال»(٢).

ولكن وقت الموت أحرص ما يكون الشيطان على إغواء بني آدم؛ لأنه وقت الحاجة، وقد قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح: «**الأعمال بخواتيمها**»(٣). وقال ﷺ: «**إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها، وإن العبد ليعمل بعمل أهل النار حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل الجنة فيدخلها**»(٤)...)(٥).

---

(١) انظر: «فتح الباري» لابن حجر (٢/ ٣١٩).

(٢) رواه البخاري (١٣٧٧)، ومسلم (٥٨٨).

(٣) رواه البخاري (٦٤٩٣) من حديث سهل بن سعد الساعدي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٤) رواه البخاري (٧٤٥٤)، ومسلم (٢٦٤٣) من حديث ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

(٥) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٤/ ٢٥٥، ٢٥٦).

وقال في موضع آخر: (وأما عَرْض الأديان وقت الموت فيبتلى به بعض الناس دون بعض...)[١].

**وذكر ابن حجر** أن الأكثر والأغلب في سوء الخاتمة أنه لا يقع إلا لمن في طويته فساد أو ارتياب، ويَكثر وقوعه للمُصرّ على الكبائر والمجترئ على العظائم، إذ يهجم عليه الموت بغتة فيصطلمه[٢] الشيطان عند تلك الصدمة، فيكون ذلك سببًا لسوء خاتمته[٣].

ويدل على حضور الشيطان عند المحتضر قوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]، فالمعنى: أعوذ بك أن يحضرني الشيطان في أمر من أموري كائنًا ما كان، سواء كان ذلك وقت تلاوة القرآن، أو عند حضور الموت، أو غير ذلك من جميع الشؤون في جميع الأوقات[٤].

ويقول ابن الجوزي: (وقد يتعرض إبليس للمريض فيؤذيه في دينه ودنياه، وقد يستولي على الإنسان فيضله في اعتقاده، وربما حال بينه وبين التوبة... وربما جاء الاعتراض على المقدر؛ فينبغي للمؤمن أن يعلم أن تلك الساعة هي مصدوقة للحرب، وحين يحمى الوطيس فينبغي أن يتجلد ويستعين بالله على العدو)[٥].

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (١٤/ ٢٠٢).

(٢) **الاصطلام**: الاستئصال والهلاك والقطع. انظر: «لسان العرب» (٢/ ٤٦٩).

(٣) انظر: «فتح الباري» (١١/ ٤٨٩، ٤٩٠).

(٤) انظر: «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» (٥/ ٨١٩).

(٥) «الثبات عند الممات» (ص٤١، ٤٢).

## المطلب الرابع: خروج روح المؤمن واحتضاره

١- ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ [فصلت: ٣٠ - ٣٢].

**قال السعدي في «تفسيره» (ص٧٤٨):** يخبر تعالى عن أوليائه، وفي ضمن ذلك تنشيطهم والحث على الاقتداء بهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُوا۟﴾ أي: اعترفوا ونطقوا ورضُوا بربوبية الله تعالى، واستسلموا لأمره، ثم استقاموا على الصراط المستقيم، علمًا وعملًا فلهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ﴾ الكرام، أي: يتكرر نزولهم عليهم، مبشرين لهم عند الاحتضار: ﴿أَلَّا تَخَافُوا۟﴾ على ما يُستقبل من أمركم، ﴿وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾ على ما مضى. فنفوا عنهم المكروه الماضي والمستقبل، ﴿وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ فإنها قد وجبت لكم وثبتت، وكان وعد الله مفعولًا. ويقولون لهم أيضًا - مثبتين لهم، ومبشرين: ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ يحثونهم في الدنيا على الخير ويزينونه لهم، ويرهبونهم عن الشر ويقبحونه في قلوبهم، ويَدْعون الله لهم ويثبتونهم عند المصائب والمخاوف، وخصوصًا عند الموت وشدته، والقبر وظلمته، وفي القيامة وأهوالها، وعلى الصراط، وفي الجنة يهنئونهم بكرامة ربهم، ويدخلون عليهم من كل باب: ﴿سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: الآية ٢٤] ويقولون لهم أيضًا: ﴿وَلَكُمْ فِيهَا﴾ أي: في الجنة ﴿مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ﴾ قد أُعد وهيئ. ﴿وَلَكُمْ فِيهَا

مَا تَدَّعُونَ﴾ أي: تطلبون من كل ما تتعلق به إرادتكم وتطلبونه من أنواع اللذات والمشتهيات، مما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

﴿نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ أي: هذا الثواب الجزيل، والنعيم المقيم، نزلٌ وضيافة ﴿مِّنْ غَفُورٍ﴾ غفر لكم السيئات، ﴿رَّحِيمٍ﴾ حيث وفقكم لفعل الحسنات، ثم قبلها منكم. فبمغفرته أزال عنكم المحذور، وبرحمته أنالكم المطلوب.

**وقال القاسمي في «تفسيره» (٨/ ٣٣٦):** ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ﴾ أي: وحّدوه بنفي غيره، وعرفوه بالإيقان حق معرفته ﴿ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ﴾ أي: في أخلاقهم وعقائدهم وأعمالهم. وذلك بالسلوك في طريقه تعالى، والثبات على صراطه، مخلصين لأعمالهم، عاملين لوجهه، غير ملتفتين بها إلى غيره ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: في الدنيا، بإلهامهم. أو عند الموت، أو حين البعث ﴿أَلَّا تَخَافُواْ﴾ أي: مما تُقْدمون عليه بعد مماتكم ﴿وَلَا تَحْزَنُواْ﴾ أي: على ما خلفتم من دنياكم، من أهل وولد. فإنا نخلفكم في ذلك كله. أو من الفزع الأكبر وهوله، فإنكم آمنون لآية ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٣]، والتنزيل يفسر بعضه بعضًا. أو الآيتان في مقامين وبشارتين. وفضله تعالى أوسع، وجوده أعم وأشمل.

قال القاشاني: وإنما تنزلت الملائكة عليهم للمناسبة الحقيقية بينهم في التوحيد الحقيقي، والإيمان اليقيني، والعمل الثابت على منهاج، ﴿نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْأٓخِرَةِ﴾ [فُصّلَت: الآية ٣١] أي: أحباؤكم في الدارين للتناسب بيننا وبينكم. كما أن الشياطين أولياء الكافرين لما بينهم من الجنسية والمشاركة في الظلمة والكدورة.

قال ابن كثير: أي: تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن كنا قرناءكم في الحياة الدنيا؛ نسددكم ونوفقكم ونحفظكم بأمر الله. وكذلك نكون معكم في الآخرة؛ نؤنس منكم الوحشة في القبور، وعند النفخة في الصور. ونؤمنكم يوم البعث والنشور. ونجاوزكم الصراط المستقيم ونوصلكم إلى جنات النعيم.

٢- ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ ۙ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ۙ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢].

**قال القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ١٠١):** و﴿طَيِّبِينَ﴾: طَاهِرِينَ مِنَ الشِّرْكِ. الثَّانِي: صَالِحِينَ. الثَّالِثُ: زَاكِيَةٌ أَفْعَالُهُمْ وَأَقْوَالُهُمْ. الرَّابِعُ: طَيِّبِينَ الْأَنْفُسِ ثِقَةً بِمَا يَلْقَوْنَهُ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ تَعَالَى. الْخَامِسُ: طَيِّبَةٌ نُفُوسُهُمْ بِالرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ. السَّادِسُ: ﴿طَيِّبِينَ﴾ أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُمْ طَيِّبَةً سَهْلَةً لَا صُعُوبَةَ فِيهَا وَلَا أَلَمَ، بِخِلَافِ مَا تُقْبَضُ بِهِ رُوحُ الْكَافِرِ وَالْمُخَلِّطِ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ. ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ يَحْتَمِلُ وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنْ يَكُونَ السَّلَامُ إِنْذَارًا لَهُمْ بِالْوَفَاةِ. الثَّانِي: أَنْ يَكُونَ تَبْشِيرًا لَهُمْ بِالْجَنَّةِ؛ لِأَنَّ السَّلَامَ أَمَانٌ.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٤٣٩):** ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ مستمرين على تقواهم ﴿طَيِّبِينَ﴾ أي: طاهرين مطهرين من كل نقص ودنس يتطرق إليهم ويُخل في إيمانهم، فطابت قلوبهم بمعرفة الله ومحبته وألسنتهم بذكره والثناء عليه، وجوارحهم بطاعته والإقبال عليه، ﴿يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ﴾ أي: التحية الكاملة حاصلة لكم والسلامة من كل آفة.

وقد سَلِمتم من كل ما تكرهون ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ من الإيمان بالله والانقياد لأمره، فإن العمل هو السبب والمادة والأصل في دخول الجنة والنجاة من النار، وذلك العمل حصل لهم برحمة الله ومنته

عليهم لا بحولهم وقوتهم.

٣- ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ - ٣٠].

**قال ابن كثير** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تفسيره» (٨/ ٤٠٠):** ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: إلى جواره وثوابه وما أعد لعباده في جنته، ﴿رَاضِيَةً﴾ أي: في نفسها ﴿مَّرْضِيَّةً﴾ أي: قد رضيت عن الله ورضي عنها وأرضاها، ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ أي: في جملتهم، ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ وهذا يقال لها عند الاحتضار، وفي يوم القيامة أيضًا، كما أن الملائكة يبشرون المؤمن عند احتضاره وعند قيامه من قبره، وكذلك هاهنا.

**وقال القاسمي** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تفسيره» (٩/ ٤٧٣):** ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ أي: الآمنة التي لا يستفزها خوف ولا حزن، وهي التي كان قلبها اطمأن بذكر الله وطاعته وخشيته من الاضطراب، ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ أي: وعده وثوابه ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ أي: راضية بما أوتيت، مرضية عند ربها ﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾﴾ أي: في زمرتهم، وهم الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون ﴿وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ أي: معهم. وهذا القول إما عند الموت أو البعث أو دخول الجنة.

**ومن غرائب المأثور هنا** تأويل النفس بالروح، والرب بصاحبها. أي: ارجعي إلى جسد صاحبك إيذانًا بأن الأرواح المطمئنة تُردّ يوم القيامة في الأجساد، وأن لها مقرًّا قبل تعلقها بالبدن في عالم الملكوت. والمسألة من الغوامض بل من الغيوب وبمعرفة نظائر التنزيل يظهر بُعد هذا التأويل.

**وقال السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تفسيره» (ص٩٢٤):** ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ إلى ذكر الله، الساكنة إلى حبه، التي قرت عينها بالله، ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾

الذي رباك بنعمته، وأسدى عليك من إحسانه ما صرت به من أوليائه وأحبابه ﴿رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً﴾ أي: راضية عن الله، وعما أكرمها به من الثواب، والله قد رضي عنها.

﴿فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى﴾ وهذا تُخاطَب به الروح يوم القيامة، وتُخاطَب به حال الموت.

٤- وقال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة: ٨٩، ٩١].

هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم: إما أن يكون من المقربين، أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين، وإما أن يكون من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى الجاهلين بأمر الله.

ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّآ إِن كَانَ﴾ أي: المحتضر ﴿مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم مَن فعلوا الواجبات والمستجاب وتركوا المحرمات والمكروهات وبعض المباحات.

وقوله: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ أي: فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت ﴿فَرَوْحٌ﴾ راحة، أو الراحة من الدنيا (والروح) الفرح ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ جنة ورخاء ﴿فَرَوْحٌ﴾ فرحمة ﴿وَرَيْحَانٌ﴾ رزق. وكل هذه الأقوال متقاربة صحيحة، فإن من مات مقربًا حصل له جميع ذلك من الرحمة والراحة والاستراحة والفرح والسرور والرزق الحسن. ﴿وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾ أي: لا يموت أحد من الناس حتى يعلم من أهل الجنة هو أم من أهل النار.

وقوله تعالى: ﴿وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾﴾ أي: وأما إن كان المحتضر من أصحاب اليمين ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾﴾، أي: تبشرهم الملائكة بذلك، تقول لأحدهم: سلام لك، أي: لا بأس عليك،

أنت إلى سلامة، أنت من أصحاب اليمين.

السلام عند ثلاثة مواضع:

- عند قبض روحه في الدنيا يُسَلِّم عليه ملك الدنيا.
- عند مساءلته في القبر يُسَلِّم عليه منكر ونكير.
- عند بعثه في القيامة تُسَلِّم عليه الملائكة قبل وصوله إلى الجنة ويكون ذلك إكرامًا بعد إكرام[1].

وفي السنة من حديث البراء عن النبي ﷺ قال: «... **إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ، نَزَلَ إِلَيْهِ مَلَائِكَةٌ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ، وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ، عليه السلام، حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ، اخْرُجِي إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللهِ وَرِضْوَانٍ**». قَالَ: «**فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فِي السِّقَاءِ، فَيَأْخُذُهَا، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ، وَفِي ذَلِكَ الْحَنُوطِ، وَيَخْرُجُ مِنْهَا كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ...**»[2].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أيضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ!! فَمَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيَعْرُجَ بِهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحَ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟**

---

(١) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٢٨)، وانظر: «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٦٤)، و«تفسير ابن كثير» (٤/ ٣٠٠)، و«محاسن التأويل» للقاسمي (٧/ ٢٢)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ١٥١).

(٢) **صحيح**: سبق تخريجه.

**فَيُقَالُ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ! فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ!! فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ»** أَظُنُّهُ أَرَادَ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ(١).

## المطلب الخامس: خروج روح الكافر أو الفاسق أو العاصي واحتضاره

١- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

**قال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٥٣٧):** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾، يا محمد، حين يغمر الموت بسكراته هؤلاء الظالمين العادلين بربهم الآلهة والأنداد، والقائلين: ﴿مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ﴾ [الأنعام: الآية ٩١]، والمفترين على الله كذبًا، الزاعمين أنّ الله أوحى إليه ولم يوحَ إليه شيء، والقائلين: ﴿سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ﴾ [الأنعام: الآية ٩٣]، فتعاينهم وقد غشيتهم سكرات الموت، ونزل بهم أمر الله، وحان فناء آجالهم، والملائكة باسطو أيديهم يضربون وجوههم وأدبارهم، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ [محمد: ٢٧، ٢٨]. يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم... وأما «بسط الملائكة أيديها»، فإنه مدُّها.

---

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (١٤/ ٣٧٧)، وابن ماجه (٤٢٦٢)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص٤٥) من طريق سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، به.

**وقال البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٤٥):** ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾، يا محمد، ﴿إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾، سكراته وهي جمع غمرة، وغمرة كل شيء معظمه، وأصلها الشيء الذي يغمر الأشياء فيغطيها، ثم وُضعت في موضع الشدائد والمكاره، ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾، بالعذاب والضرب ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية ٥٠]، وقيل: بقبض الأرواح، ﴿أَخْرِجُوٓاْ﴾، أي: يقولون: أخرجوا، ﴿أَنفُسَكُمُ﴾، أي: أرواحكم كرهًا لأن نفس المؤمن تنشط للقاء ربه، ونفس الكافر تكره ذلك. والجواب محذوف، يعني: لو تراهم في هذه الحال لرأيت عجبًا، ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾، أي: الهوان، ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾، تتعظمون عن الإيمان بالقرآن ولا تصدقونه.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٢٦٥):** ولما ذم الظالمين، ذكر ما أعد لهم من العقوبة في حال الاحتضار ويوم القيامة فقال: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ﴾ أي: شدائده وأهواله الفظيعة وكُرَبه الشنيعة، لرأيت أمرًا هائلًا وحالة لا يقدر الواصف أن يصفها.

﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ﴾ إلى أولئك الظالمين المحتضرين بالضرب والعذاب، يقولون لهم عند منازعة أرواحهم وقلقها وتعصيها للخروج من الأبدان: ﴿أَخْرِجُوٓاْ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾ أي: العذاب الشديد، الذي يهينكم ويذلكم، والجزاء من جنس العمل، فإن هذا العذاب ﴿بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ من كذبكم عليه، وردكم للحق الذي جاءت به الرسل. ﴿وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ أي: تَرَفَّعون عن الانقياد لها والاستسلام لأحكامها.

وفي هذا دليل على عذاب البرزخ ونعيمه، فإن هذا الخطاب والعذاب

الموجه إليهم إنما هو عند الاحتضار وقبيل الموت وبعده.

وفيه دليل على أن الروح جسم، يدخل ويخرج، ويُخاطَب، ويساكن الجسد، ويفارقه.

فهذه حالهم في البرزخ، وأما يوم القيامة، فإنهم إذا وردوها، وردوها مفلسين فرادى بلا أهل ولا مال ولا أولاد ولا جنود ولا أنصار، كما خلقهم الله أول مرة، عارين من كل شيء.

٢- ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النحل: ٢٨، ٢٩].

**قال البغوي في «تفسيره» (٥/ ١٦):** ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ يَقْبِضُ أَرْوَاحَهُمْ مَلَكُ الْمَوْتِ وَأَعْوَانُهُ، قَرَأَ حَمْزَةُ (يَتَوَفَّاهُمْ) بِالْيَاءِ وَكَذَا مَا بَعْدَهُ، ﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بِالْكُفْرِ، وَنُصِبَ عَلَى الْحَالِ، أَيْ: فِي حَالِ كُفْرِهِمْ، ﴿فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ﴾ أَي: اسْتَسْلَمُوا وَانْقَادُوا وَقَالُوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ شِرْكٍ، فَقَالَ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ قَالَ عِكْرِمَةُ: عَنَى بِذَلِكَ مَنْ قُتِلَ مِنَ الْكُفَّارِ بِبَدْرٍ.

**وقال القاسمي في «تفسيره» (٦/ ٣٦٤):** ﴿ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ۖ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾

هذا إخبار عن حال المشركين الظالمي أنفسهم - ويدخل فيه كل من ظلم نفسه سواء بالشرك أو المعاصي بتبديل فطرة الله - عند احتضارهم ومجيء الملائكة إليهم لقبض أرواحهم، بأنهم يُلقون السلم، أي: ينقادون ويسالمون ويتركون المشاقّة. والعدول إلى صيغة الماضي للدلالة على

تحقق الوقوع، وأصل الإلقاء في الأجسام فاستعمل في إظهار الانقياد إشعارًا بغاية خضوعهم واستكانتهم. وجعل ذلك كالشيء الملقى بين يدي القاهر الغالب على الاستعارة. وقوله تعالى: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ منصوب بقول مضمر، حال، أي: قائلين ذلك. أو هو تفسير (للسلم) الذي ألقوه؛ لأنه بمعنى القول، بدليل الآية الأخرى: ﴿فَأَلْقَوْاْ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ﴾ [النّحل: الآية ٨٦]، كما يقولون يوم المعاد: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٢٣]، ﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [المجَادلة: الآية ١٨].

ثم أخبر تعالى أن الملائكة تجيبهم بقولهم: ﴿بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: فلا يفيد الإنكار والكذب على الأنفس ﴿فَٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أي: مقدّرًا خلودكم.

**وقال ابن كثير:** وهم يدخلون جهنم من يوم مماتهم بأرواحهم. وينال أجسادهم في قبورها من حرّها وسمومها. فإذا كان يوم القيامة سُلكت أرواحهم في أجسادهم، وخُلدت في نار جهنم، لا يقضى عليهم فيموتوا ولا يخفف عنهم من عذابها.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٤٣٩):** أي: تتوفاهم في هذه الحال التي كثر فيها ظلمهم وغيهم وقد علم ما يلقى الظلمة في ذلك المقام من أنواع العذاب والخزي والإهانة. ﴿فَأَلْقَوُاْ ٱلسَّلَمَ﴾ أي: استسلموا وأنكروا ما كانوا يعبدونهم من دون الله وقالوا: ﴿مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ﴾ فيقال لهم: ﴿بَلَىٰٓ﴾ كنتم تعملون السوء ف ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فلا يفيدكم الجحود شيئًا، وهذا في بعض مواقف القيامة ينكرون ما كانوا عليه في الدنيا ظنًّا أنه ينفعهم، فإذا شهدت عليهم جوارحهم وتبين ما كانوا عليه، أقروا واعترفوا؛ ولهذا لا يدخلون النار حتى يعترفوا بذنوبهم.

٣- ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ كَلَّآۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ﴿١٠٠﴾﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠].

**قال البغوي في «تفسيره» (٥/ ٤٢٨):** ثُمَّ أَخْبَرَ أَنَّ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يُنْكِرُونَ الْبَعْثَ - يَسْأَلُونَ الرَّجْعَةَ إِلَى الدُّنْيَا عِنْدَ مُعَايَنَةِ الْمَوْتِ، فَقَالَ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ رَبِّ ٱرۡجِعُونِ ﴿٩٩﴾﴾ وَلَمْ يَقِلِ: ارْجِعْنِي، وَهُوَ يَسْأَلُ اللَّهَ وَحْدَهُ الرَّجْعَةَ، عَلَى عَادَةِ الْعَرَبِ فَإِنَّهُمْ يُخَاطِبُونَ الْوَاحِدَ بِلَفْظِ الْجَمْعِ عَلَى وَجْهِ التَّعْظِيمِ، كَمَا أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ نَفْسِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّا نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾ [الحجر: الآية ٩]، وَمِثْلُهُ كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ. وَقِيلَ: هَذَا الْخِطَابُ مَعَ الْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَقْبِضُونَ رَوْحَهُ ابْتِدَاءً بِخِطَابِ اللَّهِ لِأَنَّهُمُ اسْتَغَاثُوا بِاللَّهِ أَوَّلًا ثُمَّ رَجَعُوا إِلَى مَسْأَلَةِ الْمَلَائِكَةِ الرُّجُوعَ إِلَى الدُّنْيَا.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ أَيْ: ضَيَّعْتُ أَنْ أَقُولَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ. وَقِيلَ: أَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللَّهِ.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٥٥٩):** يخبر تعالى عن حال من حضره الموت من المفرطين الظالمين، أنه يندم في تلك الحال إذا رأى مآله وشاهد قبح أعماله، فيطلب الرجعة إلى الدنيا، لا للتمتع بلذاتها واقتطاف شهواتها وإنما ذلك يقول: ﴿لَعَلِّيٓ أَعۡمَلُ صَٰلِحٗا فِيمَا تَرَكۡتُۚ﴾ من العمل، وفرطت في جنب الله. ﴿كَلَّآۚ﴾ أي: لا رجعة له ولا إمهال، قد قضى الله أنهم إليها لا يرجعون، ﴿إِنَّهَا﴾ أي: مقالته التي تمنى فيها الرجوع إلى الدنيا ﴿كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَاۖ﴾ أي: مجرد قول باللسان، لا يفيد صاحبه إلا الحسرة والندم، وهو أيضًا غير صادق في ذلك، فإنه لو رُد لعاد لما نُهي عنه.

٤- ﴿وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ

أَخَّرْتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١١﴾﴾ [المنافقون: ١٠، ١١].

**قال ابن الجوزي في «تفسيره» (٤/ ٢٩٠):** قوله ﷻ: ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ﴾ قال الزجاج: أي: من قبل أن يعاين ما يعلم منه أنه ميّت.

٥- ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ﴿٥٠﴾ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿١٨٢﴾﴾ [الأنفال: ٥٠، ٥١].

**قال البغوي في «تفسيره» (٣/ ٣٦٧):** ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ﴾ يَا مُحَمَّدُ، ﴿إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ﴾ أَيْ: يَقْبِضُونَ أَرْوَاحَهُمْ. اخْتَلَفُوا فِيهِ، قِيلَ: هَذَا عِنْدَ الْمَوْتِ، تَضْرِبُ الْمَلَائِكَةُ وُجُوهَ الْكُفَّارِ وَأَدْبَارَهُمْ بِسِيَاطِ النَّارِ... وَقَالَ ابْنُ جُرَيْجٍ: يُرِيدُ مَا أَقْبَلَ مِنْهُمْ وَمَا أَدْبَرَ، أَيْ: يَضْرِبُونَ أَجْسَادَهُمْ كُلَّهَا، وَالْمُرَادُ بِالتَّوَفِّي: الْقَتْلُ. ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ أَيْ: وَتَقُولُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ: ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ. وَقِيلَ: كَانَ مَعَ الْمَلَائِكَةِ مَقَامِعُ مِنْ حَدِيدٍ يَضْرِبُونَ بِهَا الْكُفَّارَ، فَتَلْتَهِبُ النَّارُ فِي جِرَاحَاتِهِمْ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾.

**وقال القاسمي في «تفسيره» (٥/ ٣٠٨):** ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي: يقبض أرواحهم ﴿ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ﴾ أي: ملائكة القهر والعذاب مما يناسب هيئات نفوسهم ﴿يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ﴾ لإعراضهم عن الحق، ولهيآت الكبر والعجب والنخوة فيها ﴿وَأَدۡبَٰرَهُمۡ﴾ لميلهم إلى الباطل، وشدة انجذابهم إليه، ولهيئات الشهوة والحرص والشره ﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ﴾ عطف على (يضربون) بإضمار القول، أي: ويقولون: ذوقوا!! بشارة لهم بعذاب الآخرة. وجواب (لو) محذوف لتفظيع الأمر وتهويله.

**وقال ابن كثير**: وهذا السياق وإن كان سببه وقعة بدر، ولكنه عامّ في حق كل كافر. وفي سورة القتال مثل هذه الآية. وتقدم في الأنعام نحوها، وهو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ﴾ [الأنعام: الآية ٩٣]، أي: بالضرب فيهم بأمر ربهم.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٣٢٣)**: يقول تعالى: ولو ترى الذين كفروا بآيات الله حين توفاهم الملائكة الموكلون بقبض أرواحهم وقد اشتد بهم القلق وعظم كربهم، و﴿ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ﴾ يقولون لهم: أخرجوا أنفسكم، ونفوسهم متمنعة مستعصية على الخروج؛ لعلمها ما أمامها من العذاب الأليم. ولهذا قال: ﴿وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ﴾ أي: العذاب الشديد المحرق، ﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّـٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ ذلك العذاب حصل لكم غير ظلم ولا جور من ربكم، وإنما هو بما قدمت أيديكم من المعاصي التي أثرت لكم ما أثرت، فهذه سنة الله في الأولين والآخرين، فإن دأب هؤلاء المكذبين أي: سنتهم وما أجرى الله عليهم من الهلاك بذنوبهم.

٦ - قال تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾﴾ [محمد: الآية ٢٧].

هذه الآية فيها التصريح بضرب وجوه الكافرين وأدبارهم عند النزع(١).

وفي حديث الْبَرَاءِ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ بَصَرَهُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَخْفِضُ بَصَرَهُ وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» قَالَهَا مِرَارًا ثُمَّ قَالَ:

---

(١) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٧٠)، وانظر: «الإيمان باليوم الآخر» (ص٣٣).

«إِنَّ الْعَبْدَ وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَاجِرًا وَكَانَ فِي قِبَلٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، جَاءَهُ مَلَكٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَبْشِرِي بِسَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ.

فَتَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ مُسُوحٌ، فَإِذَا قَبَضَهَا الْمَلَكُ قَامُوا فَلَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ» قَالَ: «فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ فَيَسْتَخْرِجُهَا تُقْطَعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ كَالسَّفُّودِ الْكَثِيرِ الشُّعَبِ فِي الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَتُؤْخَذُ مِنَ الْمَلَكِ فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحٍ وُجِدَتْ...»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أيضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ... وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ!! فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيَنْتَهِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ. فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ!! فَتُرْسَلُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ»(٢).

## المطلب السادس: أين تصير روح المؤمن والكافر بعد خروجها وقبل دخول القبر؟

١- أما روح المؤمن ففي حديث الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّمَا عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) **إسناده صحيح**: أخرجه أحمد (١٤/ ٣٧٧)، وابن ماجه (٤٢٦٢)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص٤٥) من طريق سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، به.

بَصَرَهُ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ وَيَخْفِضُ بَصَرَهُ وَيَنْظُرُ إِلَى الْأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» قَالَهَا مِرَارًا ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي قِبَلٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا جَاءَهُ مَلَكٌ، فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ، فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ فَتَسِيلُ كَمَا يَسِيلُ قَطْرُ السَّمَاءِ**»، قَالَ عَمْرٌو فِي حَدِيثِهِ: لَمْ يَقُلْهُ أَبُو عَوَانَةَ، وَإِنْ كُنْتُمْ تَرَوْنَ غَيْرَ ذَلِكَ، «**وَتَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ مِنَ الْجَنَّةِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ أَكْفَانٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِهَا فَيَجْلِسُونَ مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ، فَإِذَا قَبَضَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾** [الأنعام: الآية ٦١]».

قَالَ: «**فَتَخْرُجُ نَفْسُهُ كَأَطْيَبِ رِيحٍ وُجِدَتْ، فَتَعْرُجُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ فَلَا يَأْتُونَ عَلَى جُنْدٍ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ؟ فَيُقَالُ: فُلَانٌ!! بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ حَتَّى يَنْتَهُوا إِلَى أَبْوَابِ سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُفْتَحَ لَهُ وَتُشَيِّعَهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَيُقَالُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي عِلِّيِّينَ، ثُمَّ يُقَالُ: رُدُّوهُ إِلَى الْأَرْضِ فَإِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي ﴿۞ مِنْهَا خَلَقْنَٰكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَىٰ ﴿٥٥﴾﴾** [طه: الآية ٥٥]».

قَالَ: «**فَيُرَدُّ إِلَى الْأَرْضِ وَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الِانْتِهَارِ فَيَنْتَهِرَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَنْ رَبُّكَ؟ وَمَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ وَدِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ: مَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ. فَيَقُولَانِ وَمَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّنَا فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُهُ**» قَالَ: «**وَذَلِكَ قَوْلُهُ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾** [إبراهيم: الآية ٢٧]».

ثُمَّ قَالَ: «**وَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْرُشُوهُ مِنْهَا، وَأَرُوهُ مَنْزِلَهُ فِيهَا. فَيَلْبَسُ مِنَ الْجَنَّةِ وَيُفْرَشُ مِنْهَا، وَيَرَى مَنْزِلَهُ فِيهَا، وَيُفْسَحُ لَهُ مَدَّ بَصَرِهِ وَيَمْثُلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ حَسَنِ الْوَجْهِ طَيِّبِ الرِّيحِ حَسَنِ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ:**

**أَبْشِرْ بِمَا أَعَدَّ اللَّهُ لَكَ، أَبْشِرْ بِرِضْوَانٍ مِنَ اللَّهِ وَجَنَّاتٍ فِيهَا نُعَيْمٌ مُقِيمٌ!! فَيَقُولُ: بَشَّرَكَ اللَّهُ بِخَيْرٍ، مَنْ أَنْتَ؟ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي جَاءَنَا بِالْخَيْرِ! فَيَقُولُ: هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ، أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتَ سَرِيعًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ بَطِيئًا فِي مَعْصِيَتِهِ، فَجَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا! فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ كَيْ أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي».**

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: «إِذَا خَرَجَتْ رُوحُ الْمُؤْمِنِ تَلَقَّاهَا مَلَكَانِ يُصْعِدَانِهَا» - قَالَ حَمَّادٌ: فَذَكَرَ مِنْ طِيبِ رِيحِهَا وَذَكَرَ الْمِسْكَ - قَالَ: «وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ: رُوحٌ طَيِّبَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ، صَلَّى الله عَلَيْكِ وَعَلَى جَسَدٍ كُنْتِ تَعْمُرِينَهُ! فَيُنْطَلَقُ بِهِ إِلَى رَبِّهِ ﷻ، ثُمَّ يَقُولُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أيضًا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ، فَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ الصَّالِحُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ، اخْرُجِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ! فَمَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ فَيُعْرَجَ بِهَا حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ فَيُسْتَفْتَحَ لَهَا فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ. فَيُقَالُ: مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الطَّيِّبَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الطَّيِّبِ، ادْخُلِي حَمِيدَةً وَأَبْشِرِي بِرَوْحٍ وَرَيْحَانٍ وَرَبٍّ غَيْرِ غَضْبَانَ! فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهَا ذَلِكَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهَا إِلَى السَّمَاءِ**» أَظُنُّهُ أَرَادَ السَّمَاءَ السَّابِعَةَ[(٢)].

٢- وأما روح العاصي أو الكافر، فقَالَ: **وَإِنْ كَانَ كَافِرًا فَاجِرًا وَكَانَ فِي قِبَلٍ مِنَ الْآخِرَةِ وَانْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا، جَاءَهُ مَلَكٌ فَجَلَسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَقَالَ: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، أَبْشِرِي بِسَخَطِ اللَّهِ وَغَضَبِهِ! فَتَنْزِلُ مَلَائِكَةٌ سُودُ الْوُجُوهِ مَعَهُمْ مُسُوحٌ، فَإِذَا قَبَضَهَا الْمَلَكُ قَامُوا فَلَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ»** قَالَ: «**فَتَفَرَّقُ فِي جَسَدِهِ**

---

(١) رواه مسلم (٧٥) (٢٨٧٢).

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (١٤/ ٣٧٧)، وابن ماجه (٤٢٦٢)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص٤٥) من طريق سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، به.

**فَيَسْتَخْرِجُهَا تُقْطَعُ مَعَهَا الْعُرُوقُ وَالْعَصْبُ كَالسَّفُّودِ الْكَثِيرِ الشُّعَبِ فِي الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَتُؤْخَذُ مِنَ الْمَلَكِ فَتَخْرُجُ كَأَنْتَنِ رِيحٍ وُجِدَتْ، فَلَا تَمُرُّ عَلَى جُنْدٍ فِيمَا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، إِلَّا قَالُوا: مَا هَذِهِ الرُّوحُ الْخَبِيثَةُ؟! فَيَقُولُونَ: هَذَا فُلَانٌ! بِأَسْوَإِ أَسْمَائِهِ حَتَّى يَنْتَهُوا بِهِ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا فَلَا يُفْتَحُ لَهُ، فَيَقُولُ: رُدُّوهُ إِلَى الْأَرْضِ إِنِّي وَعَدْتُهُمْ أَنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا نُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى»** قَالَ: «**فَيُرْمَى مِنَ السَّمَاءِ**»، فَتَلَا هَذِهِ الْآيَةَ ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾ [الحج: الآية ٣١].

قَالَ: «**فَيُعَادُ إِلَى الْأَرْضِ وَتُعَادُ فِيهِ رُوحُهُ وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ شَدِيدَا الِانْتِهَارِ فَيَنْتَهِرَانِهِ وَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ: فَمَا تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَلَا يَهْتَدِي لِاسْمِهِ، وَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ؟ فَيَقُولُ: لَا أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ ذَلِكَ! فَيُقَالُ: لَا دَرَيْتَ فَيَضِيقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ أَضْلَاعُهُ، وَيَتَمَثَّلُ لَهُ عَمَلُهُ فِي صُورَةِ رَجُلٍ قَبِيحِ الْوَجْهِ مُنْتِنِ الرِّيحِ قَبِيحِ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِعَذَابِ اللَّهِ وَسَخَطِهِ! فَيَقُولُ: مَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي جَاءَنَا بِالشَّرِّ؟! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ، وَاللَّهِ مَا عَلِمْتُكَ إِلَّا كُنْتَ بَطِيئًا فِي طَاعَةِ اللَّهِ، سَرِيعًا فِي مَعْصِيَتِهِ**».

قَالَ عَمْرٌو فِي حَدِيثِهِ عَنْ مِنْهَالٍ، عَنْ زَاذَانَ، عَنِ الْبَرَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**فَيُقَيَّضُ لَهُ أَصَمُّ أَبْكَمُ مَعَهُ مِرْزَبَّةٌ لَوْ ضُرِبَ بِهَا فِيلٌ صَارَ تُرَابًا**» أَوْ قَالَ: «**رَمِيمًا - فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً تَسْمَعُهَا الْخَلَائِقُ إِلَّا الثَّقَلَيْنِ، ثُمَّ تُعَادُ فِيهِ الرُّوحُ فَيَضْرِبُهُ ضَرْبَةً أُخْرَى**»(١).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ الْمَيِّتَ تَحْضُرُهُ الْمَلَائِكَةُ...وَإِذَا كَانَ الرَّجُلُ السُّوءُ قَالُوا: اخْرُجِي أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ ذَمِيمَةً وَأَبْشِرِي بِحَمِيمٍ وَغَسَّاقٍ وَآخَرَ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ!! فَلَا يَزَالُ يُقَالُ لَهُ ذَلِكَ حَتَّى تَخْرُجَ**

---

(١) سبق تخريجه.

**فَيَنْتَهِي بِهَا إِلَى السَّمَاءِ، فَيُقَالُ: مَنْ هَذَا؟ فَيُقَالُ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ. فَيُقَالُ: لَا مَرْحَبًا بِالنَّفْسِ الْخَبِيثَةِ كَانَتْ فِي الْجَسَدِ الْخَبِيثِ، ارْجِعِي ذَمِيمَةً فَإِنَّهُ لَا تُفْتَحُ لَكِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ! فَتُرْسَلُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ تَصِيرُ إِلَى الْقَبْرِ»**(١).

وفي رواية قَالَ: «**وَإِنَّ الْكَافِرَ إِذَا خَرَجَتْ رُوحُهُ** – قَالَ حَمَّادٌ وَذَكَرَ مِنْ نَتْنِهَا، وَذَكَرَ لَعْنًا – **وَيَقُولُ أَهْلُ السَّمَاءِ رُوحٌ: خَبِيثَةٌ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ الْأَرْضِ. قَالَ: «فَيُقَالُ: انْطَلِقُوا بِهِ إِلَى آخِرِ الْأَجَلِ»**، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَرَدَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ رَيْطَةً كَانَتْ عَلَيْهِ، عَلَى أَنْفِهِ، هَكَذَا(٢).

## المطلب السابع: الميت وهو على الجِنَازَةِ ماذا يقول؟

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا وُضِعَتِ الْجَنَازَةُ فَاحْتَمَلَهَا الرِّجَالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ، فَإِنْ كَانَتْ صَالِحَةً قَالَتْ: قَدِّمُونِي! وَإِنْ كَانَتْ غَيْرَ صَالِحَةٍ قَالَت لأَهْلِهَا: يَا وَيْلَهَا أَيْن يذهبون بِهَا؟! يَسْمَعُ صَوْتَهَا كُلُّ شَيْءٍ إِلَّا الْإِنْسَانَ، وَلَو سَمِعَ الْإِنْسَانُ لَصَعِقَ»**(٣).

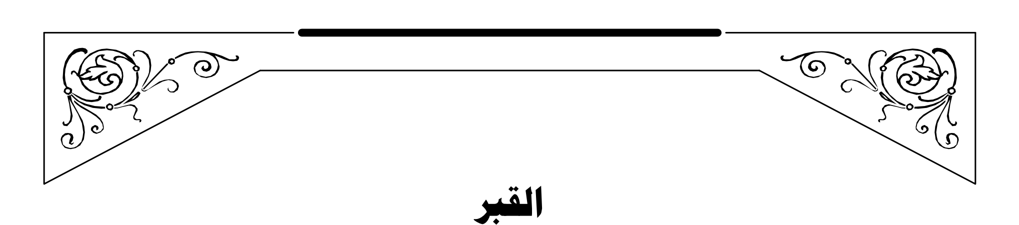


---

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (١٤/ ٣٧٧)، وابن ماجه (٤٢٦٢)، والبيهقي في «إثبات عذاب القبر» (ص٤٥) من طريق سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، به.

(٢) رواه مسلم (٧٥) (٢٨٧٢).

(٣) رواه البخاري (١٣١٤).



## القبر

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وإن ذلك يحصل لروحه وبدنه وإن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة، وإنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى[١].

**وقال أبو جعفر الطحاوي** رَحِمَهُ اللَّهُ: إن الدور ثلاثة: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وقد جعل الله لكل دار أحكامًا تخصها، وركَّب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام الدنيا على الأبدان، والأرواح تبعٌ لها، وجعل أحكام البرزخ على الأرواح، والأبدان تبعٌ لها، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم، صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد جميعًا[٢].

وقد جاءت النصوص بإثبات الحياة في القبر، وهي حياة تخالف الحياة المعهودة في الدنيا، فالله سبحانه جعل الدور ثلاثًا، دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكامًا تختص بها، وركَّب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعًا

---

(١) «الروح» لابن القيم (ص٥٢).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» لأبي جعفر الطحاوي (ص٣٩٢).

لها... وجعل أحكام القبر على الأرواح والأبدان تبعًا لها... فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهرًا أبديًّا أصلًا[(١)].

والبرزخ: اسم ما بين الدنيا والآخرة من وقت الموت إلى البعث، قال تعالى: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٠].

ومما ينبغي أن يُعلم أن عذاب القبر ونعيمه اسم لعذاب البرزخ ونعيمه وهو ما بين الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ٱرْجِعُونِ ۝٩٩ لَعَلِّىٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ۚ كَلَّآ ۚ إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَآئِلُهَا ۖ وَمِن وَرَآئِهِم بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝١٠٠﴾ [المؤمنون: ٩٩، ١٠٠][(٢)].

## المطلب الأول: ضمَّة القبرة[(٣)]

عندما يوضع الميت في القبر فإنه يضمه ضمة لا ينجو منها أحد كبيرًا كان أو صغيرًا، صالحًا أو طالحًا.

فقد جاء في الأحاديث أن القبر ضم سعد بن معاذ، وهو الذي تحرك لموته العرش، وفُتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، ففي سنن النسائي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: قال رسول الله ﷺ: «**هذا الذي تحرك له العرش، وفُتحت له أبواب السماء، وشهده سبعون ألفًا من الملائكة، لقد**

---

(١) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٥٢)، و«الروح» لابن القيم (ص٨٨، ٨٩)، و«الوعد الآخروي شروطه وموانعه» لعيسى السعدي (ص٨٩).

(٢) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٥٣)، و«تفسير القرطبي» (١٢/ ١٥٠)، و«أحاديث حياة البرزخ» (ص٣٢).

(٣) «القيامة الصغرى» (ص٤٣).

**ضُم ضمة، ثم فُرج عنه»**[١].

وفي «مسند الإمام أحمد» عن ابن عمر أيضًا أن الرسول ﷺ قال: «**إن للقبر ضغطة، لو كان أحد ناجيًا منها نجا سعد بن معاذ**»[٢].

**ومما يدل على أن ضمة القبر لازمة لكل إنسان** أن الصبيان لا ينجون منها، ففي معجم الطبراني الكبير عن أبي أيوب الأنصاري بإسناد صحيح وهو في معجمه الأوسط، وفي الكامل لابن عدي عن أنس أن الرسول ﷺ قال: «**لو أفلت أحد من ضمة القبر لنجا هذا الصبي**»[٣].

## المطلب الثاني: فتنة القبر، وسؤال الملكين

لقد جاءت الأحاديث تبين أن العبد سواء كان مؤمنًا أو كافرًا، عندما يوضع في قبره يأتيه ملكان يسألانه عن ربه ونبيه ودينه، ففي حديث البراء قال: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ، فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ، وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ فِي الْأَرْضِ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» مَرَّتَيْنِ، أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ...**» ثم قَالَ: «**فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، فَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّيَ اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِيَ الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ**.

---

(١) رواه النسائي (٢٠٥٥)، وصححه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) «المسند» (٤٠/ ٣٢٧)، قال الشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله. في «صحيح الجامع» (٢/ ٢٣٦): إسناده صحيح.

(٣) «صحيح الجامع» (٥/ ٥٦).

**فَيَقُولَانِ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ وَصَدَّقْتُ.**

**وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ،... فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي!! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي!! فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي..»**[١].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ، أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ - لِمُحَمَّدٍ ﷺ -؟ فَأَمَّا المُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الجَنَّةِ. فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا** - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: **وَأَمَّا المُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ!! فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ!! وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ**»[٢].

وعن عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ[٣].

**وقد جاء تسمية الملكين في حديث أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ:** قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا قُبِرَ**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٣) رواه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٤)، واللفظ له.

**المَيِّتُ - أَوْ قَالَ: أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلْآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ. فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ. فَيَقُولَانِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ. حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ، فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ!! فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»**[١].

## المطلب الثالث: هل يُفتن الكافر في قبره؟

دلت الأحاديث على أن الكفار يُفتنون في قبورهم.

وقد خالف في ذلك الحكيم الترمذي وابن عبد البر والسيوطي[٢]، واحتج الحكيم الترمذي على عدم السؤال بأن الأمم الماضية إن رفضت الاستجابة لرسلها عوجلت بالعذاب، بخلاف هذه الأمة، فقد أُمسك عنها العذاب، وبُعث الرسول ﷺ بالسيف، فمَن دخل في الإسلام مخافة القتل. ثم نافق عُذب في قبره. وهذا الذي قاله فيه نظر، فإن الله لم يُهلك مكذبي الأمم بعد نزول التوراة[٣]. واحتج ابن عبد البر بقوله عليه السلام في الحديث

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الشيخ الألباني رحمه الله.

(٢) انظر: «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ١٠).

(٣) المصدر السابق.

الصحيح: «**إن هذه الأمة تُبتلى في قبورها**»[١]، ومنهم من يرويه: «تُسأل»، والأحاديث الصحيحة ترد هذا الفهم، وتدل على أن هذا ليس خاصًّا بالمؤمنين، وليس خاصًّا بهذه الأمة[٢].

وقد ذهب إلى أن السؤال عام عبد الحق الإشبيلي، وابن القيم، والقرطبي، والسفاريني وغيرهم[٣][٤].

## المطلب الرابع: هل يُفتن غير المكلفين؟

الفتنة عامة لجميع المكلفين إلا النبيين فقد اختُلف فيهم[٥]، وإلا الشهداء والمرابطين ونحوهم ممن جاءت النصوص دالة على نجاتهم من الفتنة كما سيأتي بيانه.

**واختلف في غير المكلفين من الصبيان والمجانين:**

فذهب جَمْع من العلماء إلى أنهم لا يُفتنون، منهم: القاضي أبو يعلى وابن عقيل. ووجهة نظر هؤلاء أن المحنة تكون لمن كُلف، أما مَن رُفع عنه القلم فلا يدخل في المحنة إذ لا معنى لسؤاله عن شيء لم يكلف به.

**وقال آخرون:** بل يُفتنون. وهذا قول أبي الحكيم الهمداني، وأبي الحسن ابن عبدوس، ونقله عن أصحاب الشافعي، وقد روى مالك وغيره عن

---

(١) رواه مسلم (٢٨٦٧) من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه.

(٢) «التمهيد» (٢٢/ ٢٥٣).

(٣) انظر: «لوامع الأنوار البهية» للسفاريني (٢/ ١٠)، و«التذكرة» للقرطبي (ص١٤٧).

(٤) «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٤٦)، وانظر: «الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٤/ ١٤٧).

(٥) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٥٧).

أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن الرسول ﷺ صلى على الطفل، فقال: «**اللهم قه عذاب القبر وفتنة القبر**».

وهذا القول موافق لقول من قال: إنهم يُمتحنون في الآخرة، وإنهم مكلفون يوم القيامة، كما هو قول أكثر أهل العلم وأهل السنة من أهل الحديث والكلام، وهو الذي ذكره أبو الحسن الأشعري عن أهل السنة واختاره، وهو مقتضى نصوص الإمام أحمد[١].

## المطلب الرابع: الأدلة على عذاب القبر ونعيمه متواترة

**يقول شارح الطحاوية:** «وقد تواترت الأخبار عن رسول الله ﷺ في ثبوت عذاب القبر ونعيمه لمن كان لذلك أهلًا، وسؤال الملكين، فيجب اعتقاد ثبوت ذلك والإيمان به، ولا نتكلم في كيفيته إذ ليس للعقل وقوف على كيفيته لكونه لا عهد له به في هذه الدار، والشرع لا يأتي بما تحيله العقول، بل إن الشرع قد يأتي بما تحار فيه العقول، فإن عودة الروح إلى الجسد ليس على الوجه المعهود في الدنيا، بل تعاد إليه إعادة غير الإعادة المألوفة في الدنيا»[٢].

**وقال في موضع آخر:** «واعلم أن عذاب القبر وعذاب البرزخ حق، فكل مَن مات وهو مستحق للعذاب ناله نصيبه منه، قُبر أو لم يُقبر، أكلته السباع أو احترق حتى صار رمادًا ونُسف في الهواء، أو صُلب أو غرق في البحر،

(١) راجع «مجموع الفتاوى»، لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤/ ٢٥٧، ٢٧٧)، و«القيامة الصغرى» (ص٤٧).

(٢) «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٥٠).

وصل إلى روحه وبدنه من العذاب ما يصل إلى المقبور، وما ورد من إجلاسه واختلاف أضلاعه ونحو ذلك، فيجب أن يُفهم عن الرسول ﷺ مراده من غير غلو ولا تقصير»[١].

وأنكرت الملاحدة ومن تمذهب بمذهب الفلاسفة من الإسلاميين عذاب القبر، وقالوا: ليس له حقيقة. واحتجوا لذلك بأنهم يفتحون القبور فلا يرون شيئًا مما أخبرت به النصوص.

وأنكره أيضًا الخوارج وبعض المعتزلة كضرار بن عمرو وبِشْر المَرِيسي.

وخالفهم جميع أهل السنة وأكثر المعتزلة.

وهؤلاء كَذَّبوا بما لم يحيطوا بعلمه، وقد ظن هؤلاء أن أبصارهم يمكن أن ترى كل شيء، وأن أسماعهم يمكن أن تسمع كل شيء، ونحن اليوم نعلم من أسرار الكون ما كانت أسماعنا وأبصارنا عاجزة عن سماعه ورؤيته، ومَن آمن بالله صَدَّق خبره[٢].

## أولًا: الآيات القرآنية الدالة على عذاب القبر[٣]:

١- قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام: ٩٣].

ففي قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾، بيان حال المحتضر الكافر، وأنه تأتيه الملائكة وتخبره أنه سوف يعذب اليوم، يعني يوم موته،

---

(١) «شرح العقيدة الطحاوية» (٤٥١).

(٢) «القيامة الصغرى» (ص٤٩)، وانظر: «تذكرة القرطبي» (١٢٥)، و«فتح الباري» (٣/ ٢٣٣).

(٣) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٥٥).

وهذا يدل على أن العذاب يكون قبل يوم القيامة، ففي الآية دليل واضح على عذاب القبر ولو تأخر عنهم العذاب إلى انقضاء الدنيا لما صح أن يقال لهم: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ﴾[(١)].

٢- وقال تعالى: ﴿وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ ۖ وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ [التوبة: الآية ١٠١].

قوله جل ثناؤه: ﴿ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾، دلالة على أن العذاب في المرتين كلتيهما قبل دخولهم النار. والأغلب من إحدى المرتين أنها في القبر[(٢)].

٣- وقال تعالى: ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٥، ٤٦].

**قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١٤٦):** ﴿وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ﴾ وهو: الغرق في اليم، ثم النقلة منه إلى الجحيم. فإن أرواحهم تُعرض على النار صباحًا ومساء إلى قيام الساعة، فإذا كان يوم القيامة اجتمعت أرواحهم وأجسادهم في النار؛ ولهذا قال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: الآية ٤٦] أي: أشده ألمًا وأعظمه نكالًا. وهذه الآية أصل كبير في استدلال أهل السنة على عذاب البرزخ في القبور، وهي قوله: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾. ولكن هاهنا سؤال، وهو أنه لا شك أن هذه الآية مكية، وقد استدلوا بها على عذاب القبر في البرزخ.

---

(١) «الروح» (ص١٣٢).

(٢) «تفسير الطبري» (١٤/ ٤٤٥).

**ثانيًا: الأحاديث الدالة على عذاب القبر ونعيمه:**

عَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ، قَالَ: بَيْنَمَا النَّبِيُّ ﷺ فِي حَائِطٍ لِبَنِي النَّجَّارِ، عَلَى بَغْلَةٍ لَهُ وَنَحْنُ مَعَهُ، إِذْ حَادَتْ بِهِ فَكَادَتْ تُلْقِيهِ، وَإِذَا أَقْبُرٌ سِتَّةٌ أَوْ خَمْسَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ - قَالَ: كَذَا كَانَ يَقُولُ الْجُرَيْرِيُّ - فَقَالَ: «**مَنْ يَعْرِفُ أَصْحَابَ هَذِهِ الْأَقْبُرِ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا. قَالَ: «**فَمَتَى مَاتَ هَؤُلَاءِ؟**» قَالَ: مَاتُوا فِي الْإِشْرَاكِ. فَقَالَ: «**إِنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ تُبْتَلَى فِي قُبُورِهَا، فَلَوْلَا أَنْ لَا تَدَافَنُوا لَدَعَوْتُ اللهَ أَنْ يُسْمِعَكُمْ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ الَّذِي أَسْمَعُ مِنْهُ**» ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ النَّارِ. فَقَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ. قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ. قَالَ: «**تَعَوَّذُوا بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ**» قَالُوا: نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَّالِ[(١)].

وعن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه قال: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ وَقَدْ وَجَبَتِ الشَّمْسُ، فَسَمِعَ صَوْتًا فَقَالَ: «**يَهُودُ تُعَذَّبُ فِي قُبُورِهَا**»[(٢)].

وعن ابن عباس... وفيه أن الرسول ﷺ مرّ بقبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا أَحَدُهُمَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنَ البَوْلِ، وَأَمَّا الآخَرُ فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ...**» الحديث[(٣)].

وعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٧] » قَالَ: «**نَزَلَتْ فِي عَذَابِ الْقَبْرِ، فَيُقَالُ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ:**

(١) رواه مسلم (٢٨٦٧).
(٢) رواه البخاري (١٣٧٥)، ومسلم (٢٨٦٩).
(٣) رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

**رَبِّيَ اللهُ، وَنَبِيِّي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ** ﷻ: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾»[(١)].

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: «قام رسول الله ﷺ خطيبًا فذكر فتنة القبر التي يُفتن فيها المرء، فلما ذكر ذلك ضج المسلمون ضجة»[(٢)].

وفي حديث البراء المشهور قال: خَرَجْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي جِنَازَةِ رَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ فَانْتَهَيْنَا إِلَى الْقَبْرِ وَلَمَّا يُلْحَدْ فَجَلَسَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَجَلَسْنَا حَوْلَهُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِنَا الطَّيْرَ وَفِي يَدِهِ عُودٌ يَنْكُتُ بِهِ فِي الْأَرْضِ. قَالَ: فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: «**اسْتَعِيذُوا بِاللَّهِ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ**»، مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ مِنَ الْآخِرَةِ – نَزَلَ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ بِيضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الشَّمْسُ، مَعَهُمْ كَفَنٌ مِنْ أَكْفَانِ الْجَنَّةِ وَحَنُوطٌ مِنْ حَنُوطِ الْجَنَّةِ حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ**».

قَالَ: «**ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ** عليه السلام **حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الطَّيِّبَةُ اخْرُجِي إِلَى رِضْوَانِ اللَّهِ! قَالَ: فَتَخْرُجُ تَسِيلُ كَمَا تَسِيلُ الْقَطْرَةُ مِنْ فَمِ السِّقَاءِ حَتَّى يَأْخُذَهَا مَلَكُ الْمَوْتِ، فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعْهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا فَيَجْعَلُوهَا فِي ذَلِكَ الْكَفَنِ وَذَلِكَ الْحَنُوطِ، ثُمَّ يَصْعَدُوا بِهَا**».

قَالَ: «**وَتَخْرُجُ رُوحُهُ كَأَطْيَبِ نَفْحَةِ مِسْكٍ وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ**» قَالَ: «**فَيَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ، فَيَقُولُونَ: مَا هَذَا الرِّيحُ الطَّيِّبُ؟! فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ! بِأَحْسَنِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ فَيُفْتَحُ لَهُ فَيُشَيِّعُهُ مِنْ كُلِّ سَمَاءٍ مُقَرَّبُوهَا إِلَى السَّمَاءِ الَّتِي يَلِيهَا حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ**».

---

(١) رواه البخاري (٤٦٩٩)، ومسلم (٢٨٧١).

(٢) رواه البخاري (١٣٧٣).

قَالَ: «فَيَقُولُ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: اكْتُبُوا كِتَابَ عَبْدِي فِي عِلِّيِّينَ وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى».

قَالَ: «فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ».

قَالَ: «وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ، فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: دِينِي الْإِسْلَامُ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هُوَ رَسُولُ اللَّهِ. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا يُدْرِيكَ؟ فَيَقُولُ: قَرَأْتُ كِتَابَ اللَّهِ، فَآمَنْتُ بِهِ، وَصَدَّقْتُ».

قَالَ: «فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ قَدْ صَدَقَ عَبْدِي فَأَفْرِشُوا لَهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَأَلْبِسُوهُ مِنَ الْجَنَّةِ وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى الْجَنَّةِ».

قَالَ: «فَيَأْتِيهِ مِنْ رَوْحِهَا وَطِيبِهَا وَيُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ مَدَّ بَصَرِهِ».

قَالَ: «وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ حَسَنُ الْوَجْهِ حَسَنُ الثِّيَابِ طَيِّبُ الرِّيحِ، فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الصَّالِحُ! فَيَقُولُ: رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ أَقِمِ السَّاعَةَ حَتَّى أَرْجِعَ إِلَى أَهْلِي وَمَالِي».

«وَإِنَّ الْعَبْدَ الْكَافِرَ إِذَا كَانَ فِي انْقِطَاعٍ مِنَ الدُّنْيَا وَإِقْبَالٍ عَلَى الْآخِرَةِ، فَتَنْزِلُ إِلَيْهِ الْمَلَائِكَةُ مِنَ السَّمَاءِ سُودُ الْوُجُوهِ، مَعَهُمُ الْمُسُوحُ، حَتَّى يَجْلِسُوا مِنْهُ مَدَّ الْبَصَرِ».

قَالَ: «ثُمَّ يَجِيءُ مَلَكُ الْمَوْتِ حَتَّى يَجْلِسَ عِنْدَ رَأْسِهِ، فَيَقُولُ: أَيَّتُهَا النَّفْسُ الْخَبِيثَةُ، اخْرُجِي إِلَى سَخَطٍ مِنَ اللَّهِ وَغَضَبِهِ»، قَالَ: «فَتَنْفَرِقُ فِي جَسَدِهِ فَتَنْزِعُهَا فَتُقْطَعُ مِنْهُ الْعُرُوقُ وَالْعَصَبُ كَمَا يُنْزَعُ السَّفُّودُ مِنَ الصُّوفِ الْمَبْلُولِ، فَيَأْخُذُهَا فَإِذَا أَخَذَهَا لَمْ يَدَعُوهَا فِي يَدِهِ طَرْفَةَ عَيْنٍ حَتَّى يَأْخُذُوهَا، فَيَجْعَلُوهَا فِي تِلْكَ الْمُسُوحِ فَيَصْعَدُونَ بِهَا وَيَخْرُجُ مِنْهَا أَنْتَنُ رِيحِ جِيفَةٍ وُجِدَتْ عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ» قَالَ: «وَلَا يَمُرُّونَ بِهَا عَلَى مَلَأٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِلَّا قَالُوا: مَا هَذَا الرُّوحُ الْخَبِيثُ؟! قَالَ: «فَيَقُولُونَ: فُلَانُ بْنُ فُلَانٍ! بِأَقْبَحِ أَسْمَائِهِ الَّتِي كَانَ يُسَمَّى بِهَا فِي الدُّنْيَا، حَتَّى يُنْتَهَى بِهِ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيُسْتَفْتَحُ لَهُ» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «﴿لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ

﴿ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: الآية ٤٠]». قَالَ: «**فَيَقُولُ اللَّهُ: اكْتُبُوا كِتَابَهُ فِي سِجِّينٍ الْأَرْضِ السُّفْلَى، وَأَعِيدُوهُ إِلَى الْأَرْضِ؛ فَإِنِّي مِنْهَا خَلَقْتُهُمْ وَفِيهَا أُعِيدُهُمْ وَمِنْهَا أُخْرِجُهُمْ تَارَةً أُخْرَى**» قَالَ: «**فَيَطْرَحُوهُ طَرْحًا**» قَالَ: ثُمَّ قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿وَمَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخۡطَفُهُ ٱلطَّيۡرُ أَوۡ تَهۡوِي بِهِ ٱلرِّيحُ فِي مَكَانٖ سَحِيقٖ﴾ [الحَجّ: الآية ٣١]».

قَالَ: «**فَتُعَادُ رُوحُهُ فِي جَسَدِهِ، وَيَأْتِيهِ مَلَكَانِ فَيُجْلِسَانِهِ، فَيَقُولَانِ لَهُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي**» قَالَ: «**فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا دِينُكَ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي. فَيَقُولَانِ لَهُ: مَا هَذَا الرَّجُلُ الَّذِي بُعِثَ فِيكُمْ؟ فَيَقُولُ: هَاهْ هَاهْ لَا أَدْرِي**» قَالَ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ مِنَ السَّمَاءِ أَنْ كَذَبَ، فَأَفْرِشُوهُ مِنَ النَّارِ، وَأَلْبِسُوهُ مِنَ النَّارِ، وَافْتَحُوا لَهُ بَابًا إِلَى النَّارِ**». قَالَ: «**فَيَأْتِيهِ مِنْ حَرِّهَا وَسَمُومِهَا، وَيُضَيَّقُ عَلَيْهِ قَبْرُهُ حَتَّى تَخْتَلِفَ عَلَيْهِ أَضْلَاعُهُ**».

قَالَ: «**وَيَأْتِيهِ رَجُلٌ قَبِيحُ الْوَجْهِ مُنْتِنُ الرِّيحِ قَبِيحُ الثِّيَابِ، فَيَقُولُ: أَبْشِرْ بِالَّذِي يَسُوءُكَ! هَذَا يَوْمُكَ الَّذِي كُنْتَ تُوعَدُ!!**» قَالَ: «**فَيَقُولُ: وَمَنْ أَنْتَ فَوَجْهُكَ الْوَجْهُ الَّذِي يَجِيءُ بِالشَّرِّ؟! فَيَقُولُ: أَنَا عَمَلُكَ الْخَبِيثُ!!**» قَالَ: «**فَيَقُولُ: رَبِّ، لَا تُقِمِ السَّاعَةَ، رَبِّ لَا تُقِمِ السَّاعَةَ**»(١).

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ حَدَّثَهُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ العَبْدَ إِذَا وُضِعَ فِي قَبْرِهِ وَتَوَلَّى عَنْهُ أَصْحَابُهُ وَإِنَّهُ لَيَسْمَعُ قَرْعَ نِعَالِهِمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ فَيُقْعِدَانِهِ، فَيَقُولَانِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ - لِمُحَمَّدٍ ﷺ -؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَقُولُ: أَشْهَدُ أَنَّهُ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ. فَيُقَالُ لَهُ: انْظُرْ إِلَى مَقْعَدِكَ مِنَ النَّارِ قَدْ أَبْدَلَكَ اللَّهُ بِهِ مَقْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ، فَيَرَاهُمَا جَمِيعًا** - قَالَ قَتَادَةُ: وَذُكِرَ لَنَا أَنَّهُ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى حَدِيثِ أَنَسٍ - قَالَ: **وَأَمَّا الْمُنَافِقُ وَالكَافِرُ فَيُقَالُ لَهُ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟**

(١) سبق تخريجه.

**فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي كُنْتُ أَقُولُ مَا يَقُولُ النَّاسُ. فَيُقَالُ: لاَ دَرَيْتَ وَلاَ تَلَيْتَ!! وَيُضْرَبُ بِمَطَارِقَ مِنْ حَدِيدٍ ضَرْبَةً، فَيَصِيحُ صَيْحَةً يَسْمَعُهَا مَنْ يَلِيهِ غَيْرَ الثَّقَلَيْنِ»**(١).

وعن عَائِشَةَ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَعِنْدِي امْرَأَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَهِيَ تَقُولُ: هَلْ شَعَرْتِ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟ قَالَتْ: فَارْتَاعَ رَسُولُ اللهِ ﷺ وَقَالَ: «**إِنَّمَا تُفْتَنُ يَهُودُ**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَلَبِثْنَا لَيَالِيَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هَلْ شَعَرْتِ أَنَّهُ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي الْقُبُورِ؟**» قَالَتْ عَائِشَةُ: فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعْدُ يَسْتَعِيذُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ(٢).

وعن عَائِشَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، أيضًا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ القَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ المَحْيَا وَفِتْنَةِ المَمَاتِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ المَأْثَمِ وَالمَغْرَمِ**» فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ المَغْرَمِ! فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ، حَدَّثَ فَكَذَبَ وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**»(٣).

وعن أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِذَا قُبِرَ المَيِّتُ** - أَوْ قَالَ: **أَحَدُكُمْ - أَتَاهُ مَلَكَانِ أَسْوَدَانِ أَزْرَقَانِ، يُقَالُ لِأَحَدِهِمَا: الْمُنْكَرُ، وَلِلآخَرِ: النَّكِيرُ، فَيَقُولاَنِ: مَا كُنْتَ تَقُولُ فِي هَذَا الرَّجُلِ؟ فَيَقُولُ مَا كَانَ يَقُولُ: هُوَ عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. فَيَقُولاَنِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ هَذَا. ثُمَّ يُفْسَحُ لَهُ فِي قَبْرِهِ سَبْعُونَ ذِرَاعًا فِي سَبْعِينَ، ثُمَّ يُنَوَّرُ لَهُ فِيهِ، ثُمَّ يُقَالُ لَهُ، نَمْ. فَيَقُولُ: أَرْجِعُ إِلَى أَهْلِي فَأُخْبِرُهُمْ. فَيَقُولاَنِ: نَمْ كَنَوْمَةِ العَرُوسِ الَّذِي لَا يُوقِظُهُ إِلَّا أَحَبُّ أَهْلِهِ إِلَيْهِ. حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ.**

---

(١) رواه البخاري (١٣٧٤)، ومسلم (٢٨٧٠).

(٢) رواه البخاري (٦٣٦٦)، ومسلم (٥٨٤)، واللفظ له.

(٣) رواه البخاري (٨٣٢).

**وَإِنْ كَانَ مُنَافِقًا قَالَ: سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ، فَقُلْتُ مِثْلَهُ، لَا أَدْرِي! فَيَقُولَانِ: قَدْ كُنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُولُ ذَلِكَ. فَيُقَالُ لِلأَرْضِ: التَئِمِي عَلَيْهِ، فَتَلْتَئِمُ عَلَيْهِ، فَتَخْتَلِفُ فِيهَا أَضْلَاعُهُ، فَلَا يَزَالُ فِيهَا مُعَذَّبًا حَتَّى يَبْعَثَهُ اللَّهُ مِنْ مَضْجَعِهِ ذَلِكَ»**(١). وغيرها من الأحاديث التي تُثبت عذاب القبر.

## المطلب الخامس: هل غير الرسول ﷺ يسمع أصوات المعذبين؟

**يقول ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قد يُكشف لكثير من أبناء زماننا يقظة ومنامًا، ويعلمون ذلك ويتحققونه، وعندنا من ذلك أمور كثيرة»(٢).

**وقال في موضع آخر في معرض رده على المكذبين بعذاب القبر:** «وإذا عُرف أن النائم يكون نائمًا وتقعد روحه وتقوم وتمشي وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالًا وأمورًا بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب، مع أن جسده مضطجع، وعينيه مغمضة، وفمه مطبق، وأعضاؤه ساكنة، وقد يتحرك لقوة الحركة الداخلة، وقد يقوم ويمشي ويتكلم ويصيح لقوة الأمر في باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره، فإن روحه تقعد، وتجلس، وتُسأل، وتُنعم، وتُعذب، وتصيح، وذلك متصل ببدنه، مع كونه مضطجعًا في قبره، وقد يقوى ذلك حتى يظهر ذلك في بدنه، وقد يُرى خارجًا من قبره والعذاب عليه، وملائكة العذاب موكلة به، فيتحرك بدنه، ويمشي ويخرج من قبره، وقد سمع غير واحد أصوات المعذبين في قبورهم، وقد شوهد من يخرج من قبره وهو معذب، ومن يقعد بدنه أيضًا

---

(١) أخرجه الترمذي (١٠٧١)، وحسنه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

(٢) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٢٤/ ٣٧٦).

إذا قوي الأمر، لكن ليس هذا لازمًا في حق كل ميت، كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازمًا لكل نائم، بل هو بحَسَب قوة الأمر»[١].

## المطلب السادس: أسباب عذاب القبر

عذاب القبر ليس مختصًّا بالكافرين، ولا موقوفًا على المنافقين، بل يشاركهم فيه طائفة من المؤمنين، وكلٌّ على حاله من عمله، وما استوجبه من خطيئته وزلله[٢].

### ومن أسباب عذاب القبر:

**١- هجر القرآن، وجريمة الزنا وكذلك الربا:**

فعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدَبٍ، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا صَلَّى صَلاَةً أَقْبَلَ عَلَيْنَا بِوَجْهِهِ فَقَالَ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا؟**» قَالَ: فَإِنْ رَأَى أَحَدٌ قَصَّهَا، فَيَقُولُ: «**مَا شَاءَ اللَّهُ**» فَسَأَلَنَا يَوْمًا فَقَالَ: «**هَلْ رَأَى أَحَدٌ مِنْكُمْ رُؤْيَا؟**» قُلْنَا: لاَ. قَالَ: «**لَكِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ رَجُلَيْنِ أَتَيَانِي فَأَخَذَا بِيَدِي، فَأَخْرَجَانِي إِلَى الأَرْضِ المُقَدَّسَةِ، فَإِذَا رَجُلٌ جَالِسٌ، وَرَجُلٌ قَائِمٌ بِيَدِهِ كَلُّوبٌ مِنْ حَدِيدٍ**» قَالَ بَعْضُ أَصْحَابِنَا عَنْ مُوسَى: «**إِنَّهُ يُدْخِلُ ذَلِكَ الكَلُّوبَ فِي شِدْقِهِ حَتَّى يَبْلُغَ قَفَاهُ، ثُمَّ يَفْعَلُ بِشِدْقِهِ الآخَرِ مِثْلَ ذَلِكَ، وَيَلْتَئِمُ شِدْقُهُ هَذَا، فَيَعُودُ فَيَصْنَعُ مِثْلَهُ، قُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ**».

**فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى رَجُلٍ مُضْطَجِعٍ عَلَى قَفَاهُ وَرَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى رَأْسِهِ بِفِهْرٍ - أَوْ**

---

(١) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٥/ ٥٢٥)، و«القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٥٣).

(٢) «التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة» (ص١٤٦)، و«القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر - بتصرف - (ص٥٦).

صَخْرَةٍ – فَيَشْدَخُ بِهِ رَأْسَهُ، فَإِذَا ضَرَبَهُ تَدَهْدَهَ الحَجَرُ، فَانْطَلَقَ إِلَيْهِ لِيَأْخُذَهُ، فَلاَ يَرْجِعُ إِلَى هَذَا حَتَّى يَلْتَئِمَ رَأْسُهُ وَعَادَ رَأْسُهُ كَمَا هُوَ، فَعَادَ إِلَيْهِ، فَضَرَبَهُ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا إِلَى ثَقْبٍ مِثْلِ التَّنُّورِ، أَعْلاَهُ ضَيِّقٌ وَأَسْفَلُهُ وَاسِعٌ يَتَوَقَّدُ تَحْتَهُ نَارًا، فَإِذَا اقْتَرَبَ ارْتَفَعُوا حَتَّى كَادَ أَنْ يَخْرُجُوا، فَإِذَا خَمَدَتْ رَجَعُوا فِيهَا، وَفِيهَا رِجَالٌ وَنِسَاءٌ عُرَاةٌ، فَقُلْتُ: مَنْ هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا عَلَى نَهَرٍ مِنْ دَمٍ فِيهِ رَجُلٌ قَائِمٌ عَلَى وَسَطِ النَّهَرِ – قَالَ يَزِيدُ، وَوَهْبُ بْنُ جَرِيرٍ: عَنْ جَرِيرِ بْنِ حَازِمٍ – وَعَلَى شَطِّ النَّهَرِ رَجُلٌ بَيْنَ يَدَيْهِ حِجَارَةٌ – فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ الَّذِي فِي النَّهَرِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ رَمَى الرَّجُلُ بِحَجَرٍ فِي فِيهِ، فَرَدَّهُ حَيْثُ كَانَ، فَجَعَلَ كُلَّمَا جَاءَ لِيَخْرُجَ رَمَى فِي فِيهِ بِحَجَرٍ، فَيَرْجِعُ كَمَا كَانَ، فَقُلْتُ: مَا هَذَا؟ قَالاَ: انْطَلِقْ».

فَانْطَلَقْنَا حَتَّى انْتَهَيْنَا إِلَى رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فِيهَا شَجَرَةٌ عَظِيمَةٌ، وَفِي أَصْلِهَا شَيْخٌ وَصِبْيَانٌ، وَإِذَا رَجُلٌ قَرِيبٌ مِنَ الشَّجَرَةِ بَيْنَ يَدَيْهِ نَارٌ يُوقِدُهَا، فَصَعِدَا بِي فِي الشَّجَرَةِ، وَأَدْخَلاَنِي دَارًا لَمْ أَرَ قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهَا، فِيهَا رِجَالٌ شُيُوخٌ وَشَبَابٌ، وَنِسَاءٌ، وَصِبْيَانٌ، ثُمَّ أَخْرَجَانِي مِنْهَا فَصَعِدَا بِي الشَّجَرَةَ، فَأَدْخَلاَنِي دَارًا هِيَ أَحْسَنُ وَأَفْضَلُ فِيهَا شُيُوخٌ، وَشَبَابٌ.

قُلْتُ: طَوَّفْتُمَانِي اللَّيْلَةَ، فَأَخْبِرَانِي عَمَّا رَأَيْتُ.

قَالاَ: نَعَمْ، أَمَّا الَّذِي رَأَيْتَهُ يُشَقُّ شِدْقُهُ، فَكَذَّابٌ يُحَدِّثُ بِالكَذْبَةِ فَتُحْمَلُ عَنْهُ حَتَّى تَبْلُغَ الآفَاقَ، فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَالَّذِي رَأَيْتَهُ يُشْدَخُ رَأْسُهُ، فَرَجُلٌ عَلَّمَهُ اللَّهُ القُرْآنَ، فَنَامَ عَنْهُ بِاللَّيْلِ وَلَمْ يَعْمَلْ فِيهِ بِالنَّهَارِ، يُفْعَلُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي الثَّقْبِ فَهُمُ الزُّنَاةُ.

**وَالَّذِي رَأَيْتَهُ فِي النَّهَرِ آكِلُو الرِّبَا.**

**وَالشَّيْخُ فِي أَصْلِ الشَّجَرَةِ إِبْرَاهِيمُ ﷺ، وَالصِّبْيَانُ، حَوْلَهُ، فَأَوْلاَدُ النَّاسِ.**

**وَالَّذِي يُوقِدُ النَّارَ مَالِكٌ خَازِنُ النَّارِ.**

**وَالدَّارُ الأُولَى الَّتِي دَخَلْتَ دَارُ عَامَّةِ المُؤْمِنِينَ، وَأَمَّا هَذِهِ الدَّارُ فَدَارُ الشُّهَدَاءِ، وَأَنَا جِبْرِيلُ، وَهَذَا مِيكَائِيلُ، فَارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فَإِذَا فَوْقِي مِثْلُ السَّحَابِ، قَالاَ: ذَاكَ مَنْزِلُكَ، قُلْتُ: دَعَانِي أَدْخُلْ مَنْزِلِي، قَالاَ: إِنَّهُ بَقِيَ لَكَ عُمُرٌ لَمْ تَسْتَكْمِلْهُ فَلَوِ اسْتَكْمَلْتَ أَتَيْتَ مَنْزِلَكَ»**(١).

**قلتُ:** والشاهد في الحديث: فَيُصْنَعُ بِهِ إِلَى يَوْمِ القِيَامَةِ.

**٢- الغُلول:**

فعن عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ، قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ خَيْبَرَ، أَقْبَلَ نَفَرٌ مِنْ صَحَابَةِ النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ، فُلَانٌ شَهِيدٌ. حَتَّى مَرُّوا عَلَى رَجُلٍ فَقَالُوا: فُلَانٌ شَهِيدٌ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**كَلَّا، إِنِّي رَأَيْتُهُ فِي النَّارِ فِي بُرْدَةٍ غَلَّهَا - أَوْ عَبَاءَةٍ -**» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**يَا بْنَ الْخَطَّابِ، اذْهَبْ فَنَادِ فِي النَّاسِ: إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ**»، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَنَادَيْتُ: أَلَا إِنَّهُ لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا الْمُؤْمِنُونَ(٢).

**٣- عدم الاستتار من البول، والنميمة:**

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مرّ النبي ﷺ على قبرين فقال: «**إِنَّهُمَا لَيُعَذَّبَانِ، وَمَا يُعَذَّبَانِ فِي كَبِيرٍ: أَمَّا هَذَا فَكَانَ لاَ يَسْتَتِرُ مِنْ بَوْلِهِ، وَأَمَّا هَذَا فَكَانَ يَمْشِي بِالنَّمِيمَةِ**» ثُمَّ دَعَا بِعَسِيبٍ رَطْبٍ فَشَقَّهُ بِاثْنَيْنِ، فَغَرَسَ عَلَى هَذَا وَاحِدًا، وَعَلَى هَذَا وَاحِدًا،

---

(١) رواه البخاري (١٣٨٦).

(٢) رواه مسلم (١١٤).

ثُمَّ قَالَ: «**لَعَلَّهُ يُخَفَّفُ عَنْهُمَا مَا لَمْ يَيْبَسَا**»(١).

### ٤- الْمَيِّتُ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ:

فعن عبد الله بن عبيد الله بن أبي مُلَيْكة قَالَ: تُوُفِّيَتْ ابْنَةٌ لِعُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِمَكَّةَ، وَجِئْنَا لِنَشْهَدَهَا وَحَضَرَهَا ابْنُ عُمَرَ وَابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَإِنِّي لَجَالِسٌ بَيْنَهُمَا - أَوْ قَالَ: جَلَسْتُ إِلَى أَحَدِهِمَا، ثُمَّ جَاءَ الآخَرُ فَجَلَسَ إِلَى جَنْبِي - فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لِعَمْرِو بْنِ عُثْمَانَ: أَلاَ تَنْهَى عَنِ البُكَاءِ فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ المَيِّتَ لَيُعَذَّبُ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»؟! فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: قَدْ كَانَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ بَعْضَ ذَلِكَ. ثُمَّ حَدَّثَ قَالَ: صَدَرْتُ مَعَ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مِنْ مَكَّةَ، حَتَّى إِذَا كُنَّا بِالْبَيْدَاءِ إِذَا هُوَ بِرَكْبٍ تَحْتَ ظِلِّ سَمُرَةٍ، فَقَالَ: اذْهَبْ، فَانْظُرْ مَنْ هَؤُلاَءِ الرَّكْبُ. قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا صُهَيْبٌ، فَأَخْبَرْتُهُ فَقَالَ: ادْعُهُ لِي. فَرَجَعْتُ إِلَى صُهَيْبٍ فَقُلْتُ: ارْتَحِلْ فَالحَقْ أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، فَلَمَّا أُصِيبَ عُمَرُ دَخَلَ صُهَيْبٌ يَبْكِي يَقُولُ: وَا أَخَاهُ وَا صَاحِبَاهُ. فَقَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَا صُهَيْبُ، أَتَبْكِي عَلَيَّ وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ المَيِّتَ يُعَذَّبُ بِبَعْضِ بُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**».

قال ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَلَمَّا مَاتَ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ذَكَرْتُ ذَلِكَ لِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: رَحِمَ اللَّهُ عُمَرَ، وَاللَّهِ مَا حَدَّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيُعَذِّبُ المُؤْمِنَ بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»، وَلَكِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَزِيدُ الكَافِرَ عَذَابًا بِبُكَاءِ أَهْلِهِ عَلَيْهِ**»، وَقَالَتْ: حَسْبُكُمُ القُرْآنُ: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤] قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: «عِنْدَ ذَلِكَ وَاللَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى» قَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: «وَاللَّهِ مَا قَالَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا شَيْئًا»(٢).

---

(١) رواه البخاري (٢١٨)، ومسلم (٢٩٢).

(٢) رواه البخاري (١٣٨٦).

## المطلب السابع: هل عذاب القبر على النفس والبدن؟ أو على النفس دون البدن؟ أو على البدن دون النفس؟ وهل يشارك البدن النفس في النعيم والعذاب أم لا؟

**قال ابن القيم** رَحِمَهُ اللَّهُ: **وقد سئل شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللَّهُ **عن هذه المسألة ونحن نذكر لفظ جوابه فقال:** بل العذاب والنعيم على النفس والبدن جميعا باتفاق أهل السنة والجماعة، تنعم النفس وتعذب منفردة عن البدن وتنعم وتعذب متصلة بالبدن والبدن متصل بها فيكون النعيم والعذاب عليها في هذه الحال مجتمعين كما تكون على الروح منفردة عن البدن.

وهل يكون العذاب والنعيم للبدن بدون الروح؟ هذا فيه قولان مشهوران لأهل الحديث والسنة وأهل الكلام.

وفي المسألة أقوال شاذة ليست من أقوال أهل السنة والحديث.

قول من يقول: إن النعيم والعذاب لا يكون إلا على الروح وإن البدن لا ينعم ولا يعذب. وهذا تقوله الفلاسفة المنكرون لمعاد الأبدان وهؤلاء كفار بإجماع المسلمين ويقوله كثير من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم الذين يُقرون بمعاد الأبدان لكن يقولون: لا يكون ذلك في البرزخ وإنما يكون عند القيام من القبور. لكن هؤلاء ينكرون عذاب البدن في البرزخ فقط ويقولون: إن الأرواح هي المنعمة أو المعذبة في البرزخ، فإذا كان يوم القيامة عُذبت الروح والبدن معًا. وهذا القول قاله طوائف من المسلمين من أهل الكلام والحديث وغيرهم وهو اختيار ابن حزم وابن مرة. فهذا القول ليس من الأقوال الثلاثة الشاذة بل هو مضاف إلى قول من يقول بعذاب القبر ويقر بالقيامة ويُثبت معاد الأبدان والأرواح، ولكن هؤلاء لهم في عذاب القبر

ثلاثة أقوال: أحدها: أنه على الروح فقط. الثاني: أنه عليها وعلى البدن بواسطتها. الثالث: أنه على البدن فقط.

وقد يضم إلى ذلك القول الثاني وهو قول من يُثبت عذاب القبر ويجعل الروح هي الحياة ويجعل الشاذ قول منكر عذاب الأبدان مطلقًا وقول من ينكر عذاب الروح مطلقًا.

فإذا جعلت الأقوال الشاذة ثلاثة فالقول الثاني الشاذ قول من يقول: إن الروح بمفردها لا تنعم ولا تعذب وإنما الروح هي الحياة. وهذا يقوله طوائف من أهل الكلام من المعتزلة والأشعرية كالقاضي أبى بكر وغيره وينكرون أن الروح تبقى بعد فراق البدن. وهذا قول باطل وقد خالف أصحابه أبو المعالي الجويني وغيره، بل قد ثبت بالكتاب والسنة واتفاق الأمة أن الروح تبقى بعد فراق البدن وأنها منعمة أو معذبة، والفلاسفة الإلهيون يقرون بذلك لكن ينكرون معاد الأبدان، وهؤلاء يقرون بمعاد الأبدان لكن ينكرون معاد الأرواح ونعيمها وعذابها بدون الأبدان. وكلا القولين خطأ وضلال لكن قول الفلاسفة أبعد عن أقوال أهل الإسلام وإن كان قد يوافقهم عليه من يعتقد أنه متمسك بدين الإسلام بل مَن يظن أنه من أهل المعرفة والتصوف والتحقيق والكلام.

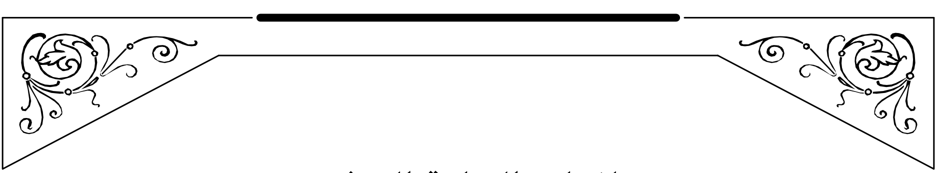
والقول الثالث الشاذ قول من يقول: إن البرزخ ليس فيه نعيم ولا عذاب بل لا يكون ذلك حتى تقوم الساعة الكبرى. كما يقول ذلك من يقوله من المعتزلة ونحوهم ممن ينكر عذاب القبر ونعيمه بناء على أن الروح لا تبقى بعد فراق البدن وأن البدن لا ينعم ولا يعذب.

فجميع هؤلاء الطوائف ضُلال في أمر البرزخ لكنهم خير من الفلاسفة فإنهم مقرون بالقيامة الكبرى.

**ثم قال ابن القيم** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فإذا عرفت هذه الأقوال الباطلة، فلتعلم أن مذهب سلف الأمة وأئمتها أن الميت إذا مات يكون في نعيم أو عذاب، وأن ذلك يحصل لروحه وبدنه وأن الروح تبقى بعد مفارقة البدن منعمة أو معذبة وأنها تتصل بالبدن أحيانًا ويحصل له معها النعيم أو العذاب، ثم إذا كان يوم القيامة الكبرى أعيدت الأرواح إلى الأجساد وقاموا من قبورهم لرب العالمين، ومعاد الأبدان متفق عليه بين المسلمين واليهود والنصارى»[١].



(١) «الروح» لابن القيم (ص٥٢)، وانظر: «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٨٢).



## علامات الساعة الصغرى

**إن الإيمان بالنبي محمد ﷺ يتضمن الإيمان بكل ما أخبر به من الأمور الغيبية، ومنها ما أخبر به النبي ﷺ من أمور تحدث في آخر الزمان، فكان لزامًا علينا أن نؤمن بما صح منها، وهذه الأمور الغيبية قد أطلع الله نبيه ﷺ عليها.**

**والأحاديث في هذا الباب كثيرة جدًّا، حتى بلغت التواتر المعنوي، فمنها:**

١- ما رواه حذيفة رضي الله عنه قال: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللهِ ﷺ مَقَامًا، مَا تَرَكَ شَيْئًا يَكُونُ فِي مَقَامِهِ ذَلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ، إِلَّا حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هَؤُلَاءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ[١].

٢- روى أبو زيد عمر بن أخطب الأنصاري رضي الله عنه، قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ الْفَجْرَ، وَصَعِدَ الْمِنْبَرَ فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الظُّهْرُ، فَنَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى حَضَرَتِ الْعَصْرُ، ثُمَّ نَزَلَ فَصَلَّى، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَخَطَبَنَا حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَأَخْبَرَنَا بِمَا كَانَ وَبِمَا هُوَ كَائِنٌ، فَأَعْلَمُنَا أَحْفَظُنَا[٢].

فهذان دليلان صحيحان على أن النبي ﷺ قد أخبر أمته بكل ما هو كائن إلى قيام الساعة فيما يخصهم، ولا شك أن أشراط الساعة كثيرة جدًّا،

---

(١) رواه البخاري (٦٦٠٤)، ومسلم اللفظ له (٢٨٩١).

(٢) رواه مسلم (٢٨٩٢).

ورويت بألفاظ مختلفة لكثرة من نقلها من الصحابة ﭫ.

فعلم الساعة غيب لا يعلمه إلا الله تعالى، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية، فعلم الساعة مما استأثر الله به، فلم يُطْلع عليه مَلَكًا مقربًا ولا نبيًّا مرسلًا، قال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى ۖ لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَآ إِلَّا هُوَ ۚ ثَقُلَتْ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً ۗ يَسْـَٔلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِىٌّ عَنْهَا ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [الأعراف: الآية ١٨٧]. فالله تعالى يأمر نبيه محمدًا ﷺ أن يخبر الناس أن علم الساعة عند الله وحده، فهو الذي يعلم جليّة أمرها، لا يعلم ذلك أحد من أهل السماوات والأرض.

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِ ۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٦٣].

وقال تعالى: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴿٤٢﴾ فِيمَ أَنتَ مِن ذِكْرَىٰهَآ ﴿٤٣﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنتَهَىٰهَآ ﴿٤٤﴾﴾ [النازعات: ٤٢، ٤٤].

فمنتهى علم الساعة إلى الله وحده؛ ولهذا لما سأل جبريل ﵇ رسول الله ﷺ عن وقت الساعة - كما في حديث جبريل الطويل - قال النبي ﷺ: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل**»(١). فجبريل لا يعلم متى تقوم الساعة، وكذلك محمد ﷺ.

**وقد دلت الآيات القرآنية الكريمة والأحاديث الصحيحة على قرب قيام الساعة ودنوها، فإن ظهور أكثر أشراط الساعة دليل على قربها وعلى أننا في آخر أيام الدنيا، قال تعالى:** ﴿ٱقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ مُّعْرِضُونَ﴾ [الأنبياء: ١].

(١) رواه البخاري (٥٠).

وقال تعالى: ﴿وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: الآية ٦٣]. وقال تعالى: ﴿إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧﴾ [المعارج: ٦، ٧]. وقال تعالى: ﴿ٱقۡتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلۡقَمَرُ ۝١﴾ [القمر: الآية ١].

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على قرب نهاية هذا العالم الدنيوي، والانتقال إلى دار أخرى، ينال فيها كل عاملٍ عمله، إن خيرًا فخير، وإن شرًّا فشر.

وقال ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين – ويشير بأصبعيه فيمدهما –**»[1].

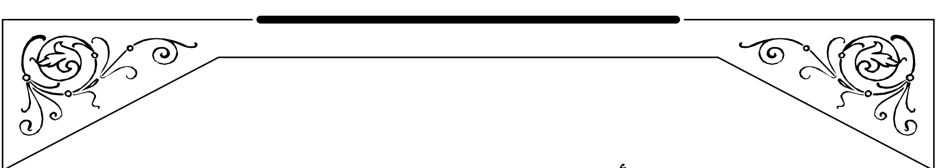
**تنبيه:**

**يقول الشيخ يوسف الغفيص في «شرح لمعة الاعتقاد» (ص١٤٨):** التسمية بأشراط الساعة ثابتة في كلام الله ﷻ، وقد قَسَّم أهل العلم أشراط الساعة إلى كبرى وصغرى، وهذا تقسيم واسع، ولكنه ليس بالضرورة أن يكون تقسيمًا مقصودًا لذاته، فإنه قد يتعذر على كثيرين التمييز بين العلامات الصغرى من العلامات الكبرى، فإذا اعتبروا ذلك بالزمان أشكل، وإذا اعتبروا ذلك بالماهية أشكل... إلخ.

فإذا قلت: إن هذه الآيات منها ما هو آيات كبرى، ومنها ما هو آيات دون ذلك، فهذا لا بأس به، وأما التزام التعيين بأن المتقدم هي العلامات الصغرى والمتأخر هي العلامات الكبرى، فهذا ليس صحيحًا، فإنها لا تقاس بالزمان، والنبي ﷺ بُعث بين يدي الساعة كما ثبت عنه ذلك في الصحيح، قال: «**بُعثت أنا والساعة كهاتين**»، وفي لفظ الترمذي: «**بُعثت أنا والساعة نستبق، كادت أن تسبقني فسبقتها**».

---

(١) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٨٢)، وانظر: «أشراط الساعة» (ص٥٨).



## أشراط الساعة الصغرى

### ١- بعثة النبي ﷺ:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةُ كَهَاتَيْنِ**» يَعْنِي إِصْبَعَيْنِ(١).

وعن سهل بن سعد الساعدي صاحب رسول الله ﷺ، رضي الله عنه يقول: قال رسول الله ﷺ: «**بُعثت أنا والساعة كهذه من هذه** - أو: **كهاتين** -» وقرن بين السبابة والوسطى(٢).

**قال ابن التين:** اخْتُلِفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ: «كَهَاتَيْنِ» فَقِيلَ: كَمَا بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى فِي الطُّولِ. وَقِيلَ: الْمَعْنَى: لَيْسَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا نَبِيٌّ.

**وقال الْقُرْطُبِيُّ فِي «الْمُفْهِمِ»:** حَاصِلُ الْحَدِيثِ تَقْرِيبُ أَمْرِ السَّاعَةِ وَسُرْعَةُ مَجِيئِهَا(٣).

### ٢- موت النبي ﷺ:

فعن عوف بن مالك، قال: أتيت النبي ﷺ في غزوة تبوك وهو في قبة من أدم، فقال: «**اعْدُدْ سِتًّا بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ: مَوْتِي...**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٤)، ومسلم (٢٩٥١).

(٢) رواه البخاري (٥٣٠١).

(٣) «فتح الباري» لابن حجر (١١/ ٣٤٩).

(٤) رواه البخاري (٣١٧٦).

**قال القرطبي:** (أول أمر دهم الإسلام... ثم بعده موت عمر، فبموت النبي ﷺ انقطع الوحي وماتت النبوة، وكان أول ظهور الشر بارتداد العرب وغير ذلك، وكان أول انقطاع الخير وأول نقصانه)[١].

**٣- فتح بيت المقدس:**

فقد جاء في حديث عوف بن مالك رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**اعدد ستًّا بين يدي الساعة...**» فذكر منها: «**وفتح بيت المقدس**»[٢].

**٤- طاعون عمواس:**

جاء في حديث عوف بن مالك... قوله ﷺ: «**اعدد ستًّا بين يدي الساعة...**» فذكر منها: «**ثم موتان يأخذ فيكم كقعاص الغنم**»[٣].

**قال ابن حجر:** «يقال: إن هذه الآية ظهرت في طاعون عمواس في خلافة عمر، وكان ذلك بعد فتح بيت المقدس»[٤].

ففي سنة ثمان عشرة للهجرة على المشهور الذي عليه الجمهور[٥] وقع طاعون في كورة عمواس، ثم انتشر في أرض الشام، فمات فيه خلق كثير من الصحابة رضي الله عنهم ومن غيرهم، قيل: بلغ عدد من مات فيه خمسة وعشرين ألفًا من المسلمين، ومات فيه من المشهورين أبو عبيدة عامر الجراح أمين هذه الأمة رضي الله عنه[٦].

---

(١) «التذكرة» (ص٧١١).

(٢) رواه البخاري (٣١٧٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) «فتح الباري» (٦/ ٢٧٨).

(٥) «البداية والنهاية» (٧/ ٩٠).

(٦) «معجم البلدان» (٤/ ١٥٧)، و«البداية والنهاية» «٧/ ٩٤).

### ٥- توقف الجزية والخراج:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنَعَتِ الْعِرَاقُ دِرْهَمَهَا وَقَفِيزَهَا، وَمَنَعَتِ الشَّأْمُ مُدْيَهَا وَدِينَارَهَا، وَمَنَعَتْ مِصْرُ إِرْدَبَّهَا وَدِينَارَهَا، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ، وَعُدْتُمْ مِنْ حَيْثُ بَدَأْتُمْ**» شَهِدَ عَلَى ذَلِكَ لَحْمُ أَبِي هُرَيْرَةَ وَدَمُهُ[(١)].

### ٦- انشقاق القمر:

اتفق العلماء على أن القمر قد انشق في عهد رسول الله ﷺ وأن انشقاقه إحدى المعجزات الباهرة، وقد صرح القرآن بهذا في قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ١ - ٢][(٢)].

**قال الشيخ مصطفى العدوي:** قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القَمر: الآية ١] هذه من كبرى المعجزات التي أيد الله بها نبيه محمدًا ﷺ، ألا وهي معجزة انشقاق القمر، فقد سأل المشركون رسول الله ﷺ أن يريهم آية، فانشق القمر لرسول الله، فقال المشركون: سحرنا محمد، ﷺ! فقالت طائفة منهم: إن يكن محمد سحرنا فإنه لم يسحر السفار. فلما أتى السفار - أي المسافرون - إلى مكة سألهم أهل الشرك: هل رأيتم القمر منشقًّا؟ قالوا: نعم رأيناه منشقًّا، فلقة على هذا الجبل وفلقة على هذا الجبل، فلقة في هذه الناحية وفلقة في تلك الناحية، وحديث انشقاق القمر من الأحاديث المتواترة عن أصحاب رسول الله ﷺ، فقد رُوي انشقاق القمر من عدة طرق

(١) رواه مسلم (٢٨٩٦).

(٢) «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١٤١).

عن أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم[١].

### ٧- نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببُصرى:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تخرج نار من أرض الحجاز، تضيء أعناق الإبل ببصرى**»[٢].

**وقد ظهرت هذه النار في منتصف القرن السابع الهجري في عام أربعة وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة أفاض العلماء ممن عاصر ظهورها ومن بعدهم في وصفها.**

**قال النووي:** (خرجت في زماننا نار بالمدينة سنة أربع وخمسين وستمائة، وكانت نارًا عظيمة جدًّا من جنب المدينة الشرقي وراء الحرة، تواتر العلم بها عند جميع الشام وسائر البلدان، وأخبرني من حضرها من أهل المدينة)[٣].

ونقل ابن كثير أن غير واحد من الأعراب ممن كان بحاضرة بصرى - شاهدوا أعناق الإبل في ضوء هذه النار التي ظهرت من أرض الحجاز[٤].

وذكر القرطبي ظهور هذه النار وأفاض في وصفها في كتابه «التذكرة»[٥]، فذكر أنها رؤيت من مكة ومن جبال بُصرى.

**وقال ابن حجر:** (والذي ظهر لي أن النار المذكورة... هي التي ظهرت

(١) «سلسلة التفسير» لمصطفى العدوي (٤٢/ ٢).
(٢) رواه البخاري (٧١١٨)، ومسلم (٢٩٠٢).
(٣) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٨/ ٢٨).
(٤) «البداية والنهاية» (٦/ ٢٨٥).
(٥) «التذكرة» (٦٣٦).

بنواحي المدينة كما فهمه القرطبي وغيره)[١].

### ٨- استفاضة المال والاستغناء عن الصدقة:

فعن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ فَيَفِيضَ**»[٢]. وفي رواية لمسلم: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ الْمَالِ مَنْ يَقْبَلُهُ مِنْهُ صَدَقَةً، وَيُدْعَى إِلَيْهِ الرَّجُلُ فَيَقُولُ: لَا أَرَبَ لِي فِيهِ**»[٣].

وعن أبي موسى رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ليأتين على الناس زمان يطوف الرجل فيه بالصدقة من الذهب، ثم لا يجد أحدًا يأخذها منه**»[٤].

### ٩- ظهور الفتن:

الفتن: جمع فتنة، وهي الابتلاء والامتحان والاختبار، ثم كثر استعمالها فيما أخرجه الاختبار للمكروه، ثم أُطلقت على كل مكروه أو آيل إليه، كالإثم، والكفر، والقتل، والتحريق وغير ذلك من الأمور المكروهة[٥].

وقد أخبر النبي ﷺ أن من أشراط الساعة ظهور الفتن العظيمة التي يلتبس فيها الحق بالباطل، فتزلزل الإيمان حتى يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا.

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٧٩).

(٢) رواه البخاري (١٠٣٦)، ومسلم (١٥٧).

(٣) مسلم (١٥٧).

(٤) رواه البخاري (١٤١٤)، ومسلم (١٠١٢).

(٥) انظر: «لسان العرب» (١٣/ ٣١٧) مادة (فتن).

كلما ظهرت فتنة قال المؤمن: هذه مهلكتي! ثم تنكشف، ويظهر غيرها فيقول: هذه هذه! ولا تزال الفتن تظهر في الناس إلى أن تقوم الساعة.

ففي الحديث عن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن بين يدي الساعة فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسي كافرًا، ويمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، القاعد فيها خير من القائم، والقائم فيها خير من الماشي، والماشي فيها خير من الساعي، فكسروا قسيكم، وقطعوا أوتاركم، واضربوا سيوفكم الحجارة، فإن دخل على أحدكم فليكن كخير ابني آدم**»[(١)].

وروى الإمام مسلم عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**بادروا بالأعمال فتنًا كقطع الليل المظلم، يصبح الرجل مؤمنًا ويمسي كافرًا، أو يمسي مؤمنًا ويصبح كافرًا، يبيع دينه بعَرَض من الدنيا**»[(٢)].

وعن أم سلمة زوج النبي رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قالت: استيقظ رسول الله ﷺ ليلة فزعًا، يقول: «**سبحان الله، ماذا أنزل الله من الخزائن، وماذا أنزل من الفتن، من يوقظ صواحب الحجرات** - يريد أزواجه لكي يصلين - **رب كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»[(٣)].

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: نادى منادي رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه أبو داود (٤٢٥٩)، وابن ماجه (٣٢١٥)، وأحمد (٤/ ٤٠٨) (١٩٦٧٧)، والحاكم (٤/ ٤٤٠)، والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وصحح إسناده عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام الصغرى» (٩٠٩) كما أشار إلى ذلك في المقدمة، وصححه ابن دقيق العيد في «الاقتراح» (١٠١).

(٢) رواه مسلم (١١٨).

(٣) رواه البخاري (٧٠٦٩).

الصلاة جامعة. فاجتمعنا إلى رسول الله ﷺ فقال: «**إنه لم يكن نبي قبلي إلا كان حقًّا عليه أن يدل أمته على خير ما يعلمه لهم، وينذرهم شر ما يعلمه لهم. وإن أمتكم هذه جُعل عافيتها في أولها، وسيصيب آخرها بلاء وأمور تنكرونها. وتجيء الفتنة فيرقق بعضها بعضًا. وتجيء الفتنة فيقول المؤمن: هذه هذه. فمَن أحب أن يُزحزح عن النار ويُدخل الجنة، فلتأته منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر**»(١).

**وأحاديث الفتن كثيرة جدًّا:** فقد حَذَّر النبي ﷺ أمته من الفتن، وأَمَر بالتعوذ منها، وأخبر أن آخر هذه الأمة سيصيبها بلاء وفتن عظيمة، وليس هنالك عاصم منها إلا الإيمان بالله واليوم الآخر، ولزوم جماعة المسلمين، وهم أهل السنة وإن قلُّوا، والابتعاد عن الفتن والتعوذ منها. فقد قال عليه الصلاة والسلام: «**تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن**» رواه مسلم عن زيد بن ثابت رضي الله عنه(٢).

## ظهور الفتن من المشرق:

أكثر الفتن التي ظهرت في المسلمين كان منبعها من المشرق من حيث يطلع قرن الشيطان.

وهذا مطابق لما أخبر به نبي الرحمة ﷺ، فقد جاء في الحديث عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه سمع رسول الله ﷺ وهو مستقبل المشرق يقول: «**ألا إن الفتنة هاهنا، ألا إن الفتنة هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**»(٣). وفي رواية لمسلم أنه قال: «**رأس الكفر من هاهنا، من حيث يطلع قرن الشيطان**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (١٨٤٤).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٧).

(٣) رواه البخاري (٣٢٧٩)، ومسلم (٢٩٠٥).

(٤) رواه مسلم (٢٩٠٥).

**قال ابن حجر:** (وأول الفتن كان منبعها من قبل المشرق، فكان ذلك سببًا للفُرقة بين المسلمين، وذلك مما يحبه الشيطان ويفرح به، وكذلك البدع نشأت من تلك الجهة)[١].

فمن العراق ظهر الخوارج، والشيعة الروافض، والباطنية، والقدرية، والجهمية، والمعتزلة، وأكثر مقالات الكفر كان منشؤها من المشرق من جهة الفرس المجوس كالزردشتية، والمانوية، والمزدكية، والهندوسية، والبوذية، وأخيرًا وليس آخرًا القاديانية، والبهائية... إلى غير ذلك من المذاهب الهدامة.

وأيضًا: فإن ظهور التتار في القرن السابع الهجري كان من المشرق، وقد حدث على أيديهم من الدمار والقتل والشر العظيم ما هو مدون في كتب التاريخ.

وإلى اليوم لا يزال المشرق منبعًا للفتن، والشرور، والبدع، والخرافات، والإلحاد، فالشيوعية الملحدة مركزها روسيا والصين الشيوعية وهما في المشرق، وسيكون ظهور الدجال، ويأجوج ومأجوج من جهة المشرق، نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن[٢].

### ١٠- ظهور مدعي النبوة:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ، قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللهِ**»[٣].

**قال ابن حجر:** «قَوْلُهُ: «كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ» ظَاهِرٌ فِي أَنَّ كُلًّا مِنْهُمْ

---

(١) «فتح الباري» (١٣/ ٤٧).

(٢) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (٧٢).

(٣) رواه البخاري (٧١٢١)، ومسلم (١٥٧).

يَدَّعِي النُّبُوَّةَ، وَهَذَا هُوَ السِّرُّ فِي قَوْلِهِ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ الْمَاضِي: «وَإِنِّي خَاتَمُ النَّبِيِّينَ».

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الَّذِينَ يَدَّعُونَ النُّبُوَّةَ مِنْهُمْ مَا ذُكِرَ مِنَ الثَّلَاثِينَ أَوْ نَحْوِهَا وَأَنَّ مَنْ زَادَ عَلَى الْعَدَدِ الْمَذْكُورِ يَكُونُ كَذَّابًا فَقَطْ لَكِنْ يَدْعُو إِلَى الضَّلَالَةِ؛ كَغُلَاةِ الرَّافِضَةِ وَالْبَاطِنِيَّةِ وَأَهْلِ الْوَحْدَةِ وَالْحُلُولِيَّةِ وَسَائِرِ الْفِرَقِ الدُّعَاةِ إِلَى مَا يُعْلَمُ بِالضَّرُورَةِ أَنَّهُ خِلَافُ مَا جَاءَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَيُؤَيِّدُهُ أَنَّ فِي حَدِيثِ عَلِيٍّ عِنْدَ أَحْمَدَ: فَقَالَ عَلِيٌّ لِعَبْدِ اللَّه بْنِ الْكَوَّاءِ: وَإِنَّكَ لَمِنْهُمْ!! وَابْنُ الْكَوَّاءِ لَمْ يَدَّعِ النُّبُوَّةَ وَإِنَّمَا كَانَ يَغْلُو فِي الرَّفْضِ»[1].

### ١١- انتشار الأمن:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَعُودَ أَرْضُ الْعَرَبِ مُرُوجًا وَأَنْهَارًا، وَحَتَّى يَسِيرَ الرَّاكِبُ بَيْنَ الْعِرَاقِ وَمَكَّةَ لَا يَخَافُ إِلَّا ضَلَالَ الطَّرِيقِ...»**[2].

### ١٠- قتال الترك:

فعن أَبي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا التُّرْكَ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، ذُلْفَ الأُنُوفِ، كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، وَلاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا قَوْمًا نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»**[3].

**قال النووي:** «وَقَدْ وُجِدُوا فِي زَمَانِنَا هَكَذَا. وَفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: «حُمْرُ الْوُجُوهِ» أي: بِيضُ الْوُجُوهِ مَشُوبَةٌ بِحُمْرَةٍ. وَفِي هَذِهِ الرِّوَايَةِ: «صِغَارُ

---

(١) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٨٧).

(٢) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (١٤/ ٤٢٧)، وغيره.

(٣) رواه البخاري (٢٩٢٨)، ومسلم (٢٩١٢).

الْأَعْيُنِ» وَهَذِهِ كُلُّهَا مُعْجِزَاتٌ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَدْ وُجِدَ قِتَالُ هَؤُلَاءِ التُّرْكِ بِجَمِيعِ صِفَاتِهِمُ الَّتِي ذَكَرَهَا ﷺ صِغَارُ الْأَعْيُنِ حُمْرُ الْوُجُوهِ ذُلْفُ الْآنُفِ عِرَاضُ الْوُجُوهِ كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ الْمَجَانُّ الْمُطْرَقَةُ يَنْتَعِلُونَ الشَّعْرَ، فَوُجِدُوا بِهَذِهِ الصِّفَاتِ كُلِّهَا فِي زَمَانِنَا وَقَاتَلَهُمُ الْمُسْلِمُونَ مَرَّاتٍ وَقِتَالُهُمُ الْآنَ، وَنَسْأَلُ اللَّهَ الْكَرِيمَ إِحْسَانَ الْعَاقِبَةِ لِلْمُسْلِمِينَ فِي أَمْرِهِمْ وَأَمْرِ غَيْرِهِمْ وَسَائِرِ أَحْوَالِهِمْ وَإِدَامَةِ اللُّطْفِ بِهِمْ وَالْحِمَايَةِ وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ الذي لَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى»[١].

### ١١- قتال العجم:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تُقَاتِلُوا خُوزًا وَكَرْمَانَ مِنَ الأَعَاجِمِ، حُمْرَ الوُجُوهِ، فُطْسَ الأُنُوفِ، صِغَارَ الأَعْيُنِ، وُجُوهُهُمُ المَجَانُّ المُطْرَقَةُ، نِعَالُهُمُ الشَّعَرُ»**[٢].

### ١٢- ضياع الأمانة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: **«إذا ضُيعت الأمانة فانتظر الساعة»**. قال: كيف إضاعتها يا رسول الله؟ قال: **«إذا أُسند الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة»**[٣].

وبيَّن النبي ﷺ كيف تُرفع الأمانة من القلوب، وأنه لا يبقى منها في القلب إلا أثرها، روى حذيفة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين، رأيت أحدهما وأنا أنتظر الآخر: حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ٣٧).

(٢) رواه البخاري (٣٥٩٠).

(٣) رواه البخاري (٥٩).

الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة. وحدثنا عن رفعها قال: **«ينام الرجل النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المجل، كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرًا وليس فيه شيء، فيصبح الناس يتبايعون، فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلان رجلًا أمينًا. ويقال للرجل: ما أعقله، وما أظرفه، وما أجلده! وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان. ولقد أتى على زمان وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ردَّه عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانيًا ردَّه عليَّ ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا»**[1].

**ففي هذا الحديث** بيان أن الأمانة سَتُرفع من القلوب حتى يصير الرجل خائنًا بعد أن كان أمينًا، وهذا إنما يقع لمن ذهبت خشيته وضعف إيمانه وخالط أهل الخيانة فيصير خائنًا؛ لأن القرين يقتدي بقرينه.

**ومن مظاهر تضييع الأمانة** إسناد أمور الناس من إمارة وخلافة وقضاء ووظائف على اختلافها إلى غير أهلها القادرين على تسييرها والمحافظة عليها؛ لأن في ذلك تضييعًا لحقوق الناس، واستخفافًا بمصالحهم، وإيغارًا لصدورهم، وإثارة للفتن بينهم.

فإذا ضيع من يتولى أمر الناس الأمانة، والناس تبع لمن يتولى أمرهم، كانوا مثله في تضييع الأمانة، فصلاح حال الولاة صلاح لحال الرعية، وفساده فساد لهم.

ثم إن إسناد الأمر إلى غير أهله دليل واضح على عدم اكتراث الناس بدينهم، حتى إنهم ليولون أمرهم من لا يهتم بدينه، وهذا إنما يكون عند

---

(١) رواه البخاري (٧٠٨٦)، ومسلم (١٤٣).

غلبة الجهل ورفع العلم؛ ولهذا ذكر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة الماضي في كتاب العلم إشارة إلى هذا.

**قال ابن حجر:** (ومناسبة هذا المتن لكتاب العلم أن إسناد الأمر إلى غير أهله إنما يكون عند غلبة الجهل ورفع العلم، وذلك من جملة الأشراط)[١].

وقد أخبر ﷺ أنه ستكون هناك سنون خداعة، تنعكس فيها الأمور، يُكَذَّب فيها الصادق، ويُصَدَّق فيها الكاذب، ويُخَوَّن الأمين، ويُؤتَمن الخائن[٢].

### ١٣- قَبْض العلم وظهور الجهل:

ومن أشراطها قَبْض العلم وفشو الجهل، ففي الصحيحين عن أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أشراط الساعة أن يُرفع العلم ويثبت الجهل**»[٣]. وفي رواية للبخاري: «**أَنْ يَقِلَّ العِلْمُ، وَيَظْهَرَ الجَهْلُ..**».

وروى البخاري عن شقيق قال: كنت مع عبد الله وأبي موسى فقالا: قال النبي ﷺ: «**إن بين يدي الساعة لأيامًا ينزل فيها الجهل، ويُرفع العلم**»[٤].

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يتقارب الزمان، ويُقبض العلم، وتظهر الفتن، ويُلقي الشح ويكثر الهرج**»[٥].

**قال ابن بطال:** (وجميع ما تضمنه هذا الحديث من الأشراط قد رأيناها

---

(١) «فتح الباري» (١/ ١٤٣).

(٢) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (ص٩٩).

(٣) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٤) رواه البخاري (٧٠٦٢).

(٥) رواه مسلم (١٥٧).

عِيانًا، فقد نقص العلم، وظهر الجهل، وأُلقي الشح في القلوب، وعمت الفتن، وكثر القتل)[١].

**وعَقَّب على ذلك الحافظ ابن حجر بقوله:** (الذي يظهر أن الذي شاهده كان منه الكثير مع وجود مقابله، والمراد من الحديث استحكام ذلك حتى لا يبقى بما يقابله إلا النادر، وإليه الإشارة بالتعبير بقبض العلم، فلا يبقى إلا الجهل الصرف، ولا يمنع من ذلك وجود طائفة من أهل العلم لأنهم يكونون حينئذٍ مغمورين في أولئك)[٢].

**وقبض العلم يكون بقبض العلماء،** ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء، حتى إذا لم يُبْقِ عالمًا، اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا، فسئلوا، فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا**»[٣].

**قال النووي:** (هذا الحديث يبين أن المراد بقبض العلم في الأحاديث السابقة المطلقة ليس هو محوه من صدور حفاظه، ولكن معناه: أن يموت حَمَلته، ويتخذ الناس جهالًا يحكمون بجهالاتهم، فيَضِلُّون ويُضِلُّون)[٤].

**والمراد بالعلم هنا** علم الكتاب والسنة وهو العلم الموروث عن الأنبياء عليهم السلام، فإن العلماء هم ورثة الأنبياء وبذَهابهم يذهب العلم وتموت السنن وتظهر البدع ويعم الجهل، وأما علم الدنيا فإنه في زيادة وليس هو المراد في الأحاديث، بدليل قوله ﷺ: «**فسئلوا فأفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا**».

---

(١) «شرح صحيح البخاري» (١٠/ ١٣)، و«فتح الباري» (١٣/ ١٦).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ١٦).

(٣) رواه البخاري (١٠٠)، ومسلم (٢٦٧٣).

(٤) «شرح صحيح مسلم» للنووي (١٦/ ٢٢٣).

والعلماء الحقيقيون هم الذين يعملون بعلمهم، ويوجهون الأمة ويدلونها على طريق الحق والهدى، فإن العلم بدون عمل لا فائدة فيه، بل يكون وبالًا على صاحبه، وقد جاء في رواية للبخاري: «**وينقص العمل**»[(١)].

**قال الإمام مؤرخ الإسلام الذهبي بعد ذكره لطائفة من العلماء:** (وما أوتوا من العلم إلا قليلًا، وأما اليوم فما بقي من العلوم القليلة إلا القليل في أناس قليل ما أقل من يعمل منهم بذلك القليل، فحسبنا الله ونعم الوكيل)[(٢)].

وإذا كان هذا في عصر الذهبي فما بالك بزمننا هذا؟ فإنه كلما بعد الزمان من عهد النبوة قل العلم وكثر الجهل، فإن الصحابة ﵃ كانوا أعلم هذه الأمة ثم التابعين، ثم تابعيهم، وهم خير القرون كما قال ﷺ: «**خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم**»[(٣)].

**قال ابن تيمية:** (يسري به في آخر الزمان من المصاحف والصدور فلا يبقى في الصدور منه كلمة، ولا في المصاحف منه حرف)[(٤)].

**وأعظم من هذا** أن لا يُذكر اسم الله تعالى في الأرض كما في الحديث عن أنس ﵁ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى لا يقال في الأرض: الله الله**»[(٥)].

**قال ابن كثير: (في معنى هذا الحديث قولان:**

**أحدهما:** أن معناه أن أحدًا لا ينكر منكرًا، ولا يزجر أحدًا إذا رآه قد

---

(١) رواها البخاري (٦٠٣٧).

(٢) «تذكرة الحفاظ» (٣/ ١٠٣١).

(٣) رواه البخاري (٣٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٣).

(٤) «مجموع فتاوى ابن تيمية» (٣/ ١٩٨).

(٥) رواه مسلم (١٤٨).

تعاطى منكرًا، وعبر عن ذلك بقوله: «**حتى لا يقال: الله الله**»، كما في حديث عبد الله بن عمرو: «**فيبقى فيها عجاجة لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا**».

**والقول الثاني:** حتى لا يُذكر الله في الأرض، ولا يُعرف اسمه فيها، وذلك عند فساد الزمان، ودمار نوع الإنسان، وكثرة الكفر والفسوق والعصيان(١)(٢).

### ١٤- كثرة الشرط وأعوان الظلمة:

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**صِنْفَانِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ لَمْ أَرَهُمَا: قَوْمٌ مَعَهُمْ سِيَاطٌ كَأَذْنَابِ الْبَقَرِ يَضْرِبُونَ بِهَا النَّاسَ. وَنِسَاءٌ كَاسِيَاتٌ عَارِيَاتٌ مُمِيلَاتٌ مَائِلَاتٌ، رُءُوسُهُنَّ كَأَسْنِمَةِ الْبُخْتِ الْمَائِلَةِ، لَا يَدْخُلْنَ الْجَنَّةَ، وَلَا يَجِدْنَ رِيحَهَا، وَإِنَّ رِيحَهَا لَيُوجَدُ مِنْ مَسِيرَةِ كَذَا وَكَذَا**»(٣).

**قال النووي:** هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ، فَقَدْ وَقَعَ هَذَانِ الصِّنْفَانِ وَهُمَا مَوْجُودَانِ(٤).

**وقال أيضًا:** هَذَا الْحَدِيثُ مِنْ مُعْجِزَاتِ النُّبُوَّةِ فَقَدْ وَقَعَ مَا أَخْبَرَ بِهِ ﷺ، فَأَمَّا أَصْحَابُ السِّيَاطِ فَهُمْ غِلْمَانُ وَالِي الشُّرْطَةِ(٥).

وعن أبي هُرَيْرَةَ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنْ طَالَتْ بِكَ مُدَّةٌ، أَوْشَكْتَ أَنْ تَرَى قَوْمًا يَغْدُونَ فِي سَخَطِ اللهِ وَيَرُوحُونَ فِي لَعْنَتِهِ، فِي أَيْدِيهِمْ مِثْلُ**

---

(١) «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ١٢٢، ١٢٣).

(٢) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (ص١٠٢).

(٣) رواه مسلم (٢١٢٨).

(٤) «شرح النووي على مسلم» (١٤/ ١١٠).

(٥) «شرح النووي على مسلم» (١٧/ ١٩٠).

أَذْنَابِ الْبَقَرِ»[١].

### ١٥- انتشار الزنا:

ومن العلامات التي ظهرت فشو الزنا وكثرته بين الناس، فقد أخبر النبي ﷺ بأن ذلك من أشراط الساعة، ثبت في «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن من أشراط الساعة** (فذكر منها) **ويظهر الزنا**»[٢].

**وأعظم من ذلك استحلال الزنا:** فقد ثبت في الصحيح عن أبي مالك الأشعري أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكونن في أمتي أقوام يستحلون الحِرَ والحرير**»[٣].

وفي آخر الزمان بعد ذهاب المؤمنين يبقى شرار الناس يتهارجون تهارج الحمر، كما جاء في حديث النواس رضي الله عنه: «**ويبقى شرار الناس يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة**»[٤].

**قال القرطبي في كتابه «المفهم» على حديث أنس السابق:** (في هذا الحديث عَلَمٌ من أعلام النبوة إذ أخبر عن أمور ستقع فوقعت خصوصًا في هذه الأزمان)[٥].

وإذا كان هذا في زمان القرطبي فهو في زماننا هذا أكثر ظهورًا لعظم غلبة الجهل وانتشار الفساد بين الناس[٦].

---

(١) رواه مسلم (٢٨٥٧).

(٢) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٣) رواه البخاري (٥٥٩٠).

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٥) «المفهم لما أشكل من تلخيص كتاب مسلم» (٢٢/ ٦١) و«فتح الباري» (١/ ١٧٩).

(٦) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (١٠٧).

### ١٦- ظهور المعازف واستحلالها:

عن سهل بن سعد أن رسول الله ﷺ قال: «**سيكون في آخر الزمان خسف وقذف ومسخ**»، قيل: ومتى ذلك يا رسول الله؟ قال: «**إذا ظهرت المعازف والقينات**»[١].

وهذه العلامة قد وقع شيء كبير منها في العصور السابقة، وهي الآن أكثر ظهورًا، فقد ظهرت المعازف في هذا الزمن وانتشرت انتشارًا عظيمًا، وكثر المغنون والمغنيات وهم المشار إليهم في هذا الحديث بـ«القينات» وأعظم من ذلك استحلال كثير من الناس للمعازف، وقد جاء الوعيد لمن فعل ذلك بالمسخ، والقذف، والخسف كما في الحديث السابق.

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**ليكونن من أمتي أقوام يستحلون الحر والحرير والخمر والمعازف، ولينزلن أقوام إلى جنب علم، يروح عليهم بسارحة لهم، يأتيهم** - يعني الفقير - **لحاجة فيقولوا: ارجع إلينا غدًا. فيبيتهم الله، ويضع العلم، ويمسخ آخرين قردة وخنازير إلى يوم القيامة**»[٢].

### ١٧-كثرة شرب الخمر واستحلالها:

ومن العلامات التي ظهرت كثرة شرب الخمر بين الناس، فقد أخبر النبي ﷺ بأن ذلك من أشراط الساعة ثبت في «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أشراط الساعة** - وذكر منها - **ويُشرب**

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٩٧)، والطبراني (٦/ ١٥٠) (٥٨٢٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣): فيه عبد الله بن أبي الزناد، وفيه ضعف، وبقية رجال إحدى الطريقين رجال الصحيح. وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٢) رواه البخاري (٥٥٩٠).

**الخمر»**[١].

فقد أُطلق على الخمر أسماء كثيرة، حتى سميت بالمشروبات الروحية ونحو ذلك، والأحاديث في بيان أن هذه الأمة سيفشو فيها شرب الخمر، وأن فيهم من يستحلها ويغير اسمها.

**وفسر ابن العربي استحلال الخمر بتفسيرين:**

**الأول:** اعتقاد حل شربها.

**الثاني:** أن يكون المراد بذلك الاسترسال في شربها كالاسترسال في الحلال.

وذكر أنه سمع ورأى من يفعل ذلك، وهو في زمننا هذا أكثر، فقد فُتن بعض الناس بشربها، وأعظم من ذلك بيعها جهارًا وشربها علانية في بعض البلدان الإسلامية، وانتشار المخدرات انتشارًا عظيمًا لم يسبق له مثيل مما ينذر بخطر عظيم، وفساد كبير، والأمر لله من قبل ومن بعد[٢].

### ١٨- زخرفة المساجد والتباهي بها:

ومنها زخرفة المساجد ونقشها والتفاخر بها، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يتباهى الناس في المساجد**».

وفي رواية للنسائي وابن خزيمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**ومن أشراط الساعة أن يتباهى الناس في المساجد**»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٨٠)، ومسلم (٢٦٧١).

(٢) «فتح الباري» (١٠/ ٥٥).

(٣) **إسناده صحيح:** أخرجه أبو داود (٤٤٩)، والنسائي في «المجتبى» (٦٨٩)، وفي «الكبرى» (٧٧٠)، وابن ماجة (٧٣٩)، وغيرهم من حديث أنس به.

### ١٩- ولادة الأَمَة رَبَّتها، وتطاول الحفاة العراة رعاة الشاة في البنيان:

عن أبي هريرة قال: كان النبي ﷺ بارزًا يومًا للناس فأتاه جبريل فقال: ما الإيمان؟ قال: «**أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه ورسله وتؤمن بالبعث**». قال: ما الإسلام؟ قال: «**الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة وتؤدي الزكاة المفروضة وتصوم رمضان**». قال: ما الإحسان؟ قال: «**أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك**». قال: متى الساعة؟ قال: «**ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، وسأخبرك عن أشراطها: إذا ولدت الأَمَة ربها وإذا تطاول رعاة الإبل البهم في البنيان في خمس لا يعلمهن إلا الله**». ثم تلا النبي ﷺ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ الآية ثم أدبر فقال: «**ردوه**» فلم يروا شيئًا فقال: «**هذا جبريل جاء يعلم الناس دينهم**»(١).

والمراد بقوله: «أن تلد الأمة ربها» أي: سيدتها ومالكتها.

### ٢٠- كثرة القتل:

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ الْهَرْجُ**» قَالُوا: وَمَا الْهَرْجُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**الْقَتْلُ الْقَتْلُ**»(٢).

وعند مسلم أيضًا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَ عَلَى النَّاسِ يَوْمٌ لَا يَدْرِي الْقَاتِلُ فِيمَ قَتَلَ، وَلَا الْمَقْتُولُ فِيمَ قُتِلَ**» فَقِيلَ: كَيْفَ يَكُونُ ذَلِكَ؟ قَالَ: «**الْهَرْجُ، الْقَاتِلُ وَالْمَقْتُولُ فِي النَّارِ**»(٣).

### ٢١- تقارب الزمان:

فعن أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ... وَيَتَقَارَبَ**

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٩).

(٢) رواه البخاري (٦٠٣٧)، ومسلم (١٥٧).

(٣) رقم (٢٩٠٨).

**الزَّمَانُ...»**[١].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان، فتكون السنة كالشهر، ويكون الشهر كالجمعة، وتكون الجمعة كاليوم، ويكون اليوم كالساعة، وتكون الساعة كاحتراق السعفة**»[٢].

**قال ابن حجر:** (وقد وُجد في زماننا هذا، فإننا نجد من سرعة مر الأيام ما لم يكن نجده في العصر الذي قبل عصرنا هذا وإن لم يكن هناك عيش مستلذ، والحق أن المراد نزع البركة من كل شيء حتى من الزمان وذلك من علامات قرب الساعة، وقال بعضهم: معنى تقارب الزمان استواء الليل والنهار. قلت: وهذا مما قالوه في قوله: «**إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المؤمن تكذب**»[٣].

### ٢٢- تقارب الأسواق:

فعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تظهر الفتن، ويكثر الكذب، وتتقارب الأسواق...**»[٤].

**قال التويجري** رَحِمَهُ اللَّهُ: وأما تقارب الأسواق فقد جاء تفسيره في حديث ضعيف بأنه كسادها وقلة أرباحها.

والظاهر - والله أعلم - أن ذلك إشارة إلى ما وقع في زماننا من تقارب

---

(١) رواه البخاري (١٠٣٦)، ومسلم (١٥٧).

(٢) رواه أحمد (٢/ ٥٣٧) (١٠٩٥٦). قال شعيب الأرناؤوط محقق «المسند»: إسناده صحيح على شرط مسلم. وحسنه الوادعي في «الصحيح المسند» (١٤٦٠).

(٣) «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ١٦)، وانظر: «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (ص١٢٠).

(٤) رواه أحمد (١٠٧٢٤) (١٦/ ٤٢٢)، وابن حبان (٦٧١٨)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

أهل الأرض بسبب المراكب الجوية والأرضية والآلات الكهربائية التي تنقل الأصوات؛ كالإذاعات والتلفونات، والتي تنقل الكتابة؛ كالفاكس والتلكس، وغيرها من الآلات الحديثة التي صارت أسواق الأرض متقاربة بسببها، فلا يكون تغيير في الأسعار في قطر من الأقطار إلا ويعلم به التجار أو غالبهم في جميع أرجاء الأرض، فيزيدون في السعر إن زاد، وينقصون إن نقص، ويذهب التاجر في السيارات إلى أسواق المدائن التي تبعد عنه مسيرة أيام، فيقضي حاجته منها ثم يرجع في يوم أو بعض يوم، ويذهب في الطائرات إلى أسواق المدن التي تبعد عنه مسيرة شهر فأكثر فيقضي حاجته منها ويرجع في يوم أو بعض يوم.

**فقد تقاربت الأسواق من ثلاثة أوجه:**

**الأول:** سرعة العلم بما يكون فيها من زيادة السعر ونقصانه.

**والثاني:** سرعة السير من سوق إلى سوق ولو كانت بعيدة عنها.

**والثالث:** مقاربة بعضها بعضًا في الأسعار، واقتداء بعض أهلها ببعض في الزيادة والنقصان، والله أعلم[١].

### ٢٣- الخسف والقذف والمسخ:

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر هذه الأمة خسف ومسخ وقذف**»، قالت: قلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «**نعم، إذا ظهر الخبث**»[٢].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**بين يدي الساعة مسخ وخسف**

---

(١) «إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» (٢/ ١٩٥).

(٢) رواه الترمذي (٢١٨٥)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

**وقذف»**[١].

وعن محمد بن إبراهيم التيمي قال: سمعت بقيرة امرأة القعقاع بن أبي حدرد تقول: سمعت رسول الله ﷺ على المنبر وهو يقول: «**إذا سمعتم بجيش قد خُسف به قريبًا فقد أظلت الساعة**»[٢].

والخسف قد وُجد في مواضع في الشرق والغرب قبل عصرنا هذا، ووقع في هذا الزمن كثير من الخسوفات في أماكن متفرقة من الأرض، وهي نذير بين يدي عذاب شديد، وتخويف من الله لعباده، وعقوبة لأهل البدع والمعاصي؛ كي يعتبر الناس ويرجعوا إلى ربهم ويعلموا أن الساعة قد أزفت، وأنه لا ملجأ من الله إلا إليه[٣].

### ٢٤- كثرة شهادة الزور وكتمان شهادة الحق:

جاء في حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قوله ﷺ: «**إن بين يدي الساعة... شهادة الزور وكتمان شهادة الحق**»[٤].

وشهادة الزور هي الكذب متعمدًا في الشهادة، وكما أن شهادة الزور سبب لإبطال الحق، فكذلك كتمان الشهادة سبب لإبطال الحق. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَكْتُمُوا۟ ٱلشَّهَـٰدَةَ ۚ وَمَن يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُۥٓ ءَاثِمٌ قَلْبُهُۥ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٣].

---

(١) رواه ابن ماجه (٣٢٩٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٢) رواه أحمد (٦/ ٣٧٨) (٢٧١٧٣)، وحسنه الألباني في «صحيح الجامع» (٦١٨).

(٣) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (ص١٣٣)، وانظر: «فتح الباري» (١٣/ ٨٤)، و«عون المعبود» (١١/ ٤٢٩).

(٤) رواه أحمد (١/ ٤٠٧) (٣٨٧٠). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٣٣٢): رجاله رجال الصحيح. وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٥/ ٣٣٣)، والألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٦٤٧)، وقال: على شرط مسلم.

وما أكثر شهادة الزور وكتمان شهادة الحق في هذا الزمن! فإن شهادة الزور سبب للظلم والجور وضياع حقوق الناس في الأموال والأعراض، وظهورها دليل على ضعف الإيمان وعدم الخوف من الرحمن[(١)].

### ٢٥- عودة جزيرة العرب جنات وأنهارًا:

عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يكثر المال ويفيض، حتى يخرج الرجل بزكاة ماله فلا يجد أحدًا يقبلها منه، وحتى تعود أرض العرب مروجًا وأنهارًا**»[(٢)].

### ٢٦- انتفاخ الأهلة:

من الأدلة على اقتراب الساعة أن يُرى الهلال عند بدو ظهوره كبيرًا حتى يقال ساعة خروجه: إنه لليلتين أو ثلاثة.

فعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**من اقتراب الساعة انتفاخ الأهلة**»[(٣)].

### ٢٧- تكليم السباع والجماد الإنس:

عن أبي سعيد الخدري قال: عدا الذئب على شاة فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذَنَبه قال: ألا تتقي الله تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ؟! فقال: يا عجبي! ذئب مقعٍ على ذنبه يكلمني كلام الإنس؟! فقال

---

(١) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (ص١٥٠).

(٢) رواه مسلم (١٥٧).

(٣) رواه الطبراني (١٠/ ١٩٨)، وقال الألباني في «صحيح الجامع» (٥٨٩٨): صحيح. وانظر كلامه في «السلسلة الصحيحة» (٢٢٩٢)، وانظر: «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١٩٦).

الذئب: ألا أخبرك بأعجب من ذلك؟ محمد ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق.

قال: فأقبل الراعي يسوق غنمه حتى دخل المدينة فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره فأمر رسول الله ﷺ فنودي: الصلاة جامعة. ثم خرج فقال للراعي: «**أخبرهم**» فأخبرهم فقال رسول الله ﷺ: «**صدق، والذي نفسي بيده لا تقوم الساعة حتى يكلم السباع الإنس ويكلم الرجل عذبة سوطه وشراك نعله، ويخبره فخذه بما أحدث أهله بعده**»[1].

### ٢٨- انحسار الفرات عن جبل من ذهب:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يحسر الفرات عن جبل من ذهب. يقتتل الناس عليه، فيُقتل من كل مائة تسعة وتسعون. ويقول كل رجل منهم: لعلي أكون أنا الذي أنجو**»[2].

وعن أُبي بن كعب رضي الله عنه[3] قال: لا يزال الناس مختلفة أعناقهم في طلب

---

(١) رواه أحمد (٣/ ٨٣) (١١٨٠٩)، وروى الترمذي طرفًا من آخره (٢١٨١)، والحاكم (٤/ ٤١٤). قال الترمذي: وهذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث القاسم ابن الفضل، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث، وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبدالرحمن بن مهدي. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٩١): عند الترمذي طرف من آخره. ثم قال: رواه أحمد والبزار بنحوه باختصار ورجال أحد إسنادي أحمد رجال الصحيح. وقال الألباني في «السلسلة الصحيحة» (١٢٢): وهذا سند صحيح رجاله ثقات رجال مسلم غير القاسم هذا وهو ثقة اتفاقًا، وأخرج له مسلم في (المقدمة)، وانظر: «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١٩٧).

(٢) رواه مسلم (٢٨٩٤).

(٣) رواه البخاري (٧١١٩)، ومسلم (٢٨٩٤).

الدنيا.. إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**يوشك الفرات أن يحسر عن جبل من ذهب، فمن حضره فلا يأخذ منه شيئًا**»[١].

### ٢٩- إخراج الأرض كنوزها المخبوءة:

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**تقيء الأرض أفلاذ كبدها أمثال الأسطوان من الذهب والفضة، فيجيء القاتل فيقول: في هذا قَتلت. ويجيء القاطع فيقول: في هذا قَطعت رحمي. ويجيء السارق فيقول: في هذا قُطعت يدي. ثم يَدَعونه فلا يأخذون منه شيئًا**»[٢].

وهذه آية من آيات الله حيث يأمر الحق الأرض أن تُخرج كنوزها المخبوءة في جوفها.

### ٣٠- محاصرة المسلمين إلى المدينة:

من أشراط الساعة أن يهزم المسلمون وينحسر ظلهم ويحيط بهم أعداؤهم ويحاصروهم في المدينة المنورة.

عن ابن عمر: رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يوشك المسلمون أن يحاصَروا إلى المدينة حتى يكون أبعد مسالحهم سلاح**»[٣].

---

(١) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (ص١٥٦). وانظر: «فتح الباري» (١٣/ ٨١).

(٢) رواه مسلم (١٠١٣)، وانظر: «القيامة الصغرى» لعمر الأشقر (ص٢٠١).

(٣) رواه أبو داود (٤٢٥٠)، وابن حبان (١٥/ ١٧٤)، والطبراني في «الأوسط» (٦/ ٢٨٦)، والحاكم (٤/ ٥٥٦)، والحديث سكت عنه أبو داود، وقال الحاكم: صحيح على شرط مسلم. ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: صحيح. وقال شعيب الأرناؤوط محقق «صحيح ابن حبان»: قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط البخاري.

وانظر: «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٠٢).

### ٣١- رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه:

فعن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان يسوق الناس بعصاه**»[١].

**قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٥٤٥):** لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل من قحطان، لم أقف على اسمه، ولكن جَوَّز القرطبي أن يكون جهجاه الذي وقع ذكره في مسلم من طريق أخرى عن أبي هريرة بلفظ: «لا تذهب الأيام والليالي حتى يملك رجل يقال له: الجهجاه»[٢]، أخرجه عقب حديث القحطاني.

قوله: «يسوق الناس بعصاه» هو كناية عن المُلك شبهه بالراعي وشبه الناس بالغنم، ونكتة التشبيه التصرف الذي يملكه الراعي في الغنم.

وهذا الحديث يدخل في علامات النبوة من جملة ما أخبر به ﷺ قبل وقوعه ولم يقع بعد.

وقد روى نعيم بن حماد في الفتن من طريق أرطأة بن المنذر أحد التابعين من أهل الشام - أن القحطاني يخرج بعد المهدي ويسير على سيرة المهدي.

وأخرج أيضًا من طريق عبد الرحمن بن قيس بن جابر الصدفي عن أبيه عن جده مرفوعًا: «**يكون بعد المهدي القحطاني، والذي بعثني بالحق ما هو دونه**» وهذا الثاني مع كونه مرفوعًا ضعيف الإسناد، والأول مع كونه موقوفًا أصلح إسنادًا منه.

فإن ثبت ذلك فهو في زمن عيسى بن مريم لما تقدم أن عيسى عليه السلام إذا نزل يجد المهدي إمام المسلمين.

---

(١) رواه البخاري (٣٥١٧)، ومسلم (٢٩١٠).

(٢) رواه مسلم (٢٩١١) وانظر: «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٠٣).

وفي رواية أرطاة بن المنذر أن القحطاني يعيش في الملك عشرين سنة. واستشكل ذلك كيف يكون في زمن عيسى يسوق الناس بعصاه والأمر إنما هو لعيسى؟ ويجاب بجواز أن يقيمه عيسى نائبًا عنه في أمور مهمة عامة. وسيأتي مزيد لذلك في كتاب الفتن إن شاء الله تعالى.

### ٣٢- فتح القسطنطينية:

ومنها فتح مدينة القسطنطينية - قبل خروج الدجال - على يدي المسلمين، والذي تدل عليه الأحاديث أن هذا الفتح العظيم يكون بعد قتال الروم في الملحمة الكبرى وانتصار المسلمين عليهم، فعندئذٍ يتوجهون إلى مدينة القسطنطينية فيفتحها الله للمسلمين بدون قتال، وسلاحهم التكبير والتهليل.

ففي الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن النبي ﷺ قال: «**سمعتم بمدينة جانب منها في البر وجانب منها في البحر؟**» قالوا: نعم يا رسول الله! قال: «**لا تقوم الساعة حتى يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق. فإذا جاؤوها نزلوا فلم يقاتلوا بسلاح ولم يرموا بسهم. قالوا: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط أحد جانبيها** - قال ثور (أحد رواة الحديث): لا أعلمه إلا قال: **الذي في البحر - ثم يقولوا الثانية: لا إله إلا الله والله أكبر. فيسقط جانبها الآخر. ثم يقولوا الثالثة: لا إله إلا الله والله أكبر. فيفرج لهم. فيدخلوها فيغنموا. فبينما هم يقتسمون الغنائم، إذ جاءهم الصريخ فقال: إن الدجال قد خرج. فيتركون كل شيء ويرجعون**»[1].

**وقد أشكل قوله في هذا الحديث: «يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق» والروم من بني إسحاق؛ لأنهم من سلالة العيص بن إسحاق بن إبراهيم الخليل** عَلَيْهِ السَّلَامُ، **فكيف يكون فتح القسطنطينية على أيديهم؟!**

**قال القاضي عياض:** (كذا هو في جميع أصول صحيح مسلم: «من بني

---

(١) رواه مسلم (٢٩٢٠).

إسحاق»، ثم قال: قال بعضهم: المعروف المحفوظ: «من بني إسماعيل»، وهو الذي يدل عليه الحديث وسياقه لأنه إنما أراد العرب)[١].

**وذهب الحافظ ابن كثير إلى أن هذا الحديث يدل على أن الروم يسلمون في آخر الزمان،** ولعل فتح القسطنطينية يكون على أيدي طائفة منهم كما نطق به الحديث المتقدم أنه يغزوها سبعون ألفًا من بني إسحاق).

**واستشهد على ذلك** بأنهم مُدحوا في حديث المستورد القرشي فقد قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تقوم الساعة والروم أكثر الناس**»، فقال له عمرو: أبصِر ما تقول. قال: أقول ما سمعت من رسول الله ﷺ. قال: لئن قلت ذلك، إن فيهم لخصالًا أربعًا: إنهم لأحلم الناس عند فتنة. وأسرعهم إفاقة بعد مصيبة. وأوشكهم كرة بعد فرة. وخيرهم لمسكين ويتيم وضعيف. وخامسة حسنة وجميلة: وأمنعهم من ظلم الملوك[٢].

**ويدل أيضًا على أن الروم يسلمون في آخر الزمان** حديث أبي هريرة السابق في قتال الروم، وفيه: أن الروم يقولون للمسلمين: «خلوا بيننا وبين الذين سُبوا منا نقاتلهم. فيقول المسلمون: لا والله لا نخلي بينكم وبين إخواننا»[٣] فالروم يطلبون من المسلمين أن يتركوهم يقاتلون مَن سُبي منهم لأنهم أسلموا فيرفض المسلمون ذلك ويبينون للروم أن من أسلم منهم فهو من إخواننا لا نسلمه لأحد، وكون غالب جيش المسلمين ممن سُبي من الكفار ليس بمستغرب.

**قال النووي:** (وهذا موجود في زماننا، بل معظم عساكر الإسلام في بلاد

---

(١) «إكمال المعلم شرح صحيح مسلم» (٨/ ٢٣٢)، و«شرح صحيح مسلم» للنووي (١٨/ ٤٣، ٤٤).

(٢) رواه مسلم (٢٨٩٨).

(٣) رواه مسلم (٢٨٩٧).

الشام ومصر سبوا، ثم هم اليوم بحمد الله يسبون الكفار وقد سبوهم في زماننا مرارًا كثيرة، يسبون في المرة الواحدة من الكفار ألوفًا، ولله الحمد على إظهار الإسلام وإعزازه)[١].

### ٣٣- فتنة الأحلاس وفتنة الدهيماء:

عن عبد الله بن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ قعودًا فذكر الفتن فأكثر في ذكرها حتى ذكر فتنة الأحلاس فقال قائل: يا رسول الله وما فتنة الأحلاس؟ قال: «**هي فتنة هَرَب وحَرَب ثم فتنة السراء دخلها** - أو: **دخنها - من تحت قدمي رجل من أهل بيتي يزعم أنه مني وليس مني إنما وليّي المتقون، ثم يصطلح الناس على رجل كورك على ضلع، ثم فتنة الدهيماء لا تدع أحدًا من هذه الأمة إلا لطمته لطمة، فإذا قيل: انقطعت، تمادت، يصبح الرجل فيها مؤمنًا ويمسى كافرًا حتى يصير الناس إلى فسطاطين: فسطاط إيمان لا نفاق فيه وفسطاط نفاق لا إيمان فيه، إذا كان ذاكم فانتظروا الدجال من اليوم أو غد**»[٢].

والأحلاس: جمع حلس وهو الكساء الذي يلي ظهر البعير تحت القتب، شبهت به الفتنة لملازمتها للناس حين تنزل بهم كما يلازم الحلس ظهر البعير. وقال الخطابي: يحتمل أن تكون هذه الفتنة شبهت بالأحلاس لسواد لونها وظلمتها. والحَرَب: ذَهاب المال والأهل. والدهيماء: الداهية التي تدهم الناس بشرها.

---

(١) «شرح صحيح مسلم» (١٨/ ٢١).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٤٢)، وأحمد (٢/ ١٣٣) (٦١٦٨)، والحاكم (٤/ ٥١٣)، والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وقال أحمد شاكر في «مسند أحمد» (٩/ ٢٤): إسناده صحيح. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: صحيح. وانظر: «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٠٤).



## أشراط الساعة الكبرى

**هناك علامات كبرى تدل على قرب قيام الساعة، فإذا ظهرت كانت الساعة على إثرها.**

### أولًا: الدخان:

قال تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ [الدخان: ١٠، ١١][١].

---

(١) **قال الشيخ السعدي** رَحِمَهُ اللَّهُ **في «تفسيره» (ص٧٧٢)**: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ أي: انتظر فيهم العذاب فإنه قد قرب وآن أوانه، ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشَى ٱلنَّاسَ﴾ أي: يعمهم ذلك الدخان ويقال لهم: ﴿هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

**واختلف المفسرون في المراد بهذا الدخان:**

**فقيل:** إنه الدخان الذي يغشى الناس ويعمهم حين تقرب النار من المجرمين في يوم القيامة وأن الله توعدهم بعذاب يوم القيامة وأمر نبيه أن ينتظر بهم ذلك اليوم.

ويؤيد هذا المعنى أن هذه الطريقة هي طريقة القرآن في توعد الكفار والتأني بهم وترهيبهم بذلك اليوم وعذابه وتسلية الرسول والمؤمنين بالانتظار بمن آذاهم.

ويؤيده أيضًا أنه قال في هذه الآية: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝١٣﴾ وهذا يقال يوم القيامة للكفار حين يطلبون الرجوع إلى الدنيا فيقال: قد ذهب وقت الرجوع.

**وقيل:** إن المراد بذلك ما أصاب كفار قريش حين امتنعوا من الإيمان واستكبروا على الحق فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: «**اللهم أَعِنِّي عليهم بسنين كسني يوسف**» فأرسل =

وعَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ الْغِفَارِيِّ، قَالَ: اطَّلَعَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَيْنَا وَنَحْنُ نَتَذَاكَرُ، فَقَالَ: «**مَا تَذَاكَرُونَ؟**» قَالُوا: نَذْكُرُ السَّاعَةَ. قَالَ: «**إِنَّهَا لَنْ تَقُومَ حَتَّى تَرَوْنَ قَبْلَهَا عَشْرَ آيَاتٍ** - فَذَكَرَ - **الدُّخَانَ، وَالدَّجَّالَ، وَالدَّابَّةَ، وَطُلُوعَ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَنُزُولَ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ** ﷺ، **وَيَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ، وَثَلَاثَةَ خُسُوفٍ: خَسْفٌ بِالْمَشْرِقِ، وَخَسْفٌ بِالْمَغْرِبِ، وَخَسْفٌ بِجَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَآخِرُ ذَلِكَ نَارٌ تَخْرُجُ مِنَ الْيَمَنِ، تَطْرُدُ النَّاسَ إِلَى مَحْشَرِهِمْ**»[1].

---

= الله عليهم الجوع العظيم حتى أكلوا الميتات والعظام وصاروا يرون الذي بين السماء والأرض كهيئة الدخان وليس به؛ وذلك من شدة الجوع.

فيكون - على هذا - قوله: ﴿يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ﴾ أن ذلك بالنسبة إلى أبصارهم وما يشاهدون وليس بدخان حقيقة.

ولم يزالوا بهذه الحالة حتى استرحموا رسول الله ﷺ وسألوه أن يدعو الله لهم أن يكشفه الله عنهم فدعا ربه فكشفه الله عنهم، وعلى هذا فيكون قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾ إخبارًا بأن الله سيصرفه عنهم وتوعد لهم أن يعودوا إلى الاستكبار والتكذيب وإخبارًا بوقوعه فوقع، وأن الله سيعاقبهم بالبطشة الكبرى، قالوا: وهي وقعة بدر. وفي هذا القول نظر ظاهر.

**وقيل**: إن المراد بذلك أن ذلك من أشراط الساعة وأنه يكون في آخر الزمان دخان يأخذ بأنفاس الناس ويصيب المؤمنين منهم كهيئة الدخان. والقول هو الأول.

وفي الآية احتمال أن المراد بقوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾﴾ أن هذا كله يكون يوم القيامة.

وأن قوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾ أن هذا ما وقع لقريش كما تقدم، وإذا نزلت هذه الآيات على هذين المعنيين لم تجد في اللفظ ما يمنع من ذلك بل تجدها مطابقة لهما أتم المطابقة، وهذا الذي يظهر عندي ويترجح، والله أعلم.

(١) رواه مسلم (٢٩٠١).

### ثانيًا: الخسوفات الثلاثة:

جاء ذكرها في الأحاديث ضمن العلامات الكبرى، فعن حذيفة بن أسيد الغفاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن الساعة لن تقوم حتى تروا عشر آيات... وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق، وخسف بالمغرب، وخسف بجزيرة العرب**»(١).

**قال ابن حجر:** (وقد وُجد الخسف في مواضع، ولكن يحتمل أن يكون المراد بالخسوف الثلاثة قَدْرًا زائدًا على ما وُجد كأن يكون أعظم منه مكانًا أو قدرًا)(٢).

### ثالثًا: الدجال:

يرسله الله ﷻ فتنة للناس، ويعطيه من الآيات كإنزال المطر وإحياء الأرض بالنبات وغيرهما من الخوارق التي تبهر العقول، وتحيّر الالباب من أجل فتنة الناس، ولبيان أهل الإيمان من أهل الكفر، فهي فتنة من أعظم الفتن التي تمر على البشرية عبر تاريخها، فعن أبي الدهماء وأبي قتادة قالا: كنا نمر على هشام بن عامر نأتي عمران بن حصين فقال ذات يوم: إنكم لتجاوزوني إلى رجال ما كانوا بأحضر لرسول الله ﷺ مني ولا أعلم بحديثه مني، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ما بين خلق آدم إلى قيام الساعة خلق أكبر من الدجال**»(٣). وفي رواية: «**أمر أكبر من الدجال**»(٤). من أجل ذلك فإن

---

(١) رواه مسلم (٣٩) (٢٩٠١).

(٢) «فتح الباري» (١٣/ ٨٤)، وانظر: «الإيمان باليوم الآخر» (ص٩٦).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٦) (١٢٦).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٦) (١٢٧).

جميع الأنبياء حذروا أقوامهم من فتنته، ولكن رسولنا ﷺ كان أكثر تحذيرًا لأمته منه، فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما: قام رسول الله ﷺ في الناس فأثنى على الله بما هو أهله، ثم ذكر الدجال، فقال: «**إني لأنذركموه، وما من نبي إلا أنذره قومه، لقد أنذر نوح قومه، ولكني أقول لكم فيه قولًا لم يقله نبي لقومه، تعلمون أنه أعور، وأن الله ليس بأعور**»(١).

وفي «الصحيحين» عن أنس رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «**ما بُعث نبي إلا وأنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب: كافر**»(٢).

وقد أرشد النبي ﷺ أمته إلى ما يعصمها من فتنة المسيح الدجال، فكان يدعو ﷺ في الصلاة، فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا وفتنة الممات، اللهم إني أعوذ بك من المأثم والمغرم**»(٣).

وقال: «**مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ سُورَةِ الْكَهْفِ عُصِمَ مِنَ الدَّجَّالِ**».

وقد سُمي الدجال مسيحًا لأن إحدى عينيه ممسوحة؛ لما جاء في الحديث: «**إن الدجال ممسوح العين**»(٤).

ولفظة «الدجال» أصبحت علمًا على المسيح الأعور الكذاب، فإذا قيل: «الدّجّال»، فلا يتبادر إلى الذهن غيره.

---

(١) رواه البخاري (٣٠٥٧).

(٢) رواه البخاري (٧١٣١)، واللفظ له، ومسلم (٢٩٣٣) بلفظ: (ك ف ر) بدلًا من (كافر)، وانظر: «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٢٤).

(٣) رواه البخاري من حديث عائشة رضي الله عنها (٨٣٢).

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٤) من حديث حذيفة بن أسيد رضي الله عنه.

وسُمي الدجال دجالًا لأنه يغطي الحق بالباطل، أو لأنه يغطي على الناس كفره بكذبه وتمويهه وتلبيسه عليهم. وقيل: لأنه يغطي الأمر بكثرة جموعه(١).

والدجال رجل من بني آدم، له صفات كثيرة جاءت بها الأحاديث لتعريف الناس به وتحذيرهم من شره حتى إذا خرج عرفه المؤمنون فلا يُفتنون به، بل يكونون على علم بصفاته، فلا يغتر به إلا الجاهل الذي سبقت عليه الشقوة، نسأل الله العافية(٢).

**وقد جائت أحاديث تبين صفاته، منها:**

١- قال رسول الله ﷺ: «**إن المسيح الدجال رجل، قصير، أفجع، جعد، أعور، مطموس العين، ليست بناتئة ولا جحراء**»(٣).

٢- قال رسول الله ﷺ: «**الدَّجَّالُ أَعْوَرُ الْعَيْنِ الْيُسْرَى، جُفَالُ الشَّعَرِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، فَنَارُهُ جَنَّةٌ وَجَنَّتُهُ نَارٌ**»(٤).

٣- وقال ﷺ: «**ما بُعث نبي إلا أنذر أمته الأعور الكذاب، ألا إنه أعور، وإن ربكم ليس بأعور، وإن بين عينيه مكتوب: كافر**»(٥).

٤- وعن حذيفة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لأنا أعلم بما مع الدجال منه، معه نهران يجريان: أحدهما رأي العين، ماء أبيض، والآخر رأي العين نار تأجج، فإما أدركن أحد، فليأتِ النهر الذي يراه نارًا وليغمض، ثم ليطأطئ رأسه فيشرب منه فإنه**

---

(١) «لسان العرب» (١١/ ٢٣٦، ٢٣٧)، و«التذكرة» (٢/ ٣٣٠).

(٢) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٩٢)، و«أشراط الساعة» ليوسف الوابل (ص٢١٤).

(٣) رواه أبو داود في «سننه» (٤٣٢٠).

(٤) رواه مسلم (٢٩٣٤).

(٥) رواه البخاري (٧١٣١).

**ماء بارد، وإن الدجال ممسوح العين، عليها ظفرة غليظة، مكتوب بين عينيه: كافر، يقرؤه كل مؤمن، كاتب وغير كاتب»**(١).

وفي رواية: «**إن معه ماء ونارًا، فناره ماء بارد وماؤه نار، فلا تهلكوا**»(٢).

وفي رواية: «**إن الدجال يخرج وإن معه ماء ونارًا، فأما الذي يراه الناس ماء فنار تحرق، وأما الذي يراه الناس نارًا فماء بارد عذب، فمَن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يراه نارًا فإنه ماء عذب طيب**»(٣).

وفي رواية: «**إن معه نهرًا من ماء ونهرًا من نار، فأما الذي ترون أنه نار ماء، وأما الذي ترون أنه ماء نار، فمن أدرك ذلك منكم فأراد الماء فليشرب من الذي يراه أنه نار فإنه سيجده ماء**»(٤).

٥- وفي حديث النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فخفض فيه ورفع حتى ظنناه في طائفة النخل، فلما رحنا إليه عرف ذلك فينا، فقال: «**ما شأنكم؟**» قلنا: يا رسول الله ذكرت الدجال غداة، فخفضت فيه ورفعت حتى ظنناه في طائفة النخل، فقال: «**غير الدجال أخوفني عليكم، إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم، وإن يخرج ولست فيكم فامرؤ حجيج نفسه والله خليفتي على كل مسلم، إنه شاب قطط، عينه طافئة، كأني أشبهه بعبد العزى بن قطن، فمَن أدركه منكم فليقرأ عليه فواتح سورة الكهف، إنه خارج خلة بين الشأم والعراق، فعاث يمينًا وعاث شمالًا، يا عباد الله فاثبتوا**».

---

(١) رواه مسلم (١٠٥) (٢٩٣٤).

(٢) رواه مسلم (١٠٦) (٢٩٣٤).

(٣) رواه مسلم (١٠٧) (٢٩٣٥).

(٤) رواه مسلم (١٠٨) (٢٩٣٥).

قلنا: يا رسول الله وما لبثه في الأرض؟ قال: «**أربعون يومًا، يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، وسائر أيامه كأيامكم**» قلنا: يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسنة، أتكفينا فيه صلاة يوم؟ قال: «**لا، اقدروا له قدره**».

قلنا: يا رسول الله وما إسراعه في الأرض؟ قال: «**كالغيث استدبرته الريح، فيأتي على القوم فيدعوهم فيؤمنون به ويستجيبون له، فيأمر السماء فتمطر، والأرض فتنبت، فتروح عليهم سارحتهم أطول ما كانت ذرًا، وأسبغه ضروعًا، وأمده خواصر، ثم يأتي القوم، فيدعوهم فيردون عليه قوله، فينصرف عنهم، فيصبحون ممحلين ليس بأيديهم شيء من أموالهم، ويمر بالخربة، فيقول لها: أخرجي كنوزك، فتتبعه كنوزها كيعاسيب النحل، ثم يدعو رجلًا ممتلئًا شبابًا، فيضربه بالسيف فيقطعه جزلتين رمية الغرض، ثم يدعوه فيقبل ويتهلل وجهه، يضحك، فبينما هو كذلك إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء شرقي دمشق، بين مهرودتين، واضعًا كفيه على أجنحة ملكين، إذا طأطأ رأسه قطر، وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ، فلا يحل لكافر يجد ريح نفسه إلا مات، ونَفَسه ينتهي حيث ينتهي طرفه، فيطلبه حتى يدركه بباب لد، فيقتله...**»(١).

٦- وفي حديث أبي سعيد الخدري، قال: حدثنا رسول الله ﷺ يومًا حديثًا طويلًا عن الدجال، فكان فيما حدثنا قال: «**يأتي وهو مُحَرَّم عليه أن يدخل نقاب المدينة، فينتهي إلى بعض السباخ التي تلي المدينة، فيخرج إليه يومئذٍ رجل هو خير الناس - أو: من خير الناس - فيقول له: أشهد أنك الدجال الذي حدثنا رسول الله ﷺ حديثه، فيقول الدجال: أرأيتم إن قتلت هذا ثم أحييته، أتشكون في الأمر؟ فيقولون: لا، قال: فيقتله ثم يحييه، فيقول حين يحييه: والله ما كنت فيك قط أشد بصيرة مني الآن. قال: فيريد الدجال أن يقتله فلا يسلط**

---

(١) رواه مسلم (١١٠) (٢٩٣٧).

**عليه»**[١].

وفي رواية: «**يخرج الدجال فيتوجه قِبله رجل من المؤمنين، فتلقاه المسالح – مسالح الدجال – فيقولون له: أين تعمد؟ فيقول: أعمد إلى هذا الذي خرج. قال: فيقولون له: أو ما تؤمن بربنا؟ فيقول: ما بربنا خفاء. فيقولون: اقتلوه. فيقول بعضهم لبعض: أليس قد نهاكم ربكم أن تقتلوا أحدًا دونه. قال: فينطلقون به إلى الدجال، فإذا رآه المؤمن، قال: يا أيها الناس، هذا الدجال الذي ذكر رسول الله ﷺ. قال: فيأمر الدجال به فيشبح، فيقول: خذوه وشجوه. فيوسع ظهره وبطنه ضربًا، قال: فيقول: أو ما تؤمن بي؟ قال: فيقول: أنت المسيح الكذاب. قال: فيؤمر به فيؤشر بالمئشار من مفرقه حتى يفرق بين رجليه. قال: ثم يمشي الدجال بين القطعتين، ثم يقول له: قم. فيستوي قائمًا، قال: ثم يقول له: أتؤمن بي؟ فيقول: ما ازددت فيك إلا بصيرة. قال: ثم يقول: يا أيها الناس، إنه لا يفعل بعدي بأحد من الناس. قال: فيأخذه الدجال ليذبحه، فيجعل ما بين رقبته إلى ترقوته نحاسًا، فلا يستطيع إليه سبيلًا. قال: فيأخذ بيديه ورجليه فيقذف به، فيحسب الناس أنما قذفه إلى النار، وإنما ألقي في الجنة**» فقال رسول الله ﷺ: «**هذا أعظم الناس شهادة عند رب العالمين**»[٢].

وفي حديث عن المغيرة بن شعبة، قال: ما سأل أحد النبي ﷺ عن الدجال أكثر مما سألت، قال: «**وما ينصبك منه؟ إنه لا يضرك**» قال: قلت: يا رسول الله إنهم يقولون: إن معه الطعام والأنهار. قال: «**هو أهون على الله من ذلك**»[٣].

---

(١) رواه البخاري (٧١٣٢)، ومسلم (١١٢) (٢٩٣٨).

(٢) رواه مسلم (١١٣) (٢٩٣٨).

(٣) رواه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (١١٤) (٢٩٣٩).

**قال القاضي:** معناه: هو أهون على الله من أن يجعل ما خلقه الله تعالى على يده مضلًّا للمؤمنين ومشككًا لقلوبهم، بل إنما جعله له ليزداد الذين آمنوا إيمانًا ويُثبت الحجة على الكافرين والمنافقين(١).

**وقال النووي: قال القاضي:** هذه الأحاديث التي ذكرها مسلم وغيره في قصة الدجال حجة لمذهب أهل الحق في صحة وجوده، وأنه شخص بعينه ابتلى الله به عباده وأقدره على أشياء من مقدورات الله تعالى؛ من إحياء الميت الذي يقتله ومن ظهور زهرة الدنيا والخصب معه وجنته وناره ونهريه واتباع كنوز الأرض له وأمره السماء أن تمطر فتمطر والأرض أن تنبت فتنبت، فيقع كل ذلك بقدرة الله تعالى ومشيئته، ثم يعجزه الله تعالى بعد ذلك فلا يقدر على قتل ذلك الرجل ولا غيره ويبطل أمره ويقتله عيسى ﷺ ويُثبت الله الذين آمنوا.

هذا مذهب أهل السنة وجميع المحدثين والفقهاء والنظار، خلافا لمن أنكره وأبطل أمره من الخوارج والجهمية وبعض المعتزلة، وخلافًا للبخاري المعتزلي وموافقيه من الجهمية وغيرهم في أنه صحيح الوجود ولكن الذى يدعى مخارف وخيالات لاحقائق لها، وزعموا أنه لو كان حقًّا لم يوثق بمعجزات الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم.

وهذا غلط من جميعهم لأنه لم يَدَّعِ النبوة فيكون ما معه كالتصديق له، وإنما يدعي الإلهية وهو في نفس دعواه مكذب لها بصورة حاله ووجود دلائل الحدوث فيه ونقص صورته وعجزه عن إزالة العور الذي في عينيه وعن إزالة الشاهد بكفره المكتوب بين عينيه.

ولهذه الدلائل وغيرها لايغتر به إلا رعاع من الناس لسد الحاجة والفاقة

---

(١) «شرح النووي على مسلم» (١٨/ ٧٤).

رغبة في سد الرمق أو تقية وخوفًا من أذاه لأن فتنته عظيمة جدًّا تدهش العقول وتحير الألباب مع سرعة مروره فى الأمر فلا يمكث بحيث يتأمل الضعفاء حاله ودلائل الحدوث فيه والنقص فيصدقه من صدقه في هذه الحالة.

ولهذا حذرت الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين من فتنته ونبهوا على نقصه ودلائل إبطاله.

وأما أهل التوفيق فلا يغترون به ولا يُخدعون لما معه لما ذكرناه من الدلائل المكذبة له مع ما سبق لهم من العلم بحاله؛ ولهذا يقول له الذي يقتله ثم يحييه: «ما ازددت فيك إلا بصيرة»[(١)] اهـ.هذا آخر كلام القاضي رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

### رابعًا: المهدي:

**حقيقة المهدي:** جاءت الأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور المهدي، وهذه الأحاديث منها ما جاء فيه النص على المهدي، ومنها ما جاء فيه ذكر صفته فقط، فمن هذه الأحاديث:

١- عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجل، أو حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي**» - أَوْ: **مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي**» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «**يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا**»[(٢)].

---

(١) «شرحه على مسلم» (١٨/ ٥٨).

(٢) رواه أبو داود (٤٢٨٢)، والترمذي (٢٢٣٠) من حديث ابن مسعود وقال الترمذي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: وفي الباب عن علي، وأبي سعيد، وأم سلمة، وأبي هريرة، وهذا حديث حسن صحيح. وقال الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حسن صحيح.

٢ - وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج في آخر أمتي المهدي، يسقيه الله الغيث، وتخرج الأرض نباتها، ويعطي المال صحاحًا، وتكثر الماشية، وتعظم الأمة، يعيش سبعًا، أو ثمانيًا - يعني حججًا -**»(١).

٣ - وعن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**المهدي منا أهل البيت يُصلحه الله في ليلة**»(٢).

**قال ابن كثير:** (أي: يتوب عليه ويوفقه ويلهمه ويرشده بعد أن لم يكن كذلك)(٣).

٤ - وعن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: «**منا الذي يصلي عيسى بن مريم خلفه**»(٤).

٥ - وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**كيف أنتم إذا نزل ابن مريم فيكم، وإمامكم منكم؟**»(٥).

٦ - وعن جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة**». قال، «**فينزل عيسى بن مريم ﷺ فيقول أميرهم: تَعَالَ صَلِّ لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء. تكرمة الله**

---

(١) رواه الحاكم (٤/ ٦٠١)، وقال الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٧١١): إسناده صحيح رجاله ثقات.

(٢) رواه ابن ماجه (٣٣١٦)، وأحمد (١/ ٨٤) (٦٤٥). قال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٢/ ٥٨): إسناده صحيح. وحسنه الألباني في «صحيح سنن ابن ماجه».

(٣) «النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ٢٩).

(٤) رواه أبو نعيم في «الأربعون في المهدي» (٦٤)، وصححه الألباني في «سلسلة الأحاديث الصحيحة» (٢٢٩٣).

(٥) رواه البخاري (٣٤٤٩)، ومسلم (١٥٥).

**هذه الأمة»**[١].

٧ - وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**يكون في آخر أمتي خليفة يحثي المال حثيًا لا يعده عدد**».

قال الجريري - أحد رواة الحديث -: قلت لأبي نضرة وأبي العلاء: تريان أنه عمر بن عبد العزيز؟ فقالا: لا[٢].

**هذه الأحاديث التي وردت في الصحيحين تدل على أمرين:**

**أحدهما:** أنه عند نزول عيسى بن مريم - عليه الصلاة والسلام - من السماء يكون المتولي لإمرة المسلمين رجلًا منهم.

**والثاني:** أن حضور أميرهم للصلاة، وصلاته بالمسلمين وطلبه من عيسى عليه السلام عند نزوله أن يتقدم ليصلي لهم - يدل على صلاح في هذا الأمير وهدى.

وهذه الأحاديث وإن لم يكن فيها التصريح بلفظ المهدي إلا أنها تدل على صفات رجل صالح يؤم المسلمين في ذلك الوقت.

وقد جاءت الأحاديث في السنن والمسانيد وغيرها مفسرة لهذه الأحاديث التي في الصحيحين، ودالة على أن ذلك الرجل الصالح يسمى محمد بن عبد الله ويقال له المهدي، والسنة يفسر بعضها بعضًا.

ومن الأحاديث الدالة على ذلك: الحديث الذي رواه الحارث بن أبي أسامة في مسنده عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**ينزل عيسى بن مريم فيقول أميرهم المهدي**» فهو دال على أن ذلك الأمير المذكور في صحيح مسلم الذي طلب من عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام أن يتقدم للصلاة

(١) رواه مسلم (١٥٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩١٣).

يقال له المهدي.

وقد أورد الشيخ صِديق حسن في كتابه «الإذاعة» جملة كبيرة من أحاديث المهدي، جعل آخرها حديث جابر المذكور عند مسلم، ثم قال عقبه: (وليس فيه ذكر المهدي، ولكن لا محمل له ولأمثاله من الأحاديث إلا المهدي المنتظر كما دلت على ذلك الأخبار المتقدمة والآثار الكثيرة)[١].

## كلام أهل العلم في إثبات حقيقة المهدي[٢]:

**قال العلامة أبو الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي:** اعلم أن المشهور بين الكافة من أهل الإسلام على مر الأعصار - أنه لابد في آخر الزمان من ظهور رجل من أهل البيت يؤيد الدين، ويُظهر العدل، ويتبعه المسلمون، ويستولي على الممالك الإسلامية، ويسمى بالمهدي، ويكون خروج الدجال وما بعده من أشراط الساعة الثابتة في الصحيح على أثره، وأن عيسى عليه السلام ينزل من بعده فيقتل الدجال، أو ينزل معه فيساعده على قتله، ويأتم بالمهدي في صلاته.

وخرج أحاديث المهدي جماعة من الأئمة، منهم: أبو داود، والترمذي، وابن ماجه، والبزار، والحاكم، والطبراني، وأبو يعلى الموصلي، وأسندوها إلى جماعة من الصحابة؛ مثل: علي، وابن عباس، وابن عمر، وطلحة، وعبد الله بن مسعود، وأبي هريرة، وأنس، وأبي سعيد الخدري، وأم حبيبة، وأم سلمة، وثوبان، وقرة بن إياس، وعلي الهلالي، وعبد الله

---

(١) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (ص١٩٥)، و«الإيمان باليوم الآخر» للصلابي (ص٩١)، و«الموسوعة العقدية» (٤/ ٢٢٣).

(٢) «الرسالة في الفتن والملاحم وأشراط الساعة» لماهر بن صالح آل مبارك (ص٨٩)، وانظر: «الموسوعة العقدية» (٤/ ٢٢٣).

ابن الحارث بن جزء رضي الله عنهم.

وإسناد أحاديث هؤلاء بين صحيح وحسن وضعيف. وقد بالغ الإمام المؤرخ عبد الرحمن بن خلدون المغربي في تاريخه في تضعيف أحاديث المهدي كلها فلم يصب بل أخطأ)[١].

**قال القاضي الشوكاني في الفتح الرباني:** (الذي أمكن الوقوف عليه من الأحاديث الواردة في المهدي المنتظر خمسون حديثًا وثمانية وعشرون أثرًا - ثم سردهما مع الكلام عليها ثم قال: - وجميع ما سقناه بالغ حد التواتر كما لا يخفى على من له فضل اطلاع). اهـ.

**وقال الإمام أبو الحسن محمد بن الحسين الآبري في كتاب (مناقب الشافعي):** (وقد تواترت الأخبار واستفاضت عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بذكر المهدي وأنه من أهل بيته، وأنه يملك سبع سنين، وأنه يملأ الأرض عدلًا، وأن عيسى يخرج فيساعده على قتل الدجال، وأنه يؤم هذه الأمة ويصلي عيسى خلفه). اهـ.

**قال المحدث الناقد أبو العلاء السيد إدريس بن محمد بن إدريس العراقي الحسيني في تأليف له في المهدي ما نصه:** (أحاديث المهدي متواترة - أو كادت - وجزم بالأول غير واحد من الحفاظ النقاد). اهـ.

**قال الشوكاني في تأليف له سماه (التوضيح في تواتر ما جاء في المنتظر والدجال والمسيح):** (والأحاديث الواردة في المهدي التي أمكن الوقوف عليها منها خمسون حديثًا فيها الصحيح، والحسن، والضعيف المنجبر، وهي متواترة بلا شك ولا شبهة، بل يَصْدق وصف التواتر على ما دونها على جميع الاصطلاحات المحررة في الأصول، وأما الآثار عن الصحابة المصرحة

---

(١) راجع كتاب «عون المعبود شرح سنن أبي داود» (١١/ ٣٦١، ٣٦٢).

بالمهدي فهي كثيرة أيضًا لها حكم الرفع إذ لا مجال للاجتهاد في مثل ذلك)[(١)] اهـ.

**قال المحدث أبو الطيب صِديق حسن الحسيني البخاري في كتاب «الإذاعة»:** (والأحاديث الواردة في المهدي - على اختلاف رواياتها كثيرة جدًّا تبلغ حد التواتر، وهي في السنن وغيرها من دواوين الإسلام من المعاجم والمسانيد).

**وقال أيضًا بعد كلام له ما نصه:** (وأحاديث المهدي بعضها صحيح، وبعضها حسن، وبعضها ضعيف، وأمره مشهور بين الكافة من أهل الإسلام على ممر الأعصار). اهـ.

**وقال العلامة أبو عبد الله محمد جسوس في شرح «رسالة أبي زيد» ما نصه:** (ورد خبر المهدي في أحاديث ذكر السخاوي أنها وصلت إلى حد التواتر). اهـ.

**وقال الحافظ ابن كثير في نهاية «البداية والنهاية» (١/ ٣٧):** (فصل في ذكر المهدي الذي يكون في آخر الزمان، وهو أحد الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين، وليس بالمنتظر الذي تزعم الروافض وترتجي ظهوره من سرداب في سامرا؛ فإن ذاك ما لا حقيقة له ولا عين ولا أثر.. وأما ما سنذكره فقد نطقت به الأحاديث المروية عن رسول الله ﷺ أنه في آخر الدهر، وأظن ظهوره يكون قبل نزول عيسى بن مريم كما دلت على ذلك الأحاديث...) ثم ذكر الحافظ ابن كثير بعض ما ورد في ظهور المهدي من الآثار. اهـ.

**وقال السفاريني في عقيدته المسماة بـ(الدرة المضية في عقيدة الفرقة المرضية):**

**وما أتى في النص من أشراط فكله حق بلا شطاط**

(١) راجع كتاب «الإذاعة لما كان وما يكون بين يدي الساعة» (ص١٢٤).

منهـا الإمام الخاتم الفصيح مـحـمـد المهـدي والمسيح

**وقال أيضًا في شرحها:** (كثرت أقوال في المهدي حتى قيل: «لا مهدي إلا عيسى»، والصواب الذي عليه أهل الحق: أن المهدي غير عيسى، وأنه يخرج قبل نزول عيسى عليه السلام، وقد كثرت بخروجه الروايات حتى بلغت حد التواتر المعنوي، وشاع ذلك بين علماء السنة حتى عُد من معتقداتهم - ثم ذكر بعض الأحاديث الواردة فيه من طريق جماعة من الصحابة ثم قال: - وقد رُوي عمن ذُكر من الصحابة وغير من ذُكر منهم بروايات متعددة، وعن التابعين من بعدهم - مما يفيد مجموعه العلم القطعي، فالإيمان بخروج المهدي واجب كما هو مقرر عند أهل العلم ومدون في عقائد أهل السنة والجماعة). اهـ.

**وقال صاحب كتاب «الإذاعة» (ص١٢٤):** (وقد جمع السيد العلامة بدر الملة المنير محمد بن إسماعيل الأمير اليماني - الأحاديث القاضية بخروج المهدي، وأنه من آل محمد صلى الله عليه وسلم، وأنه يظهر في آخر الزمان) ثم قال: (ولم يأتِ تعيين زمنه إلا أنه يخرج قبل الدجال). اهـ.

**وقال أيضًا:** (ونَقَل العلامة الشيخ مرعي في كتابه «فوائد الفكر» عن محمد بن الحسين أنه قال: قد تواترت الأحاديث واستفاضت بكثرة رواتها عن المصطفى صلى الله عليه وسلم بمجيء المهدي، وأنه من أهل بيته صلى الله عليه وسلم). اهـ.

**وقال الحافظ في «فتح الباري شرح صحيح البخاري» (١٣/ ٨٢) أثناء شرحه لحديث: «تصدقوا فسيأتي على الناس زمان يمشي الرجل بصدقته فلا يجد من يقبلها»[1]. فذكر الحافظ احتمالات تعلق هذا الحديث بالباب الذي قبله وهو باب**

---

(١) رواه البخاري (١٤١١)، ومسلم (١٠١١) من حديث حارثة بن وهب رضي الله عنه.

**خروج النار فقال** رَحِمَهُ اللهُ: (وتعلقه به من جهة الاحتمال الذي تقدم، وهو أن ذلك يقع في الزمان الذي يستغني فيه الناس عن المال، إما لاشتغال كل منهم بنفسه عن طروق الفتنة، فلا يلوي على الأهل فضلًا عن المال، وذلك في زمن الدجال، وإما بحصول الأمن المفرط والعدل البالغ بحيث يستغني كل أحد بما عنده عما في يد غيره، وذلك في زمن المهدي وعيسى بن مريم، وإما عند ظهور النار التي تسوقهم إلى المحشر). اهـ.

**وقال شيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ اللهُ **في «منهاج السنة النبوية» (٤/٢١١):** (الأحاديث التي يُحتج بها على خروج المهدي أحاديث صحيحة رواها أبو داود، والترمذي، وأحمد، وغيرهم من حديث ابن مسعود وغيره.

ثم ذكر شيخ الإسلام روايات ابن مسعود، وأم سلمة، وأبي سعيد، وعلي رضي الله عنهم جميعًا.

**وقال الشيخ العلامة عبد العزيز بن باز** رَحِمَهُ اللهُ: أَمْر المهدي معلوم، والأحاديث فيه مستفيضة، بل متواترة متعاضدة، وقد حكى غير واحد من أهل العلم تواترها، وتواترها تواتر معنوي؛ لكثرة طرقها، واختلاف مخارجها وصحابتها ورواتها وألفاظها، فهي بحق تدل على أن هذا الشخص الموعود به أمره ثابت وخروجه حق، وهو محمد بن عبد الله العلوي الحسني، من ذرية الحسن بن عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وهذا الإمام من رحمة الله عَزَّ وَجَلَّ بالأمة في آخر الزمان، يخرج فيقيم العدل والحق، ويمنع الظلم والجور، وينشر الله به لواء الخير على الأمة عدلًا وهداية وتوفيقًا وإرشادًا للناس[١].

---

(١) «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٠٦).

**وقال أيضًا:** (أما إنكار المهدي المنتظر بالكلية كما زعم ذلك بعض المتأخرين فهو قول باطل؛ لأن أحاديث خروجه في آخر الزمان، وأنه يملأ الأرض عدلًا وقسطًا كما ملئت جورًا - قد تواترت تواترًا معنويًّا، وكثرت جدًّا واستفاضت، كما صرح بذلك جماعة من العلماء، من بينهم: أبو الحسن الآبري السجستاني من علماء القرن الرابع، والعلامة السفاريني، والعلامة الشوكاني وغيرهم، وهو كالإجماع من أهل العلم، ولكن لا يجوز الجزم بأن فلانًا هو المهدي إلا بعد توافر العلامات التي بَيَّنها النبي ﷺ في الأحاديث الثابتة، وأعظمها وأوضحها كونه يملأ الأرض قسطًا وعدلًا كما مُلئت جورًا وظلمًا)[1]اهـ.

**ويقول الشيخ مصطفى العدوي حفظه الله:** المهدي توسع فيه المتوسعون، ونفاه أيضًا آخرون، والتوسط فيه: ما ورد عن رسول الله ﷺ، وكل الوارد فيه أحاديث محصورة محدودة جدًّا، منها: قول النبي ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى يخرج رجلًا يواطئ اسمه اسمي واسم أبيه يواطئ اسم أبي، يملأ الأرض قسطًا وعدلًا بعد أن ملئت ظلمًا وجورًا**»، وهذا الحديث ليس فيه ذكر اسم المهدي.

والحديث الثاني في صحيح مسلم: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم وإمامكم منكم؟**» ففي الحديث أن إمامنا يأتي يقدم عيسى عليه الصلاة والسلام للصلاة بالناس فيقول عيسى: لا، بعضكم على بعض أئمة، كرامة من الله ﷻ لهذه الأمة.

وحديث ثالث في نفس المعنى.

فهذا الذي يحضرني في شأن المهدي. وقد زاد ناس جملة أحاديث أخر في غاية الكثرة في شأن المهدي ولم تثبت عن رسول الله ﷺ، وآخرون نفوا

(١) «جريدة عكاظ» (١٨ محرم ١٤٠٠هـ).

كل الأحاديث متبعين الظن وتاركي سنة النبي ﷺ، والصواب التوسط فيه والوقوف مع الوارد عن رسول الله ﷺ، فمثلًا: جاءت أوصاف في شأن المهدي (أنه أقنى الأنف، وأجلى الجبهة) لكن هذا الحديث لا يثبت عن رسول الله عليه الصلاة والسلام، وأكثر الأوصاف التي وردت فيه لا تثبت عن رسول الله ﷺ، وورد حديث آخر: «**إذا رأيتم الرايات السود مقبلة من قِبل خراسان، فاعلموا أن فيها خليفة الله المهدي**» الحديث من ناحية الإسناد، إسناده ثابت، لكن بعض أهل العلم يرى أن به بعض العلل(١).

### خامسًا: خروج الدابة:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ﴾ [النمل: ٨٢]. فهذه الآية الكريمة جاء فيها ذكر خروج الدابة، وأن ذلك يكون عند فساد الناس، وتركهم أوامر الله، وتبديلهم الدين الحق، يُخرج لهم دابة من الأرض، فتكلّم الناس على ذلك(٢).

**قال العلماء في معنى قوله تعالى:** ﴿وَقَعَ ٱلْقَوْلُ﴾ [النَّمل: الآية ٨٢]: أي: وجب الوعيد عليهم؛ لتماديهم في العصيان والفسوق والطغيان، وإعراضهم عن آيات الله وتركهم تدبرها، والنزول على حكمها، وانتهائهم في المعاصي إلى ما لا ينجح معه فيه موعظة، ولا يصرفهم عن غيهم تذكرة، يقول عز من قائل فإذا صاروا كذلك: ﴿أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَآبَّةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ﴾ [النَّمل: الآية ٨٢]، أي: دابة تعقل وتنطق، والدواب في العادة لا كلام لها ولا عقل؛ ليعلم الناس أن ذلك آية من عند الله(٣).

---

(١) «سلسلة التفسير» (٨٨/ ١٠).

(٢) «أشراط الساعة» (ص٤٠٤).

(٣) «التذكرة» (ص٦٩٧) نقلًا عن «أشراط الساعة» (ص٤٠٤).

روى مسلم في صحيحه[1] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**بادِروا بالاعمال ستًّا: الدجال، والدخان، ودابة الأرض، وطلوع الشمس من مغربها، وأمر العامة، وخويصة أحدكم**»[2].

## سادسًا: نزول عيسى عليه السلام:

نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان ثابت في الكتاب والسنة الصحيحة المتواترة، وذلك علامة من علامات الساعة الكبرى:

١- قال تعالى: ﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾﴾ . . . ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾﴾ [الزخرف: ٥٧ - ٦١].

**قال الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦٣١)**: اختلف أهل التأويل في الهاء التي في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ وما المعنيّ بها، ومن ذكر ما هي: فقال بعضهم: هي من ذكر عيسى، وهي عائدة عليه. وقالوا: معنى الكلام: وإن عيسى ظهوره علم يُعلم به مجيء الساعة؛ لأن ظهوره من أشراطها ونزوله إلى الأرض دليل على فناء الدنيا وإقبال الآخرة.

**وقال البغوي في «تفسيره» (٧/ ٢١٩)**: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ يعني عيسى عليه السلام، ﴿لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ يعني نزوله من أشراط الساعة يُعلم به قربها، وقرأ ابن عباس وأبو هريرة وقتادة: «وإنه لعَلَم للساعة» بفتح اللام والعين، أي: أمارة وعلامة. وروينا عن النبي ﷺ: «**ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عادلاً، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية، وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام**». ويروى: «**أنه ينزل على ثنية بالأرض المقدسة، وعليه ممصرتان، وشعر رأسه دهين، وبيده حربة**

---

(١) برقم (٢٩٤٧).

(٢) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٨٤).

**وهي التي يقتل بها الدجال، فيأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر، فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد ﷺ، ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب، ويخرب البِيَع والكنائس، ويقتل النصارى إلا من آمن به»**.

**ويقول الشيخ مصطفى العدوي في «تفسيره» (٦٢/ ١٢)**: قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ﴾، للعلماء فيها قولان: الأول: أنها راجعة إلى عيسى، وأن نزوله من علامات القيامة، وأن مبعثه ومخرجه علامة على اقتراب الساعة. الثاني: من العلماء من قال: هي راجعة إلى الرسول. لكن القول الأول هو الأشهر.

٢- وقال تعالى: ﴿وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٧، ١٥٩].

هذه الآيات، كما أنها تدل على أن اليهود لم يقتلوا عيسى عليه السلام، ولم يصلبوه، بل رفعه الله إلى السماء، كما في قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: الآية ٥٥]، فإنها تدل على أن من أهل الكتاب من سيؤمن بعيسى عليه السلام آخر الزمان وذلك عند نزوله[(١)].

كما جاءت بذلك الأحاديث المتواترة الصحيحة.

ما أخبرنا رسول الله ﷺ بنزوله فقال: **«ينزل عيسى بن مريم عند المنارة البيضاء شرقي دمشق»**[(٢)].

---

(١) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٨٥)، و«أشراط الساعة» (ص٣٤٢).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٢١) من حديث النواس بن سمعان الكلابي. والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: صحيح. والحديث أصله =

وقد وصف لنا الرسول ﷺ حاله عند نزوله فقال: «**ليس بيني وبين عيسى نبي، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه رجل مربوع على الحمرة والبياض، ينزل بين ممصرتين كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل**»[١].

ويكون نزوله في وقت اصطف فيه المقاتلون المسلمون لصلاة الفجر، عن جابر بن عبدالله قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق ظاهرين إلى يوم القيامة** - قال - **فينزل عيسى ابن مريم** ﷺ **فيقول أميرهم: تَعَالَ صَلِّ لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء. تكرمة الله هذه الأمة**»[٢].

ويحكم بعد نزوله بكتاب الله تبارك وتعالى، عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**كيف أنتم إذا نزل فيكم ابن مريم فأمَّكم منكم؟**». وقد قال أحد رواة الحديث وهو ابن أبي ذئب للوليد بن مسلم: تدري ما أمكم منكم؟ قال: تخبرني. قال: فأمكم بكتاب ربكم تبارك وتعالى وسنة نبيكم ﷺ[٣].

ويقتل الدجال، وهو أول عمل يقوم به بعد نزوله... ويبقى عيسى في الأرض أربعين عامًا كما ثبت ذلك عن أبي هريرة: «فيمكث في الأرض أربعين سنة ثم يُتوفى ويصلي عليه المسلمون»[٤].

---

= في (الصحيح).

(١) رواه أبو داود (٤٣٢٤)، وأحمد (٢/ ٤٣٧) (٩٦٣٠)، وابن حبان (١٥/ ٢٣٣)، والحاكم (٢/ ٦٥١)، والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: صحيح.

(٢) رواه مسلم (١٥٦).

(٣) رواه مسلم (١٥٥).

(٤) رواه أبو داود (٤٣٢٤)، وأحمد (٢/ ٤٠٦) (٩٢٥٩)، وابن حبان (١٥/ ٢٣٣) =

أخرج الشيخان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكمًا عدلًا، فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية**»[(١)] الحديث. وفي رواية لمسلم عنه: «**والله لينزلن ابن مريم حكمًا عادلًا فليكسرن الصليب**»[(٢)] بنحوه.

وأخرج مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحق، ظاهرين إلى يوم القيامة**» قال: «**فينزل عيسى ابن مريم، فيقول أميرهم: تَعَالَ صَلِّ لنا. فيقول: لا، إن بعضكم على بعض أمراء. تكرمة الله هذه الأمة**»[(٣)][(٤)].

**قال العلامة في «البهجة»:** (هو - أي: نزول عيسى - ثابت بالكتاب والسنة وإجماع الأمة:

أما الكتاب فقوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ [النِّساء: الآية ١٥٩] أي: ليؤمنن بعيسى قبل موت عيسى، وذلك عند نزوله من السماء آخر الزمان، حتى تكون الملة واحدة، ملة إبراهيم حنيفًا مسلمًا.

وأما السنة فلا نزاع فيها.

وأما الإجماع فقد أجمعت الأمة على نزوله ولم يخالف فيه أحد من أهل

= والحاكم (٢/ ٦٥١)، والحديث سكت عنه أبو داود. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقال الألباني في «صحيح سنن أبي داود»: صحيح.

(١) رواه البخاري (٢٢٢٢)، ومسلم (١٥٥).

(٢) رواه مسلم (١٥٥).

(٣) (١٥٦).

(٤) «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٥٩)، و«الإيمان باليوم الآخر» (ص٨٥)، و«الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٤/ ٢٥٧).

الشريعة، وإنما أنكر ذلك الفلاسفة والملاحدة، وقد انعقد إجماع الأمة على أنه متبع لهذه الشريعة المحمدية، وليس بصاحب شريعة مستقلة عند نزوله من السماء، وإن كانت النبوة قائمة به، ويتسلم الأمر من المهدي، ويكون المهدي مع أصحاب الكهف الذين هم من أتباع المهدي، كما مر من جملة أتباعه ويصلي عيسى وراء المهدي صلاة الصبح كما تقدم، وذلك لا يقدح في نبوته، ويُسَلم المهدي الأمر لعيسى عليه السلام وكل ما معه من تابوت بني إسرائيل، ويقتل الدجال)[1].

### سابعًا: يأجوج ومأجوج:

خروج يأجوج ومأجوج في آخر الزمان علامة من علامات الساعة الكبرى، وقد دلّ على ظهورهم الكتاب والسنة:

١- قال تعالى في سياقه لقصة ذي القرنين: ﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِي ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ قَالَ ٱنفُخُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ﴿٩٦﴾ فَمَا ٱسْطَٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا ﴿٩٧﴾ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ﴿٩٨﴾ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: ٩٢- ٩٩].

٢- وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا

---

(١) «البحور الزاخرة في علوم الآخرة» لمحمد بن أحمد السفاريني (٢/ ٦١٣).

قَدْ كُنَّا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ [الأنبياء: ٩٦، ٩٧].

فهذه الآيات تدل على أن الله تعالى سَخَّر ذا القرنين الملك الصالح لبناء السد العظيم؛ ليحجز بين يأجوج ومأجوج القوم المفسدين في الأرض وبين الناس، فإذا جاء الوقت المعلوم واقتربت الساعة، اندكّ هذا السد، وخرج يأجوج ومأجوج بسرعة عظيمة، وجمع كبير لا يقف أمامه أحد من البشر، فماجوا في الناس وعاثوا في الأرض فسادًا. وهذا علامة على قرب النفخ في الصور، وخراب الدنيا، وقيام الساعة[(١)].

**قال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ١٩٩):** ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي﴾ [الكهف: الآية ٩٨] أي: إذا اقترب الوعد الحق ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: الآية ٩٨] أي: ساواه بالأرض. تقول العرب: ناقة دكاء: إذا كان ظهرها مستويًا لا سنام لها. وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكًّا﴾ [الأعراف: الآية ١٤٣] أي: مساويًا للأرض. وقال عكرمة في قوله: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ﴾ [الكهف: الآية ٩٨] قال: طريقًا كما كان. ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا﴾ [الكهف: الآية ٩٨] أي: كائنًا لا محالة.

وقوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: الآية ٩٩] أي: الناس يومئذٍ، أي: يوم يُدك هذا السد ويخرج هؤلاء فيموجون في الناس ويفسدون على الناس أموالهم ويتلفون أشياءهم، وهكذا قال السدي في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: الآية ٩٩] قال: ذاك حين يخرجون على الناس.

وهذا كله قبل يوم القيامة وبعد الدجال، كما سيأتي بيانه إن شاء الله تعالى عند قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ﴾ [الأنبيا: ٩٦، ٩٧] وهكذا قال هاهنا: ﴿۞

---

(١) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٨٨)، و«أشراط الساعة» (ص٣٧١).

وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ ۖ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: الآية ٩٩] قال ابن زيد في قوله: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ [الكهف: الآية ٩٩] قال: هذا أول يوم القيامة، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ﴾ [الكهف: الآية ٩٩] على أثر ذلك ﴿فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: الآية ٩٩].

**والأحاديث الصحيحة الدالة على ظهور يأجوج ومأجوج كثيرة، منها:**

فعن حذيفة بن أسيد الغفاري، قال: اطلع النبي ﷺ علينا ونحن نتذاكر، فقال: «**ما تذاكرون؟**» قالوا: نذكر الساعة. قال: «**إنها لن تقوم حتى ترون قبلها عشر آيات...ويأجوج ومأجوج...**»(١).

وعن أم حبيبة بنت أبي سفيان، وعن زينب بنت جحش، رضي الله عنهن، أن النبي ﷺ دخل عليها فزعًا يقول: «**لا إله إلا الله، ويل للعرب من شر قد اقترب، فُتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه**» وحلق بإصبعه الإبهام والتي تليها، قالت زينب بنت جحش: فقلت: يا رسول الله أنهلك وفينا الصالحون؟! قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»(٢).

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ليحجن البيت وليعتمرن بعد خروج يأجوج ومأجوج**»، تابعه أبان، وعمران عن قتادة، وقال عبد الرحمن، عن شعبة: «**لا تقوم الساعة حتى لا يحج البيت**»(٣).

وعن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، فذكر فتنته. . . قال: «**ويبعث الله يأجوج ومأجوج وهم من كل حدب ينسلون**»، وفي رواية: «**فإني قد أنزلت عبادًا لي، لا يدي لأحد بقتالهم فيمر أوائلهم على**

(١) رواه مسلم (٣٩ - ٢٩٠١).

(٢) رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

(٣) رواه البخاري (١٥٩٣).

**بحيرة طبرية فيشربون ما فيها، ويمر آخرهم فيقولون: لقد كان بهذه مرة ماء، ويحصر نبي الله عيسى وأصحابه، حتى يكون رأس الثور لأحدهم خيرًا من مائة دينار لأحدكم اليوم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه، فيرسل الله عليهم النغف في رقابهم، فيصبحون فرسى كموت نفس واحدة، ثم يهبط نبي الله عيسى وأصحابه إلى الأرض، فلا يجدون في الأرض موضع شبر إلا ملأه زهمهم ونتنهم، فيرغب نبي الله عيسى وأصحابه إلى الله، فيرسل الله طيرًا كأعناق البخت فتحملهم فتطرحهم حيث شاء الله...»**[(١)].

وفي رواية: «**ثم يسيرون حتى ينتهوا إلى جبل الخمر، وهو جبل بيت المقدس، فيقولون: لقد قتلنا من في الأرض هلم فلنقتل من في السماء!! فيرمون بنشابهم إلى السماء، فيرد الله عليهم نشابهم مخضوبة دمًا**»[(٢)].

### ثامنًا: طلوع الشمس من مغربها:

إن طلوع الشمس من مغربها من أعظم أشراط الساعة الكبرى وبه يُغلق باب التوبة، وقد ذكره الله تعالى في قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِىَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ ۗ يَوْمَ يَأْتِى بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِىٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا ۗ قُلِ ٱنتَظِرُوٓا۟ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد دلت الأحاديث الصحيحة على أن المراد ببعض الآيات المذكورة في الآية هو طلوع الشمس من مغربها، وهو قول أكثر المفسرين[(٣)].

**قال الطبري بعد ذكره لأقوال المفسرين في هذه الآية:** وأَوْلى الأقوال بالصواب في ذلك ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**ذلك**

---

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) رواه مسلم (١١١ - ٢٩٣٧).

(٣) «أشراط الساعة» (ص٣٩١).

**حين تطلع الشمس من مغربها»**[١].

والأحاديث الدالة على طلوع الشمس من مغربها كثيرة، منها: قال رسول الله ﷺ: «**لا تقوم الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت فرآها الناس، آمنوا أجمعون، فذاك حين لا ينفع نفسًا إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرًا**»[٢].

### تاسعًا: عبادة الأوثان في آخر الزمان:

وهو ما يترتب على دروس الإسلام ورفع القرآن وفناء الأخيار، فتطيع البشرية الشيطان وتعبد الأوثان.

ففي حديث عبدالله بن عمرو: «**ثم يرسل الله ريحًا باردة من قِبل الشام فلا يبقى على وجه الأرض أحد في قلبه مثقال ذرة من خير أو إيمان إلا قبضته، حتى لو أن أحدكم دخل في كبد جبل لدخلته عليه حتى تقبضه**» قال: سمعتها من رسول الله ﷺ قال: «**فيبقى شرار الناس في خفة الطير وأحلام السباع لا يعرفون معروفًا ولا ينكرون منكرًا، فيتمثل لهم الشيطان فيقول: ألا تستجيبون؟ فيقولون: فما تأمرنا؟ فيأمرهم بعبادة الأوثان، وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم ثم يُنفخ في الصور...**»[٣].

**ومن الأوثان التي تُعبد ذو الخلصة طاغية دوس واللات والعزى.**

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس على ذي الخلصة**»[٤].

---

(١) «تفسير الطبري» (٨/ ١٠٣).

(٢) رواه البخاري (٤٦٣٥).

(٣) رواه مسلم (٢٩٤٠).

(٤) رواه البخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٤٠). =

وعن عائشة قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**لا يذهب الليل والنهار حتى تُعبد اللات والعزى**». فقلت: يا رسول الله إن كنت لأظن حين أنزل الله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ [التوبة: الآية ٣٣] أن ذلك تامًّا. قال: «**إنه سيكون من ذلك ما شاء الله، ثم يبعث الله ريحًا طيبة فيتوفى كل من في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم**»[(١)].

### عاشرًا: إخراج الأرض بركتها:

عن النواس بن سمعان، قال: ذكر رسول الله ﷺ الدجال ذات غداة، وذكر فتنته... ثم قال: «**ثم يرسل الله مطرًا لا يُكن منه بيت مدر ولا وبر، فيغسل الأرض حتى يتركها كالزلفة، ثم يقال للأرض: أنبتي ثمرتك، ورُدي بركتك. فيومئذٍ تأكل العصابة من الرمانة، ويستظلون بقحفها، ويبارك في الرسل، حتى إن اللقحة من الإبل لتكفي الفئام من الناس، واللقحة من البقر لتكفي القبيلة من الناس، واللقحة من الغنم لتكفي الفخذ من الناس**»[(٢)].

### الحادي عشر: ريح طيبة تقبض روح كل مؤمن:

في حديث النواس بن سمعان أيضًا، قال: قال رسول الله ﷺ: «**فبينما هم**

---

= وقوله: «تضطرب» يضرب بعضها بعضًا.
و«أليات» جمع ألية وهي عجيزة الإنسان.
وهو كناية عن عود عبادة الأصنام وطواف هؤلاء النساء حولها والسفر إليها. وانظر: «فتح الباري» لابن حجر (١٣/ ٧٦).

(١) رواه مسلم (٢٩٠٧)، وانظر: «القيامة الصغرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٨٠).

(٢) رواه مسلم (١١٠ - ٢٩٣٧).

**كذلك إذ بعث الله ريحًا طيبة، فتأخذهم تحت آباطهم، فتقبض روح كل مؤمن وكل مسلم، ويبقى شرار الناس، يتهارجون فيها تهارج الحمر، فعليهم تقوم الساعة»**[١].



**الثاني عشر: النار التي تحشر الناس:**

**وفيه ثلاثة مطالب**[٢]:

**المطلب الأول: كيفية حشرها للناس:**

عند ظهور هذه النار العظيمة من اليمن تنتشر في الأرض، وتسوق الناس إلى أرض المحشر.

**والذين يُحشرون على ثلاثة أفواج:**

**الأول:** فوج راغبون طاعمون كاسون راكبون.

**والثاني:** وفوج يمشون تارة ويركبون أخرى يعتقبون على البعير الواحد كما سيأتي في الحديث: «اثنان على بعير وثلاثة على بعير» إلى أن قال: «وعشرة على بعير يعتقبونه» وذلك من قلة الظهر يومئذٍ.

**والفوج الثالث:** تحشرهم النار فتحيط بهم من ورائهم، وتسوقهم من كل جانب إلى أرض المحشر، ومَن تخلف منهم أكلته النار.

**ومما جاء من الأحاديث في بيان كيفية حشر هذه النار للناس:**

١ - روى الشيخان عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**يُحشر الناس على ثلاث طرائق: راغبين راهبين، واثنان على بعير، وثلاثة على بعير، وأربعة على بعير، وعشرة على بعير. وتحشر بقيتهم النار، تقيل معهم حيث قالوا، وتبيت معهم**

---

(١) رواه مسلم (١١٠ - ٢٩٣٧).

(٢) «أشراط الساعة» ليوسف الوابل (ص٣٢٩)، و«النهاية في الفتن والملاحم» (١/ ٢٣٠)، و«الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٤/ ٢٦٩).

**حيث باتوا، وتصبح معهم حيث أصبحوا، وتمسي معهم حيث أمسوا»**[(١)].

٢ - وعن عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله ﷺ: «**تُبعث نار على أهل المشرق فتحشرهم إلى المغرب، تبيت معهم حيث باتوا، وتقيل معهم حيث قالوا، يكون لها ما سقط منهم وتَخَلَّفَ، وتسوقهم سَوْق الجمل الكسير**»[(٢)].

٣ - وعن حذيفة بن أسيد رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قام أبو ذر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فقال: يا بني غفار قولوا ولا تختلفوا فإن الصادق المصدوق حدثني أن الناس يُحشرون ثلاثة أفواج: فوج راكبين طاعمين كاسين، وفوج يمشون ويسعون، وفوج تسحبهم الملائكة على وجوههم وتحشرهم إلى النار. فقال قائل منهم: هذان قد عرفناهما فما بال الذين يمشون ويسعون؟ قال: يلقي الله الآفة على الظهر فلا يبقى ظهر، حتى إن الرجل ليكون له الحديقة المعجبة فيعطيها بالشارف ذات القتب فلا يقدر عليها[(٣)].

**المطلب الثاني: أرض المحشر:**

**يُحشر الناس إلى الشام في آخر الزمان، وهي أرض المحشر كما جاءت بذلك الأحاديث الصحيحة:**

منها ما رُوي عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا في ذكر خروج النار، وفيه قال: قلنا: يا

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٢)، ومسلم (٢٨٦١).

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٩٩) (٨٠٩٢)، والحاكم (٤/ ٥٩١)، وقال: هذا حديث صحيح ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٥): رواه الطبراني في «الكبير» و«الأوسط». ورجاله ثقات.

(٣) رواه أحمد (٥/ ١٦٤) (٢١٤٩٤)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (٨/ ٢١٤) (٨٤٣٧)، والحاكم (٤/ ٦٠٨)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد إلى الوليد بن جميع ولم يخرجاه. وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٩/ ١٧١).

رسول الله فماذا تأمرنا؟ قال: «**عليكم بالشام**»[(١)].

وروى الإمام أحمد عن حكيم بن معاوية البهزي عن أبيه... فذكر الحديث وفيه قوله ﷺ: «**هاهنا تُحشرون، هاهنا تُحشرون، هاهنا تحشرون – ثلاثًا – ركبانًا، ومشاة، وعلى وجوهكم**» قال ابن أبي بكير: فأشار بيده إلى الشام فقال: إلى هاهنا تحشرون[(٢)].

وفي رواية الترمذي عن بهز بن حكيم عن أبيه عن جده قال: قلت: يا رسول الله أين تأمرني؟ قال: «**هاهنا – ونحا بيده نحو الشام –**»[(٣)].

وروى الإمام أحمد وأبو داود عن عبد الله بن عمرو قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**ستكون هجرة بعد هجرة، ينحاز الناس إلى مهاجر إبراهيم، لا يبقى في الأرض إلا شرار أهلها، تلفظهم أرضوهم، تنذرهم نَفَس الله، تحشرهم النار مع القردة والخنازير، تبيت معهم إذا باتوا، وتقيل معهم إذا قالوا، وتأكل مَن تَخَلَّفَ**»[(٤)].

---

(١) رواه الترمذي (٢٢١٧)، وأحمد (٢/ ٨) (٤٥٣٦)، وابن حبان (١٦/ ٢٩٤) (٧٣٠٥). قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وصحح إسناده أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (٦/ ٢٤٦)، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٢) رواه أحمد (٤/ ٤٤٦) (٢٠٠٢٥). قال الوادعي في «الصحيح المسند» (١١٢٩): صحيح.

(٣) رواه الترمذي (٢١٩٢)، وأحمد (٥/ ٣) (٢٠٠٤٣)، والحاكم (٤/ ٦٠٨). قال الترمذي: حسن صحيح. وقال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه. ووافقه الذهبي. وقَوَّى إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٨٧).

(٤) رواه أبو داود (٢٤٨٢)، وأحمد (٢/ ٨٤) (٥٥٦٢)، والحديث سكت عنه أبو داود، وحَسَّنه ابن حجر في «تخريج مشكاة المصابيح» (٥/ ٤٩٧)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١١/ ١٥٣): إسناده صحيح.

**قال ابن حجر:** (وفي تفسير ابن عيينة عن ابن عباس: مَن شك أن المحشر هاهنا - يعني الشام - فليقرأ أول سورة الحشر، قال لهم رسول الله ﷺ يومئذٍ: «اخرجوا»، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المحشر»[(١)].

**والسبب في كون أرض الشام هي أرض المحشر** أن الأمن والإيمان حين تقع الفتن في آخر الزمان يكون بالشام.

وقد جاء في فضله والترغيب في سكناه أحاديث صحيحة، منها ما أخرجه الإمام أحمد عن أبي الدرداء قال: قال رسول الله ﷺ: «**بينا أنا نائم إذ رأيت عمود الكتاب احتمل من تحت رأسي؛ فظننت أنه مذهوب به، فأتبعته بصري، فعمد به إلى الشام، ألا وإن الإيمان حين تقع الفتن بالشام**»[(٢)].

وأخرج الطبراني عن عبد الله بن حوالة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**رأيت ليلة أُسري بي عمودًا أبيض كأنه لؤلؤة تحمله الملائكة. قلت: ما تحملون؟ فقالوا: عمود الكتاب، أُمرنا أن نضعه بالشام**»[(٣)].

وروى أبو داود بسنده إلى عبد الله بن حوالة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**سيصير الأمر إلى أن تكونوا جنودًا مجندة: جند بالشام، وجند باليمن، وجند بالعراق**»، قال ابن حوالة: خِرْ لي يا رسول الله إن أدركت ذلك، فقال:

---

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٨٠)، و«تفسير ابن كثير» (٨/ ٨٤).

(٢) رواه أحمد (٥/ ١٩٨) (٢١٧٨١). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦٠): رجال أحمد رجال الصحيح، وصحح إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٤٢٠).

(٣) رواه الطبراني في «مسند الشاميين» (١/ ٣٤٥) (٦٠١)، وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ٦١): رجاله رجال الصحيح غير صالح بن رستم وهو ثقة. وحَسَّن إسناده ابن حجر في «فتح الباري» (١٢/ ٤٢٠).

«**عليك بالشام؛ فإنها خيرة الله من أرضه، يجتبي إليها خيرته من عباده، فأما إن أبيتم فعليكم بيمنكم، واسقوا من غدركم، فإن الله توكل لي بالشام وأهله**»(١).

وقد دعا رسول الله ﷺ للشام بالبركة كما ثبت في الصحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**اللهم بارك لنا في شامنا، اللهم بارك لنا في يمننا**»(٢).

وقد تقدم أن نزول عيسى عليه السلام في آخر الزمان يكون بالشام، وبه يكون اجتماع المؤمنين لقتال الدجال.

**المطلب الثالث: متى يكون هذا الحشر:**

هذا الحشر المذكور في الأحاديث يكون في الدنيا، وليس المراد به حشر الناس بعد البعث من القبور.

**وقد ذكر القرطبي أن الحشر معناه الجمع وهو على أربعة أوجه:** حشران في الدنيا وحشران في الآخرة: أما الحشران اللذان في الدنيا: فالأول: إجلاء بني النضير إلى الشام. والثاني: حشر الناس قبل القيامة إلى الشام وهي النار المذكورة هنا في الأحاديث(٣).

وكون هذا الحشر في الدنيا هو الذي أجمع عليه جمهور العلماء كما ذكر ذلك القرطبي وابن كثير وابن حجر، وهو الذي تدل عليه النصوص كما تقدم بسطها.

وذهب بعض العلماء كالغزالي(٤) والحليمي إلى أن هذا الحشر ليس في

---

(١) رواه أبو داود (٢٤٨٣)، وسكت عنه، وحسنه ابن حجر في «تخريج مشكاة المصابيح» (٥/ ٤٩٨)، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٢) رواه البخاري (٧٠٩٤).

(٣) «تفسير القرطبي» (١٨/ ٢)، و«التذكرة» (ص١٩٨).

(٤) «فتح الباري» (١١/ ٣٧٩)، و«التذكرة» (ص١٩٩).

الدنيا[١] وإنما هو في الآخرة.

وذكر ابن حجر أن بعض شراح «المصابيح» حمله على الحشر من القبور، واحتجوا على ذلك بعدة أمور:

أن الحشر إذا أُطلق في عرف الشرع إنما يراد به الحشر من القبور ما لم يخصه دليل.

أن هذا التقسيم في الخبر لا يستقيم في الحشر إلى الشام؛ لأن المُهاجِر لا بد أن يكون راغبًا، أو راهبًا، أو جامعًا بين الصفتين.

أن حشر البقية على ما ذُكر، وإلجاء النار لهم إلى تلك الجهة، وملازمتها حتى لا تفارقهم - قول لم يرد به التوقيف، وليس لنا أن نحكم بتسليط النار في الدنيا على أهل الشقوة من غير توقيف.

أن الحديث يفسر بعضه بعضًا، وقد وقع في الحسان من حديث أبي هريرة، وأخرجه البيهقي من وجه آخر عن عليّ بن زيد عن أوس بن أبي أوس عن أبي هريرة بلفظ: «ثلاثًا على الدواب، وثلاثًا ينسلون على أقدامهم، وثلاثًا على وجوههم» وهذا التقسيم الذي في هذا الخبر موافق لما جاء في سورة الواقعة في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ۝٧﴾ [الواقعة: ٧][٢].

**والإجابة عما احتجوا به تتلخص فيما يأتي:**

أن الدليل قد جاء بأن هذا الحشر في الدنيا كما سبق ذكر الأحاديث في ذلك.

أن التقسيم المذكور في آيات سورة الواقعة لا يستلزم أن يكون هو

---

(١) «المنهاج في شعب الإيمان» (١/ ٤٤٢).

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٨٠).

التقسيم المذكور في الحديث، فإن الذي في الحديث ورد على القصد من الخلاص من الفتنة، فمن اغتنم الفرصة سار على فسحة من الظهر، ويسرة من الزاد، راغبًا فيما يستقبله، راهبًا فيما يستدبره، وهم الصنف الأول في الحديث. ومن توانى حتى قلَّ الظهر اشتركوا فيه وهم الصنف الثاني. والصنف الثالث هم الذين تحشرهم النار وتسحبهم الملائكة.

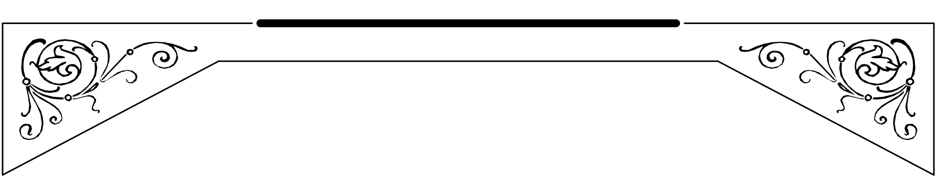
أنه تبين من شواهد الأحاديث أنه ليس المراد بالنار نار الآخرة، وإنما هي نار تخرج في الدنيا أنذر النبي ﷺ بخروجها، وذكر كيفية ما تفعل في الأحاديث المذكورة.

أن الحديث الذي احتجوا به من رواية علي بن زيد وهو مختلف في توثيقه - لا يخالف الأحاديث التي بينت أن هذا الحشر في الدنيا، وقد وقع في حديث علي بن زيد المذكور عند الإمام أحمد أنهم «يتقون بوجوههم كل حدب وشوك»[1]، وأرض الموقف يوم القيامة أرض مستوية لا عوج فيها، ولا أكمة، ولا حدب، ولا شوك[2].



(١) رواه أحمد (٢/ ٣٥٤) (٨٦٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. وحَسَّن إسناده ابن حجر في «تخريج مشكاة المصابيح» (٥/ ١٦٧)، وقال أحمد شاكر في تحقيقه للمسند (١٦/ ٢٦٥): إسناده حسن.

(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٨٠).



## القيامة الكبرى

### النفخ في الصور:

هذا الكون العجيب الغريب الذي نعيش فيه يعج بالحياة والأحياء الذين نشاهدهم والذين لا نشاهدهم، وهم في حركة دائبة لا تهدأ ولا تتوقف، وسيبقى حاله كذلك إلى أن يأتي اليوم الذي يُهلك الله فيه جميع الأحياء إلا من يشاء ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٢٦]، ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصص: الآية ٨٨]. وعندما يأتي ذلك اليوم يُنفخ في الصور، فتنهي هذه النفخة الحياة في الأرض والسماء ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨].

وهي نفخة هائلة مدمرة يسمعها المرء فلا يستطيع أن يوصي بشيء، ولا يقدر على العودة إلى أهله وخُلانه ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [يس: ٤٩-٥٠]. وفي الحديث: «**ثُمَّ يُنْفَخُ فِى الصُّورِ فَلاَ يَسْمَعُهُ أَحَدٌ إِلاَّ أَصْغَى لِيتًا وَرَفَعَ لِيتًا – قَالَ: وَأَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُهُ رَجُلٌ يَلُوطُ حَوْضَ إِبِلِهِ – قَالَ: فَيَصْعَقُ وَيَصْعَقُ النَّاسُ**»(١).
والليت: صفحة العنق.

وقد أخبر الرسول ﷺ عن سرعة هلاك العباد حين تقوم الساعة، فعَنْ أَبِى

---

(١) صحيح مسلم (٧٥٦٨).

هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ فَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذَلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا، لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلاَنِ ثَوْبَهُمَا بَيْنَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهْوَ يَلِيطُ حَوْضَهُ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا**»(١)(٢).

**تعريف الصور:**

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النَّمل: الآية ٨٧].

وقد سمّاه الله تعالى أيضًا الناقور، كما قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ ﴿٨﴾﴾ [المدَّثِّر: الآية ٨]. والناقور هو الصور، فالصور والناقور اسمان لمسمى واحد.

وعرّف النبي ﷺ الصور كما في حديث عبد الله بن عمرو بن العاص قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ قال: ما الصور؟ قال: «**الصور قرن يُنفخ فيه**»(٣).

وهو قول الجمهور أن المراد بالصور: قرنٌ يُنفخ فيه، وقد ورد هذا المعنى في حديث لرسول الله ﷺ، ألا وهو أن الصور: قرنٌ يُنفخ فيه.

ومن العلماء من قال: (الصور) هم بنو آدم. وهذا القول مأثور عن قتادة، يعني: نُفخت أرواح بني آدم في بني آدم فأحيا الله الخلق.

---

(١) رواه البخاري (٦٥٠٦ ).

(٢) «الإيمان بيوم القيامة وأهواله» (ص٥).

(٣) سنن أبي داود رقم (٤٧٤٢).

وقال قتادة رَحِمَهُ اللَّهُ: (الصور) الخلق. هذا قول.

لكن القول الذي عليه الأكثرون أن المراد بالصور قرنٌ يُنفخ فيه[١].

**وقد سمّى الله تعالى الصوت الذي يخرجه إسرافيل من الصور بأسماء هي:**

١- النفخة: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقَّة: الآية ١٣].

٢- الصيحة: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [يس: الآية ٤٩].

٣- الراجفة: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ﴿٧﴾﴾ [النازعات: ٦، ٧].

٤- الزجرة: ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ [الصَّافات: الآية ١٩].

فإسرافيل ينفخ نفخة وزجرة، - وهي النفخة بغضب - تحدث صيحة عظيمة ترجف لها الأرض والقلوب[٢].

### الأدلة من القرآن الكريم على إثبات النفخ في الصور:

ذكر الله ﷻ عدة آيات في إثبات أن النفخ في الصور العظيم يحصل حينما يأمر الله بذلك، حَسَب ما يريد سبحانه من تغيير، وقد ذكر الله تعالى في كتابه الكريم هذا النفخ في أكثر من آية، مما يدل على أهميته ومدى خطورته؛ لكي يدرك أولئك الهاربون عن ربهم - وهم لا يُعجزونه - أن هذه الحياة التي قد غرتهم ليست بشيء، فهي تنتهي بنفخة واحدة، فإذا بها كأن لم تكن بالأمس.

نفخة واحدة فإذا بالفزع قد بلغ من كل نفس منتهاه، ونفخة أخرى فإذا هم أجساد بلا أرواح، ثم نفخة ثالثة فإذا هم قيام ينظرون، فأي قدرة هذه؟!

---

(١) «سلسلة التفسير» لمصطفى العدوي (٧٣/ ٥).

(٢) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٩٧).

وأي جهل أعظم من جهل من أعرض عن ربه واغتر بقوته، ونسي أنه يموت بنفخة، ويحيا بنفخة، رغم هذا التعالي الذي قد ملأ رأسه وجميع مشاعره؟!

**والواقع أن الله تعالى قد ذكر النفخ في الصور فيما يقارب اثني عشر موضعًا في كتابه الكريم، ونذكر من تلك الآيات:**

١ - قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

٢ - ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

٣ - ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الحاقة: ١٣، ١٤].

٤ - ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: الآية ٥١].

٥ - ﴿۞ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ﴿٩٩﴾﴾ [الكهف: الآية ٩٩].

٦ - ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه: الآية ١٠٢].

٧ - ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ﴿١٨﴾﴾ [النبإ: الآية ١٨].

٨ - ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠١].

٩ - ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ [ق: الآية ٢٠].

١٠ - ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّۚ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية ٧٣].

وهذه الآيات وغيرها تدل دلالة واضحة ليس بعدها خفاء على حتمية وقوع

النفخ في الصور[١].

### الأدلة من السنة على إثبات النفخ في الصور:

رأينا كيف اهتم القرآن الكريم بذكر النفخ في الصور، وكيف كرره - لتقريره وتثبيته في النفوس - في أكثر من آية، وبَيَّن ﷺ نتيجة كل نفخة وما يحصل بسببها من التغيير الهائل.

**وبعد ذكر تلك الآيات التي تدلنا على مدى أهمية تلك النفخات ومدى عناية القرآن الكريم بذكرها، يجب معرفة أنه قد جاءت السنة النبوية فبينت كذلك هذا الأمر العظيم، واعتنت بذكره عناية شديدة، فتكرر ذكره في أكثر من حديث، كما نتبين ذلك من عرض الأحاديث الآتية:**

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «بينما يهودي يعرض سلعته، أُعطي بها شيئًا كرهه، فقال: لا، والذي اصطفى موسى على البشر!! فسمعه رجل من الأنصار، فقام فلطم وجهه، وقال: تقول: «والذي اصطفى موسى على البشر» والنبي ﷺ بين أظهرنا؟! فذهب إليه فقال: أبا القاسم، إن لي ذمة وعهدًا، فما بال فلان لطم وجهي؟! فقال: «**لِمَ لطمت وجهه؟**» فذكره، فغضب النبي ﷺ حتى رُئي في وجهه، ثم قال: «**لا تفضلوا بين أولياء الله، فإنه يُنفخ في الصور، فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بُعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته يوم الطور أم بُعث قبلي**»[٢].

وفي رواية لمسلم عن أبي هريرة: «**لا تخيروني على موسى؛ فإن الناس**

---

(١) «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (١/ ١٩٨).

(٢) رواه البخاري (٣٤١٤)، ومسلم (٢٣٧٣).

**يصعقون يوم القيامة، فأكون في أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان موسى فيمن صعق فأفاق قبلي أو كان ممن استثنى الله»**[١].

وعند البخاري[٢] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة**»[٣].

## ثانيًا: عدد النفخات:

**اختلف العلماء في عدد النفخات:**

**القول الأول:** أنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، وذلك أن الله نص على هذه الثلاث في كتابه، فقال: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ وَكُلٌّ أَتَوْهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النَّمل: الآية ٨٧]، وهذه نفخة الفزع.

وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُم قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨]، وهذه نفخة الصعق ونفخة البعث.

وقالوا: إن الفزع مغاير للصعق. واستدلوا بحديث الصور الطويل، وفيه أن النفخات ثلاث[٤].

**القول الثاني:** أنهما نفختان: نفخة الصعق ونفخة البعث، وقالوا: هذا هو

---

(١) رواه مسلم (٢٣٧٣).

(٢) رقم (٤٨١٣).

(٣) «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (١/ ١٩٩).

(٤) حديث الصور أخرجه البيهقي في «البعث والنشور» (ص٣٢٥)، وهو حديث ضعيف.

ظاهر النصوص: كقوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ۝٥٠ وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ۝٥٢﴾ [يس: ٤٩- ٥٢].

ففي قوله تعالى: ﴿مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ﴾ [يس: الآية ٤٩] هذه هي النفخة الأولى.

وقوله: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ۝٥١﴾ [يس: الآية ٥١] هذه هي النفخة الثانية.

وكقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ۝٦ تَتْبَعُهَا ٱلرَّادِفَةُ ۝٧﴾ [النازعات: ٦، ٧]. هما النفختان الأولى والثانية[١].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**بين النفختين أربعون**»، قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت. قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت. قال: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْب ذَنَبه فيه يُركب الخلق[٢].

**ويمكن الجمع بين الفزع والصعق وجعلهما نفخة واحدة، ولكنها تبدأ بالفزع وتنتهي بالصعق، مع وجود مسافة زمنية تفصل بين بدايتها،** أي أن الله يأمر إسرافيل بالنفخ فينفخ نفخة إفزاع يُطولها ويُمدها لا يفتر، وهو ما يعني استمرار النفخ بلا انقطاع، فيما الناس في العذاب يشاهدون أحداث الزلزلة إلى أن يأمر الله بنفخة الصعق الأشد قوة وهولًا، فيموت لشدتها كل من في

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦٦)، و«فتح الباري» (١١/ ٣٧٤).

(٢) رواه البخاري رقم (٤٥٣٦)، ومسلم رقم (٢٩٥٥).

السماوات والأرض إلا من شاء الله[١].

ومن هذا الباب يمكن الاستدلال على ذلك بقول الرسول ﷺ: «**يَخرج الدجال في أمتي فيمكث أربعين**»، ثم قال: «**وهم في ذلك دارٌّ رزقهم حسن عيشهم ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا**»، قال: «**وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله**»، قال: «**فيصعق ويصعق الناس**»[٢].

وأصغى في الحديث: يعني: أمال. (والليت) صفحة العنق، فهذا التسمع والإصغاء يدلنا على أن بداية النفخة ليست كنهايتها في القوة والشدة، حتى إن الصوت لم يشمل كل الناس عند بدايته[٣]، كما نجد في نص الحديث: «**وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله**». فلو كانت بدايتها (بالصعقة) المميتة لمات الناس على أثرها، ولما بقي فسحة لهذا التسمع والإصغاء، وكأن الصوت يبدأ رويدًا ثم يمضي في التدرج الصاعد إلى أن يملأ الكون دويًّا وإرعادًا، مصحوبًا بالزلزلة العظيمة.

وذلك التدرج في النفخ والمد والتطويل أدعى لتصعيد حدة الخوف، وإيقاع الرهبة في نفوس شرار الخلق الذين يعذبهم الله في الدنيا بأحداث الساعة ما شاء له أن يعذبهم، إلى أن يأمر بنفخة الصعق فيصعقون.

**انتظار إسرافيل الأمر بالنفخ في الصور:** قال رسول الله ﷺ: «**إن طَرْف صاحب الصور منذ وُكِّل به مستعد ينظر نحو العرش مخافة أن يؤمر قبل أن يرتد إليه طرفه، كأن عينيه كوكبان دُرّيان**»[٤].

---

(١) «رحلة قبل الرحيل» بشير عبد الله (ص٣٩).

(٢) مسلم رقم (٧٣٠٧).

(٣) «رحلة قبل الرحيل» (ص٣٩).

(٤) «السلسلة الصحيحة» للألباني رقم (١٠٧٨).

**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن؟** قال ﷺ: «**كيف أنعم وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته وأصغى سمعه ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، فينفخ**»، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: «**قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا**»(١).

**اليوم الذي يكون فيه النفخة:** قال رسول الله ﷺ: «**إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قُبض، وفيه النفخة وفيه الصعقة، فأكثِروا عليَّ من الصلاة فيه؛ فإن صلاتكم معروضة عليَّ، إن الله حرّم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء**»(٢).

**مَن الذين استثناهم الله من الفزع والصعق؟** قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨].

**ذهب طائفة من العلماء** إلى أن الذين استثناهم الله في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] هم الملائكة.

**ومنهم من قال:** إنهم الأنبياء أو الشهداء أو الحور العين... إلخ.

**والصحيح** أنه لم يرد نص صريح في كتاب الله أو في سنة رسوله ﷺ، يحدد لنا مَن الذين استثناهم الله في تلك الآية، وبذلك لا يمكننا أن نجزم بذلك وصار مثل العلم بوقت الساعة، وأمثال ذلك مما لم يخبر الله به(٣).

**ثالثًا: الآيات التي يُقصد بها النفخة الأولى:**

١- قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا

---

(١) «السلسلة الصحيحة» رقم (١٠٧٩).

(٢) «صحيح الجامع» رقم (٤٠٠٠).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٢٦١)، و«رحلة إلى الدار الآخرة» (ص٣٤١).

مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ وَكُلٌّ أَتَوۡهُ دَٰخِرِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [النَّمل: الآية ٨٧].

٢- وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٨].

٣- وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ مَّا لَهَا مِن فَوَاقٖ ﴿١٥﴾﴾ [ص: الآية ١٥].

٤- وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾ [الصَّافات: الآية ١٩].

٥- وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَرۡجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ [النَّازعَات: الآية ٦].

**رابعًا: الآيات التي يُقصد بها النفخة الثانية:**

١- قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجۡرَةٞ وَٰحِدَةٞ فَإِذَا هُمۡ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الصَّافات: الآية ١٩].

هي عبارة عن النفخة في الصور الثانية(١).

٢- وقال تعالى: ﴿وَتَرَكۡنَا بَعۡضَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ يَمُوجُ فِي بَعۡضٖۖ وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعۡنَٰهُمۡ جَمۡعٗا﴾ [الكهف: ٩٩].

٣- وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلۡأَجۡدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمۡ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾﴾ [يس: الآية ٥١].

٤- وقال تعالى: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ جَمِيعٞ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ﴿٥٣﴾﴾ [يس: الآية ٥٣].

٥- وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأۡتُونَ أَفۡوَاجٗا ﴿١٨﴾﴾ [النّبَإ: الآية ١٨].

٦- وقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ وَنَحۡشُرُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ يَوۡمَئِذٖ زُرۡقٗا ﴿١٠٢﴾﴾ [طه: الآية ١٠٢].

٧- وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ

(١) «فتح الباري» (١١/ ٣٧٦)، و«اليوم الآخر» للمطيري (ص٢١٨).

﴿١٠١﴾ [المؤمنون: الآية ١٠١].

**قال الشنقيطي:** إنها الثانية(١).

٨- وقال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ﴿٢٠﴾﴾ [ق: الآية ٢٠].

**قال الشوكاني:** وهذه هي النفخة الآخرة للبعث(٢).

٩- وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَسۡمَعُونَ ٱلصَّيۡحَةَ بِٱلۡحَقِّۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُرُوجِ ﴿٤٢﴾﴾ [ق: ٤٢].

١٠- وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفۡخَةٞ وَٰحِدَةٞ ﴿١٣﴾﴾ [الحاقَّة: الآية ١٣].

لقوله بعدها: ﴿فَيَوۡمَئِذٖ وَقَعَتِ ٱلۡوَاقِعَةُ ﴿١٥﴾﴾ [الحاقَّة: الآية ١٥].

**خامسًا: الآيات التي تحتمل الأمرين:**

١- قال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ فَزِعُواْ فَلَا فَوۡتَ وَأُخِذُواْ مِن مَّكَانٖ قَرِيبٖ ﴿٥١﴾ وَقَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٢﴾ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِهِۦ مِن قَبۡلُۖ وَيَقۡذِفُونَ بِٱلۡغَيۡبِ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ ﴿٥٣﴾ وَحِيلَ بَيۡنَهُمۡ وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم مِّن قَبۡلُۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ فِي شَكّٖ مُّرِيبِۭ ﴿٥٤﴾﴾ [سبأ: ٥١- ٥٤].

٢- وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِۚ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۚ وَهُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية ٧٣].

٣- وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَدۡعُ ٱلدَّاعِ إِلَىٰ شَيۡءٖ نُّكُرٍ﴾ [القَمَر: الآية ٦].

**قال القرطبي:** الداعي هو إسرافيل عليه السلام(٣)، وعليه فتكون الدعوة هي النفخ في الصور، والله تعالى أعلم وأحكم(٤).

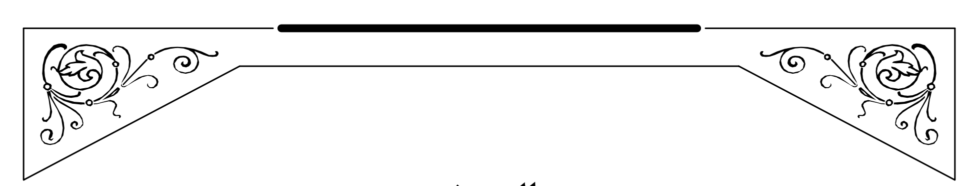
---

(١) «أضواء البيان» (٥/ ٨٢٢).

(٢) «فتح القدير» للشوكاني (٥/ ٧٦).

(٣) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٧/ ٨٥).

(٤) «اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة» (ص٢٢٠)، و«الإيمان باليوم الآخر» للصلابي (ص١٠٢).



## البعث

**تعريف البعث:**

**البعث هو:** إحياء الله لمخلوقات وإخراجهم من قبورهم أحياء للحساب والجزاء.

قال تعالى: ﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ بِمَا عَمِلُواْ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

**قال الإمام ابن كثير** رَحِمَهُ اللهُ: (وهو المعاد وقيام الأرواح والأجساد يوم القيامة)[١].

**وقال السفاريني:** (أما البعث فالمراد به المعاد الجسماني؛ فإنه المتبادر عند الإطلاق؛ إذ هو الذي يجب اعتقاده ويكفر منكره)[٢].

ولقد نهج القرآن الكريم في الاستدلال على البعث وتحقق وقوعه - منهجًا قويًّا يجمع بين ما فُطرت عليه النفوس من الإيمان بما تشاهد وتحس ويقع منه تحت تأثير السمع والبصر وبين ما تقرره العقول السليمة ولا يتنافى مع الفِطر المستقيمة، وتلك الطريقة تميز بها القرآن الكريم[٣].

---

(١) «تفسير القرآن العظيم» (٣/ ٢٠٦).

(٢) «مختصر اللوامع» (ص٣٨٧).

(٣) «دراسات في التفسير الموضوعي» د. إبراهيم الألمعي (ص٣٠٢).

أولًا: الاستدلال بمن أماتهم الله ثم أحياهم كما أخبر الله تعالى عن ذلك، ومنهم:

١ - قوم موسى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [البقرة: ٥٥ - ٥٦].

٢ - المضروب بعضو من أعضاء البقرة، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [البقرة: ٧٢ - ٧٣].

٣ - الذين أخبر الله عنهم بقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَٰهُمْ ۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٤٣].

٤ - ما حصل لعزير، كما قال تعالى: ﴿أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩].

٥ - سؤال إبراهيم عليه السلام عن كيفية إحياء الموتى، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِۦمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

٦ - ما أخبر الله به عن عيسى عليه السلام، من أنه كان يحي الموتى بإذن الله، قال تعالى: ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ

لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩].

٧ - ما أخبر الله من قصة أصحاب الكهف، كما قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ۝٩ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾ [الكهف: ٩، ١٠].

إن هذه الأدلة المتقدمة أدلة حسية مادية، وقعت كلها لتدل على إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا برهان قطعي على القدرة الإلهية، وقد أخبر الله ورسوله عن وقوع البعث والحشر فوجب القطع بذلك(١).

### ثانيًا: الاستدلال على البعث بالنشأة الأولى:

ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى رَيْبٍ مِّنَ ٱلْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْۚ وَنُقِرُّ فِى ٱلْأَرْحَامِ مَا نَشَآءُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْۖ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنۢ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْـًٔاۚ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنۢبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ۝٥ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّهُۥ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٦ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِى ٱلْقُبُورِ ۝٧﴾ [الحج: ٥ - ٧].

هذه الآيات تعطي تفصيلًا للمراحل التي يمر بها خلق الإنسان، فقد قابل الله هذه المراحل بعدة دلالات على قدرته سبحانه على البعث، فالله سبحانه يبين للناس إن كنتم في ريب من البعث فلستم ترتابون في أنكم

---

(١) «دراسات في التفسير الموضوعي» (ص٣٠٥).

مخلوقون، ولستم ترتابون في مبدأ خلقكم من حال إلى حال إلى حين الموت، والبعث الذي وُعدتم به نظير النشأة الأولى، فهما نظيران في الإمكان والوقوع، فإعادتكم بعد الموت خلقًا جديدًا كالنشأة الأولى التي لا ترتابون فيها، فكيف تنكرون إحدى النشأتين مع مشاهدتكم لنظيرها؟!(١).

### ثالثًا: الاستدلال على إمكان البعث بخلق الأكوان، مثل السماوات والأرض:

فإن خلقها أعظم من خلق الإنسان، ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي:

١ - قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمًا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝٩٨ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [الإسراء: ٩٨ - ٩٩].

٢ - قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ۝٣٣﴾ [الأحقاف: الآية ٣٣].

٣ - قال تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ۝٨١﴾ [يس: الآية ٨١].

### رابعًا: الاستدلال على إمكان البعث بخلق النباتات المختلفة:

ومن الآيات الدالة على ذلك ما يلي:

١- قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَٰهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ ٱلْمَآءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ ۚ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۝٥٧﴾ [الأعراف: الآية ٥٧].

---

(١) «إعلام الموقعين» لابن القيم (ص٤٣٦).

٢- قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَىٰ بَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ كَذَٰلِكَ النُّشُورُ ﴿٩﴾﴾ [فاطر: الآية ٩].

٣- قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ ۚ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصلت: الآية ٣٩].

## خامسًا: الاستدلال على البعث والإعادة بإخراج النار من الشجر الأخضر:

الشجر إذا قُطع وأصبح حطبًا يكون ميتًا وليس فيه أثر للحياة، فإذا أُوقدت به النار دبت فيه الحركة واضطرب، وهذه آثار الحياة، فمَن قَدر على هذا قادر على إحياء الموتى.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل في موضعين من كتابه سبحانه:

١- قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ أَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ﴾ [الواقعة: ٧١، ٧٢].

٢- قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٧٧-٨٣].

## سادسًا: الاستدلال على البعث بأن حكمة الله وعدله يقتضيان البعث والجزاء:

فإن الله تعالى لم يخلق الناس عبثًا ولن يتركهم سدى، قال تعالى:

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥، ١١٦].

**سابعًا: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة:**

أعظم الأدلة على وقوع المعاد إخبار الحق تبارك وتعالى بذلك، فمَن آمن بالله وصَدَّق برسوله الذي أَرسل، وكتابه الذي أنزل، فلا مناص له من الإيمان بما أخبرَنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار.

**وقد نوّع تبارك وتعالى أساليب الإخبار ليكون أوقع في النفوس، وآكد في القلوب:**

١- ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخبارًا مؤكدًا بـ(إنَّ) أو بـ(إنَّ) واللام؛ كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: الآية ١٥]. وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: الآية ٨٥].

٢- وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه؛ كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النّساء: الآية ٨٧].

ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته، كقوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ ﴿٣﴾ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾﴾ [الطور: ١- ٨].

٣- وفي بعض المواضع يأمر رسوله بالإقسام على وقوع البعث وتحققه وذلك في معرض الردّ على المكذبين به المنكرين له؛ كقوله تعالى: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَى وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التّغابن: الآية ٧].

٤- وفي مواضع أخرى يذم المكذبين بالمعاد، كقوله تعالى: ﴿خَسِرَ الَّذِينَ

كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: الآية ٤٥].

٥- وأحيانًا يمدح المؤمنين بالمعاد، قال تعالى: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٧﴾ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٧- ٩].

٦- وأحيانًا يخبر أنه وعد صادق وخبر لازم وأجل لا شك فيه، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلَّا لِأَجَلٍ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾﴾ [هود: ١٠٣، ١٠٤].

٧- وفي بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه، قال تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [النحل: ١].

٨- وفي مواضع أخرى يمدح نفسه تبارك وتعالى بإعادة الخلق بعد موتهم ويذم الآلهة التي يعبدها المشركون بعدم قدرتها على الخلق، كقوله تعالى: ﴿أَمَّنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَإِلَهٌ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤].

٩- وبين في مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث الذي يُعجز العباد ويُذلهم سهل يسير عليه، قال تعالى: ﴿مَا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: الآية ٢٨] وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ ﴿٤﴾﴾ [القيامة: ٣، ٤][1].

### ثامنًا: قياس البعث على النوم:

فالنوم أخو الموت، بل هو موتة صغرى، فالله تعالى يتوفى الأنفس

(١) «رحلة إلى الدار الآخرة» (ص٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨).

بالموت وبالنوم، فالقادر على إرجاع نفس النائم له بعد قبضها قادر على إرجاع نفس الميت له بعد قبضها، قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٢].

## تاسعًا: الفطرة تدل على البعث:

فالله تعالى فطر الأنبياء على الإحساس بوجود عالم آخر بعد الموت، وهذا من أقوى الأدلة على وجود اليوم الآخر؛ لأن الله تعالى إذا أراد أن يقنع بني الإنسان بأمر ما فإنه يغرس فكرة الاقتناع به في فطرهم؛ ولذا فإن الإنسان يشتاق إلى حياة خالدة ولو في عالم غير هذا العالم، وهذا الإحساس شائع في نفوس البشر بحيث لا يمكن النظر إليه باستخفاف؛ ولذلك جاءت الأديان السماوية مبشرة بحياة أخرى بعد الموت وجعلت مصير كل إنسان مرتهنًا بما قدمت يداه في الدنيا، وهذا مما يكسب زيادة إيمان بربه وبما جاءت به الرسل، فيقدم الأعمال الصالحة استعدادًا بها ليوم الميعاد[١].

## أدلة البعث من السنة:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**قال الله: كَذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته. وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدًا، وأنا الأحد الصمد لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفوًا أحد**»[٢].

---

(١) «مباحث العقيدة في سورة الزمر» لناصر علي (ص٥٤٩).

(٢) رواه البخاري (٤٤٨٢).

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فذكر أحاديث، منها: وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا فيه يُركب يوم القيامة**». قالوا: أي: عظم هو يا رسول الله؟ قال: «**عَجْب الذَّنَب**»[١].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عَجْب الذَّنَب، منه خُلق وفيه يُركب**»[٢].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**ما بين النفختين أربعون**» قالوا: يا أبا هريرة أربعون يومًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت. قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت. «**ثم يُنزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل**» قال: «**وليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا وهو عَجْب الذنب، ومنه يركب الخلق يوم القيامة**»[٣].

وحديث عبد الله بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: «**ثم يُنفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتًا ورفع ليتًا**». قال: «**وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله**» قال: «**فصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله** – أو قال: **ينزل الله – مطرًا كأنه الطل – أو الظل. نعمان الشاك – فتنبت منه أجساد الناس، ثم يُنفخ فيه أخرى فإذا هم قيام ينظرون. ثم يقال: يا أيها الناس، هلموا إلى ربكم، وقفوهم إنهم مسؤولون**». قال: ثم يقال: «**أخرِجوا بعث النار. فيقول: مِن كم؟ فيقال: من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين**». قال: «**فذلك يوم يجعل الولدان شيبًا، وذلك يوم يُكشف عن ساق**»[٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٥٥) (١٤٣).

(٢) رواه مسلم (٢٩٥٥) (١٤٢).

(٣) رواه مسلم (٢٩٥٥) (١٤١).

(٤) رواه مسلم (٢٩٤٠).

وفي «الصحيح» عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**إني أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري كذلك كان أم بعد النفخة**»[1][2].



(١) رواه البخاري (٤٨١٣).

(٢) وانظر: «معارج القبول» (٢/ ٩٢٤).



## منكرو البعث

**ذكرهم الحافظ الحكمي رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: منكرو البعث على أربعة أصناف:**

**الصنف الأول: أنكروا المبدأ والمعاد:**

فزعموا أن الأكوان تتصرف بطبيعتها فتوجد وتعدم بأنفسها، ليس لها رب يتصرف فيها، إنما هي أرحام تدفع وأرض تبلع.

وهؤلاء هم جمهور الفلاسفة الدهرية والطبائعية.

**والصنف الثاني من الدهرية: طائفة يقال لهم: الدورية:**

وهم منكرون للخالق أيضًا ويعتقدون أن في كل ستة وثلاثين ألف سنة يعود كل شيء إلى ما كان عليه، وزعموا أن هذا قد تكرر مرات لا تتناهى، فكابروا في المعقول وكذبوا المنقول قبحهم الله تعالى.

**وهاتان الطائفتان يعمهم قوله** عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] ولهذا عن السلف الصالح فيها تفسيران: الأول: معنى قولهم: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ أي: يموت الآباء ويحيا الأبناء هكذا أبدًا.

وهو قول الطائفة الأولى. والمعنى الثاني: أنهم عنوا كونهم يموتون ويحيون هم أنفسهم ويتكرر ذلك منهم أبدًا ولا حساب ولا جزاء، بل ولا موجد ولا مُعدم ولا محاسب ولا مجازي. وهذا قول الدورية.

**الصنف الثالث: الدهرية من مشركي العرب ومَن وافقهم:**

وهم مقرون بالبداءة وأن الله تعالى ربهم وخالقهم ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ

﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [الزخرف: الآية ٨٧] ومع هذا قالوا: ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ۝٣٥﴾ [الدخان: الآية ٣٥] فأقروا بالبداءة والمبدئ، وأنكروا البعث والمعاد، وهم المذكورون في حديث أبي هريرة الصحيح: «**وأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليَّ من إعادته**».

**الصنف الرابع: مَلاحدة الجهمية ومَن وافقهم:**

أقروا بمعاد ليس على ما في القرآن ولا فيما أخبرت به الرسل عن الله ﷻ، بل زعموا أن هذا العالم يعدم عدمًا محضًا، وليس المعاد هو بل عالم آخر غيره، فحينئذٍ تكون الأرض التي تُحَدث أخبارها وتخبر بما عُمل عليها من خير وشر ليست هي هذه، وتكون الأجساد التي تعذب وتجازى وتشهد على من عمل بها المعاصي ليست هي التي أعيدت بل هي غيرها، والأبدان التي تنعم في الجنة وتثاب ليست هي التي عملت الطاعة ولا أنها تحولت من حال إلى حال بل هي غيرها تبتدأ ابتداء محضًا، فأنكروا معاد الأبدان وزعموا أن المعاد بداءة أخرى![١].



(١) «معارج القبول» (٢/ ٧٧٦).



## تعدد أسماء يوم القيامة

سمى الله هذا اليوم بعدة أسماء تنويهًا بشأنه وتنبيهًا للعباد ليخافوا منه؛ فسماه اليوم الآخر لأنه بعد الدنيا وليس بعده يوم غيره. وسماه يوم القيامة؛ لقيام الناس فيه لربهم. وسماه الواقعة والحاقة والقارعة والراجفة والصاخة والآزفة والفزع الأكبر ويوم الحساب ويوم الدين والوعد الحق. . .

وكلها أسماء تدل على عِظم شأنه وشدة هوله وما يلقاه الناس فيه من الشدائد والأهوال؛ فهو يوم تشخص فيه الأبصار، وتطير القلوب عن أماكنها حتى تبلغ الحناجر، ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِئٍ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾ [عبس: ٣٤- ٣٧].

﴿يَوْمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلْمُهْلِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْـَٔلُ حَمِيمٌ حَمِيمًا ﴿١٠﴾ يُبَصَّرُونَهُمْ ۚ يَوَدُّ ٱلْمُجْرِمُ لَوْ يَفْتَدِى مِنْ عَذَابِ يَوْمِئِذٍۭ بِبَنِيهِ ﴿١١﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ ﴿١٢﴾ وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ ﴿١٣﴾ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ يُنجِيهِ﴾ [المعارج: ٨- ١٤].

والإيمان بهذا اليوم يحمل الإنسان على العمل والاستعداد له، كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: الآية ١١٠].

وقال تعالى: ﴿وَٱسْتَعِينُوا۟ بِٱلصَّبْرِ وَٱلصَّلَوٰةِ ۚ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى ٱلْخَٰشِعِينَ ﴿٤٥﴾ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُۥ مُسْتَطِيرًا ﴿٧﴾ وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا ﴿٩﴾ إِنَّا

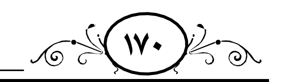
نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا ۝١٠ فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ٧- ١٠][١].

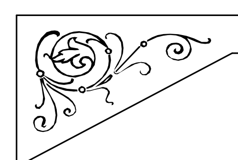
**ومن هذه الأسماء** يوم القيامة، ويوم الحاقة، ويوم القارعة، واليوم الآخر، ويوم الحسرة، ويوم الآزفة، ويوم التغابن، ويوم التلاق، ويوم التناد، ويوم الجمع، ويوم الطامة، ويوم الجمع، ويوم الخلود، ويوم الوعيد، ويوم الخروج، ويوم الغاشية، ويوم الدين، ويوم الساعة، ويوم الصاخة، ويوم الفصل، ويوم الواقعة، ويوم البعث... وغيرها.

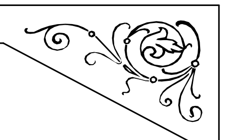


---

(١) «مؤلفات الفوزان» (١١/ ٣٢).







# حَشْر الخلائق وصفة الحشر

## المبحث الأول: معنى الحشر في اللغة

**قال الراغب الأصفهاني:** (الحشر: إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب ونحوها.

ويطلق على الإزالة، يقال: حَشَرت السنةُ مال بني فلان؛ أي: أزالته عنهم. ولا يقال الحشر إلا في الجماعة)[١].

**وقال الأزهري نقلًا عن الليث:** (الحشر: حشر يوم القيامة. ثم ذكر أن من معانيه وروده بمعنى الجمع الذي يُحشر إليه القوم، وكذلك إذا حُشروا إلى بلد أو معسكر ونحوه)[٢].

## المبحث الثاني: معنى الحشر في الاصطلاح

يطلق الحشر على يوم القيامة[٣] وهو سَوْق الناس وجَمْعهم إلى المحشر لحسابهم، كما ظهر في التعريفات السابقة.

---

(١) «المفردات» (ص١٩٩).

(٢) «تهذيب اللغة» (٤/ ١٧٧).

(٣) «المفردات» (ص١٢٠)، و«أساس البلاغة» (ص٨٤).

**وقال ابن حجر في بيان معنى الحشر:** إنه (حشر الأموات من قبورهم وغيرها بعد البعث جميعًا إلى الموقف. قال الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۝٤٧﴾ [الكهف: الآية ٤٧])[١].

**وقال البيجوري:** (الحشر عبارة عن سوقهم - أي: الناس - جميعًا إلى الموقف، وهو الموضع الذي يقفون فيه)[٢].

**وقال الشيخ العثيمين** رَحِمَهُ ٱللَّهُ[٣]: الحشر شرعًا: هو جمع الخلائق يوم القيامة لحسابهم والقضاء بينهم.

**والبعث والحشر حق ثابت بالكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين:**

قال الله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: الآية ٧]. وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْـَٔاخِرِينَ ۝٤٩ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ﴾ [الواقعة: ٤٩، ٥٠].

وقال النبي ﷺ: «**يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء كقرصة النقي ليس فيها علم لأحد**». متفق عليه[٤].

وأجمع المسلمون على ثبوت الحشر يوم القيامة.

## المبحث الثالث: صفة الحشر

يحشر الله الناس في الموقف وتدنو منهم الشمس قدر ميل في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، فيشق على الناس هذا اليوم العظيم ويبلغ فيهم العرق مبلغًا عظيمًا فيلجمهم، أي: يصل إلى أفواههم كما أشار إلى ذلك

---

(١) «فتح الباري» (٤/ ٣٧٩).

(٢) «شرح جوهرة التوحيد» (ص١٧٠)، و«الحياة الآخرة» لغالب عواجي (١/ ٦٨).

(٣) «مجموع فتاوى ورسائل العثيمين» (٥/ ٦٠).

(٤) رواه صحيح البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٧٩٠).

النبي ﷺ إلى فيه. وبعضهم يصل إلى حقويه، وبعضهم إلى ركبتيه.. وإلى كعبيه، وذلك بحَسَب أعمالهم، ولا ينجو من هذا العرق إلا من كتب الله له النجاة من ذلك، ومن هؤلاء السبعة الذين يظلهم الله في ظله فيكونون تحت ظل الله الذي يخلقه يوم لا ظل إلا ظله.

**نص كلام شيخ الإسلام في المسالة: قال** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (... وتقوم القيامة التي أخبر الله بها في كتابه وعلى لسان رسوله وأجمع عليها المسلمون، فيقوم الناس من قبورهم لرب العالمين حفاة عراة غرلًا، وتدنو منهم الشمس ويلجمهم العرق)[(١)].

**ذِكر من نقل الإجماع من أهل العلم أو نص على المسألة ممن سبق شيخ الإسلام:**
لم أقف فيه على من نقل الإجماع من أهل العلم.. ولكن الحديث فيه صحيح صريح.

**ذِكر مستند الإجماع على دنو الشمس من الناس يوم القيامة ولجومهم بالعرق:**
روى الإمام مسلم في صحيحه من حديث المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل، فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق، فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا** - وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه -»[(٢)].

❊ ❊ ❊

---

(١) «الواسطية» «مجموع الفتاوى» (٣/ ١٤٥).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٤)، وانظر: «المسائل العقدية التي حكى فيها ابن تيمية الإجماع» لمجموعة مؤلفين (ص٨٧٣).

## المبحث الرابع: صفة حشر الخلق وأنهم على صور شتى

جاءت الأحاديث عن النبي محمد ﷺ في حشر الناس يوم القيامة على هيئات وحالات مختلفة؛ إما حسنة وإما قبيحة، بحَسَب ما قَدَّموا من أعمال، **وها هي أحوالهم:**

**١ - يُحشر الناس أفواجًا:**

قال تعالى: ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ۝١٨﴾ [النبأ: الآية ١٨]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝٨٣ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝٨٤ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٣ - ٨٥][1].

**٢- يُحشر الناس حفاة عراة غرلًا:**

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا النبي ﷺ يخطب فقال: «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلًا - ثم قرأ:** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤] - **وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ [المائدة: الآية ١١٧] - إلى قوله -: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]»[2].

---

(١) قال القاسمي «محاسن التأويل» (٩/ ٣٩١): ﴿فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ أي: فِرقًا مختلفة، كل فرقة مع إمامهم، على حَسَب تباين عقائدهم وأعمالهم وتوافقها.

(٢) رواه البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).

ومن حديث عائشة أم المؤمنين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قالت: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**تحشرون حفاة عراة غرلًا**»[(١)].

ومعنى حفاة: أي: تمشون على أرجلكم دون نعل أو خف. والعاري: هو من لا ثوب له على جسده. والأغرل: هو الذي لم يختتن.

أي إن البشر يرجعون كهيئتهم يوم وُلدوا، حتى إن الغرلة ترجع وإن كان قد اختتن صاحبها في الدنيا؛ تحقيقًا لقوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤].

**٣- الوجوه:**

قال تعالى: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: الآية ١١١] أي: ذلت وخضعت.

**٤- الأبصار:**

قال تعالى: ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾﴾ [القَمَر: الآية ٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ ﴿٧﴾﴾ [القِيامَة: الآية ٧] أي: اضطربت وجالت العين من الخوف.

وقال تعالى: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾﴾ [النّازعات: الآية ٨] أي: مضطربة سريعة الخفقان[(٢)].

**٥- ويُحشر الكافرون على وجوههم:**

عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أن رجلًا قال: يا نبي الله، كيف يُحشر الكافر

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٧)، ومسلم (٢٨٥٩).

(٢) «الإيمان باليوم الآخر» (ص١١٧)، و«مفردات ألفاظ القرآن» للراغب (ص١١٩).

على وجهه؟! قال: «**أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادرًا على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟**» قال قتادة: بلى وعزة ربنا[١].

**قال ابن حجر في بيان معنى الحديث:** ظاهر في أن المراد بالمشي حقيقته؛ فلذلك استغربوا حتى سألوا عن كيفيته..

**ثم بَيَّنَ ابن حجر بيان الحكمة في هذا المشي فقال:** (والحكمة في حشر الكافر على وجهه أنه عوقب على عدم السجود لله في الدنيا، بأن يُسحب على وجهه في القيامة؛ إظهارًا لهوانه، بحيث صار وجهه مكان يده ورجله في التوقي عن المؤذيات»[٢].

**٦ - حشر السائلين:**

ومن الصور الأخرى التي تشاهد في يوم القيامة صور أولئك السائلين الذين يسألون الناس وعندهم ما يغنيهم، يأتون يوم القيامة وليس في وجوههم مزعة لحم، يعرفهم الناس كلهم.

وهذا ما ورد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال النبي ﷺ: «**ما يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم**»[٣].

**٧ - حشر أصحاب الغلول:**

ومن المشاهد كذلك: مشهد أقوام يأتون حاملين أثقالًا على ظهورهم؛ كالبعير والشاة وغيرهما، وهؤلاء هم أهل الغلول، فإنهم يُحشرون في هيئة تشهد عليهم بالخيانة والغلول أمام الخلق أجمعين، فمَن غل شيئًا في حياته الدنيا ولم يُظهره؛ فسيُظهره الله عليه يوم يبعث، يكون علامة له وزيادة في

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٣)، ومسلم (٢٨٠٦).
(٢) «فتح الباري» (١١/ ٣٨٢).
(٣) رواه البخاري (١٤٧٤)، ومسلم (١٠٤٠).

النكاية وتشهيرًا بجريمته يحمل ما غل على ظهره.

مصداق هذا ما جاء في كتاب الله ﷻ حيث قال: ﴿وَمَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَغُلَّ ۚ وَمَن يَغْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ ثُمَّ تُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦١﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٦١] وما جاء في السنة النبوية كما في حديث أبي مسعود الأنصاري قال: بعثني النبي ﷺ ساعيًا، ثم قال: «**انطلِق أبا مسعود لا ألفينك يوم القيامة تجيء وعلى ظهرك بعير من إبل الصدقة له رغاء، قد أغللته**» قال: إذًا لا أنطلق. قال: «**إذًا لا أُكرهك**»(١).

**والخلاصة:** أن من مات على عمل بُعث عليه.

**قال البرديسي في شرح حديث جابر** رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ قال: «**يُبعث كل عبد على ما مات عليه**»(٢).

**٨ - حشر أهل الوضوء، أهل الغرة والتحجيل:**

وإذا كان من قدمنا ذكرهم كانوا أمثلة سيئة لمن يعمل أعمالهم، فإنه في الجانب الآخر نجد من يتسم بالصفات الحميدة، ولهذا فإنه يُبعث حميدًا عليه سيما أهل الصلاح والتقوى، سيما أمة محمد ﷺ، من الغرة والتحجيل بسبب آثار الوضوء، وهي كرامة من الله تعالى لأوليائه وأحبائه، كما قال ﷺ في حديث أبي هريرة: «**إن أمتي يُدعون يوم القيامة غرًّا محجلين من آثار الوضوء، فمَن استطاع منكم أن يطيل غرته فليفعل**»(٣). وكما قال ﷺ في

---

(١) رواه أبو داود (٢٩٤٧)، والطبراني (١٧/ ٢٤٧) (١٤٣٧٧)، والمنذري في «الترغيب والترهيب» (٢/ ٢٥)، والحديث سكت عنه أبو داود، وصحح إسناده عبد الحق الإشبيلي في «الأحكام الصغرى» (٣٦١)، وحَسَّنه الألباني في «صحيح أبي داود».

(٢) رواه مسلم (٢٨٧٨).

(٣) رواه البخاري (١٣٦)، ومسلم (٢٤٦).

الحديث الذي رواه عبد الله بن بسر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**أمتي يوم القيامة غر من السجود، محجلون من الوضوء**»[(١)].

**٩ - حَشْر الشهداء:**

عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يُكْلَم أحد في سبيل الله - والله أعلم بمن يكلم في سبيله - إلا جاء يوم القيامة وجرحه يثعب، اللون لون دم، والريح ريح مسك**»[(٢)].

وهذا إكرام لهم وبيان لمزاياهم، وتشهير بمواقفهم وعلو مقامهم عند الله تعالى؛ لأن الجزاء من جنس العمل.

**قال النووي:** (وأما الكَلْم - بفتح الكاف وإسكان اللام - فهو الجرح، ويُكْلم - بإسكان الكاف - أي: يُجْرح) قال: (وفيه دليل على أن الشهيد لا يزول عنه الدم بغسل ولا غيره، والحكمة في مجيئه يوم القيامة على هيئته أن يكون معه شاهد فضيلته وبذله نفسه في طاعة الله تعالى)[(٣)(٤)].

**١٠- أحوال الناس عمومًا:**

يُعرضون صفًّا أمام الله تعالى: ﴿وَعُرِضُواْ عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا

(١) رواه الترمذي (٦٠٧)، وأحمد (٤/ ١٨٩) (١٧٧٢٩)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٣/ ١٧)، والضياء (٩/ ١٠٦) (٩٤). قال الترمذي: حسن صحيح غريب من هذا الوجه من حديث ابن بسر.

وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: صحيح. وصحح إسناده على شرط الشيخين شعيب الأرناؤوط في تحقيقه للمسند.

(٢) رواه مسلم (١٠٥-١٨٧٦).

(٣) «شرح صحيح مسلم» (٤/ ٥٤١).

(٤) «الحياة الآخرة» لغالب عواجي - بتصرف - (١/ ٢٠٧)، وانظر: «الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٤/ ٣٥٨).

خَلَقْنَٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍۭ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٨].

لا يتكلمون ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ ٱلدَّاعِىَ لَا عِوَجَ لَهُۥ ۖ وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: الآية ١٠٨].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥ - ٣٦].

وأحيانًا يتكلمون، قال تعالى: ﴿يَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ ٱلْمَفَرُّ ﴿١٠﴾﴾ [القيامة: الآية ١٠] يدل على أنهم يتكلمون.

فكيف يتكلمون ولا يتكلمون؟

هذا بحَسَب اختلاف الأوضاع، فيوم القيامة طويل، وفي موقف يتكلمون وفي موقف يصمتون، والله يقول: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا ۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبإ: الآية ٣٨]. فإثبات الكلام من الخلق يوم القيامة تبع لإذن الله لهم، ونفيه في الحالة التي لم يؤذن فيها.

**١١- ذهول الناس وخوفهم وهلعهم:**

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾ يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾ [الحج: ١، ٢] فإن كانت الأم المرضعة - وهي أحرص ما يكون على ولدها - تذهل عنه، فغيرها من باب أَوْلى، وإن كان الطفل الصغير الذي لم يذنب بعدُ يخاف حتى يشيب عارضاه فما بالك بغيره من الناس؟

**١٢- تُنسى الأنساب،** فكل إنسان مشغول بنفسه لأنه يأتي وحيدًا، قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١٠١] وقال تعالى: ﴿إِن كُلُّ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ إِلَّآ ءَاتِى ٱلرَّحْمَٰنِ عَبْدًا ﴿٩٣﴾

لَّقَدْ أَحْصَىٰهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا ﴿٩٤﴾ وَكُلُّهُمْ ءَاتِيهِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَرْدًا ﴿٩٥﴾﴾ [مريم: ٩٣ - ٩٥]، وقال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾﴾ [لقمان: الآية ٣٣].

**١٣- يَجْثون على الرُّكَب:** ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَـٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢٨].

**١٤- يُعْرضون على الله لا يخفى منهم شيء:** قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقَّة: الآية ١٨][(١)].

١٥- كل نفس معها سائق وشهيد: قال الله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: ٢٠، ٢١][(٢)].

**١٦- حشر المتكبرون:**

عن عمرو بن شعيب، عن أبيه، عن جده، عن النبي ﷺ قال: «**يُحشر المتكبرون يوم القيامة أمثال الذر في صور الرجال، يغشاهم الذل من كل مكان، فيساقون إلى سجن في جهنم يسمى بولس، تعلوهم نار الأنيار، يُسقون من عصارة أهل النار طينة الخبال**»[(٣)].

**١٧- حشر المعرضين عن ذكر الله:**

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُۥ يَوْمَ

---

(١) «الإيمان باليوم الآخر» للصلابي (ص١١٩).

(٢) قال الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٧): يقول تعالى ذكره: وجاءت يوم يُنفخ في الصور كلّ نفس ربها، معها سائق يسوقها إلى الله، وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شرّ.

(٣) رواه الترمذي (٢٤٩٢)، وقال: «هذا حديث حسن».

ٱلْقِيَـٰمَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِىٓ أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴿١٢٥﴾﴾ [طه: ١٢٤، ١٢٥]. وقال تعالى: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ [الإسراء: الآية ٩٧][1].

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٥٥٩): يقول تعالى ذكره: ﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] يا محمد للإيمان به، ولتصديقك وتصديق ما جئت به من عند ربك، فوفقه لذلك، ﴿وَمَن يَهْدِ﴾ [الإسراء: ٩٧] الرشيد المصيب الحق، لا من هداه غيره، فإن الهداية بيده. ﴿وَمَن يُضْلِلْ﴾ [الإسراء: ٩٧] يقول: ومن يضلله الله عن الحق، فيخذله عن إصابته، ولم يوفقه للإيمان بالله وتصديق رسوله، ﴿فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] يا محمد أولياء ينصرونهم من دون الله، إذا أراد الله عقوبتهم والاستنقاذ منهم.

﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] يقول: ونجمعهم بموقف القيامة من بعد تفرقهم في القبور عند قيام الساعة ﴿عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] وهو جمع أبكم، ويعني بالبكم: الخرس...

فإن قال قائل: وكيف وَصَف الله هؤلاء بأنهم يُحشرون عميًا وبكمًا وصُمًّا، وقد قال: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: الآية ٥٣] فأخبر أنهم يرون، وقال: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾ وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: ١٢، ١٣] فأخبر أنهم يسمعون وينطقون؟

قيل: جائز أن يكون ما وصفهم الله به من العمى والبَكَم والصمم يكون صفتهم في حال حشرهم إلى موقف القيامة، ثم يجعل لهم أسماع وأبصار ومنطق في أحوال أُخر غير حال الحشر، ويجوز أن يكون ذلك، كما رُوي عن ابن عباس في الخبر الذي حدثنيه علي بن داود، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ﴾ [الإسراء: ٩٧] ثم قال: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا﴾ [الكهف: ٥٣]. =

## ١٨- حشر المشركين مع آلهتهم:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [يونس: ٢٨ - ٣٠](١).

---

= وقال: ﴿سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: ١٢] وقال: ﴿دَعَوْا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ [الفرقان: الآية ١٣] أما قوله: ﴿عُمْيًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] فلا يرون شيئًا يسرهم. وقوله: ﴿وَبُكْمًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] لا ينطقون بحجة، وقوله: ﴿وَصُمًّا﴾ [الإسراء: الآية ٩٧] لا يسمعون شيئا يسرهم، وقوله: ﴿مَّأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [الإسراء: ٩٧] يقول جل ثناؤه: ومصيرهم إلى جهنم، وفيها مساكنهم، وهم وقودها.

(١) قال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/ ١٥٣): ذكر في هذه الآية الكريمة أنه يوم القيامة يجمع الناس جميعًا، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقوله: ﴿هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ﴾ [يونس: الآية ٣٠] الآية. صرح في هذه الآية الكريمة بأن كل نفس يوم القيامة تبلو، أي: تخبر وتعلم ما أسلفت، أي: قدمت من خير وشر، وبيَّن هذا المعنى في آيات كثيرة، كقوله: ﴿يُنَبَّأُ الْإِنسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة: ١٣].

وقوله: ﴿يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ﴾ [الطارق: ٩]، وقوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤]، وقوله: ﴿وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: ٤٩] الآية.

وأما على قراءة «تتلو» بتاءين، ففي معنى الآية وجهان:

**أحدهما:** أنها تتلو بمعنى تقرأ في كتاب أعمالها جميع ما قدمت، فيرجع إلى الأولى.

**والثاني:** أن كل أمة تتبع عملها؛ لقوله ﷺ: «**لتتبع كل أمة ما كانت تعبده، فيتبع من كان يعبد الشمس الشمس...**» الحديث.



## المبحث الخامس: أول مَن يُحشر

عن جبير بن مطعم رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**لي خمسة أسماء: أنا محمد، وأحمد، وأنا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب**» وعند مسلم: «**وأنا الحاشر الذي يُحشر الناس على عقبي**»[١].

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٣٥٣٢)، ومسلم (٢٣٥٤).

قال النووي في «شرحه على مسلم» (١٥/ ١٠٥): قال العلماء: معناهما: يُحشرون على أثري وزمان نبوتي ورسالتي وليس بعدي نبي. وقيل: يتبعوني.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٥٥٧): قوله: «وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي» أي: على أثري، أي: إنه يُحشر قبل الناس، وهو موافق لقوله في الرواية الأخرى: «يُحشر الناس على عقبي» ويحتمل أن يكون المراد بالقدم الزمان، أي: وقت قيامي على قدمي بظهور علامات الحشر إشارة إلى أنه ليس بعده نبي ولا شريعة، واستشكل التفسير بأنه يقضي بأنه محشور فكيف يفسر به حاشر وهو اسم فاعل، وأجيب بأن إسناد الفعل إلى الفاعل إضافة والإضافة تصح بأدنى ملابسة، فلما كان لا أمة بعد أمته لأنه لا نبي بعده نُسب الحشر إليه لأنه يقع عقبه. ويحتمل أن يكون معناه أنه أول مَن يُحشر كما جاء في الحديث الآخر: «أنا أول من تنشق عنه الأرض» وقيل: معنى القدم السبب. وقيل: المراد على مشاهدتي قائمًا لله شاهدًا على الأمم. ووقع في رواية نافع بن جبير: «وأنا حاشر بُعثت مع الساعة» وهو يرجح الأول.

**تنبيه:** قوله: «على عقبي» بكسر الموحدة مخففًا على الإفراد، ولبعضهم بالتشديد على التثنية والموحدة مفتوحة.

## المبحث السادس: آخر مَن يُحشر

عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «...**وآخر مَن يُحشر راعيان من مزينة، يريدان المدينة، ينعقان بغنمهما فيجدانها وحشًا، حتى إذا بلغا ثنية الوداع خرا على وجوههما**»(١).

(١) رواه البخاري (١٨٧٤)، ومسلم (٤٩٨- ١٣٨٩).

قال القرطبي في «المفهم» (١١/ ٤١): وقوله: «ثم يخرج راعيان من مزينة ينعقان بغنمهما»؛ أي: يصيحان بها، ليسوقاها. والنعاق: صوت السائق للغنم. ومنه قوله تعالى: ﴿كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٧١].

وقوله: «فيجدانها وحشًا»؛ أي: خلاء. يقال: أرض وحش. أي: خالية. ومشى وحشًا؛ أي: وحده. قاله الحربي. ويحتمل أن يكون معناه: كثيرة الوحوش؛ كما قال في البخاري: «فيجدانها وحوشًا»؛ أي: يجدان المدينة كثيرة الوحوش لما خلت من سكانها، كما قال: للعوافي. والوحش: كل ما توحش من الحيوان، وجمعه وحوش. والضمير في « يجدانها» على هذا راجع للمدينة. وقيل: إنه عائد على الغنم؛ أي: صارت هي وحوشًا، إما بأن تنقلب كذلك - والقدرة صالحة - وإما بأن تتوحش، فتنفر من أصوات الرُّعاة.

و«خرَّا على وجوههما»؛ أي: سقطا ميتين.

وهذا الذي ذكره النبي ﷺ من حديث الراعيين إنما يكون في آخر الأمر عند انقراض الدنيا، بدليل ما قاله البخاري في هذا الحديث: «**آخر من يُحشر راعيان من مزينة**»، قيل: معناه: آخر من يموت بها فيُحشر؛ لأن الحشر بعد الموت. ويحتمل: أن يتأخر حشرهما لتأخير موتهما.

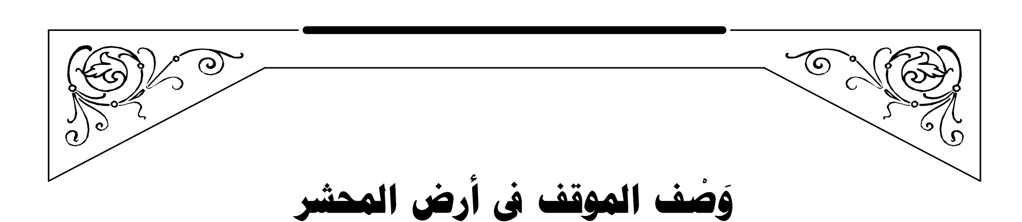
**قلت:** ويحتمل أن يكون معناه: آخر من يحشر إلى المدينة؛ أي: يساق إليها. كما في لفظ مسلم.

## المبحث السابع: أول مَن يُكسى

عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قام فينا النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخطب فقال: «**إنكم محشورون حفاة عراة غرلًا – ثم قرأ:** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤] – **وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم، وإن أناسًا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: أصحابي أصحابي، فيقول: إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم، فأقول كما قال العبد الصالح:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ [المائدة: الآية ١١٧] – إلى قوله –: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]»(١).



(١) رواه البخاري (٦٥٢٦)، ومسلم (٢٨٦٠).



## وَصْف الموقف في أرض المحشر

إذا انتهى الناس إلى الموقف الذي أعده الله تبارك وتعالى مكانًا لاجتماع خلقه فيه، وشَرَّفه جل وعلا بنزوله فيه لفصل القضاء بين عباده؛ فإن الخلق يكونون فيه على ما لا يُتصور ولا يدرك كنهه من القلق والخوف العظيم، **وقد جاء في القرآن الكريم وفي السنة النبوية الشريفة أوصاف كثيرة لهذا الموقف العظيم:**

فالشمس فوق رؤوسهم، والعرق قد بلغ من كل واحد قدر عمله، حتى إن منهم من يلجمه إلجامًا، وهم وقوف حفاة عراة غرلًا، شاخصة أبصارهم إلى السماء، ينتظرون فصل القضاء، لا ينظر أحد إلى أحد، يفر الحميم من حميمه والقريب من قريبه، قد ملئت قلوبهم بما يشغلها، وكيف لا تُملأ وهم ينتظرون إما نارًا حامية وإما جنة عالية؟!

كل واحد يتذكر ما سعى وما قَدَّم لهذا الموقف العظيم؛ لا شغل له إلا ذلك، حتى يفصل الله بينهم، ويتبين مصير كل واحد منهم(١).

**وقد جاء وصف هذا اليوم في القرآن الكريم:** قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْـَٔازِفَةِ إِذِ ٱلْقُلُوبُ لَدَى ٱلْحَنَاجِرِ كَٰظِمِينَ ۚ مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: ١٨].

وقال تعالى مبينًا حال الكفار وما يصيبهم من الفزع الشديد لهول ما يرون وذلتهم وفراغ قلوبهم عن كل شيء: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٤٢﴾ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا

---

(١) «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (١/ ٢٤٣).

يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْئِدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٢ - ٤٣].

وقال تعالى في بيان حال المؤمنين والكافرين، وما امتاز به كل فريق من علامات الشقاء أو السعادة: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٦- ١٠٧] فقد جعل الله جميع أهل الآخرة فريقين: (أحدهما: وجوهه سوداء، والآخر: وجوهه بيضاء).

وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الجاثية: الآية ٢٨].

**قال ابن كثير:** (جاثية: أي: على رُكَبها من الشدة والعظمة، ويقال: إن هذا إذا جيء بجهنم، فإنها تزفر زفرة لا يبقى أحد إلا جثا لركبتيه)[(١)].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ﴿١٧﴾ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا﴾ [المزمل: ١٧، ١٨]. يقول تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ﴾ أنفسكم إن كفرتم، أي: إن بقيتم على كفركم، ﴿يَوْمًا﴾: أي: عذاب يوم ﴿يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا﴾؛ لشدة هوله، أي: يصير الولدان شيوخًا، والشِّيب: جمع أشيب، وهذا يجوز أن يكون حقيقة وأنهم يصيرون كذلك، أو تمثيلًا؛ لأن من شاهد الهول العظيم تقاصرت قواه وضعفت أعضاؤه وصار كالشيخ في الضعف وسقوط القوة ﴿ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ﴾ أي: متشققة به لشدته وعظيم هوله)[(٢)].

**وقد جاء وصفه في السنة:**

فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦﴾﴾ [المطففين: الآية ٦] قال: «**يقوم أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**»[(٣)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١٥١).

(٢) «فتح القدير» (٥/ ٣١٩). «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (١/ ٢٤٣).

(٣) رواه البخاري (٤٩٣٨)، ومسلم (٢٨٦٢).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**يعرق الناس يوم القيامة حتى يذهب عرقهم في الأرض سبعين ذراعًا، ويلجمهم حتى يبلغ آذانهم**»(١). وفي رواية مسلم: «**سبعين عامًا، وإنه ليبلغ إلى أفواه الناس**»(٢).

وعن عدي بن حاتم أن رسول الله ﷺ قال: «**ثم ليقفن أحدكم بين يدي الله، ليس بينه وبينه حجاب، ولا ترجمان يترجم له، ثم ليقولن له: ألم أوتك مالًا؟ فليقولن: بلى. ثم ليقولن: ألم أرسل إليك رسولًا؟ فليقولن: بلى. فينظر عن يمينه فلا يرى إلا النار، ثم ينظر عن شماله فلا يرى إلا النار، فليتقين أحدكم النار ولو بشق تمرة، فإن لم يجد فبكلمة طيبة**»(٣).

وفي هذا الموقف الرهيب يكون للشمس وقع شديد على الناس، فهي تدنو من رؤوس البشر - رغم حرارتها الهائلة - حتى تكون كمقدار ميل، وللإنسان أن يتصور مدى ما يلحق أهل الموقف من ألم حرارتها.

وهذا ما رواه المقداد بن الأسود قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**تدني الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل**». قال سليم بن عامر أحد رواة الحديث: فوالله ما أدري ما يعني بالميل؛ أمسافة الأرض أم الميل الذي تكتحل به العين. قال: «**فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق: فمنهم من يكون إلى كعبيه، ومنهم من يكون إلى ركبتيه، ومنهم من يكون إلى حقويه، ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا**». قال: وأشار رسول الله ﷺ بيده إلى فيه»(٤).

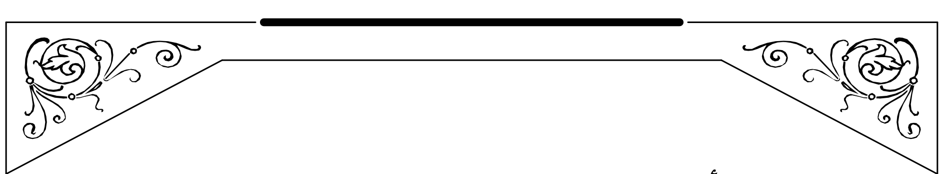
---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٢).

(٢) رواه مسلم (٢٨٦٣).

(٣) رواه البخاري (١٤١٣).

(٤) رواه مسلم (٢٨٦٤)، وانظر: «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (١/ ٢٤٣).



## صفة الأرض التي يكون بها الجمع يوم القيامة

عن سهل بن سعد، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: «**يُحشر الناس يوم القيامة على أرض بيضاء عفراء، كقرصة نَقِي**» قال سهل أو غيره: «ليس فيها معلم لأحد»(١).

وقال ﷺ: «**يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد، فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر**»(٢).

❊ ❊ ❊

(١) رواه البخاري (٦٥٢١)، ومسلم (٢٨ - ٢٧٩٠).

قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٣٧٥): قوله: «يحشر الناس» بضم أوله. قوله: «أرض عفراء» قال الخطابي: العفر: بياض ليس بالناصع. وقال عياض: العفر بياض يضرب إلى حمرة قليلًا ومنه سُمي عفر الأرض وهو وجهها. وقال ابن فارس: معنى عفراء خالصة البياض. وقال الداودي: شديدة البياض. كذا قال والأول هو المعتمد. قوله: «كقرصة النقي» بفتح النون وكسر القاف، أي: الدقيق النقي من الغش والنخال. قاله الخطابي.

(٢) رواه البخاري (٤٧١٢)، ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.



## مشاهد من أهوال يوم القيامة

### ١- دك الأرض وتبدلها:

قال تعالى: ﴿يَوۡمَ تُبَدَّلُ ٱلۡأَرۡضُ غَيۡرَ ٱلۡأَرۡضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُۖ وَبَرَزُواْ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ ٤٨﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨][(١)].

---

(١) قال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١٣/ ٢٥٢): اسْتِئْنَافٌ لِزِيَادَةِ الْإِنْذَارِ بِيَوْمِ الْحِسَابِ؛ لِأَنَّ فِي هَذَا تَبْيِينَ بَعْضِ مَا فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ مِنَ الْأَهْوَالِ، فَلَكَ أَنْ تَجْعَلَ «يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ» مُتَعَلِّقًا بِقَوْلِهِ: «سَرِيعُ الْحِسابِ» قُدِّمَ عَلَيْهِ لِلِاهْتِمَامِ بِوَصْفِ مَا يَحْصُلُ فِيهِ، فَجَاءَ عَلَى هَذَا النَّظْمِ لِيَحْصُلَ مِنَ التَّشْوِيقِ إِلَى وَصْفِ هَذَا الْيَوْمِ لِمَا فِيهِ مِنَ التَّهْوِيلِ. وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَهُ مُتَعَلِّقًا بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ تَقْدِيرُهُ: اذْكُرْ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ، وَتَجْعَلُ جُمْلَةَ «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» عَلَى هَذَا تَذْيِيلًا. وَلَكَ أَنْ تَجْعَلَهُ مُتَعَلِّقًا بِفِعْلٍ مَحْذُوفٍ دَلَّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ: «لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ». وَالتَّقْدِيرُ: يَجْزِي اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ.. إلخ. وَجُمْلَةُ «إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسابِ» تَذْيِيلٌ أَيْضًا.

وَالتَّبْدِيلُ: التَّغْيِيرُ فِي شَيْءٍ إِمَّا بِتَغْيِيرِ صِفَاتِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: الآية ٧٠]، وَقَوْلِكَ: بَدَّلْتُ الْحَلْقَةَ خَاتَمًا. وَإِمَّا بِتَغْيِيرِ ذَاتِهِ وَإِزَالَتِهَا بِذَاتٍ أُخْرَى، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَدَّلۡنَٰهُمۡ جُلُودًا غَيۡرَهَا﴾ [النِّساء: الآية ٥٦]، وَقَوْلِهِ: ﴿وَبَدَّلۡنَٰهُم بِجَنَّتَيۡهِمۡ جَنَّتَيۡنِ ذَوَاتَيۡ أُكُلٍ خَمۡطٖ﴾ [سَبَإ: الآية ١٦]. وَتَبْدِيلُ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: إِمَّا بِتَغْيِيرِ الْأَوْصَافِ الَّتِي كَانَتْ لَهَا وَإِبْطَالِ النُّظُمِ الْمَعْرُوفَةِ فِيهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا، وَإِمَّا بِإِزَالَتِهَا وَوِجْدَانِ أَرْضٍ وَسَمَاوَاتٍ أُخْرَى فِي الْعَالَمِ الْأُخْرَوِيِّ. وَحَاصِلُ الْمَعْنَى اسْتِبْدَالُ الْعَالَمِ الْمَعْهُودِ بِعَالَمٍ جَدِيدٍ. =

وفي الحديث عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَنْ قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨] فَأَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَئِذٍ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**عَلَى الصِّرَاطِ**»(١).

وعند الترمذي (٣٢٤١) من حديث عائشة، أنها قالت: يا رسول الله ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٧] فأين المؤمنون يومئذٍ؟ قال: «**على الصراط يا عائشة**». قال الترمذي: «هذا حديث حسن صحيح»(٢).

---

= وَمَعْنَى «وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْواحِدِ الْقَهَّارِ» مِثْلُ مَا ذُكِرَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَبَرَزُواْ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: الآية ٢١]. وَالْوَصْفُ بِالْواحِدِ الْقَهَّارِ لِلرَّدِّ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ أَثْبَتُوا لَهُ شُرَكَاءَ وَزَعَمُوا أَنَّهُمْ يُدَافِعُونَ عَنْ أَتْبَاعِهِمْ. وَضَمِيرُ «بَرَزُوا» عَائِدٌ إِلَى مَعْلُومٍ مِنَ السِّيَاقِ، أي: وَبَرَزَ النَّاسُ، أَوْ بَرَزَ الْمُشْرِكُونَ.

وقال السعدي (ص٤٢٨): تبدل غير السماوات، وهذا التبديل تبديل صفات لا تبديل ذات، فإن الأرض يوم القيامة تُسَوى وتُمد كمد الأديم ويُلقى ما على ظهرها من جبل ومَعْلم، فتصير قاعًا صفصفًا، لا ترى فيها عوجًا ولا أمتًا، وتكون السماء كالمهل من شدة أهوال ذلك اليوم، ثم يطويها الله -تعالى- بيمينه.

(١) أخرجه مسلم (٢٧٩١)، والترمذي (٣٢٤١).

قال النووي في «شرحه» على مسلم (١٧/ ١٣٠): ظاهر الحديث أن النبي ﷺ صَدَّق الحبر في قوله: «إن الله تعالى يقبض السماوات والأرضين والمخلوقات بالأصابع. ثم قرأ الآية التي فيها الإشارة إلى نحو ما يقول. قال القاضي: وقال بعض المتكلمين: ليس ضحكه ﷺ وتعجبه وتلاوته للآية تصديقًا للحبر بل هو رد لقوله وإنكار وتعجب من سوء اعتقاده فإن مذهب اليهود التجسيم ففهم منه ذلك. وقوله: «تصديقًا له» إنما هو من كلام الراوي على ما فهم. والأول أظهر.

(٢) قال القاري في «شرح صحيح البخاري» (١٩/ ١٤٤): ولما أخبر الله تعالى عن عظمته قبل هذه الآية، ذكر أن من جملة عظمته أن الأرض جميعًا قبضته، أي: ملكه يوم القيامة بلا منازع ولا مدافع، قال الأخفش: هذا كما يقال: «خراسان في =

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٣، ١٤].

وقال تعالى: ﴿كَلَّآ إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾﴾ [الفجر: الآية ٢١][(١)].

وعن أبي سعيد الخدري: قال النبي ﷺ: **«تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفؤها الجبار بيده كما يكفأ أحدكم خبزته في السفر، نُزُلًا لأهل الجنة»**

---

= قبضة فلان»، ليس يريد أنها في كفه، إنما معناه أنها مِلكه، ولما وقع الأرض مفردًا حسن تأكيده بقوله: «جميعًا»، أشار إلى أن المراد جميع الأراضي.

وقال أبو السعود (٧/ ٢٦٢): ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧] ما قدرُوا عظمتَه تعالى في أنفسهم حقَّ عظمتِه حيثُ جعلُوا له شريكًا ووصفُوه بما لا يليق بشئونه الجليلةِ. وقُرئ بالتَّشديدِ.

﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٧] تنبيهٌ على غاية عظمتِه وكمالِ قدرته وحقارة الأفعال العظام التي تتحيَّر فيها الأوهام بالنسبةِ إلى قُدرتِه تعالى ودلالةٌ على أنَّ تخريبَ العالم أهونُ شيءٍ عليه، على طريقةِ التمثيل والتخييل من غير اعتبارِ القبضةِ واليمينِ حقيقةً ولا مجازًا، كقولِهم: «شابتْ لُمَّةُ اللَّيلِ» والقبضة المرة من القبض أُطلقت بمعنى القبضة وهي المقدار المقبوضُ بالكفِّ تسميةً بالمصدرِ أو بتقديرِ ذات قبضةٍ. وقُرئ بالنَّصبِ على الظَّرفِ تشبيهًا للموقَّتِ بالمُبهمِ. وتأكيدُ الأرضِ بالجميع لأنَّ المرادَ بها الأرَضَون السَّبعُ أو جميعُ أبعاضِها الباديةِ والغائرة. وقُرئ: «مطوياتٍ» على أنَّها حالٌ «والسَّمواتُ» معطوفةٌ على «الأرضُ» منظومةٌ في حُكمِها.

﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ما أبعدَ وما أعلى مَنْ هذه قدرتُه وعظمتُه عن إشراكِهم أو عمَّا يُشركونه من الشُّركاءِ.

(١) وقال الطبري (٢٤/ ٤١٦): يعني: إذا رُجت وزُلزلت زلزلة، وحُرّكت تحريكًا بعد تحريك.

وقال البغوي (٨/ ٤٢٢): ﴿إِذَا دُكَّتِ ٱلْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا﴾ مرة بعد مرة، وكُسر كل شيء على ظهرها من جبل وبناء وشجر، فلم يَبْقَ على ظهرها شيء.

فأتى رجل من اليهود فقال: بارك الرحمن عليك يا أبا القاسم! ألا أخبرك بنُزُل أهل الجنة يوم القيامة؟ قال: «**بلى**» قال: تكون الأرض خبزة واحدة - كما قال النبي ﷺ -. فنظر النبي ﷺ إلينا ثم ضحك حتى بدت نواجذه، ثم قال: «**ألا أخبرك بإدامهم؟**» قال: إدامهم بالام ونون. قالوا: وما هذا؟ قال: «**ثور ونون، يأكل من زائدة كبدهما سبعون ألفًا**»(١).

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عن النبي ﷺ قال: «**يقبض الله الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**»(٢).

### ٢- نَسْف الجبال:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُسَيِّرُ ٱلْجِبَالَ وَتَرَى ٱلْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٧].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ نَفْخَةٌ وَٰحِدَةٌ ﴿١٣﴾ وَحُمِلَتِ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ فَدُكَّتَا دَكَّةً وَٰحِدَةً ﴿١٤﴾﴾ [الحاقة: ١٣، ١٤].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [المزمّل: الآية ١٤].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ نُسِفَتْ ﴿١٠﴾﴾ [المُرسَلات: الآية ١٠](٣).

ثم إن الحق تبارك وتعالى يزيل هذه الجبال عن مواضعها، ويسوي الأرض حتى لا يكون فيها موضع مرتفع ولا منخفض.

وعبر القرآن عن إزالة الجبال بتسييرها مرة، وبنسفها أخرى، قال تعالى:

---

(١) رواه البخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٣٠ - ٢٧٩٢).

(٢) رواه البخاري (٦٥١٩).

(٣) قال الطبري (٢٤/ ١٢٩): وإذا الجبال نُسفت من أصلها، فكانت هباء منبثًّا.

﴿وَإِذَا ٱلْجِبَالُ سُيِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [التكوير: الآية ٣]، ﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ [النبإ: الآية ٢٠][١]. وقال تعالى: ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾﴾ [القارعة: الآية ٥][٢].

### ٣ - قَبْض الأرض وطي السماء:

قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤].

قال ﷺ: «**يقبض الله الأرض يوم القيامة ويطوي السماء بيمينه ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟**»[٣].

ومعنى الكلام: يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب، أي: على الكتاب، بمعنى المكتوب.

وقوله: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾، يعني هذا كائن لا محالة يوم يعيد الله الخلائق خلقًا جديدًا كما بدأهم هو القادر على إعادتهم[٤].

### ٤ - تفجير البحار وتسجيرها:

قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ ﴿٣﴾﴾ [الانفطار: الآية ٣].

---

(١) «القيامة الكبرى» لعمر الأشقر (ص١٠٢).

(٢) قال الطبري: ويوم تكون الجبال كالصوف المنفوش؛ والعهن: هو الألوان من الصوف.

(٣) البخاري رقم (٦٩٤٧)، ومسلم رقم (٢٧٨٧).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٩٩) بتصرف.

**قال البغوي (٥/ ٢١٩):** فجر بعضها في بعض واختلط العذب بالملح فصارت بحرًا واحدًا. وقال الربيع: فجرت: فاضت.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝٦﴾ [التكوير: الآية ٦].

**قال ابن عطية (٥/ ٤٤١):** و«تسجير البحار»، قال قتادة والضحاك: معناه: فرغت من مائها وذهبت حيث شاء الله. وقال الحسن: يبست. وقال الربيع بن خيثم: معناه: ملئت، وفاضت وفُجرت من أعاليها. وقال أُبي بن كعب وابن عباس وسفيان ووهب وابن زيد: معناه: أُضرمت نارًا كما يسجر التنور. وقال ابن عباس: جهنم في البحر الأخضر. ويحتمل أن يكون المعنى: مُلِكَتْ وقُيِّد اضطرابها حتى لا تخرج على الأرض بسبب الهول، فتكون اللفظة مأخوذة من ساجور الكلب.

### ٥- موران السماء وانفطارها:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ [الرَّحمن: الآية ٣٧].

فهي في أشد ما تكون من الوهن.

وقال تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوْمَئِذٍ وَاهِيَةٌ ۝١٦﴾ [الحَاقَّة: الآية ١٦]. وذلك أنها تضطرب اضطرابًا مهولًا.

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ۝٩﴾ [الطُّور: الآية ٩]. تتحرك تحركًا، هو تشققها تدور دورًا وقيل استدارتها وتحركها لأمر الله وموج بعضها في بعض، ثم إنها تتشقق وتنفطر وتنفرج.

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتْ ۝١ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ ۝٢﴾ [الإنشقاق: ١، ٢].

وقال تعالى: ﴿فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِن كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ ٱلْوِلْدَٰنَ شِيبًا ۝١٧ ٱلسَّمَآءُ مُنفَطِرٌۢ بِهِۦ ۚ كَانَ وَعْدُهُۥ مَفْعُولًا ۝١٨﴾ [المزمل: ١٧، ١٨].

وقال تعالى: ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ ۝١﴾ [الانفطار: الآية ١].

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلسَّمَآءُ فُرِجَتۡ ۝٩﴾ [المُرسَلات: الآية ٩].

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتۡ وَرۡدَةٗ كَٱلدِّهَانِ ۝٣٧﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٣٧]. يعني الدهان، فشبه السماء في تلونها بالدهن في اختلاف ألوانه، وهو كقوله تعالى: ﴿يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾ [المعَارج: الآية ٨]. وهو دُرْدي الزيت[١].

### ٦- تكوير الشمس وخسف القمر وتناثر النجوم:

قال تعالى: ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ ۝١ وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التكوير: ١، ٢].

**قال ابن جرير:** والصواب عندنا من القول في ذلك أن التكوير جمع الشيء بعضه على بعض، ومنه تكوير العمامة وجَمْع الثياب بعضها على بعض، فمعنى قوله تعالى: ﴿كُوِّرَتۡ﴾ جُمع بعضها إلى بعض ثم لُفت فرُمى بها، وإذا فُعل بها ذلك ذهب ضوؤها[٢].

وقال تعالى: ﴿وَخَسَفَ ٱلۡقَمَرُ ۝٨ وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القيامة: ٨، ٩]. خَسَف: أظلم وذهب نوره وضوؤه[٣].

وقوله تعالى: ﴿وَجُمِعَ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ ۝٩﴾ [القِيَامَة: الآية ٩]. فسّره النبي ﷺ، ففي حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «**الشمس والقمر مكوران يوم القيامة، يعني مجموعان مظلمان**»[٤].

والنجوم والكواكب ينفرط عِقدها فتنتثر ويذهب ضوءها فتُطمس، قال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ ۝٢﴾ [التّكوير: الآية ٢]. يعني انتثرت[٥]، وانفرط

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٤٠).

(٢) معارج القبول (٢/ ٢١٣)، و«الإيمان باليوم الآخر» (ص١٢٢).

(٣) «المفردات» للراغب (ص٢٨٢).

(٤) البخاري، رقم (٣٠٢٨).

(٥) «المفردات» للراغب (ص٧٠٤).

عِقدها وتساقطت على أهل الأرض، وهو كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلْكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتْ ۝٢﴾ [الانفِطار: الآية ٢]. وقال تعالى: ﴿فَإِذَا ٱلنُّجُومُ طُمِسَتْ ۝٨﴾ [المُرسَلات: الآية ٨]. يعني: ذهب ضوؤها[1].



---

(١) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٢٤٣).



## مشاهد من أحوال الناس يوم القيامة

### ١- حال المكذبين يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٣﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾ وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ﴾ [النمل: ٨٣ - ٨٥][(١)].

(١) قال البغوي في «تفسيره» (٦/ ١٨٠): وَمَعْنَى الْآيَةِ: أَكَذَّبْتُمْ بِآيَاتِي غَيْرَ عَالِمِيْنَ بِهَا، وَلَمْ تُفَكِّرُوا فِي صِحَّتِهَا بَلْ كَذَبْتُمْ بِهَا جَاهِلِينَ؟.

وقال يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٥٦٨): ﴿أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا﴾، أي: لم تحيطوا بها علمًا بأن ما عبدتم من دوني ما خلقوا معي شيئًا، ولا رزقوا معي شيئًا، وأن عبادتكم إياهم لم تكن منكم بإحاطة علم علمتموه، وإنما كان ذلك منكم على الظن. ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ يستفهمهم وهو أعلم بذلك منهم يحتج عليهم. قال: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم﴾، أي: وحق القول عليهم. والقول: الغضب، وهو تفسير ابن مجاهد عن أبيه.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٢١٥): يقول تعالى مخبرًا عن يوم القيامة، وحَشْر الظالمين المكذبين، بآيات الله ورسله إلى بين يدي الله، ﷻ، ليسألهم عما فعلوه في الدار الدنيا، تقريعًا وتوبيخًا، وتصغيرًا وتحقيرًا فقال: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا﴾ أي: من كل قوم وقرن فوجًا، أي: جماعة، ﴿مِّمَّن يُكَذِّبُ بِـَٔايَٰتِنَا﴾، كما قال تعالى: ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾ [الصَّافات: الآية ٢٢]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴿٧﴾﴾ [التَّكوير: الآية ٧].
=

### ٢- شدة ندم الخاسرين يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنذَرْنَٰكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنظُرُ ٱلْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا ﴿٤٠﴾﴾ [النبأ: الآية ٤٠](١).

وقال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾﴾ [النساء: الآية ٤٢](٢).

---

= وقوله: ﴿فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما: يُدْفعون. وقال قتادة: وزعة ترد، أولهم على آخرهم. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: يساقون.
﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُو﴾ أي: أوقفوا بين يدي الله عز وجل في مقام المساءلة، ﴿قَالَ أَكَذَّبْتُم بِـَٔايَٰتِى وَلَمْ تُحِيطُوا۟ بِهَا عِلْمًا أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: ويُسألون عن اعتقادهم، وأعمالهم، فلما لم يكونوا من أهل السعادة، وكانوا كما قال الله تعالى عنهم: ﴿فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّىٰ ﴿٣١﴾ وَلَٰكِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٣٢﴾﴾ [القيامة: ٣١، ٣٢]، فحينئذٍ قامت عليهم الحجة، ولم يكن لهم عذر يعتذرون به، كما قال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾ وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾ [المرسلات: ٣٥- ٣٧]، وهكذا قال هاهنا: ﴿وَوَقَعَ ٱلْقَوْلُ عَلَيْهِم بِمَا ظَلَمُوا۟ فَهُمْ لَا يَنطِقُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [النمل: الآية ٨٥] أي: بُهتوا فلم يكن لهم جواب؛ لأنهم كانوا في الدار الدنيا ظلمة لأنفسهم، وقد رُدوا إلى عالم الغيب والشهادة الذي لا تخفى عليه خافية.

(١) قال الطبري (٢٤/ ١٨٠): يقول تعالى ذكره: ويقول الكافر يومئذٍ تمنيًا لما يلقى من عذاب الله الذي أعدّه لأصحابه الكافرين به: يا ليتني كنت ترابًا كالبهائم التي جُعِلت ترابًا.

(٢) قال السعدي (ص١٧٩): ﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَعَصَوُا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ أي: جمعوا بين الكفر بالله وبرسوله ومعصيةِ الرسول ﴿لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ﴾ أي: تبتلعهم ويكونون ترابًا وعدمًا كما قال تعالى: ﴿وَيَقُولُ ٱلْكَافِرُ يَٰلَيْتَنِى كُنتُ تُرَٰبًۢا﴾ [النبأ: الآية ٤٠] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ أي: بل يُقرون له بما عملوا وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون، يومئذٍ يوفيهم الله جزاءهم الحق ويعلمون أن الله هو الحق المبين.
فأما ما ورد من أن الكفار يكتمون كفرهم وجحودهم فإن ذلك يكون في بعض مواضع القيامة حين يظنون أن جحودهم ينفعهم من عذاب الله، فإذا عرفوا =

### ٣- الشيطان وضحاياه يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ وَشَهِيدٞ ٢١ لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ٢٣ أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٖ مُّرِيبٍ ٢٥ ٱلَّذِي جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلۡقِيَاهُ فِي ٱلۡعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ٢٦ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطۡغَيۡتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَٰلِۭ بَعِيدٖ ٢٧ قَالَ لَا تَخۡتَصِمُواْ لَدَيَّ وَقَدۡ قَدَّمۡتُ إِلَيۡكُم بِٱلۡوَعِيدِ ٢٨ مَا يُبَدَّلُ ٱلۡقَوۡلُ لَدَيَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٢٩﴾ [ق: ٢١ - ٢٩][(١)].

---

= الحقائق وشهدت عليهم جوارحهم، حينئذٍ ينجلي الأمر ولا يبقى للكتمان موضع ولا نفع ولا فائدة.

وقال القاسمي (٣/ ١١٤): «يَوْمَئِذٍ» أي: يوم القيامة «يَوَدُّ» أي: يتمنى «الَّذِينَ كَفَرُوا» بالله «وَعَصَوُا الرَّسُولَ» بالإجابة «لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ» أي: يهلكون فيها. أي: يُدفنون. فتسوى بهم الأرض كما تسوى بالموتى. إذ هو أعزّ لهم من الهوان الذي يلحقهم من فضائحهم. كقوله: ﴿يَوۡمَ يَنظُرُ ٱلۡمَرۡءُ مَا قَدَّمَتۡ يَدَاهُ . . .﴾ الآية. ف(تسوّى) بمعنى: تُجعل مستوية. والباء للملابسة. أي: تسوى الأرض متلبسة بهم. وقيل: الباء بمعنى (على)، وفي (الدر المصون): وتسوية الأرض بهم أو عليهم: دفنهم. أو أن تنشق وتبلعهم. أو أنهم يبقون ترابًا على أصلهم من غير خلق.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٥٧): يقول تعالى ذكره: قال قرين هذا الإنسان الكفار المناع للخير، وهو شيطانه الذي كان موكلًا به في الدنيا.

وقال السعدي (ص٨٠٥): أي: ﴿وَجَآءَتۡ﴾ هذا الغافل المكذب بآيات الله ﴿سَكۡرَةُ ٱلۡمَوۡتِ بِٱلۡحَقِّۖ﴾ [ق: الآية ١٩] الذي لا مَرَدّ له ولا مناص. ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنۡهُ تَحِيدُ﴾ [ق: ١٩] أي: تتأخر وتنكص عنه. ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِۚ ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡوَعِيدِ ٢٠﴾ [ق: الآية ٢٠] أي: اليوم الذي يلحق الظالمين ما أوعدهم الله به من العقاب، والمؤمنين ما وعدهم به من الثواب. ﴿وَجَآءَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّعَهَا سَآئِقٞ﴾ [ق: الآية ٢١] يسوقها إلى موقف القيامة، فلا يمكنها أن تتأخر عنه، ﴿وَشَهِيدٞ﴾ يشهد عليها بأعمالها، خيرها وشرها، وهذا يدل =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= على اعتناء الله بالعباد، وحفظه لأعمالهم، ومجازاته لهم بالعدل، فهذا الأمر مما يجب أن يجعله العبد منه على بال، ولكن أكثر الناس غافلون؛ ولهذا قال: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [ق: الآية ٢٢] أي: يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام توبيخًا، ولومًا وتعنيفًا، أي: لقد كنت مكذبًا بهذا تاركًا للعمل له، فالآن ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ﴾ الذي غطى قلبك، فكثر نومك، واستمر إعراضك، ﴿فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق: الآية ٢٢] ينظر ما يزعجه ويروعه من أنواع العذاب والنكال. أوهذا خطاب من الله للعبد، فإنه في الدنيا في غفلة عما خُلق له، ولكنه يوم القيامة ينتبه ويزول عنه وَسَنُه، ولكنه في وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط ولا يستدرك الفائت، وهذا كله تخويف من الله للعباد وترهيب، بذكر ما يكون على المكذبين في ذلك اليوم العظيم.

وقال ابن كثير (٧/ ٤٠١): والمراد بقوله: ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا﴾ [ق: الآية ٢٢] يعني: من هذا اليوم، ﴿فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ﴾ [ق: الآية ٢٢] أي: قوي؛ لأن كل واحد يوم القيامة يكون مستبصرًا، حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك، قال الله تعالى: ﴿أَسۡمِعۡ بِهِمۡ وَأَبۡصِرۡ يَوۡمَ يَأۡتُونَنَا﴾ [مريم: الآية ٣٨]، وقال تعالى: ﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلۡمُجۡرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ رَبَّنَآ أَبۡصَرۡنَا وَسَمِعۡنَا فَٱرۡجِعۡنَا نَعۡمَلۡ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ يقول تعالى مخبرًا عن المَلَك الموكل بعمل ابن آدم: إنه يشهد عليه يوم القيامة بما فعل ويقول: ﴿هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ﴾ [ق: الآية ٢٣] أي: معتد محضر بلا زيادة ولا نقصان. وقال مجاهد: هذا كلام الملك السائق، يقول: هذا ابن آدم الذي وكلتني به قد أحضرته. وقد اختار ابن جرير أن يعم السائق والشهيد، وله اتجاه وقوة.

فعند ذلك يحكم الله، سبحانه تعالى في الخليقة بالعدل فيقول: ﴿أَلۡقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٖ ٢٤﴾ [ق: الآية ٢٤]، وقد اختلف النحاة في قوله: ﴿أَلۡقِيَا﴾ [ق: الآية ٢٤]: فقال بعضهم: هي لغة لبعض العرب يخاطبون المفرد بالتثنية، كما رُوي عن الحَجاج أنه كان يقول: يا حرسي، اضربا عنقه. ومما أنشد ابن جرير على هذه اللغة قول الشاعر:

**فإن تزجراني -يا ابن عفان- أنزجر... وإن تتركاني أحم عِرضًا ممنعا**

وقيل: بل هي نون التأكيد، سُهلت إلى الألف. وهذا بعيد؛ لأن هذا إنما يكون =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= في الوقف. والظاهر أنها مخاطبة مع السائق والشهيد، فالسائق أحضره إلى عرصة الحساب، فلما أدى الشهيد عليه، أمرهما الله تعالى بإلقائه في نار جهنم وبئس المصير.
﴿كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝٢٤﴾ [ق: الآية ٢٤] أي: كثير الكفر والتكذيب بالحق، ﴿عَنِيدٍ﴾: معاند للحق، معارض له بالباطل مع علمه بذلك. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [ق: الآية ٢٥] أي: لا يؤدي ما عليه من الحقوق، ولا بر فيه ولا صلة ولا صدقة، ﴿مُعْتَدٍ﴾ أي: فيما ينفقه ويصرفه، يتجاوز فيه الحد.
وقال قتادة: معتد في منطقه وسيرته وأمره.
﴿مُّرِيبٍ﴾ أي: شاك في أمره، مريب لمن نظر في أمره.
﴿ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [ق: الآية ٢٦] أي: أشرك بالله فعبد معه غيره، ﴿فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ﴾ [ق: الآية ٢٦]. وقد تقدم في الحديث: أن عنقًا من النار يبرز للخلائق فينادي بصوت يسمع الخلائق: إني وُكلت بثلاثة: بكل جبار، ومَن جعل مع الله إلهًا آخر، وبالمصورين. ثم تلوى عليهم.
﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [ق: الآية ٢٧]: قال ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم: هو الشيطان الذي وُكل به: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: الآية ٢٧] أي: يقول عن الإنسان الذي قد وافى القيامة كافرًا، يتبرأ منه شيطانه، فيقول: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ [ق: الآية ٢٧] أي: ما أضللته، ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: الآية ٢٧] أي: بل كان هو في نفسه ضالًّا قابلًا للباطل معاندًا للحق. كما أخبر تعالى في الآية الأخرى في قوله: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.
وقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ [ق: الآية ٢٨] يقول الرب ﷻ للإنسي وقرينه من الجن، وذلك أنهما يختصمان بين يدي الحق فيقول الإنسي: يا رب، هذا أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني. ويقول الشيطان: ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ﴾ [ق: الآية ٢٧] أي: عن منهج الحق. فيقول الرب ﷻ لهما: ﴿لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ﴾ [ق: الآية ٢٨] أي: عندي، ﴿وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ﴾ [ق: الآية ٢٨] أي: قد أعذرت إليكم على =

### ٤- يؤخذ أناس ذات الشمال:

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّكُمْ مَحْشُورُونَ حُفَاةً عُرَاةً غُرْلًا – ثُمَّ قَرَأَ:** ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٠٤] – **وَأَوَّلُ مَنْ يُكْسَى يَوْمَ القِيَامَةِ إِبْرَاهِيمُ، وَإِنَّ أُنَاسًا مِنْ أَصْحَابِي يُؤْخَذُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، فَأَقُولُ أَصْحَابِي أَصْحَابِي، فَيَقُولُ: إِنَّهُمْ لَمْ يَزَالُوا مُرْتَدِّينَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ مُنْذُ فَارَقْتَهُمْ، فَأَقُولُ كَمَا قَالَ العَبْدُ الصَّالِحُ:** ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ [المائدة: الآية ١١٧] – إِلَى قَوْلِهِ –: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]»(١).

### ٥- يوم تُبلي السرائر:

قال تعالى: ﴿بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا۟ يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ

= ألسنة الرسل، وأنزلت الكتب، وقامت عليكم الحجج والبينات والبراهين. ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾ [ق: الآية ٢٩] قال مجاهد: يعني قد قضيت ما أنا قاضٍ، ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [ق: الآية ٢٩] أي: لست أعذب أحدًا بذنب أحد، ولكن لا أعذب أحدًا إلا بذنبه بعد قيام الحجة عليه.

وقال القاسمي في «تفسيره» (٩/ ٢٤): ﴿قَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أي: قرين هذا الإنسان الكفار المناع للخير، وهو شيطانه الذي كان موكلًا به في الدنيا، متبرئًا منه ﴿رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾ أي: بالإرابة ومنع الإسلام وجَعْل إله آخر معك ﴿وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ﴾ أي: في طريق جائر عن سبيل الهدى، جورًا بعيدًا بنفسه. قال القاشاني: وقول الشيطان ﴿مَآ أَطْغَيْتُهُۥ﴾... إلخ كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم﴾ [إبراهيم: الآية ٢٢]، لأنه لو لم يكن في ضلال عن طريق التوحيد بعيد عن الفطرة الأصلية بالتوجه إلى الجهة السفلية، والتغشي بالغواشي المظلمة الطبيعية؛ لم يقبل وسوسة الشيطان، وقبل إلهام المَلَك فالذنب إنما يكون عليه بالاحتجاب من نور الفطرة، واكتساب الجنسية مع الشيطان في الظلمة.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٤٩)، ومسلم (٢٨٦٠).

﴿لَكَٰذِبُونَ ٢٨﴾ [الأنعام: الآية ٢٨][(١)].

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢١): يقول تعالى ذكره: ما بهؤلاء العادلين بربهم، الجاحدين نبوتك، يا محمد، في قيلهم إذا وُقفوا على النار: ﴿يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الأسى والندم على ترك الإيمان بالله والتصديق بك، لكن بهم الإشفاق مما هو نازل بهم من عقاب الله وأليم عذابه، على معاصيهم التي كانوا يخفونها عن أعين الناس ويسترونها منهم، فأبداها الله منهم يوم القيامة وأظهرها على رؤوس الأشهاد، ففضحهم بها، ثم جازاهم بها جزاءهم.
يقول: بل بدا لهم ما كانوا يخفون من أعمالهم السيئة التي كانوا يخفونها من قبل ذلك في الدنيا، فظهرت ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟﴾، يقول: ولو رُدوا إلى الدنيا فأُمهلوا ﴿لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ﴾، يقول: لرجعوا إلى مثل العمل الذي كانوا يعملونه في الدنيا قبل ذلك، من جحود آيات الله، والكفر به، والعمل بما يسخط عليهم ربهم.
﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾، في قيلهم: لو رُددنا لم نكذب بآيات ربنا وكنا من المؤمنين. لأنهم قالوه حين قالوه خشية العذاب، لا إيمانًا بالله.
وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٤٨): أي: بل ظهر لهم حينئذٍ ما كانوا يخفون في أنفسهم من الكفر والتكذيب والمعاندة، وإن أنكروها في الدنيا أو في الآخرة، كما قال قبل هذا بيسير ﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ٢٣ ٱنظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ ويحتمل أنهم ظهر لهم ما كانوا يعلمونه من أنفسهم من صدق ما جاءت به الرسل في الدنيا وإن كانوا يُظهرون لأتباعهم خلافه، كما قال تعالى مخبرًا عن موسى أنه قال لفرعون: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾ [الإسراء: الآية ١٠٢] الآية. قال تعالى مخبرًا عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا﴾ [النمل: الآية ١٤].
ويحتمل أن يكون المراد بهؤلاء: المنافقين الذين كانوا يُظهرون للناس الإيمان ويبطنون الكفر، ويكون هذا إخبارًا عما يكون يوم القيامة من كلام طائفة من الكفار، ولا ينافي هذا كون هذه السورة مكية، والنفاق إنما كان من بعض أهل المدينة ومَن حولها من الأعراب، فقد ذكر الله وقوع النفاق في سورة مكية وهي العنكبوت، =

### ٦- ظهور ما في الضمائر:

﴿وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الجاثية: ٣٢ - ٣٦][(١)].

### ٧- عِظم إثم مَن دعا إلى ضلالة:

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ ۗ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [النّحل: الآية ٢٥][(٢)].

---

= فقال: ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ ﴿١١﴾﴾ [العَنكبوت: الآية ١١]؛ وعلى هذا فيكون إخبارًا عن حال المنافقين في الدار الآخرة حين يعاينون العذاب يظهر لهم غب ما كانوا يبطنون من الكفر والشقاق والنفاق، والله أعلم.

وقال السعدي في «تفسيره» (ص٢٥٤): فإنهم كانوا يخفون في أنفسهم أنهم كانوا كاذبين، ويَبدو في قلوبهم في كثير من الأوقات. ولكن الأغراض الفاسدة صدتهم عن ذلك وصرفت قلوبهم عن الخير، وهم كذبة في هذه الأمنية، وإنما قصدهم أن يدفعوا بها عن أنفسهم العذاب.

(١) قال القرطبي في «تفسيره» (١٦/ ١٧٧): قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا۟﴾ [الجاثية: الآية ٣٣] أي: ظهر لهم جزاء سيئات ما عملوا.

﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: نزل بهم وأحاط.

﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ من عذاب الله.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٩٠): قول تعالى ذكره: يقول هؤلاء المشركون لمن سألهم، ماذا أنزل ربكم؟: الذي أنزل ربنا فيما يزعم محمد عليه: أساطير الأوّلين، لتكون لهم ذنوبهم التي هم عليها مقيمون من تكذيبهم الله وكفرهم بما =

وعَنْ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَا تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلَّا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الْأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا؛ لِأَنَّهُ كَانَ أَوَّلَ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ**»(١).

---

= أنزل على رسوله ﷺ، ومن ذنوب الذين يصدّونهم عن الإيمان بالله يضلون يفتنون منهم بغير علم، وقوله: ﴿أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥] يقول: ألا ساء الإثم الذي يأثمون والثقل الذي يتحملون.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥): أَيْ: إِنَّمَا قَدَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا ذَلِكَ فَيَتَحَمَّلُوا أَوْزَارَهُمْ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يَتْبَعُونَهُمْ وَيُوَافِقُونَهُمْ، أَيْ: يَصِيرُ عَلَيْهِمْ خَطِيئَةُ ضَلَالِهِمْ فِي أَنْفُسِهِمْ، وَخَطِيئَةُ إِغْوَائِهِمْ لِغَيْرِهِمْ وَاقْتِدَاءِ أُولَئِكَ بِهِمْ، كَمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ: «**مَنْ دَعَا إِلَى هُدى كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مثلُ آثَامِ مَنِ اتَّبَعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ من آثامهم شيئًا**». وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿١٣﴾﴾ [العَنكبوت: الآية ١٣]. وَهَكَذَا رَوَى الْعَوْفِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النّحل: الآية ٢٥]: إِنَّهَا كَقَوْلِهِ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العَنكبوت: الآية ١٣]. وَقَالَ مُجَاهِدٌ: يَحْمِلُونَ أَثْقَالَهُمْ: ذُنُوبَهُمْ وَذُنُوبَ مَنْ أَطَاعَهُمْ، وَلَا يُخَفَّفُ عَمَّنْ أَطَاعَهُمْ مِنَ الْعَذَابِ شَيْءٌ.

وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/ ٣٦٣): ذَكَرَ - جَلَّ وَعَلَا - فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْكَرِيمَةِ أَنَّ أُولَئِكَ الْكُفَّارَ الَّذِينَ يَصْرِفُونَ النَّاسَ عَنِ الْقُرْآنِ بِدَعْوَاهُمْ أَنَّهُ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ - تَحَمَّلُوا أَوْزَارَهُمْ - أَيْ: ذُنُوبَهُمْ - كَامِلَةً، وَبَعْضَ أَوْزَارِ أَتْبَاعِهِمُ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ فِي الضَّلَالِ؛ كَمَا يَدُلُّ عَلَيْهِ حَرْفُ التَّبْعِيضِ الَّذِي هُوَ «ومِن» فِي قَوْلِهِ: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم﴾ الْآيَةَ وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ: «مِنْ» لِبَيَانِ الْجِنْسِ؛ فَهُمْ يَحْمِلُونَ مِثْلَ أَوْزَارِ مَنْ أَضَلُّوهُمْ كَامِلَةً. وَأَوْضَحَ تَعَالَى هَذَا الْمَعْنَى فِي قَوْلِهِ: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ وَلَيُسْأَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾، وَاللَّامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿لِيَحْمِلُوا﴾ تَتَعَلَّقُ بِمَحْذُوفٍ دَلَّ الْمَقَامُ عَلَيْهِ، أَيْ: قَدَّرْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَقُولُوا فِي الْقُرْآنِ: أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ؛ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ.

(١) أخرجه البخاري (٧٣٢١)، ومسلم (١٦٧٧).

قال ابن بطال في «شرح صحيح البخارى» (١٠/ ٣٦٦): «لَيْسَ مِنْ نَفْسٍ تُقْتَلُ ظُلْمًا =

وروى مسلم (٢٦٧٤) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: **«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا. وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيْئًا»**.

وروى مسلم أيضًا (١٠١٧) من حديث جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **«مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ. وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً فَعُمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، كُتِبَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ مَنْ عَمِلَ بِهَا، وَلَا يَنْقُصُ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْءٌ»**.

### ٨- مَن لا يُقبل منه صرف ولا عدل:

عن يزيد بن شريك، قَالَ: خَطَبَنَا عليّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَلَى مِنْبَرٍ مِنْ آجُرٍّ وَعَلَيْهِ سَيْفٌ فِيهِ صَحِيفَةٌ مُعَلَّقَةٌ، فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا عِنْدَنَا مِنْ كِتَابٍ يُقْرَأُ إِلَّا كِتَابُ اللَّهِ، وَمَا فِي هَذِهِ الصَّحِيفَةِ. فَنَشَرَهَا، فَإِذَا فِيهَا أَسْنَانُ الإِبِلِ، وَإِذَا فِيهَا: «المَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ عَيْرٍ إِلَى كَذَا، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ

---

= إلا كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْهَا - وَرُبَّمَا قَالَ سُفْيَانُ: مِنْ دَمِهَا - لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ». قال المهلب: فيه الأخذ بالمآل، والحديث على معنى الوعيد. وهذا الباب والذي قبله فى معنى التحذير من الضلال واجتناب البدع ومحدثات الأمور فى الدين، والنهي عن مخالفة سبيل المؤمنين المتبعين لسنة الله وسنة رسوله التي فيها النجاة.

وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٣٠٢): قال المهلب: هذا الباب والذي قبله في معنى التحذير من الضلال واجتناب البدع ومحدثات الأمور في الدين والنهي عن مخالفة سبيل المؤمنين. انتهى، ووجه التحذير أن الذي يُحْدث البدعة قد يتهاون بها لخفة أمرها في أول الأمر ولا يشعر بما يترتب عليها من المفسدة وهو أن يلحقه إثم من عمل بها من بعده ولو لم يكن هو عمل بها، بل لكونه كان الأصل في إحداثها.

أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلًا»، وَإِذَا فِيهِ: «ذِمَّةُ المُسْلِمِينَ وَاحِدَةٌ، يَسْعَى بِهَا أَدْنَاهُمْ، فَمَنْ أَخْفَرَ مُسْلِمًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلًا»، وَإِذَا فِيهَا: «مَنْ وَالَى قَوْمًا بِغَيْرِ إِذْنِ مَوَالِيهِ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لاَ يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ صَرْفًا وَلاَ عَدْلًا»[١].

وعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**المَدِينَةُ حَرَمٌ مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا، لاَ يُقْطَعُ شَجَرُهَا، وَلاَ يُحْدَثُ فِيهَا حَدَثٌ، مَنْ أَحْدَثَ حَدَثًا فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالمَلاَئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ**»[٢].

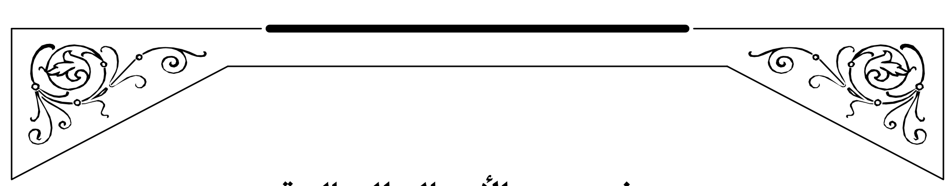
وأخرج مسلم (٤٦٩) (١٣٧١) من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْمَدِينَةُ حَرَمٌ، فَمَنْ أَحْدَثَ فِيهَا حَدَثًا، أَوْ آوَى مُحْدِثًا؛ فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يُقْبَلُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدْلٌ وَلَا صَرْفٌ**».

---

(١) أخرجه البخاري (٧٣٠٠)، ومسلم (٤٦٧) (١٣٧٠).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٦٧)، ومسلم (٤٦٣) (١٣٦٦).

وقال النووي في «شرحه» على مسلم (٩/ ١٤١): قَوْلُهُ: «لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا» قَالَ الْقَاضِي: قَالَ الْمَازِرِيُّ: اخْتَلَفُوا فِي تَفْسِيرِهِمَا: فَقِيلَ: الصَّرْفُ الْفَرِيضَةُ وَالْعَدْلُ النَّافِلَةُ. وَقَالَ الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: الصَّرْفُ النَّافِلَةُ وَالْعَدْلُ الْفَرِيضَةُ: عَكْسَ قَوْلِ الْجُمْهُورِ. وَقَالَ الْأَصْمَعِيُّ: الصَّرْفُ التَّوْبَةُ وَالْعَدْلُ الْفِدْيَةُ. وَرُوِيَ ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ يُونُسُ: الصَّرْفُ الِاكْتِسَابُ وَالْعَدْلُ الْفِدْيَةُ. وَقَالَ أَبُو عُبَيْدَةَ: الْعَدْلُ الْحِيلَةُ وَقِيلَ الْعَدْلُ الْمِثْلُ وَقِيلَ الصَّرْفُ الدِّيَةُ وَالْعَدْلُ الزِّيَادَةُ. قَالَ الْقَاضِي: وَقِيلَ: الْمَعْنَى: لَا تُقْبَلُ فَرِيضَتُهُ وَلَا نَافِلَتُهُ قَبُولَ رِضًا وَإِنْ قُبِلَتْ قَبُولَ جَزَاءٍ. وَقِيلَ: يَكُونُ الْقَبُولُ هُنَا بِمَعْنَى تَكْفِيرِ الذَّنْبِ بِهِمَا. قَالَ: وَقَدْ يَكُونُ مَعْنَى الْفِدْيَةِ هُنَا أَنَّهُ لَا يَجِدُ فِي القيمة فِدَاءً يَفْتَدِي بِهِ بِخِلَافِ غَيْرِهِ مِنَ الْمُذْنِبِينَ الَّذِينَ يَتَفَضَّلُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْهُمْ بِأَنْ يَفْدِيَهُ مِنَ النَّارِ بِيَهُودِيٍّ أَوْ نَصْرَانِيٍّ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ.



## بعض صور الأعمال الصالحة

### لا إله إلا الله تدافع عن صاحبها:

قال تعالى: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِن تَوَلَّوْاْ فَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٣٨- ٤٠][1].

---

(١) قال الخازن في «تفسيره» (٣/ ١٩٣): قوله ﷻ: ﴿قُل﴾ يعني قل يا محمد ﴿لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨] يعني عن الشرك ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨] يعني ما قد مضى من كفرهم وذنوبهم قبل الإسلام ﴿وَإِن يَعُودُواْ فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨] يعني في إهلاك أعدائه ونصر أوليائه.

ومعنى الآية: إن هؤلاء الكفار إن انتهوا عن الكفر ودخلوا في دين الإسلام والتزموا شرائعه غفر الله لهم ما قد سلف من كفرهم وشركهم، وإن عادوا إلى الكفر وأصروا عليه فقد مضت سنة الأولين بإهلاك أعدائه ونصر أنبيائه وأوليائه. وأجمع العلماء على أن الإسلام يَجُب ما قبله وإذا أسلم الكافر لم يلزمه شيء من قضاء العبادات البدنية والمالية. وهو ساعة إسلامه كيوم ولدته أمه، يعني بذلك أنه ليس عليه ذنب.

قال يحيى بن معاذ الرازي: التوحيد لم يعجز عن هدم ما قبله من كفر، فأرجو الله أن لا يعجز عن هدم ما بعده من ذنب.

﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ قال ابن عباس: حتى لا يكون بلاء ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٩] يعني تكون الطاعة والعبادة كلها لله خالصة دون غيره. وقال قتادة: حتى يقال: لا إله إلا الله، عليها قاتل نبي الله ﷺ وإليها عاد. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وقال محمد بن إسحاق في قوله: ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفَال: الآية ٣٩] يعني لا يُفتن مؤمن عن دينه ويكون التوحيد لله خالصًا ليس فيه شرك ويخلع ما دونه من الأنداد والشركاء ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْاْ﴾ يعني عن الشرك وإفتان المؤمنين وإيذائهم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفَال: الآية ٣٩] يعني فإن الله لا يخفى عليه شيء من أعمال العباد ونياتهم حتى يوصل إليهم ثوابهم.
﴿وَإِن تَوَلَّوْاْ﴾ يعني وإن أعرضوا عن الإيمان وأصروا على الكفر وعادوا إلى قتال المؤمنين وإيذائهم ﴿فَٱعْلَمُوٓاْ﴾ يعني أيها المؤمنون ﴿أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الأنفَال: الآية ٤٠] يعني أن الله وليكم وناصركم عليها وحافظكم ﴿نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفَال: الآية ٤٠] يعني أن الله ﷻ هو نعم المولى، فمن كان في حفظه ونصره وكفايته وكلاءته فهو له نعم المولى ونعم النصير.
وقال الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٥٣٦): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُل﴾، يا محمد، ﴿لِلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ﴾، من مشركي قومك ﴿إِن يَنتَهُواْ﴾، عما هم عليه مقيمون من كفرهم بالله ورسوله وقتالك وقتال المؤمنين، فينيبوا إلى الإيمان يغفر الله لهم ما قد خلا ومضى من ذنوبهم قبل إيمانهم وإنابتهم إلى طاعة الله وطاعة رسوله بإيمانهم وتوبتهم ﴿وَإِن يَعُودُواْ﴾ [الأنفَال: الآية ٣٨] يقول: وإن يعد هؤلاء المشركون لقتالك بعد الوقعة التي أوقعتها بهم يوم بدر؛ فقد مضت سنتي في الأولين منهم ببدر، ومن غيرهم من القرون الخالية، إذ طغوا وكذبوا رسلي ولم يقبلوا نصحهم، من إحلال عاجل النقم بهم، فأُحل بهؤلاء إن عادوا لحربك وقتالك، مثل الذي أحللت بهم.
وقال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٢/ ٣٣٦): فِيهَا أَرْبَعُ مَسَائِلَ:
**الْمَسْأَلَةُ الْأُولَى:** ثَبَتَ عَنِ ابْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ: حَضَرْنَا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَهُوَ فِي سِيَاقَةِ الْمَوْتِ، فَبَكَى طَوِيلًا، وَحَوَّلَ وَجْهَهُ إلَى الْجِدَارِ، فَجَعَلَ ابْنُهُ يَقُولُ: مَا يَبْكِيك يَا أَبَتَاهُ؟! أَمَا بَشَّرَك رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِكَذَا؟! أَمَا بَشَّرَك رَسُولُ اللَّهِ بِكَذَا؟! قَالَ: فَأَقْبَلَ بِوَجْهِهِ، فَقَالَ: إنَّ أَفْضَلَ مَا بَعْدَ شَهَادَةِ أَنْ لَا إلَهَ إلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ أَنِّي كُنْتُ عَلَى أَطْبَاقٍ ثَلَاثٍ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَمَا أَحَدٌ أَشَدُّ بُغْضًا لِرَسُولِ اللَّهِ مِنِّي، وَلَا أَحَبُّ إلَيَّ أَنْ يَكُونَ قَدِ اسْتَمْكَنْتُ مِنْهُ فَقَتَلْتُه، فَلَوْ مِتُّ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ لَكُنْت مِنْ أَهْلِ النَّارِ. فَلَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْإِسْلَامَ فِي قَلْبِي أَتَيْتُ النَّبِيَّ فَقُلْتُ: اُبْسُطْ يَمِينَك لِأُبَايِعَك. فَبَسَطَ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= يَمِينَهُ. قَالَ: فَقَبَضْت يَدِي. قَالَ: «**مَا لَك يَا عَمْرُو؟**» قَالَ: قُلْت: أَرَدْتُ أَنْ أَشْتَرِطَ. قَالَ: «**تَشْتَرِطُ مَاذَا؟**» قُلْت: أَنْ يُغْفَرَ لِي. قَالَ: «**أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ، وَأَنَّ الْهِجْرَةَ تَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهَا، وَأَنَّ الْحَجَّ يَهْدِمُ مَا قَبْلَهُ؟!**» وَمَا كَانَ أَحَدٌ أَحَبَّ إلَيَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ، وَلَا أَجَلَّ فِي عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَمَا كُنْت أُطِيقُ أَنْ أَمْلَأَ عَيْنَيَّ مِنْهُ إجْلَالًا لَهُ، وَلَوْ سُئِلْت أَنْ أَصِفَهُ مَا أَطَقْتُ؛ لِأَنِّي لَمْ أَكُنْ أَمْلَأُ عَيْنَيَّ مِنْهُ، وَلَوْ مِتُّ عَلَى ذَلِكَ الْحَالِ لَرَجَوْتُ أَنْ أَكُونَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ وُلِّينَا أَشْيَاءَ مَا أَدْرِي مَا حَالِي فِيهَا. فَإِذَا أَنَا مِتُّ فَلَا تَصْحَبْنِي نَائِحَةٌ، وَلَا نَارٌ؛ فَإِذَا دَفَنْتُمُونِي فَسُنُّوا على التُّرَابَ سَنًّا، ثُمَّ أَقِيمُوا حَوْلَ قَبْرِي قَدْرَ مَا تُنْحَرُ جَزُورٌ وَيُقْسَمُ لَحْمُهَا حَتَّى أَسْتَأْنِسَ بِكُمْ، وَأَنْظُرَ مَاذَا أُرَاجِعُ بِهِ رُسُلَ رَبِّي.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّانِيَةُ:** قَالَ عُلَمَاؤُنَا: هَذِهِ لَطِيفَةٌ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ مَنَّ بِهَا عَلَى الْخَلِيقَةِ؛ وَذَلِكَ أَنَّ الْكُفَّارَ يَقْتَحِمُونَ الْكُفْرَ وَالْجَرَائِمَ، وَيَرْتَكِبُونَ الْمَعَاصِيَ، وَيَرْتَكِبُونَ الْمَآثِمَ، فَلَوْ كَانَ ذَلِكَ يُوجِبُ مُؤَاخَذَتَهُمْ لَمَا اسْتَدْرَكُوا أَبَدًا تَوْبَةً وَلَا نَالَتْهُمْ مَغْفِرَةٌ؛ فَيَسَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَبُولَ التَّوْبَةِ عِنْدَ الْإِنَابَةِ، وَبَذَلَ الْمَغْفِرَةَ بِالْإِسْلَامِ، وَهَدَمَ جَمِيعَ مَا تَقَدَّمَ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَقْرَبَ إلَى دُخُولِهِمْ فِي الدِّينِ، وَأَدْعَى إلَى قَبُولِهِمْ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، وَتَأْلِيفًا عَلَى الْمِلَّةِ، وَتَرْغِيبًا فِي الشَّرِيعَةِ؛ فَإِنَّهُمْ لَوْ عَلِمُوا أَنَّهُمْ يُؤَاخَذُونَ لَمَا أَنَابُوا وَلَا أَسْلَمُوا؛ فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ «**أَنَّ رَجُلًا كَانَ فِيمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ قَتَلَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ نَفْسًا، سَأَلَ: هَلْ لَهُ تَوْبَةٌ؟ فَجَاءَ عَالِمًا فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: لَا تَوْبَةَ لَك! فَقَتَلَهُ وَكَمَّلَ بِهِ مِائَةً. ثُمَّ جَاءَ عَالِمًا آخَرَ فَسَأَلَهُ، فَقَالَ: وَمَنْ يَسُدُّ عَلَيْك بَابَ التَّوْبَةِ؟! ائْتِ الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ. فَمَشَى إلَيْهَا، فَحَضَرَهُ الْأَجَلُ فِي الطَّرِيقِ، فَاخْتَصَمَتْ فِيهِ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ وَمَلَائِكَةُ الْعَذَابِ؛ فَأَوْحَى اللَّهُ أَنْ قِيسُوا إلَى أَيِّ الْأَرْضَيْنِ هُوَ أَقْرَبُ، أَرْضُهُ الَّتِي خَرَجَ مِنْهَا أَمِ الْأَرْضُ الْمُقَدَّسَةُ؟ فَأَلْفَوْهُ أَقْرَبَ إلَى الْأَرْضِ الْمُقَدَّسَةِ بِشِبْرٍ، فَقَبَضَتْهُ مَلَائِكَةُ الرَّحْمَةِ**». وَفِي رِوَايَةٍ: «**فَقَاسَمُوهُ فَوَجَدُوهُ قَدْ دَنَا بِصَدْرِهِ**». فَانْظُرُوا إلَى قَوْلِ الْعَالِمِ لَهُ: لَا تَوْبَةَ لَهُ. فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ أَيْأَسَهُ قَتَلَهُ؟ فِعْلُ الْيَائِسِ مِنَ الرَّحْمَةِ؛ وَالتَّنْفِيرُ مَفْسَدَةٌ لِلْخَلِيقَةِ، وَالتَّيْسِيرُ مَصْلَحَةٌ لَهُمْ. وَقَدْ قَدَّمْنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ كَانَ إذَا جَاءَ إلَيْهِ رَجُلٌ لَمْ يَقْتُلْ فَسَأَلَهُ: هَلْ لِلْقَاتِلِ تَوْبَةٌ؟ فَيَقُولُ لَهُ: لَا تَوْبَةَ لَهُ؛ تَخْوِيفًا وَتَحْذِيرًا. فَإِذَا جَاءَهُ مَنْ قَتَلَ فَسَأَلَهُ: هَلْ لِقَاتِلٍ مِنْ تَوْبَةٍ؟ قَالَ لَهُ: لَك تَوْبَةٌ؛ تَيْسِيرًا وَتَأْلِيفًا.

**الْمَسْأَلَةُ الثَّالِثَةُ:** قَالَ ابْنُ الْقَاسِمِ، وَأَشْهَبُ، وَابْنُ وَهْبٍ عَنْ مَالِكٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= مَنْ طَلَّقَ فِي الشِّرْكِ ثُمَّ أَسْلَمَ فَلَا طَلَاقَ لَهُ، وَكَذَلِكَ مَنْ حَلَفَ فَأَسْلَمَ فَلَا حِنْثَ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ مَنْ وَجَبَ عَلَيْهِ مِثْلُ هَذِهِ الْأَشْيَاءِ ثُمَّ أَسْلَمَ فَذَلِكَ مَغْفُورٌ لَهُ.

فَأَمَّا مَنْ افْتَرَى عَلَى مُسْلِمٍ ثُمَّ أَسْلَمَ، أَوْ سَرَقَ ثُمَّ أَسْلَمَ؛ أُقِيمَ عَلَيْهِ الْحَدُّ لِلْفِرْيَةِ وَالسَّرِقَةِ، وَلَوْ زَنَى وَأَسْلَمَ أَوِ اغْتَصَبَ مُسْلِمَةً ثُمَّ أَسْلَمَ لَسَقَطَ عَنْهُ الْحَدُّ.

وَرَوَى أَشْهَبُ عَنْ مَالِكٍ: إِنَّمَا يَعْنِي ﷺ مَا قَدْ مَضَى قَبْلَ الْإِسْلَامِ مِنْ مَالٍ أَوْ دَمٍ أَوْ شَيْءٍ. وَهَذَا هُوَ الصَّوَابُ؛ لِمَا قَدَّمْنَا مِنْ عُمُومِ قَوْلِهِ: ﴿إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨]. وَقَوْلِهِ ﷺ: «**الْإِسْلَامُ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**». وَمَا بَيَّنَّاهُ مِنْ الْمَعْنَى فِي «التَّيْسِيرِ وَعَدَمِ التَّنْفِيرِ».

**الْمَسْأَلَةُ الرَّابِعَةُ:** إِذَا أَسْلَمَ الْمُرْتَدُّ، وَقَدْ فَاتَتْهُ صَلَوَاتٌ، وَأَصَابَ جِنَايَاتٍ، وَأَتْلَفَ أَمْوَالًا؛ فَإِنَّ الشَّافِعِيَّ قَالَ: يَلْزَمُهُ كُلُّ حَقٍّ لِلَّهِ وَلِلْآدَمِيِّ. وَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ: مَا كَانَ لِلَّهِ يَسْقُطُ، وَمَا كَانَ لِلْآدَمِيِّ يَلْزَمُهُ. وَقَالَ بِهِ عُلَمَاؤُنَا. وَدَلِيلُهُمْ عُمُومُ قَوْلِهِ: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟ يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: الآية ٣٨]. وَقَوْلُ النَّبِيِّ: «**الْإِسْلَامُ يَهْدِمُ مَا كَانَ قَبْلَهُ**». وَهَذَا عَامٌّ فِي الْحُقُوقِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِاللَّهِ كُلِّهَا. فَإِنْ قِيلَ: الْمُرَادُ بِذَلِكَ الْكُفْرُ الْأَصْلِيُّ، بِدَلِيلِ أَنَّ حُقُوقَ الْآدَمِيِّينَ تَلْزَمُ الْمُرْتَدَّ؛ فَوَجَبَ أَنْ تَلْزَمَهُ حُقُوقُ اللَّهِ. فَالْجَوَابُ أَنَّهُ لَا يَجُوزُ اعْتِبَارُ حُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ بِحُقُوقِ اللَّهِ، وَلَا حُقُوقِ اللَّهِ بِحُقُوقِ الْآدَمِيِّينَ فِي الْإِيجَابِ وَالْإِسْقَاطِ؛ لِأَنَّ حَقَّ اللَّهِ يُسْتَغْنَى عَنْهُ، وَحَقَّ الْآدَمِيِّ يُفْتَقَرُ إِلَيْهِ؛ أَلَا تَرَى أَنَّ حُقُوقَ اللَّهِ لَا تَجِبُ عَلَى الصَّبِيِّ وَتَلْزَمُهُ حُقُوقُ الْآدَمِيِّينَ؟ وَفِي ذَلِكَ تَمْهِيدٌ طَوِيلٌ بَيَّنَّاهُ فِي «تَخْلِيصِ التَّلْخِيصِ» فَلْيُنْظَرْ هُنَالِكَ.

وقال السعدي في «تفسيره» (ص٣٢١): هذا من لطفه تعالى بعباده، لا يمنعه كفر العباد ولا استمرارهم في العناد من أن يدعوهم إلى طريق الرشاد والهدى، وينهاهم عما يهلكهم من أسباب الغي والردى، فقال: ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِن يَنتَهُوا۟﴾ [الأنفَال: الآية ٣٨] عن كفرهم وذلك بالإسلام لله وحده لا شريك له. ﴿يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفَال: الآية ٣٨] منهم من الجرائم ﴿وَإِن يَعُودُوا۟﴾ [الأنفَال: الآية ٣٨] إلى كفرهم وعنادهم ﴿فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الأنفَال: الآية ٣٨] بإهلاك الأمم المكذبة، فلينتظروا ما حل بالمعاندين، فسوف يأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزئون.

فهذا خطابه للمكذبين، وأما خطابه للمؤمنين عندما أمرهم بمعاملة الكافرين، =

وعن جُنْدَبِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ بَعَثَ إِلَى عَسْعَسِ بْنِ سَلَامَةَ زَمَنَ فِتْنَةِ ابْنِ الزُّبَيْرِ، فَقَالَ: اجْمَعْ لِي نَفَرًا مِنْ إِخْوَانِكَ حَتَّى أُحَدِّثَهُمْ. فَبَعَثَ رَسُولًا إِلَيْهِمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَ جُنْدَبٌ وَعَلَيْهِ بُرْنُسٌ أَصْفَرُ، فَقَالَ: تَحَدَّثُوا بِمَا كُنْتُمْ تَحَدَّثُونَ بِهِ. حَتَّى دَارَ الْحَدِيثُ، فَلَمَّا دَارَ الْحَدِيثُ إِلَيْهِ حَسَرَ الْبُرْنُسَ عَنْ رَأْسِهِ، فَقَالَ: إِنِّي أَتَيْتُكُمْ وَلَا أُرِيدُ أَنْ أُخْبِرَكُمْ عَنْ نَبِيِّكُمْ، إِنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ بَعَثَ بَعْثًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَى قَوْمٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، وَإِنَّهُمُ الْتَقَوْا فَكَانَ رَجُلٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِذَا شَاءَ أَنْ يَقْصِدَ إِلَى رَجُلٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ لَهُ فَقَتَلَهُ، وَإِنَّ رَجُلًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَصَدَ غَفْلَتَهُ - قَالَ: وَكُنَّا نُحَدَّثُ أَنَّهُ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ - فَلَمَّا رَفَعَ عَلَيْهِ السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ! فَقَتَلَهُ، فَجَاءَ الْبَشِيرُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَأَلَهُ فَأَخْبَرَهُ، حَتَّى أَخْبَرَهُ خَبَرَ الرَّجُلِ كَيْفَ صَنَعَ، فَدَعَاهُ فَسَأَلَهُ فَقَالَ: «**لِمَ قَتَلْتَهُ؟!**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، أَوْجَعَ فِي الْمُسْلِمِينَ، وَقَتَلَ فُلَانًا وَفُلَانًا - وَسَمَّى لَهُ نَفَرًا - وَإِنِّي حَمَلْتُ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَى السَّيْفَ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ! ! قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَقَتَلْتَهُ؟!**» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ**

---

= فقال: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ أي: شرك وصد عن سبيل الله، ويذعنوا لأحكام الإسلام، ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾ [الأنفال: الآية ٣٩] فهذا المقصود من القتال والجهاد لأعداء الدين، أن يُدفع شرهم عن الدين، وأن يُذب عن دين الله الذي خلق الخلق له، حتى يكون هو العالي على سائر الأديان.
﴿فَإِنِ ٱنتَهَوْا﴾ عن ما هم عليه من الظلم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الأنفال: الآية ٣٩] لا تخفى عليه منهم خافية.
﴿وَإِن تَوَلَّوْا﴾ عن الطاعة وأوضعوا في الإضاعة ﴿فَٱعْلَمُوٓا أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ﴾ [الأنفال: الآية ٤٠] الذي يتولى عباده المؤمنين، ويوصل إليهم مصالحهم، وييسر لهم منافعهم الدينية والدنيوية. ﴿وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: الآية ٤٠] الذي ينصرهم، فيدفع عنهم كيد الفجار وتكالب الأشرار. ومن كان الله مولاه وناصره فلا خوف عليه، ومَن كان الله عليه فلا عِزَّ له ولا قائمة له.

**الْقِيَامَةِ؟!»** قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، اسْتَغْفِرْ لِي. قَالَ: «**وَكَيْفَ تَصْنَعُ بِلَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ إِذَا جَاءَتْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟!**»(١).

**القرب من الرسول ﷺ يوم القيامة:**

عند مسلم (١٧٨٨) عَنْ إِبْرَاهِيمَ التَّيْمِيِّ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ حُذَيْفَةَ، فَقَالَ رَجُلٌ: لَوْ أَدْرَكْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَاتَلْتُ مَعَهُ وَأَبْلَيْتُ!! فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنْتَ كُنْتَ تَفْعَلُ ذَلِكَ؟ لَقَدْ رَأَيْتُنَا مَعَ رَسُولِ اللهِ ﷺ لَيْلَةَ الْأَحْزَابِ، وَأَخَذَتْنَا رِيحٌ شَدِيدَةٌ وَقُرٌّ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**» فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلَا رَجُلٌ يَأْتِينَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ جَعَلَهُ اللهُ مَعِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟**»، فَسَكَتْنَا فَلَمْ يُجِبْهُ مِنَّا أَحَدٌ، فَقَالَ: «**قُمْ يَا حُذَيْفَةُ، فَأْتِنَا بِخَبَرِ الْقَوْمِ**»، فَلَمْ أَجِدْ بُدًّا إِذْ دَعَانِي بِاسْمِي أَنْ أَقُومَ، قَالَ: «**اذْهَبْ فَأْتِنِي بِخَبَرِ الْقَوْمِ، وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**».

فَلَمَّا وَلَّيْتُ مِنْ عِنْدِهِ جَعَلْتُ كَأَنَّمَا أَمْشِي فِي حَمَّامٍ حَتَّى أَتَيْتُهُمْ، فَرَأَيْتُ أَبَا سُفْيَانَ يَصْلِي ظَهْرَهُ بِالنَّارِ، فَوَضَعْتُ سَهْمًا فِي كَبِدِ الْقَوْسِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَرْمِيَهُ، فَذَكَرْتُ قَوْلَ رَسُولِ اللهِ ﷺ: «**وَلَا تَذْعَرْهُمْ عَلَيَّ**»، وَلَوْ رَمَيْتُهُ لَأَصَبْتُهُ، فَرَجَعْتُ وَأَنَا أَمْشِي فِي مِثْلِ الْحَمَّامِ، فَلَمَّا أَتَيْتُهُ فَأَخْبَرْتُهُ بِخَبَرِ الْقَوْمِ وَفَرَغْتُ قُرِرْتُ، فَأَلْبَسَنِي رَسُولُ اللهِ ﷺ مِنْ فَضْلِ عَبَاءَةٍ كَانَتْ عَلَيْهِ يُصَلِّي فِيهَا، فَلَمْ أَزَلْ نَائِمًا حَتَّى أَصْبَحْتُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ قَالَ: «**قُمْ يَا نَوْمَانُ**».

عند مسلم (٢٦٣١) عن أنس بن مالك قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**مَنْ عَالَ جَارِيَتَيْنِ حَتَّى تَبْلُغَا، جَاءَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَا وَهُوَ** - وَضَمَّ أَصَابِعَهُ -».

---

(١) أخرجه مسلم (٩٧).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده - عمرو بن العاص - أنه سمع النبي ﷺ يقول: «**أخبركم بأحبكم إليّ وأقربكم مني مجلسًا يوم القيامة؟**» فسكت القوم فأعادها مرتين أو ثلاثًا قال القوم: نعم، يا رسول الله. قال: «**أحسنكم خلقًا**»(١).

**قال النووي في «شرحه» على مسلم (١٦/ ١٨٠):** ومعنى «عالهما» قام عليهما بالمؤنة والتربية ونحوهما، مأخوذ من العول وهو القرب، ومنه «ابدأ بمن تعول» ومعناه جاء يوم القيامة أنا وهو كهاتين.

**وقال ابن دقيق العيد في «شرح الأربعين النووية» (ص٧٤):** وحسن الخلق من صفات النبيين والمرسلين وخيار المؤمنين لا يجزون بالسيئة السيئة بل يعفون ويصفحون ويُحسنون مع الإساءة إليهم.

### التمسك بالقرآن والعمل به ونصرته:

﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزخرف: ٤٣، ٤٤](٢).

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد (١١/ ٣٤٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٢).

(٢) قال الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٦١٠): يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: فتمسك يا محمد بما يأمرك به هذا القرآن الذي أوحاه إليك ربك، ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: الآية ٤٣] ومنهاج سديد، وذلك هو دين الله الذي أمر به، وهو الإسلام.
ثم قال تعالى: ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾ [الزخرف: الآية ٤٣] أي: خذ بالقرآن المنزل على قلبك؛ فإنه هو الحق، وما يهدي إليه هو الحق المفضي إلى صراط الله المستقيم، الموصل إلى جنات النعيم، والخير الدائم المقيم.
ثم قال: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ﴾ [الزخرف: الآية ٤٤] قيل: معناه لشرف لك ولقومك، قاله ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد. واختاره ابن جرير، =

### ثواب إنظار المعسر والرفق به:

عن حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَلَقَّتِ الْمَلَائِكَةُ رُوحَ رَجُلٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، قَالُوا: أَعَمِلْتَ مِنَ الْخَيْرِ شَيْئًا؟ قَالَ: كُنْتُ آمُرُ فِتْيَانِي أَنْ يُنْظِرُوا وَيَتَجَاوَزُوا عَنِ الْمُوسِرِ. قَالَ: قَالَ: فَتَجَاوَزُوا عَنْهُ**»[(١)].

---

= ولم يَحْكِ سواه. وأورد البغوي هاهنا حديث الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن معاوية قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن هذا الأمر في قريش، لا ينازعهم فيه أحد إلا أكبه الله على وجهه ما أقاموا الدين**». رواه البخاري (٣٥٠٠).

وقيل: معناه: إنه شرف لهم من حيث إنه أُنزل بلغتهم، فهم أفهم الناس له، فينبغي أن يكونوا أقوم الناس به وأعملهم بمقتضاه، وهكذا كان خيارهم وصفوتهم من الخُلص من المهاجرين السابقين الأولين ومن شابههم وتابعهم.

وقيل: معنى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: الآية ٤٤] أي: لتذكير لك ولقومك. وتخصيصهم بالذكر لا ينفي من سواهم، كقوله: ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَآ إِلَيْكُمْ كِتَٰبًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝١٠﴾ [الأنبياء: الآية ١٠]، وكقوله: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝٢١٤﴾ [الشعراء: الآية ٢١٤]. ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٤٤] أي: عن هذا القرآن وكيف كنتم في العمل به والاستجابة له.

وقال السعدي (ص٧٦٦): وأما أنت ﴿فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ﴾ [الزخرف: الآية ٤٣] فعلًا واتصافًا، بما يأمر بالاتصاف به ودعوة إليه، وحرصًا على تنفيذه في نفسك وفي غيرك. ﴿إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الزخرف: الآية ٤٣] موصل إلى الله وإلى دار كرامته، وهذا مما يوجب عليك زيادة التمسك به والاهتداء إذا علمت أنه حق وعدل وصدق، تكون بانيًا على أصل أصيل، إذا بنى غيرك على الشكوك والأوهام، والظلم والجور. ﴿وَإِنَّهُۥ﴾ أي: هذا القرآن الكريم ﴿لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: الآية ٤٤] أي: فخر لكم، ومنقبة جليلة، ونعمة لا يقادر قدرها، ولا يُعرف وصفها، ويُذكركم أيضا ما فيه الخير الدنيوي والأخروي، ويحثكم عليه، ويذكركم الشر ويرهبكم عنه، ﴿وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٤٤] عنه، هل قمتم به فارتفعتم وانتفعتم، أم لم تقوموا به فيكون حجة عليكم وكفرًا منكم بهذه النعمة؟

(١) أخرجه البخاري (٢٠٧٧)، ومسلم (١٥٦٠).

وعن أبي مسعود، قال: قال رسول الله ﷺ: «**حوسب رجل ممن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرًا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر**»، قال: «**قال الله ﷻ: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه**»[(١)].

### الوفاء بالعهد:

قال تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: الآية ٣٤][(٢)].

### تبديل السيئات إلى حسنات:

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَـٰلِحًا فَأُو۟لَـٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَـٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ [الفرقان: الآية ٧٠][(٣)].

---

(١) أخرجه مسلم (١٥٦١)، والترمذي (١٣٠٧).

(٢) قال ابن عطية في «تفسيره» (٣/ ٤٥٥): وقوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ أي: مطلوبًا ممن عهد إليه أو عوهد هل وفى به أم لا؟
وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٤): قوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ﴾ وهو عامٌّ فيما بين العبد وبين ربه، وفيما بينه وبين الناس. قال الزجاج: كلُّ ما أمر الله به ونهى عنه فهو من العهد.

(٣) قال الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣١٠): اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك: فقال بعضهم: معناه: فأولئك يبدل الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدله بالشرك إيمانًا، وبقيل أهل الشرك بالله قيل أهل الإيمان به، وبالزنا عفة وإحصانًا.
وقال البغوي في «تفسيره» (٣/ ٤٥٨): فذهب جماعة إلى أن هذا التبديل في الدنيا. قال ابن عباس وسعيد بن جبير والحسن ومجاهد والسدي والضحاك: يبدلهم الله بقبائح أعمالهم في الشرك محاسن الأعمال في الإسلام، فيبدلهم بالشرك إيمانًا ويقتل المؤمنين قتل المشركين، وبالزنا عفة وإحصانًا. =

### الحسنة تضاعف بعشر أمثالها:

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنۢبُلَةٖ مِّاْئَةُ حَبَّةٖۗ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٦١﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٦١][(١)].

---

= وقال قوم: يبدل الله سيئاتهم التي عملوها في الإسلام حسنات يوم القيامة. وهو قول سعيد بن المسيب ومكحول، يدل عليه ما: أخبرنا أبو محمد عبد الله بن عبد الصمد الجوزجاني أنا أبو القاسم عليّ بن أحمد الخزاعي أنا الهيثم بن كليب أنا أبو عيسى الترمذي ثنا أبو عمار الحسين بن حريث ثنا وكيع ثنا الأعمش عن المعرور بن سويد عن أبي ذر قال: قال النبي ﷺ: «**إني لأعلم آخر رجل يخرج من النار، يؤتى به يوم القيامة فيقال: اعرضوا عليه صغار ذنوبه ويخبأ عنه كبارها، فيقال له: عملت يوم كذا كذا وكذا، وهو مقر لا ينكر وهو مشفق من كبارها، فيقال: أعطوه مكان كل سيئة عملها حسنة، فيقول: رب إن لي ذنوبًا ما أراها هاهنا**»، قال أبو ذر: لقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه.

**قلتُ:** رواه مسلم (١٩٠)، والترمذي (٢٥٩٦)، وقال بعضهم: إن الله ﷻ يمحو بالندم جميع السيئات، ثم يُثبت مكان كل سيئة حسنة.

وقال السعدي (ص٥٨٧): تتبدل أفعالهم وأقوالهم التي كانت مستعدة لعمل السيئات تتبدل حسنات، فيتبدل شركهم إيمانًا ومعصيتهم طاعة وتتبدل نفس السيئات التي عملوها ثم أحدثوا عن كل ذنب منها توبة وإنابة وطاعة، تبدل حسنات كما هو ظاهر الآية. وورد في ذلك حديث الرجل الذي حاسبه الله ببعض ذنوبه فعددها عليه ثم أبدل مكان كل سيئة حسنة فقال: يا رب إن لي سيئات لا أراها هاهنا». والله أعلم. ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لمن تاب يغفر الذنوب العظيمة ﴿رَّحِيمًا﴾ بعباده حيث دعاهم إلى التوبة بعد مبارزته بالعظائم ثم وفقهم لها ثم قبلها منهم.

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٦٩١): هذا مَثَل ضربه الله تعالى لتضعيف الثواب لمن أنفق في سبيله وابتغاء مرضاته، وأن الحسنة تضاعف بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

وقال السعدي (ص٢٨٢): ثم ذكر صفة الجزاء فقال: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ﴾ =

وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ١٦٠﴾ [الأنعام: الآية ١٦٠][(١)].

وقال تعالى: ﴿إِن تُقۡرِضُواْ ٱللَّهَ قَرۡضًا حَسَنٗا يُضَٰعِفۡهُ لَكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ١٧﴾ [التغابن: الآية ١٧].

وعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ كَتَبَ الحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ ثُمَّ بَيَّنَ ذَلِكَ، فَمَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ إِلَى سَبْعِ مِائَةِ ضِعْفٍ إِلَى أَضْعَافٍ كَثِيرَةٍ، وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ عِنْدَهُ حَسَنَةً كَامِلَةً، فَإِنْ هُوَ هَمَّ بِهَا فَعَمِلَهَا كَتَبَهَا اللَّهُ لَهُ سَيِّئَةً وَاحِدَةً»**[(٢)].

---

= القولية والفعلية، الظاهرة والباطنة، المتعلقة بحق الله أو حق خلقه ﴿فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٠] هذا أقل ما يكون من التضعيف. ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام: الآية ١٦٠] وهذا من تمام عدله تعالى وإحسانه، وأنه لا يظلم مثقال ذرة؛ ولهذا قال: ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٢٧٤): يقول تعالى ذكره: من وافى ربه يوم القيامة في موقف الحساب، من هؤلاء الذين فارقوا دينهم وكانوا شيعًا، بالتوبة والإيمان والإقلاع عما هو عليه مقيم من ضلالته، وذلك هو الحسنة التي ذكرها الله فقال: من جاء بها فله عشر أمثالها. ويعني بقوله: ﴿فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَاۖ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٠]، فله عشر حسنات أمثال حسنته التي جاء بها ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٠]، يقول: ومن وافى يوم القيامة منهم بفراق الدين الحق والكفر بالله، فلا يجزى إلا ما ساءه من الجزاء، كما وافى الله به من عمله السيئ ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾، يقول: ولا يظلم الله الفريقين، لا فريق الإحسان، ولا فريق الإساءة، بأن يجازي المحسن بالإساءة والمسيء بالإحسان، ولكنه يجازي كلا الفريقين من الجزاء ما هو له؛ لأنه جل ثناؤه حكيم لا يضع شيئًا إلا في موضعه الذي يستحق أن يضعه فيه، ولا يجازي أحدًا إلا بما يستحق من الجزاء.

(٢) أخرجه البخاري (٦٤٩١)، ومسلم (١٣١).



## بعض خصائص أمة النبي محمد ﷺ

### ١- الغرة والتحجيل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا، مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»(١).

وعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ حَوْضِي لَأَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنِّي لَأَذُودُ عَنْهُ الرِّجَالَ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ الْإِبِلَ الْغَرِيبَةَ عَنْ حَوْضِهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ وَتَعْرِفُنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ لَيْسَتْ لِأَحَدٍ غَيْرِكُمْ**»(٢).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبُرَةَ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ، وَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا**» قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانَكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟! قَالَ: «**أَنْتُمْ أَصْحَابِي، وَإِخْوَانُنَا الَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ**» فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «**أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ، أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟**»

(١) أخرجه مسلم (٣٦) (٢٤٧).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨) (٢٤٨)، وأبو داود ( ٣٢٣٥).

قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ. قَالَ: «**فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ، وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ، أَلَا لَيُذَادَنَّ رِجَالٌ عَنْ حَوْضِي كَمَا يُذَادُ الْبَعِيرُ الضَّالُّ، أُنَادِيهِمْ: أَلَا هَلُمَّ! فَيُقَالُ: إِنَّهُمْ قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ. فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا**»(١).

---

(١) أخرجه مسلم (٣٩) (٢٤٩).

قال النووي في «شرحه» على مسلم (٣/ ١٣٨): قَالَ الْإِمَامُ الْبَاجِيُّ: قَوْلُهُ ﷺ: «بَلْ أَنْتُمْ أَصْحَابِي» لَيْسَ نَفْيًا لِأُخُوَّتِهِمْ وَلَكِنْ ذَكَرَ مَرْتَبَتَهُمُ الزَّائِدَةَ بِالصُّحْبَةِ، فَهَؤُلَاءِ إِخْوَةٌ صَحَابَةٌ وَالَّذِينَ لَمْ يَأْتُوا إِخْوَةٌ لَيْسُوا بِصَحَابَةٍ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ قال القَاضِي عِيَاض: ذَهَبَ أَبُو عَمْرِو بْنُ عَبْدِ الْبَرِّ فِي هَذَا الْحَدِيثِ وَغَيْرِهِ مِنَ الْأَحَادِيثِ فِي فَضْلِ مَنْ يَأْتِي آخِرَ الزَّمَانِ إِلَى أَنَّهُ قَدْ يَكُونُ فِيمَنْ يَأْتِي بَعْدَ الصَّحَابَةِ مَنْ هُوَ أَفْضَلُ مِمَّنْ كَانَ مِنْ جُمْلَةِ الصَّحَابَةِ، وَأَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «**خَيْرُكُمْ قَرْنِي**» عَلَى الْخُصُوصِ مَعْنَاهُ خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، أي: السَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَمَنْ سَلَكَ مَسْلَكَهُمْ، فَهَؤُلَاءِ أَفْضَلُ الْأُمَّةِ وَهُمُ الْمُرَادُونَ بِالْحَدِيثِ، وَأَمَّا مَنْ خَلَّطَ فِي زَمَنِهِ ﷺ وَإِنْ رَآهُ وَصَحِبَهُ أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُ سَابِقَةٌ وَلَا أَثَرٌ فِي الدِّينِ فَقَدْ يَكُونُ فِي الْقُرُونِ الَّتِي تَأْتِي بَعْدَ الْقَرْنِ الْأَوَّلِ مَنْ يَفْضُلُهُمْ عَلَى مَا دَلَّتْ عَلَيْهِ الْآثَارُ.

قَالَ الْقَاضِي: وَقَدْ ذَهَبَ إِلَى هَذَا أَيْضًا غَيْرُهُ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ عَلَى الْمَعَانِي. قَالَ: وَذَهَبَ مُعْظَمُ الْعُلَمَاءِ إِلَى خِلَافِ هَذَا وَأَنَّ مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وَرَآهُ مَرَّةً مِنْ عُمْرِهِ وَحَصَلَتْ لَهُ مَزِيَّةُ الصُّحْبَةِ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ مَنْ يَأْتِي بَعْدُ فَإِنَّ فَضِيلَةَ الصُّحْبَةِ لَا يَعْدِلُهَا عَمَلٌ. قَالُوا: وَذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ. وَاحْتَجُّوا بِقَوْلِهِ ﷺ: «لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلَا نَصِيفَهُ» هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال أيضًا (٣/ ١٣٥): قَوْلُهُ ﷺ: «**أَنْتُمُ الْغُرُّ الْمُحَجَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ**» قَالَ أَهْلُ اللُّغَةِ: الْغُرَّةُ بَيَاضٌ فِي جَبْهَةِ الْفَرَسِ. وَالتَّحْجِيلُ بَيَاضٌ فِي يَدَيْهَا وَرِجْلَيْهَا. قَالَ الْعُلَمَاءُ: سُمِّيَ النُّورُ الَّذِي يَكُونُ عَلَى مَوَاضِعِ الْوُضُوءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرَّةً وَتَحْجِيلًا تَشْبِيهًا بِغُرَّةِ الْفَرَسِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَوْلُهُ ﷺ: «**لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**» أَمَّا السِّيمَا فَهِيَ الْعَلَامَةُ، وَهِيَ مَقْصُورَةٌ وَمَمْدُودَةٌ لُغَتَانِ ويقال السِّيميا (بِيَاءٍ بَعْدَ الْمِيمِ =

### ٢- مفاخرة النبي ﷺ بأمته الأمم:

عن مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إني أصبتُ امرأةً ذاتَ حَسَبٍ وجَمَالٍ، وإنها لا تَلِدُ، أفاتزوجُها؟ قال: «**لا**» ثم أتاهُ الثانيةَ فنهاه، ثم أتاه الثالثةَ، فقال: «**تزوجوا الوَدُودَ الوَلُودَ فإني مكاثِرٌ بِكُمُ الأمم**»[(١)].

وعن أنس بن مالك، قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالباءة، وينهى عن التبتل نهيًا شديدًا، ويقول: «**تزوجوا الودود الولود، إني مكاثر بكم الأنبياء يوم القيامة**». وفي رواية: «**تزوجوا الودود الولود، فإني مكاثر الأنبياء يوم القيامة**»[(٢)].

---

= مَعَ الْمَدِّ).

وَقَدِ اسْتَدَلَّ جَمَاعَةٌ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ بِهَذَا الْحَدِيثِ عَلَى أَنَّ الْوُضُوءَ مِنْ خَصَائِصِ هَذِهِ الْأُمَّةِ زَادَهَا اللَّهُ تَعَالَى شَرَفًا. وَقَالَ آخَرُونَ: لَيْسَ الْوُضُوءُ مُخْتَصًّا، وَإِنَّمَا الَّذِي اخْتَصَّتْ بِهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ الْغُرَّةُ وَالتَّحْجِيلُ. وَاحْتَجُّوا بِالْحَدِيثِ الْآخَرِ: «هَذَا وُضُوئِي وَوُضُوءُ الْأَنْبِيَاءِ قَبْلِي» وَأَجَابَ الْأَوَّلُونَ عَنْ هَذَا بِجَوَابَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّهُ حَدِيثٌ ضَعِيفٌ مَعْرُوفُ الضَّعْفِ. وَالثَّانِي: لَوْ صَحَّ احْتَمَلَ أَنْ يَكُونَ الْأَنْبِيَاءُ اخْتَصَّتْ بِالْوُضُوءِ دُونَ أُمَمِهِمْ إِلَّا هَذِهِ الْأُمَّةَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وقال أيضًا (٣/ ١٣٩): أَمَّا «بَيْنَ ظَهْرَيْ» فَمَعْنَاهُ بَيْنَهُمَا، وَهُوَ بِفَتْحِ الظَّاءِ وَإِسْكَانِ الْهَاءِ. وَأَمَّا الدُّهْمُ فَجَمْعُ أَدْهَمَ وَهُوَ الْأَسْوَدُ وَالدُّهْمَةُ السَّوَادُ. وَأَمَّا الْبُهْمُ فَقِيلَ: السُّودُ أَيْضًا وَقِيلَ: الْبُهْمُ الَّذِي لَا يُخَالِطُ لَوْنَهُ لَوْنًا سِوَاهُ سَوَاءٌ كَانَ أَسْوَدَ أَوْ أَبْيَضَ أَوْ أَحْمَرَ بَلْ يَكُونُ لَوْنُهُ خَالِصًا، وهَذَا قَوْلُ ابْنِ السِّكِّيتِ وَأَبِي حَاتِمٍ السِّخْتِيَانِيِّ وَغَيْرِهِمَا.

(١) أخرجه أبو داود (٢٠٥٠)، والنسائي (٣٢٢٧)، والحاكم (٢/ ١٧٦)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه بهذه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٣٥٦٩) (١٢٦١٣)، وابن حبان (٤٠٢٨).

قال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ١٠٨): وقيل بالمد القدرة على مؤن النكاح وبالقصر الوطء، قال الخطابي: المراد بالباءة النكاح، وأصله الموضع الذي يتبوؤه ويأوي إليه.

وقال أيضًا (٩/ ١١٨): المراد بالتبتل هنا الانقطاع عن النكاح وما يتبعه من =

### ٣- أمته ﷺ غر من السجود:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أُمَّتِي يَوْمَ القِيَامَةِ غُرٌّ مِنَ السُّجُودِ، مُحَجَّلُونَ مِنَ الوُضُوءِ**»(١).

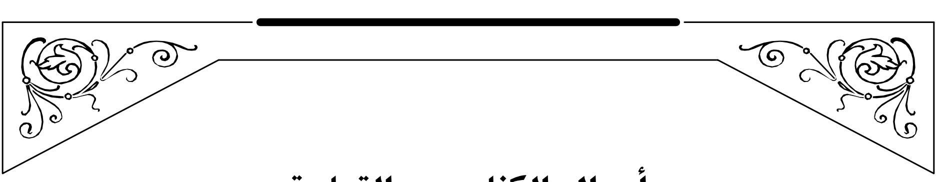
❊ ❊ ❊

= الملاذ إلى العبادة.

وقال صاحب «عون المعبود» (٦/ ٤٨): قال: ( فَإِنِّي مُكَاثِر بِكُمْ الْأُمَم ): أي: مُفَاخِر بِسَبَبِكُمْ سَائِر الْأُمَم لِكَثْرَةِ أَتْبَاعِي.

وقال صاحب «مرقاة المفاتيح» (٥/ ٢٠٤٧): التي تحب زوجها (الولود) أي: التي تكثر ولادتها، وقيد بهذين لأن الولود إذا لم تكن ودودًا لم يرغب الزوج فيها، والودود إذا لم تكن ولودًا لم يحصل المطلوب وهو تكثير الأمة بكثرة التوالد، ويُعرف هذان الوصفان في الأبكار من أقاربهن، إذ الغالب سراية طباع الأقارب بعضهن إلى بعض، ويحتمل والله تعالى أعلم أن يكون معنى «تزوجوا» اثبتوا على زواجها وبقاء نكاحها إذا كانت موصوفة بهذين الوصفين. «**فإني مكاثر بكم الأمم**» أي: مفاخر بسببكم سائر الأمم لكثرة أتباعي.

(١) **إسناده حسن:** أخرجه الترمذي (٦٠٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الوَجْهِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ». وقال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٣/ ١٨٦): فَإِنْ قُلْتَ: جَعْلُ السُّجُودِ فِي حَدِيثِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُسْرٍ الْمَذْكُورِ فِي هَذَا الْبَابِ عِلَّةً لِلْغُرَّةِ - يُعَارِضُهُ جَعْلُ الْوُضُوءِ عِلَّةً لِلْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ وَحَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ اللذَيْنِ ذَكَرْنَا لَفْظَهُمَا آنِفًا. قُلْتُ: يُمْكِنُ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ لِلْغُرَّةِ عِلَّتَيْنِ لِلسُّجُودِ وَالْوُضُوءِ وَأَمَّا التَّحْجِيلُ فَعِلَّتُهُ هُوَ الْوُضُوءُ وَحْدَهُ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.



## أحوال الكفار يوم القيامة

### ١- لا حَظَّ للكفار في الأخرة:

قال تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٦](١).

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» (٧/ ٤١٩): يعني بذلك جل ثناؤه: يريد الله أن لا يجعل لهؤلاء الذين يسارعون في الكفر نصيبًا في ثواب الآخرة؛ فلذلك خذلهم فسارعوا فيه. ثم أخبر أنهم مع حرمانهم ما حرموا من ثواب الآخرة، لهم عذاب عظيم في الآخرة، وذلك عذابُ النار.

وقال السعدي في «تفسيره» (ص١٥٧): كان النبي ﷺ حريصًا على الخلق، مجتهدًا في هدايتهم، وكان يحزن إذا لم يهتدوا، فقال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ ۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٦] من شدة رغبتهم فيه، وحرصهم عليه ﴿إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٦] فالله ناصر دينه، ومؤيد رسوله، ومنفذ أمره من دونهم، فلا تبالهم ولا تحفل بهم، إنما يضرون ويسعون في ضرر أنفسهم، بفوات الإيمان في الدنيا، وحصول العذاب الأليم في الأخرى، من هوانهم على الله وسقوطهم من عينه، وإرادته أن لا يجعل لهم نصيبًا في الآخرة من ثوابه. خذلهم فلم يوفقهم لما وفق له أولياءه ومن أراد به خيرًا، عدلًا منه وحكمة، لعلمه بأنهم غير زاكين على الهدى، ولا قابلين للرشاد؛ لفساد أخلاقهم وسوء قصدهم. ثم أخبر أن الذين اختاروا الكفر على الإيمان، ورغبوا فيه رغبة مَن بذل ما يحب من المال في شراء ما يحب من السلع ﴿لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا ۗ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٧٦] بل ضرر فعلهم يعود على أنفسهم، ولهذا قال: ﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ وكيف يضرون الله شيئًا، وهم قد زهدوا =

وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿٢٠١﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا ۚ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾﴾ [البقرة: ٢٠٠ - ٢٠٢](١).

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ، رَأَى حُلَّةً سِيَرَاءَ عِنْدَ بَابِ المَسْجِدِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ لَوِ اشْتَرَيْتَ هَذِهِ، فَلَبِسْتَهَا يَوْمَ الجُمُعَةِ وَلِلْوَفْدِ إِذَا قَدِمُوا عَلَيْكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنَّمَا يَلْبَسُ هَذِهِ مَنْ لاَ خَلاَقَ لَهُ فِي الآخِرَةِ»** ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مِنْهَا حُلَلٌ، فَأَعْطَى عُمَرَ بْنَ الخَطَّابِ رضي الله عنه، مِنْهَا حُلَّةً، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَسَوْتَنِيهَا وَقَدْ قُلْتَ فِي حُلَّةِ عُطَارِدٍ مَا قُلْتَ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِنِّي لَمْ أَكْسُكَهَا لِتَلْبَسَهَا»** فَكَسَاهَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ رضي الله عنه، أَخًا لَهُ بِمَكَّةَ مُشْرِكًا(٢).

---

= أشد الزهد في الإيمان، ورغبوا كل الرغبة بالكفر بالرحمن؟! فالله غني عنهم، وقد قيض لدينه من عباده الأبرار الأزكياء سواهم، وأعد له - ممن ارتضاه لنصرته- أهل البصائر والعقول، وذوي الألباب من الرجال الفحول، قال الله تعالى: ﴿قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لَا تُؤْمِنُوا ۚ إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٠٧] الآيات.

(١) قال البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٥٨): ﴿وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ﴾: من حظ ونصيب.

وقال أيضًا (١/ ١٥٢): «ما له في الآخرة»، أي: في الجنة، «من خلاق» من نصيب.

وقال القرطبي (٤/ ٢٨٦): أي: نصيبًا. والحظ: النصيب والجَدّ.

(٢) أخرجه البخاري (٨٨٦)، ومسلم (٢٠٦٨).

قال ابن بطال في «شرحه» على صحيح البخارى (٦/ ٨٢): «إنما يلبس هذه من =

### ٢- لا يُقبل فدية منهم يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣١][(١)].

= لا خلاق له في الآخرة»، وهم الكفار؛ لأنه لما كان الحرير من لباسهم في الدنيا، وآثروه على ما أعده الله في الآخرة لأوليائه، وأحبوا العاجلة؛ ذمهم النبي بذلك، ونهى المسلمين أن يتشبهوا بالكفار المؤثرين الدنيا على الآخرة، ولئلا يدخلوا تحت قوله تعالى: ﴿أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا﴾ الآية، وقال مالك بن دينار: قرأت فيما أنزل الله - تعالى -: (أن قل لأوليائي لا يطعموا مطاعم أعدائي، ولا يلبسوا ملابس أعدائي، فيكونوا أعدائي كما هم أعدائي).

وقال ابن رجب في «فتح الباري» (٨/ ١١٦): والمقصود منه هاهنا: أن النبي ﷺ أقر عمر على ما ذكره من التجمل بحسن اللباس للجمعة، والظاهر: أن ذلك كان عادته ﷺ؛ فلهذا قال له عمر ما قال، وإنما امتنع من هذه الحلة لأنها كانت حريرًا خالصًا أو أكثرها حريرٌ وقد قيل: إن السيراء نوعٌ من البرود، يخالطه حريرٌ، سمي سيراء لتخطيطٍ فيه، والثوب المسير الذي فيه سيرٌ، أي: طرائق. وقال الخطابي: الحلة السيراء هي المضلعة بالحرير، وسميت سيراء لما فيها من الخطوط التي تشبه السيور.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٦/ ١٢): يقول تعالى ذكره لنبيه ﷺ ﴿قُل﴾ يا محمد ﴿لِّعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [إبراهيم: الآية ٣١] بك، وصدّقوا أن ما جئتهم به من عندي ﴿يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: الآية ٣١] يقول: قل لهم: فليقيموا الصلوات الخمس المفروضة عليهم بحدودها، ولينفقوا مما رزقناهم، فخوّلناهم من فضلنا سرًّا وعلانية، فليؤدّوا ما أوجبت عليهم من الحقوق فيها سرًّا وإعلانًا ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٤] يقول: لا يقبل فيه فدية وعوض من نفس وجب عليها عقاب الله بما كان منها من معصية ربها في الدنيا، فيقبل منها الفدية، وتُترك فلا تعاقب. فسمى الله جل ثناؤه الفدية عوضًا؛ إذ كان أخذ عوض من معتاض منه. وقوله: ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣١] يقول: وليس هناك مخالة خليل، فيصفح عمن استوجب العقوبة عن العقاب لمخالته، بل هنالك العدل والقسط، فالخلال مصدر من قول القائل: خاللت =

وقال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٥][(١)].

---

= فلانًا فأنا أخاله مخالة وخلالًا، ومنه قول امرئ القيس:

**صرفْتُ الهَوَى عَنْهُنَّ مِنْ خَشْيَةِ الرَّدَى ... وَلَسْتُ بِمَقْلِي الخِلالِ ولا قالي**

وجزم قوله: ﴿يُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: الآية ٣١] بتأويل الجزاء، ومعناه: الأمر، يراد قل لهم ليقيموا الصلاة.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٠): وأمر تعالى بالإنفاق مما رزق في السر، أي: في الخفية، والعلانية وهي: الجهر، وليبادروا إلى ذلك لخلاص أنفسهم ﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ يَوۡمٞ﴾ وهو يوم القيامة، وهو يوم ﴿لَّا بَيۡعٞ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣١] أي: لا يُقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه، كما قال تعالى: ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [الحديد: الآية ١٥]. وقوله: ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٣١].

وقال قتادة: إن الله قد علم أن في الدنيا بيوعًا وخلالًا يتخالون بها في الدنيا، فينظر رجل من يخالل وعلام صاحب، فإن كان لله فليداوم، وإن كان لغير الله فسيقطع عنه. قلت: المراد من هذا أنه يخبر تعالى أنه لا ينفع أحدًا بيع ولا فدية، ولو افتدى بملء الأرض ذهبًا لو وجده، ولا ينفعه صداقة أحد ولا شفاعة أحد إذا لقي الله كافرًا، ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ [الحديد: الآية ١٥] أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله، ما قُبل منه.

(١) قال السعدي في «تفسيره» (ص٨٤٠): ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ فلو افتديتم بمثل الأرض ذهبًا ومثله معه، لما تُقبل منكم، ﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ﴾ أي: مستقركم، ﴿هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ التي تتولاكم وتضمكم إليها، ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحديد: الآية ١٥] النار.

وقال القاسمي (٩/ ١٤٧): ﴿فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ﴾ [الحديد: الآية ١٥] هذا من تتمة قول المؤمنين للمنافقين، بعد أن ميز بينهم. أي: فاليوم لا يُقبل منكم ما يُفتدى به بدلًا من عذابكم، وعوضًا من عقابكم ﴿وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ﴾ يعني المجاهرين بالكفر من المحادّين لله ولرسوله ﴿مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡۖ﴾ أي: أَوْلى بكم، أو تتولاكم =

### ٣- لن يُقبل عذرهم:

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التحريم: الآية ٧][١].

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يَنفَعُ ٱلظَّٰلِمِينَ مَعۡذِرَتُهُمۡۖ وَلَهُمُ ٱللَّعۡنَةُ وَلَهُمۡ سُوٓءُ ٱلدَّارِ﴾ [غافر: الآية ٥٢].

وقال تعالى: ﴿بَلِ ٱلۡإِنسَٰنُ عَلَىٰ نَفۡسِهِۦ بَصِيرَةٞ ١٤ وَلَوۡ أَلۡقَىٰ مَعَاذِيرَهُۥ ١٥﴾ [القيامة: ١٤، ١٥].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥ وَلَا يُؤۡذَنُ لَهُمۡ فَيَعۡتَذِرُونَ ٣٦﴾ [المرسلات: ٣٥، ٣٦][٢].

---

= كما توليتم موجباتها في الدنيا ﴿وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [الحديد: الآية ١٥] أي: النار.

(١) قال الطبري (٢٣/ ٤٩٢): يقول تعالى ذكره مخبرًا عن قيله يوم القيامة للذين جحدوا وحدانيته في الدنيا ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [التحريم: الآية ٧] بالله ﴿لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [التحريم: الآية ٧] يقول: يقال لهم: إنما تثابون اليوم، وذلك يوم القيامة، وتعطون جزاء أعمالكم التي كنتم في الدنيا تعملون، فلا تطلبوا المعاذير منها.

وقال القرطبي (١٨/ ١٩٧): قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [التحريم: الآية ٧] فإن عذركم لا ينفع. وهذا النهي لتحقيق اليأس.

وقال السعدي (ص٨٧٤): أي: يوبخ أهل النار يوم القيامة بهذا التوبيخ فيقال لهم: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَعۡتَذِرُواْ ٱلۡيَوۡمَۖ﴾ [التحريم: الآية ٧] أي: فإنه ذهب وقت الاعتذار، وزال نفعه، فلم يَبْقَ الآن إلا الجزاء على الأعمال، وأنتم لم تقدموا إلا الكفر بالله، والتكذيب بآياته، ومحاربة رسله وأوليائه.

(٢) قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ١٤٢): وقوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ ٣٥﴾ [المرسلات: الآية ٣٥] يخبر عنهم أنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم، لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله. فإن قيل: فهل من برهان يُعلم به حقيقة ذلك؟ قيل: نعم، وذلك =

### ٤- هم المطرودون من رحمة الله يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦١، ١٦٢](١).

---

= إضافة يوم إلى قوله: ﴿لَا يَنطِقُونَ﴾ [المُرسَلات: الآية ٣٥] والعرب لا تضيف اليوم إلى فعل يفعل، إلا إذا أرادت الساعة من اليوم والوقت منه، وذلك كقولهم: آتيك يوم يقدم فلان، وأتيتك يوم زارك أخوك، فمعلوم أن معنى ذلك: أتيتك ساعة زارك، أو آتيك ساعة يقدم، وأنه لم يكن إتيانه إياه اليوم كله؛ لأن ذلك لو كان أخذ اليوم كله لم يضف اليوم إلى فعل ويفعل، ولكن فعل ذلك إذ كان اليوم بمعنى (إذ وإذا) اللتين يطلبان الأفعال دون الأسماء. وقوله: ﴿فَيَعْتَذِرُونَ﴾ رُفع عطفًا على قوله: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ﴾ [المُرسَلات: الآية ٣٦] وإنما اختير ذلك على النصب وقبله جحد؛ لأنه رأس آية قرن بينه وبين سائر رءوس التي قبلها، ولو كان جاء نصبًا كان جائزًا، كما قال: ﴿لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُوا۟﴾ [فَاطِر: الآية ٣٦] وكل ذلك جائز فيه، أعني الرفع والنصب، كما قيل: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥٓ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٤٥] رفعًا ونصبًا.

وقال الزجاج في «تفسيره» (٥/ ٢٦٨): يوم القيامة له مواطن ومواقيتُ، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها.

وقال السعدي في «تفسيره» (ص٩٠٥): أي: هذا اليوم العظيم الشديد على المكذبين، لا ينطقون فيه من الخوف والوجل الشديد، ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴿٣٦﴾﴾ [المُرسَلات: الآية ٣٦] أي: لا تُقبل معذرتهم، ولو اعتذروا: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [الرُّوم: الآية ٥٧] ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۖ جَمَعْنَٰكُمْ وَٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾﴾ [المُرسَلات: الآية ٣٨] لنفصل بينكم، ونحكم بين الخلائق، ﴿فَإِن كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ﴾ [المُرسَلات: الآية ٣٩] تقدرون على الخروج من ملكي وتنجون به من عذابي، ﴿فَكِيدُونِ﴾ أي: ليس لكم قدرة ولا سلطان، كما قال تعالى: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٣٣] ففي ذلك اليوم تبطل حيل الظالمين، ويضمحل مكرهم وكيدهم، ويستسلمون لعذاب الله، ويبين لهم كذبهم في تكذيبهم ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١٥﴾﴾ [المُرسَلات: الآية ١٥].

(١) قال الطبري (٣/ ٢٦١): يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾، =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= إن الذين جَحدوا نبوة محمد ﷺ وكذبوا به من اليهود والنصارى وسائر أهل الملل، والمشركين من عَبدة الأوثان ﴿وَمَاتُواْ وَهُمۡ كُفَّارٌ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦١]، يعني: وماتوا وهم على جُحودهم ذلك وتكذيبهم محمدًا ﷺ، ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦١]، يعني: فأولئك الذين كفروا وماتوا وهم كفار عليهم لعنة الله، يقول: أبعدهم الله وأسحقهم من رحمته، ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦١]، يعني ولَعنهم الملائكةُ والناس أجمعون. ولعنة الملائكة والناس إياهم قولهم: ﴿عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦١]. وقد بينا معنى اللعنة فيما مضى قبل بما أغنى عن إعادته. فإن قال قائل: وكيف تَكونُ على الذي يموت كافرًا بمحمد ﷺ لعنةُ الناس أجمعين من أصناف الأمم، وأكثرهم ممن لا يؤمن به ويصدقه؟ قيل: إن معنى ذلك على خلاف ما ذهبتَ إليه. وقد اختلف أهل التأويل في تأويل ذلك: فقال بعضهم: عنى الله بقوله: ﴿وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦١]، أهلَ الإيمان به وبرسوله خاصة، دون سائر البشر.

وقال الزجاج (١/ ٢٣٦): يعني لم يتوبُوا قبل موتهم من كفرهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ لَعۡنَةُ ٱللَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦١]، واللعنة هي إبعاد اللَّه، وإبعاده عذابه. وقوله ﷻ: ﴿وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦١]. المعنى لعنة الملائكة ولعنة الناس أجمعين. فإن قال قائل: كيف يلعنه الناس أجمعون، وأهل دينه لا يلعنونه؟ قيل لَهُ: إنَّهم يلْعَنُونَه في الآخرة، كما قالَ ﷻ: ﴿ثُمَّ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُ بَعۡضُكُم بِبَعۡضٖ وَيَلۡعَنُ بَعۡضُكُم بَعۡضٗا﴾ [العَنكبوت: الآية ٢٥]

وقرأ الحسن: ﴿أولئك عليهم لعنةُ الله والملائكةُ والناس أجمعين﴾ وهو جيد في العربية إلا أني أكرهه لمخالفته المصحف، والقراءة إنما ينبغي أن يلزم فيها السنة، ولزوم السنة فيها أيضًا أقوى عند أهل العربية، لأن الإجماع في القراءة إنما يقع على الشيء الجَيِّد البالغ، ورفع (الملائكة) في قراءة الحسن على تأويل: «أولئك جزاؤهم أن لعنهم اللهُ والملائكةُ»، فعطف (الملائكة) على موضع إعراب الله في التأويل. ويجوز على هذا (عجبتُ من ضرب زيدٍ وعمرٌو) و(من قيامِك وأخُوك): المعنى عجبت من أنْ ضَربَ زيد وعمرو ومن أن قمتَ أنتَ وأخوك.

ومعنى ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٢] أي: في اللعنة. وخلودهم فيها خلود في =

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٦٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ ٱلدَّارِ ﴿٢٥﴾﴾ [الرعد: الآية ٢٥].

## ٥- طلب الكافر الفداء بكل ما في الأرض.

**قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفْتَدُوا۟ بِهِۦ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ مَا تُقُبِّلَ مِنْهُمْ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٦][1].**

---

= العذاب.

وقال القرطبي (٢/ ١٩٠): قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٦١] أي: إبعادهم من رحمته. وأصل اللعن: الطرد والإبعاد، وقد تقدم. فاللعنة من العباد الطرد، ومن الله العذاب.

وقال القاسمي (١/ ٤٥٥): و(اللعن) الطرد والإبعاد عن الخير، هذا من الله تعالى. ومن الخلق: السبّ، والشتم، والدعاء على الملعون، ومشاقّته، ومخالفته، مع السخط عليه، والبراءة منه. والمراد بقوله: ﴿ٱللَّٰعِنُونَ﴾ [البقرة: الآية ١٥٩] كلّ من يصح منه لعن، وقد بيّنه بعد قوله تعالى: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: الآية ١٦١]، وقد دلّت الآية على أنّ هذا الكتمان من الكبائر؛ لأنه تعالى أوجب فيه اللعن؛ لأنّ ما يتصل بالدين ويحتاج إليه المكلّف لا يجوز أن يُكتم، ومن كتمه فقد عظمت خطيئته، وبلغ للعنه من الشقاوة والخسران الغاية التي لا يدرك كنهها..! وقد وردت أحاديث كثيرة في النهي عن كتمان العلم.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٠/ ٢٨٩): يقول لهم جل ثناؤه: فلا تطمعوا أيُّها الكفرة في قَبُول الفدية منكم، ولا في خروجكم من النار بوسَائل آبائكم عندي بعد دخولكموها إن أنتم مُتّم على كفركم الذي أنتم عليه، ولكن توبوا إلى الله توبةً نَصُوحًا.

وقال البغوي (٢/ ٤٦): أخبر أن الكافر لو ملك الدنيا كلها ومثلها معها ثم فدى بذلك نفسه من العذاب - لم يُقبل منه ذلك الفداء، ولهم عذاب أليم.

وقال السعدي (ص٢٣٠): يخبر تعالى عن شناعة حال الكافرين بالله يوم القيامة =

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي ٱلْأَرْضِ لَٱفْتَدَتْ بِهِۦٓ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ ۚ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يُونس: الآية ٥٤].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر: ٤٧، ٤٨][(١)].

---

= ومآلهم الفظيع، وأنهم لو افتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ما تُقبل منهم، ولا أفاد؛ لأن محل الافتداء قد فات.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٣٠٢) قول تعالى ذكره: ولو أن لهؤلاء المشركين بالله يوم القيامة، وهم الذين ظلموا أنفسهم ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ في الدنيا من أموالها وزينتها ﴿وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ مضاعفًا، فقبل ذلك منهم عوضًا من أنفسهم، لفدوا بذلك كله أنفسهم عوضًا منها، لينجو من سوء عذاب الله، الذي هو معذّبهم به يومئذ: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٧] يقول: وظهر لهم يومئذٍ من أمر الله وعذابه الذي كان أعدّه لهم، ما لم يكونوا قبل ذلك يحتسبون أنه أعدّه لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٨] تعالى ذكره: وظهر لهؤلاء المشركين يوم القيامة ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ من الأعمال في الدنيا، إذ أُعطوا كتبهم بشمائلهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ ووجب عليهم حينئذٍ، فلزمهم عذاب الله الذي كان نبي الله ﷺ في الدنيا يعدهم على كفرهم بربهم، فكانوا به يسخرون، إنكارا أن يصيبهم ذلك، أو ينالهم تكذيبًا منهم به، وأحاط ذلك بهم.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١٠٤): وقوله: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ وهم المشركون، ﴿مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ﴾ أي: ولو أن جميع ملك الأرض وضعفه معه ﴿لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ﴾ أي: الذي أوجبه الله لهم يوم القيامة، ومع هذا لا يتقبل منهم الفداء ولو كان ملء الأرض ذهبًا، كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: وظهر لهم من الله من العذاب =

وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾﴾ [الرّعد: الآية ١٨][(١)].

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: **«يُجَاءُ بِالكَافِرِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيُقَالُ لَهُ: أَرَأَيْتَ لَوْ كَانَ لَكَ مِلْءُ الأَرْضِ ذَهَبًا، أَكُنْتَ تَفْتَدِي بِهِ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ!! فَيُقَالُ لَهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ»**[(٢)].

---

= والنكال بهم ما لم يكن في بالهم ولا في حسابهم. ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: وظهر لهم جزاء ما اكتسبوا في الدار الدنيا من المحارم والمآثم، ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: وأحاط بهم من العذاب والنكال ما كانوا يستهزئون به في الدار الدنيا.

(١) قال الشوكاني في «فتح القدير» (٣/ ٩١): أي: بِمَجْمُوعِ مَا ذُكِرَ وَهُوَ مَا فِي الْأَرْضِ وَمِثْلُهُ. وَالْمَعْنَى: لِيَتَخَلَّصُوا بِهِ مِمَّا هُمْ فِيهِ مِنَ الْعَذَابِ الْكَبِيرِ وَالْهَوْلِ الْعَظِيمِ، ثُمَّ بَيَّنَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ مَا أَعَدَّهُ لَهُمْ فَقَالَ: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ﴾ يَعْنِي الَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا ﴿لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ قَالَ الزَّجَّاجُ: لِأَنَّ كُفْرَهُمْ أَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ. وَقَالَ غَيْرُهُ: ﴿سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ الْمُنَاقَشَةُ فِيهِ. وَقِيلَ: هُوَ أَنْ يُحَاسَبَ الرَّجُلُ بِذَنْبِهِ كُلِّهِ لَا يُغْفَرُ مِنْهُ شَيْءٌ ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ أي: مَرْجِعُهُمْ إِلَيْهَا ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ أي: الْمُسْتَقَرُّ الَّذِي يَسْتَقِرُّونَ فِيهِ.

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٣٨)، ومسلم (٥٢).

قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٠٣): وَظَاهِرُ سِيَاقِهِ أَنَّ ذَلِك يَقَعُ لِلْكَافِرِ بَعْدَ أَنْ يَدْخُلَ النَّارَ، وَلَفْظُهُ: «يُؤْتَى بِالرَّجُلِ مِنْ أَهْلِ النَّارِ فَيُقَالُ: «يَابن آدَمَ كَيْفَ وَجَدْتَ مَضْجَعَكَ؟ فَيَقُولُ: شَرَّ مَضْجَعٍ. فَيُقَالُ لَهُ: هَلْ تَفْتَدِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ ذَهَبًا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ يَا رَبِّ. فَيُقَالُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرَادَ بِالْمَضْجَعِ هُنَا مَضْجَعُهُ فِي الْقَبْرِ فَيَلْتَئِمُ مَعَ الرِّوَايَاتِ الْأُخْرَى. قَوْلُهُ: فَيُقَالُ لَهُ: زَادَ مُسْلِمٌ فِي رِوَايَةِ سَعِيدٍ: كَذَبْتَ.

قَوْلُهُ: قَدْ كُنْتَ سُئِلْتَ مَا هُوَ أَيْسَرُ مِنْ ذَلِكَ. فِي رِوَايَةِ أَبِي عِمْرَانَ: فَيَقُولُ: أَرَدْتُ مِنْكَ مَا هُوَ أَهْوَنُ مِنْ هَذَا وَأَنْتَ فِي صُلْبِ آدَمَ أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا فَأَبَيْتَ إِلَّا أَنْ تُشْرِكَ بِي. وَفِي رِوَايَةِ ثَابِتٍ: قَدْ سَأَلْتُكَ أَقَلَّ مِنْ ذَلِكَ فَلَمْ تَفْعَلْ. فَيُؤْمَرُ بِهِ إِلَى النَّارِ. قَالَ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= عِيَاضٌ: يُشِيرُ بِذَلِك إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِيٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ الْآيَةَ، فَهَذَا الْمِيثَاقُ الَّذِي أُخِذَ عَلَيْهِمْ فِي صُلْبِ آدَمَ، فَمَنْ وَفَّى بِهِ بَعْدَ وُجُودِهِ فِي الدُّنْيَا فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ لَمْ يُوَفِّ بِهِ فَهُوَ الْكَافِرُ، فَمُرَادُ الْحَدِيثِ: أَرَدْتُ مِنْك حِينَ أَخَذْتُ الْمِيثَاقَ فَأَبَيْتَ إِذْ أَخْرَجْتُك إِلَى الدُّنْيَا إِلَّا الشِّرْكَ.
وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِالْإِرَادَةِ هُنَا الطَّلَبَ. وَالْمَعْنَى: أَمَرْتُك فَلَمْ تَفْعَلْ لِأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَكُونُ فِي مُلْكِهِ إِلَّا مَا يُرِيدُ. وَاعْتَرَضَ بَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ بِأَنَّهُ كَيْفَ يَصِحُّ أَنْ يَأْمُرَ بِمَا لَا يُرِيدُ؟! وَالْجَوَابُ أَنَّ ذَلِكَ لَيْسَ بِمُمْتَنِعٍ وَلَا مُسْتَحِيلٍ. وَقَالَ الْمَازِرِيُّ: مَذْهَبُ أَهْلِ السُّنَّةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ إِيمَانَ الْمُؤْمِنِ وَكُفْرَ الْكَافِرِ، وَلَوْ أَرَادَ مِنَ الْكَافِرِ الْإِيمَانَ لَآمَنَ يَعْنِي لَوْ قَدَّرَهُ عَلَيْهِ لَوَقَعَ. وَقَالَ أَهْلُ الِاعْتِزَالِ: بَلْ أَرَادَ مِنَ الْجَمِيعِ الْإِيمَانَ فَأَجَابَ الْمُؤْمِنُ وَامْتَنَعَ الْكَافِرُ. فَحَمَلُوا الْغَائِبَ عَلَى الشَّاهِدِ لِأَنَّهُمْ رَأَوْا أَنَّ مُرِيدَ الشَّرِّ شِرِّيرٌ وَالْكُفْرُ شَرٌّ فَلَا يَصِحُّ أَنْ يُرِيدَهُ البَارِئُ. وَأَجَابَ أَهْلُ السُّنَّةِ عَنْ ذَلِك بِأَنَّ الشَّرَّ شَرٌّ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِينَ وَأَمَّا فِي حَقِّ الْخَالِق فَإِنَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ وَإِنَّمَا كَانَتْ إِرَادَةُ الشَّرِّ شَرًّا لنَهْيِ الله عَنْهُ والبَارِئُ سُبْحَانَهُ لَيْسَ فَوْقَهُ أَحَدٌ يَأْمُرُهُ فَلَا يَصِحُّ أَنْ تُقَاسَ إِرَادَتُهُ عَلَى إِرَادَةِ الْمَخْلُوقِينَ.
وَأَيْضًا فَالْمُرِيدُ لِفِعْلٍ مَا إِذَا لَمْ يَحْصُلْ مَا أَرَادَهُ آذِنَ ذَلِك بِعَجْزِهِ وَضَعْفِهِ وَالبَارِئُ تَعَالَى لَا يُوصَفُ بِالْعَجْزِ وَالضَّعْفِ، فَلَوْ أَرَادَ الْإِيمَانَ مِنَ الْكَافِرِ وَلَمْ يُؤْمِنْ لَآذَنَ ذَلِك بِعَجْزٍ وَضَعْفٍ؛ تَعَالَى اللَّهُ عَنْ ذَلِك، وَقَدْ تَمَسَّكَ بَعْضُهُمْ بِهَذَا الْحَدِيثِ الْمُتَّفَقِ عَلَى صِحَّتِهِ وَالْجَوَابُ عَنْهُ مَا تَقَدَّمَ. وَاحْتَجُّوا أَيْضًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ وَأُجِيبُوا بِأَنَّهُ مِنَ الْعَامِّ الْمَخْصُوصِ بِمَنْ قَضَى اللَّهُ لَهُ الْإِيمَانَ فَعِبَادُهُ عَلَى هَذَا الْمَلَائِكَةُ وَمُؤْمِنُو الإِنْسِ وَالْجِنِّ وَقَالَ آخَرُونَ: الْإِرَادَةُ غَيْرُ الرِّضَا وَمعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَلَا يَرْضَىٰ﴾ أَيْ: لَا يَشْكُرُهُ لَهُمْ وَلَا يُثِيبُهُمْ عَلَيْهِ، فَعَلَى هَذَا فَهِيَ صِفَةُ فِعْلٍ، وَقِيلَ مَعْنَى الرِّضَا أَنَّهُ لَا يَرْضَاهُ دِينًا مَشْرُوعًا لَهُمْ وَقِيلَ: الرِّضَا صِفَةٌ وَرَاءَ الْإِرَادَةِ وَقِيلَ: الْإِرَادَةُ تُطْلَقُ بِإِزَاءِ شَيْئَيْنِ إِرَادَةُ تَقْدِيرٍ وَإِرَادَةُ رِضًا وَالثَّانِيَةُ أَخَصُّ مِنَ الْأُولَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ وَقِيلَ: الرِّضَا مِنَ اللَّهِ إِرَادَةُ الْخَيْرِ كَمَا أَنَّ السُّخْطَ إِرَادَةُ الشَّرِّ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: قَوْلُهُ: «فَيُقَالُ لَهُ كَذَبْتَ» مَعْنَاهُ لَوْ رَدَدْنَاكَ إِلَى الدُّنْيَا لَمَا افْتَدَيْتَ لِأَنَّكَ سُئِلْتَ أَيْسَرَ مِنْ ذَلِك فَأَبَيْتَ، وَيَكُونُ مِنْ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا۟ لَعَادُوا۟ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَـٰذِبُونَ﴾ وَبِهَذَا يَجْتَمِعُ مَعْنَى =

### ٦- من يدافع عن المشركين يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا ١٠٩﴾ [النِّساء: الآية ١٠٩][(١)].

---

= هَذَا الْحَدِيثِ مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لَوۡ أَنَّ لَهُم مَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا وَمِثۡلَهُۥ مَعَهُۥ لِيَفۡتَدُواْ بِهِۦ﴾. قَالَ: وَفِي الْحَدِيثِ مِنَ الْفَوَائِدِ جَوَازُ قَوْلِ الْإِنْسَانِ: (يَقُولُ اللَّهُ) خِلَافًا لِمَنْ كَرِهَ ذَلِكَ. وَقَالَ: إِنَّمَا يَجُوزُ (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى) وَهُوَ قَوْلٌ شَاذٌّ مُخَالِفٌ لِأَقْوَالِ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ بِهِ الْأَحَادِيثُ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (٩/ ١٩٣): يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿هَٰٓأَنتُمۡ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلۡتُمۡ عَنۡهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ [النِّساء: الآية ١٠٩]، ها أنتم الذين جادلتم، يا معشر من جادل عن بني أبيرق ﴿فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا﴾ و«الهاء» و«الميم» في قوله: ﴿عَنۡهُمۡ﴾ من ذكر الخائنين. ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ﴾، يقول: فمن ذا يخاصم الله عنهم ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾، أي: يوم يقوم الناس من قبورهم لمحشرهم، فيدافع عنهم ما الله فاعل بهم ومعاقبهم به. وإنما يعني بذلك: إنكم أيها المدافعون عن هؤلاء الخائنين أنفسهم، وإن دافعتم عنهم في عاجل الدنيا، فإنهم سيصيرون في آجل الآخرة إلى من لا يدافع عنهم عنده أحد فيما يحلُّ بهم من أليم العذاب ونَكال العقاب.

وأما قوله: ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ وَكِيلٗا﴾، فإنه يعني: ومن ذا الذي يكون على هؤلاء الخائنين وكيلًا يوم القيامة، أي: ومن يتوكل لهم في خصومة ربهم عنهم يوم القيامة.

وقال الزجاج (٢/ ١٠٢): ﴿فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنۡهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ أي: في اليوم الذي يؤخذ فيه بالحقائق، وأمر الدنيا يَقوم بالشهادات في الحقوق. وجائز أن تكون الشهادة غير حقيقية، فكأنَّه - واللَّه أعلم - قيل لهم: إن يقم الجدال في الدنيا والتغييب عن أمر هذا السارق، فيوم القيامة لا ينفع فيه جدال ولا شهادة.

وقال القرطبي (٥/ ٣٧٩): يُرِيدُ قَوْمَ بُشَيْرٍ السَّارِقِ لَمَّا هَرَبُوا بِهِ وَجَادَلُوا عَنْهُ. قَالَ الزَّجَّاجُ: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ﴾ بِمَعْنَى الَّذِينَ. ﴿جَٰدَلۡتُمۡ﴾ حَاجَجْتُمْ. =




### ٧- اسوداد وجوههم وتغيرها:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٠٦﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٠٦].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ

---

= ﴿فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَمَن يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ اسْتِفْهَامٌ مَعْنَاهُ الْإِنْكَارُ وَالتَّوْبِيخُ. ﴿أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ الْوَكِيلُ: الْقَائِمُ بِتَدْبِيرِ الْأُمُورِ، فَاللَّهُ تَعَالَى قَائِمٌ بِتَدْبِيرِ خَلْقِهِ. وَالْمَعْنَى: لَا أَحَدَ لَهُمْ يَقُومُ بِأَمْرِهِمْ إذا أخذهم الله بعذابه وأدخلهم النار.

وقال السعدي (ص٢٠٠): أي: هبكم جادلتم عنهم في هذه الحياة الدنيا ودفع عنهم جدالُكم بعض ما تحذرون من العار والفضيحة عند الخَلْق، فماذا يغني عنهم وينفعهم؟ ومن يجادل الله عنهم يوم القيامة حين تتوجه عليهم الحجة وتشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون؟ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾﴾ [النور: الآية ٢٥]. فمن يجادل عنهم من يعلم السر وأخفى ومن أقام عليهم من الشهود ما لا يمكن معه الإنكار؟

وفي هذه الآية إرشاد إلى المقابلة بين ما يُتوهم من مصالح الدنيا المترتبة على ترك أوامر الله أو فعل مناهيه، وبين ما يفوت من ثواب الآخرة أو يحصل من عقوباتها.

فيقول مَن أمرته نفسه بترك أمر الله هاأنتِ تركتِ أمره كسلًا وتفريطًا فما النفع الذي انتفعت به؟ وماذا فاتك من ثواب الآخرة؟ وماذا ترتب على هذا الترك من الشقاء والحرمان والخيبة والخسران؟ وكذلك إذا دعته نفسه إلى ما تشتهيه من الشهوات المحرمة قال لها: هبك فعلت ما اشتهيت فإن لذته تنقضي ويعقبها من الهموم والغموم والحسرات وفوات الثواب وحصول العقاب - ما بعضه يكفي العاقل في الإحجام عنها.

وهذا من أعظم ما ينفع العبدَ تدبرُه، وهو خاصة العقل الحقيقي، بخلاف الذي يدعي العقل وليس كذلك، فإنه بجهله وظلمه يؤثر اللذة الحاضرة والراحة الراهنة ولو ترتب عليها ما ترتب. والله المستعان.

فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٠].

### ٨- إحباط أعمال الكفار:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

وقال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفُرقان: الآية ٢٣].

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْ ۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ ۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: الآية ١٨].

### ٩- فضيحتهم أمام الخلائق:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هُود: الآية ١٨].

### ١٠- تخاصم الكفرة في الموقف:

قال تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ٦٧].

### ١١- تخاصم العابدين والمعبودين:

في ذلك اليوم الرهيب يجمع الله المشركين ثم يأمرهم أن ينادوا شركاءهم فينكروا أن يكون لهم شركاء.

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾ [فصلت: ٤٧، ٤٨].

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٨﴾ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [الفرقان: ١٧- ١٩][(١)].

## ١٢- الكفار مكلفون بأصول الشريعة:

قال تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾ [فصلت: ٧، ٨][(٢)].

---

(١) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٢٥١).

(٢) قال الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٤٣٠): وقوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: وصديد أهل النار، وما يسيل منهم للمدعين لله شريكًا العابدين الأوثان دونه الذين لا يؤتون الزكاة.

اختلف أهل التأويل في ذلك: فقال بعضهم: معناه: الذين لا يعطون الله الطاعة التي تطهرهم، وتزكي أبدانهم، ولا يوحدونه؛ وذلك قول يُذكر عن ابن عباس.

ذِكر الرواية بذلك: حدثني علي، قال: ثنا أبو صالح، قال: ثني معاوية، عن علي، عن ابن عباس، قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال: هم الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله.

**قلتُ:** سنده منقطع، علي وهو ابن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس، انظر: كتابي «الجامع في أحكام المراسيل».

حدثني سعيد بن عبد الله بن عبد الحكم، قال: ثنا حفص، قال: ثنا الحكم بن أبان، عن عكرمة، قوله: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾: الذين لا يقولون لا إله إلا الله.

**قلتُ:** في سنده حفص بن عمر بن ميمون العدني، وهوضعيف، وقد تابعه إبراهيم =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= ابن الحكم بن أبان، عن أبيه، عن عكرمة، به. أخرجه الطبراني في «الدعاء» (١٤٣٦) من طريقه. وإبراهيم بن الحكم ضعيف.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: الذين لا يقرون بزكاة أموالهم التي فرضها الله فيها، ولا يعطونها أهلها. وقد ذكرنا أيضًا قائلي ذلك قبل.

وقد حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال: لا يقرون بها ولا يؤمنون بها. وكان يقال: إن الزكاة قنطرة الإسلام، فمن قطعها نجا، ومن تخلف عنها هلك. وقد كان أهل الردة بعد نبي الله قالوا: أما الصلاة فنصلي، وأما الزكاة فوالله لا تغصب أموالنا. قال: فقال أبو بكر: والله لا أفرق بين شيء جمع الله بينه؛ والله لو منعوني عقالًا مما فرض الله ورسوله لقاتلناهم عليه.

والصواب من القول في ذلك ما قاله الذين قالوا: معناه: لا يؤدون زكاة أموالهم؛ وذلك أن ذلك هو الأشهر من معنى الزكاة، وأن في قوله: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ دليلًا على أن ذلك كذلك؛ لأن الكفار الذين عُنوا بهذه الآية كانوا لا يشهدون أن لا إله إلا الله، فلو كان قوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ مرادًا به الذين لا يشهدون أن لا إله إلا الله لم يكن لقوله: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ معنى؛ لأنه معلوم أن من لا يشهد أن لا إله إلا الله لا يؤمن بالآخرة، وفي إتباع الله قوله: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ قوله: ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ ما ينبئ عن أن الزكاة في هذا الموضع معنيّ بها زكاة الأموال.

وقوله: ﴿وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ يقول: وهم بقيام الساعة وبعث الله خلقه أحياء من قبورهم من بعد بلائهم وفنائهم - منكرون.

وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٤/ ٢٣٩): ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ وَعِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ بِسُوءِ الْحَالِ وَالشَّقَاءِ فِي الْآخِرَةِ، يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ الْقَوْلِ الَّذِي أَمَرَ الرَّسُولَ ﷺ أَنْ يَقُولَهُ فَهُوَ مَعْطُوفٌ عَلَى جُمْلَةِ: «إِنَّما أَنَا بَشَرٌ». وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ كَلَامًا مُعْتَرِضًا مِنْ جَانِبِ اللَّهِ تَعَالَى فَتَكُونَ الْوَاوُ اعْتِرَاضِيَّةً بَيْنَ جُمْلَةِ «قُلْ إِنَّما أَنَا بَشَرٌ» وَجُمْلَة ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ﴾ أي: أَجِبْهُمْ بِقَوْلِكَ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ وَنَحْنُ أَعْتَدْنَا لَهُمُ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= الْوَيْلَ وَالشَّقَاءَ إِنْ لَمْ يَقْبَلُوا مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ، فَيَكُونُ هَذَا إِخْبَارًا مِنَ اللَّهِ تَعَالَى. وَذِكْرُ الْمُشْرِكِينَ إِظْهَارٌ فِي مَقَامِ الْإِضْمَارِ، وَيُسْتَفَادُ تَعْلِيقُ الْوَعِيدِ عَلَى اسْتِمْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ مِنَ الْإِخْبَارِ عَنِ الْوَيْلِ بِكَوْنِهِ ثَابِتًا لِلْمُشْرِكِينَ وَالْمَوْصُوفِينَ بِالَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَبِأَنَّهُمْ كَافِرُونَ بِالْبَعْثِ لِأَنَّ تَعْلِيقَ الْحُكْمِ بِالْمُشْتَقِّ يُؤْذِنُ بِعَلِيَّةِ مَا مِنْهُ الِاشْتِقَاقُ، وَلِأَنَّ الْمَوْصُولَ يُؤْذِنُ بِالْإِيمَاءِ إِلَى وَجْهِ بِنَاءِ الْخَبَرِ.

وقال القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٣٤٠): ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ قال ابن عباس: لا يشهدون **أن لا إله إلا الله** وهي زكاة الأنفس. وقال قتادة: لا يقرون بالزكاة أنها واجبة. وقال الضحاك ومقاتل: لا يتصدقون ولا ينفقون في الطاعة. قرعهم بالشح الذي يأنف منه الفضلاء، وفيه دلالة على أن الكافر يعذب بكفره مع منع وجوب الزكاة عليه. وقال الفراء وغيره: كان المشركون ينفقون النفقات، ويسقون الحجيج ويطعمونهم، فحرموا ذلك على من آمن بمحمد ﷺ، فنزلت فيهم هذه الآية. ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ فلهذا لا ينفقون في الطاعة ولا يستقيمون ولا يستغفرون.

وقال السعدي في «تفسيره» (ص٧٤٥): ثم توَّعد مَن ترك الاستقامة فقال: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ أي: الذين عبدوا من دونه من لا يملك نفعًا ولا ضرًّا، ولا موتًا، ولا حياة، ولا نشورًا، ودنسوا أنفسهم، فلم يزكوها بتوحيد ربهم والإخلاص له، ولم يُصَلوا ولا زكوا، فلا إخلاص للخالق بالتوحيد والصلاة، ولا نفع للخلق بالزكاة وغيرها. ﴿وَهُم بِٱلْأَخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا بالجنة والنار؛ فلذلك لما زال الخوف من قلوبهم، أقدموا على ما أقدموا عليه مما يضرهم في الآخرة.

ولما ذكر الكافرين، ذكر المؤمنين، ووصفهم وجزاءهم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بهذا الكتاب وما اشتمل عليه مما دعا إليه من الإيمان، وصَدَّقوا إيمانهم بالأعمال الصالحة الجامعة للإخلاص، والمتابعة. ﴿لَهُمْ أَجْرٌ﴾ أي: عظيم ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ أي: غير مقطوع ولا نافد، بل هو مستمر مدى الأوقات، متزايد على الساعات، مشتمل على جميع اللذات والمشتهيات.

كما في «مرقاة المفاتيح» (٤/ ١٢٨٠): وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: =

وقال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٦](١).

---

= «لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ» يشير إلى: «لَيْسَ عَلَى الْمُسْلِمِ صَدَقَةٌ فِي عَبْدِهِ» قَالَ ابْنُ حَجَر: يُؤْخَذُ مِنْهُ أَنَّ شُرُوطَ وُجُوبِ زَكَاةِ الْمَالِ بِأَنْوَاعِهَا الْإِسْلَامُ، وَيُوَافِقُهُ قَوْلُ الصِّدِّيقِ فِي كِتَابِهِ الْآتِي عَلَى الْمُسْلِمِينَ، **قلتُ:** هَذَا حُجَّةٌ عَلَى مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْكُفَّارَ مُخَاطَبُونَ بِالشَّرَائِعِ فِي الدُّنْيَا، بِخِلَافِ مَنْ يَقُولُ: إِنَّ الْكَافِرَ مُخَاطَبٌ بِفُرُوعِ الشَّرِيعَةِ بِالنِّسْبَةِ لِلْعِقَابِ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ، كَمَا أَفْهَمَهُ، قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ﴾ وَقَالُوا: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ [المدَّثِّر: الآية ٤٤] وَعَلَيْهِ جَمْعٌ مِنْ أَصْحَابِنَا، وَهُوَ الْأَصَحُّ عِنْدَ الشَّافِعِيَّةِ (صَدَقَةٌ فِي عَبْدِهِ وَلَا فِي فَرَسِهِ) أي: اللَّذَيْنِ لَمْ يُعَدَّا لِلتِّجَارَةِ، وَبِهِ قَالَ مَالِكٌ وَالشَّافِعِيُّ، وَغَيْرُهُمَا، وَأَوْجَبَهَا أَبُو حَنِيفَةَ فِي إِنَاثِ الْخَيْلِ دِينَارًا فِي كُلِّ فَرَسٍ، أَوْ يُقَوِّمُهَا صَاحِبُهَا، وَيُخْرِجُ مِنْ كُلِّ مِائَتَيْ دِرْهَمٍ خَمْسَةَ دَرَاهِمَ. كَذَا ذَكَرَهُ ابْنُ حَجَرٍ.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٧): وقوله: ﴿فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ الْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ﴾ يقول: أصحاب اليمين في بساتين يتساءلون عن المجرمين الذين سُلكوا في سقر: أي شيء سلككم في سقر؟ ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ يقول: قال المجرمون لهم: لم نك في الدنيا من المصلين لله ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾﴾ بخلًا بما خَوَّلهم الله، ومنعًا له من حقه.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ يقول: وكنا نخوض في الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه.

كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ قال: كلما غوى غاوٍ غوينا معه.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة قوله: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ قال: يقولون: كلما غوى غاوٍ غوينا معه.

وقال السعدي (ص٨٩٧): فقالوا لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾﴾ أي: أي =

### ١٢- يظهر لهم ما لم يحتسبوا في الدنيا:

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الزمر: ٤٧، ٤٨][1].

---

= شيء أدخلكم فيها؟ وبأي: ذنب استحققتموها؟ فـ﴿قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ﴾ فلا إخلاص للمعبود، ولا إحسان ولا نفع للخلق المحتاجين.

﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ أي: نخوض بالباطل، ونجادل به الحق، ﴿وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾﴾ هذا آثار الخوض بالباطل، وهو التكذيب بالحق، ومِن أحق الحق يوم الدين الذي هو محل الجزاء على الأعمال، وظهور مُلك الله وحكمه العدل لسائر الخلق. فاستمررنا على هذا المذهب الفاسد ﴿حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ ﴿٤٧﴾﴾ أي: الموت. فلما ماتوا على الكفر تعذرت حينئذٍ عليهم الحيل وانسد في وجوههم باب الأمل.

(١) قال أبو السعود في «تفسيره» (٧/ ٢٥٨): ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: ظهرَ لهم من فُنون العقوباتِ ما لم يكن في حسابهم، وهذه غاية من الوعيد لا غاية وراءها، ونظيره في الوعد قولُه تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ ﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ سيئات أعمالِهم أو كسبِهم حين تُعرض عليهم صحائفهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ أي: أحاطَ بهم جزاؤُه.

وقال القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٦٥): ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ من أجل ما رُوي فيه ما رواه منصور عن مجاهد قال: عملوا أعمالًا توهموا أنها حسنات فإذا هي سيئات. وقاله السدي. وقيل: عملوا أعمالا توهموا أنهم يتوبون منها قبل الموت فأدركهم الموت قبل أن يتوبوا، وقد كانوا ظنوا أنهم ينجون بالتوبة. ويجوز أن يكونوا توهموا أنه يُغفر لهم من غير توبة فبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون من دخول النار. وقال سفيان الثوري في هذه الآية: ويل لأهل الرياء ويل لأهل الرياء هذه آيتهم وقصتهم. وقال عكرمة بن عمار: جزع محمد بن المنكدر عند موته جزعًا شديدًا، فقيل له: ما هذا الجزع؟ =

### ١٣- أعظم أنواع الظلم الكذب على الله:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هُود: الآية ١٨](١).

---

= قال: أخاف آية من كتاب الله ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٧] فأنا أخشى أن يبدو لي ما لم أكن أحتسب. ﴿وَبَدَا لَهُمْ﴾ أي: ظهر لهم ﴿سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ أي: عقاب ما كسبوا من الكفر والمعاصي. ﴿وَحَاقَ بِهِم﴾ أي: أحاط بهم ونزل ﴿مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

وقال السعدي في «تفسيره» (ص٧٢٦): ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ أي: يظنون من السخط العظيم والمقت الكبير، وقد كانوا يحكمون لأنفسهم بغير ذلك.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٥/ ٢٨٣): يقولون: يا ربنا أتيناهم بالحق فكذبوا، فنحن نشهد عليهم أنهم كذبوا عليك يا ربنا.

وقال ابن عطية في «تفسيره» (٣/ ١٥٩): قوله: «وَمَنْ» استفهام بمعنى التقرير، وكأنه قال: لا أحد أظلم ممن افترى كذبًا، والمراد بـ«مَنْ» الكفرة الذين يدعون مع الله إلهًا آخر ويفترون في غير ما شيء.

وقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هُود: الآية ١٨] عبارة عن الإشادة بهم والتشهير لخزيهم، وإلا فكل بشر معروض على الله يوم القيامة.

وقوله: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ قالت فرقة: يريد الشهداء من الأنبياء والملائكة، فيجيء قوله: ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ إخبارًا عنهم وشهادة عليهم. وقالت فرقة: ﴿ٱلْأَشْهَٰدُ﴾ بمعنى الشاهدين، ويريد جميع الخلائق، وفي ذلك إشادة بهم، ورُوي في نحو هذا حديث: «**إنه لا يخزى أحد يوم القيامة إلا ويعلم ذلك جميع من شهد المحشر**» فيجيء قوله: «هؤُلاءِ»- على هذا التأويل- استفهامًا عنهم وتثبتًا فيهم، كما تقول إذا رأيت مجرمًا قد عوقب: (هذا هو الذي فعل كذا) وإن كنت قد علمت ذلك، ويحتمل الإخبار عنهم. =

وقال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَيَوۡمَ يَقُومُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ ٥١﴾ [غافر: الآية ٥١].

وقال تعالى: ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٩].

---

= وقال الخازن في «تفسيره» (٣/ ٤٤٧): قوله ﷻ: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ يعني: أي الناس أشد تعديًا ممن اختلق على الله كذبًا فكذب عليه وزعم أن له شريكًا أو ولدًا. وفي الآية دليل على أن الكذب على الله من أعظم أنواع الظلم لأن قوله تعالى: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًاۚ﴾ ورد في معرض المبالغة ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ يعني المفترين على الكذب ﴿يُعۡرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمۡ﴾ يعني يوم القيامة فيسألهم عن أعمالهم في الدنيا ﴿وَيَقُولُ ٱلۡأَشۡهَٰدُ﴾ يعني الملائكة الذين يحفظون أعمال بني آدم. قاله مجاهد. وقال ابن عباس: هم الأنبياء والرسل. وبه قال الضحاك. وقال قتادة: الأشهاد: الخلق كلهم ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ﴾ يعني: في الدنيا. وهذه الفضيحة تكون في الآخرة لكل من كذب على الله ﴿أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يعني: يقول الله ذلك يوم القيامة فيلعنهم ويطردهم من رحمته.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٣١٣): يبين تعالى حال المفترين عليه وفضيحتهم في الدار الآخرة على رءوس الخلائق؛ من الملائكة، والرسل، والأنبياء، وسائر البشر والجان، كما قال الإمام أحمد في «المسند» (٢/ ٧٤): حدثنا بهز وعفان قالا: أخبرنا همام، حدثنا قتادة، عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذًا بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل قال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله ﷻ يُدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني قد سترتها عليك في الدنيا، وإني أغفرها لك اليوم. ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمۡۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: الآية ١٨]».

أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (١٧٦٨) في الصحيحين، من حديث قتادة به.

### ١٤- تبرؤ المشركين من شركائهم:

قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ آلِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾ [مريم: ٨١، ٨٢](١).

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٤٩): يقول تعالى ذكره: واتخذ يا محمد هؤلاء المشركون من قومك آلهة يعبدونها من دون الله لتكون هؤلاء الآلهة لهم عزًّا، يمنعونهم من عذاب الله، ويتخذون عبادتهموها عند الله زلفى، وقوله: ﴿كَلَّا﴾ يقول عز ذكره: ليس الأمر كما ظنوا وأمَّلوا من هذه الآلهة التي يعبدونها من دون الله، في أنها تنقذهم من عذاب الله، وتنجيهم منه، ومن سوء إن أراده بهم ربهم. وقوله: ﴿سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ﴾ يقول عزّ ذكره: ولكن سيكفر الآلهة في الآخرة بعبادة هؤلاء المشركين يوم القيامة إياها، وكفرهم بها قيلهم لربهم: ﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القَصَص: الآية ٦٣]، فجحدوا أن يكونوا عبدوهم أو أمروهم بذلك، وتبرّءُوا منهم، وذلك كفرهم بعبادتهم.

وقال السعدي في «تفسيره» (ص٥٠٠): أي: أفلا تتعجب من حالة هذا الكافر الذي جمع بين كفره بآيات الله ودعواه الكبيرة، أنه سيؤتى في الآخرة مالًا وولدًا، أي: يكون من أهل الجنة، هذا من أعجب الأمور، فلو كان مؤمنًا بالله وادعى هذه الدعوى لسهل الأمر. وهذه الآية -وإن كانت نازلة في كافر معين- فإنها تشمل كل كافر زعم أنه على الحق وأنه من أهل الجنة، قال الله توبيخًا له وتكذيبًا: ﴿أَطَّلَعَ الْغَيْبَ﴾ [مريَم: الآية ٧٨] أي: أحاط علمه بالغيب حتى علم ما يكون، وأن من جملة ما يكون أنه يؤتى يوم القيامة مالًا وولدًا؟ ﴿أَمِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ أنه نائل ما قاله، أي: لم يكن شيء من ذلك، فعُلم أنه متقول، قائل ما لا علم له به. وهذا التقسيم والترديد، في غاية ما يكون من الإلزام وإقامة الحجة؛ فإن الذي يزعم أنه حاصل له خير عند الله في الآخرة لا يخلو: إما أن يكون قوله صادرًا عن علم بالغيوب المستقبلة، وقد علم أن هذا لله وحده، فلا أحد يعلم شيئًا من المستقبلات الغيبية إلا من أطلعه الله عليه من رسله. وإما أن يكون متخذًا عهدًا عند الله بالإيمان به، =

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦﴾ [الأحقاف: ٥، ٦].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۝٢٥﴾ [العنكبوت: الآية ٢٥][1].

---

= واتباع رسله الذين عهد الله لأهله، وأوزع أنهم أهل الآخرة، والناجون الفائزون. فإذا انتفى هذان الأمران، عُلم بذلك بطلان الدعوى؛ ولهذا قال تعالى: ﴿كَلَّا ۚ﴾ أي: ليس الأمر كما زعم، فليس للقائل اطلاع على الغيب، لأنه كافر، ليس عنده من علم الرسائل شيء، ولا اتخذ عند الرحمن عهدًا؛ لكفره وعدم إيمانه، ولكنه يستحق ضد ما تقوله، وأن قوله مكتوب محفوظ؛ ليجازى عليه ويعاقب؛ ولهذا قال: ﴿سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾ [مريم: الآية ٧٩] أي: نزيده من أنواع العقوبات كما ازداد من الغي والضلال.

(١) قال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٢٧١): فمعناه: إنما اتخاذكم هذا يحصل لكم المودة في الدنيا فقط ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ ينعكس هذا الحال، فتبقى هذه الصداقة والمودة بغضة وشنآنًا، فـ﴿يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ﴾ أي: تتجاحدون ما كان بينكم، ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أي: يلعن الأتباع المتبوعين، والمتبوعون الأتباع، ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ﴾ [الأعراف: الآية ٣٨].

وقال القرطبي (١٣/ ٣٣٩): ﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ تتبرأ الأوثان من عُبادها والرؤساء من السفلة كما قال الله ﷻ: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ۝٦٧﴾ [الزخرف: الآية ٦٧]. ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ هو خطاب لعبدة الأوثان الرؤساء منهم والأتباع. وقيل: تدخل فيه الأوثان، كقوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨].

وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٠/ ٢٣٧): وَمَعْنَى ﴿وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾ أَنَّ الْمُخَاطَبِينَ يَلْعَنُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمُ الْآخَرِينَ إِمَّا لِأَنَّ الْمَلْعُونِينَ غَرُّوا =

وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُواْ مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٦، ١٦٧](١).

= اللَّاعِنِينَ فَسَوَّلُوا لَهُمُ اتِّخَاذَ الْأَصْنَام، وَإِمَّا لِأَنَّهُمْ وَافَقُوهُمْ عَلَى ذَلِك. وَهَذِهِ مَخَازٍ تَلْحَقُ بَعْضَهُمْ مِنْ بَعْضٍ، ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَعُمُّهُمْ مِنْ عَذَابِ الْخِزْيِ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾. ثُمَّ ذَكَرَ مَا يَعُمُّهُمْ جَمِيعًا مِنِ انْعِدَامِ النَّصِيرِ فَقَالَ: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ فَنَفَى عَنْهُمْ جِنْسَ النَّاصِرِ وَهُوَ مَنْ يُزِيلُ عَنْهُمْ ذَلِكَ الْخِزْيَ. وَجِيءَ فِي نَفْيِ النَّاصِرِ بِصِيغَةِ الْجَمْعِ هُنَا خِلَافًا لِقَوْلِهِ آنِفًا: ﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٠٧] لِأَنَّهُمْ لَمَّا تَأَلَّبُوا عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَتَجَمَّعُوا لِنُصْرَةِ أَصْنَامِهِمْ كَانَ جَزَاؤُهُمْ حِرْمَانَهُمْ مِنَ النُّصَرَاءِ مُطَابَقَةً بَيْنَ الْجَزَاءِ وَالْحَالَةِ الَّتِي جُوزُوا عَلَيْهَا، عَلَى أَنَّ الْمُفْرَدَ وَالْجَمْعَ فِي حَيِّزِ النَّفْيِ سَوَاءٌ فِي إِفَادَةِ نَفْيِ كُلِّ فَرْدٍ من الْجِنْسِ.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (٣/ ٢٨٧): يعني تعالى ذكره بقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾، إذ تبرأ الذين اتبعوا من الذين اتبعوهم.
ثم اختلف أهل التأويل في الذين عَنى الله تعالى ذكره بقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، فقال بعضهم بما حدثنا به بشر بن معاذ قال: حدثنا يزيد بن زريع قال: حدثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾، وهم الجبابرة والقادةُ والرؤوس في الشرك ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، وهم الأتباع الضعفاء، ورأوا العذاب.
وقال آخرون بما حدثني به موسى بن هارون قال: حدثنا عمرو بن حماد قال: حدثنا أسباط، عن السدي: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، أما الذين اتُّبعوا فهم الشياطين تبرأوا من الإنس.
والصواب من القول عندي في ذلك أنّ الله تعالى ذكره أخبرَ أنّ المتَّبَعين على الشرك بالله يتبرأون من أتباعهم حين يعاينون عذاب الله. ولم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض، بل عَمّ جميعهم. فداخلٌ في ذلك كل متبوع على الكفر بالله والضلال أنه يتبرأ من أتباعه الذين كانوا يتّبعونه على الضلال في الدنيا، إذا عاينوا عَذابَ الله =

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ شُفَعَٰٓؤُاْ وَكَانُواْ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: ١٢- ١٤][(١)].

---

= في الآخرة.

وأما دِلالة الآية فيمن عنى بقوله: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾، فإنها إنما تدل على أنّ الأنداد الذين اتخذهم مِن دون الله مَنْ وَصَف تعالى ذكره صفتَه بقوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٥]، هم الذين يتبرأون من أتباعهم. وإذ كانت الآيةُ على ذلك دَالّةً، صحّ التأويل الذي تأوله السدي في قوله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٥]، أن الأنداد في هذا الموضع إنما أريد بها الأندادُ من الرجال الذين يُطيعونهم فيما أمرُوهم به من أمر، ويَعصُون الله في طاعتهم إياهم، كما يُطيع اللهَ المؤمنون ويَعصون غيره. وفسد تأويل قول من قال: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٦٦]: إنهم الشياطين تَبرءوا من أوليائهم من الإنس. لأن هذه الآية إنما هي في سياق الخبر عن مُتخذي الأنداد.

وقال القاسمي (١/ ٤٦٤): ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ﴾ بدل من «إذ يرون» أي: تبرّأ المتبوعون وهم الرؤساء الآمرون باتخاذ الأنداد وكلّ ما عُبد من دونه تعالى ﴿مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ﴾ من الأتباع، بأن اعترفوا ببطلان ما كانوا يدعونه في الدنيا لهم- أو يدعونهم إليه- من فنون الكفر والضلال، واعتزلوا عن مخالطتهم، وقابلوهم باللعن. وقرئ الأول على البناء للفاعل، والثاني على البناء للمفعول، أي: تبرّأ الأتباع من الرؤساء ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ الواو للحال، أي: تبرّأوا في حال رؤيتهم العذاب ﴿وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾ أي: الوصل التي كانت بينهم: من الاتفاق على دين واحد، ومن الأنساب، والمحابّ، والاتباع، والاستتباع.

(١) قال يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦٤٨): قوله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الرُّوم: الآية ١٢] ييأس المجرمون من الجنة.

وقال القرطبي (١٤/ ١٠): ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿١٢﴾﴾ وَقَرَأَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَمِيُّ «يُبْلَسُ» بِفَتْحِ اللَّامِ، وَالْمَعْرُوفُ فِي اللُّغَةِ: (أَبْلَسَ الرَّجُلُ) إِذَا سَكَتَ وَانْقَطَعَتْ حُجَّتُهُ، وَلَمْ يُؤَمِّلْ أَنْ يَكُونَ لَهُ حُجَّةٌ. وَقَرِيبٌ مِنْهُ: (تَحَيَّرَ)، كَمَا =

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ شُرَكَآءَهُمْ قَالُوا۟ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا۟ مِن دُونِكَ ۖ فَأَلْقَوْا۟ إِلَيْهِمُ ٱلْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿٨٦﴾ وَأَلْقَوْا۟ إِلَى ٱللَّهِ يَوْمَئِذٍ ٱلسَّلَمَ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [النحل: ٨٦، ٨٧] (١).

## ١٥- أنى للشركاء أن يشفعوا:

قال تعالى: ﴿وَقِيلَ ٱدْعُوا۟ شُرَكَآءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُمْ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ۚ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [القَصَص: الآية ٦٤].

---

= قَالَ الْعَجَّاجُ:

**يَا صَاحِ هَلْ تَعْرِفُ رَسْمًا مُكْرَسًا قَالَ نعم أعرفه وأبلسا**

وقال السعدي (ص٦٣٨): يخبر تعالى أنه المتفرد بإبداء المخلوقات ثم يعيدهم ثم إليه يرجعون بعد إعادتهم ليجازيهم بأعمالهم؛ ولهذا ذكر جزاء أهل الشر ثم جزاء أهل الخير فقال: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾ أي: يقوم الناس لرب العالمين ويردون القيامة عيانًا، يومئذٍ ﴿يُبْلِسُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ أي: ييأسون من كل خير. وذلك أنهم ما قدَّموا لذلك اليوم إلا الإجرام وهي الذنوب؛ مِن كفر وشرك ومعاصٍ، فلما قدَّموا أسباب العقاب ولم يخلطوها بشيء من أسباب الثواب، أيسوا وأبلسوا وأفلسوا وضل عنهم ما كانوا يفترونه، من نفع شركائهم وأنهم يشفعون لهم؛ ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَآئِهِمْ﴾ التي عبدوها مع الله ﴿شُفَعَٰٓؤُا۟ وَكَانُوا۟ بِشُرَكَآئِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ [الرُّوم: الآية ١٣] تبرأ المشركون ممن أشركوهم مع الله وتبرأ المعبودون وقالوا: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كَانُوٓا۟ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القَصَص: الآية ٦٣] والتعنوا وابتعدوا، وفي ذلك اليوم يفترق أهل الخير والشر كما افترقت أعمالهم في الدنيا.

(١) قال الطبري (١٧/ ٢٧٥): وإذا رأى المشركون بالله يوم القيامة ما كانوا يعبدون من دون الله من الآلهة والأوثان وغير ذلك، قالوا: ربنا هؤلاء شركاؤنا في الكفر بك، والشركاء الذين كنا ندعوهم آلهة من دونك، قال الله تعالى ذكره: ﴿فَأَلْقَوْا۟﴾ يعني: شركاؤهم الذين كانوا يعبدونهم من دون الله - القول، يقول: قالوا لهم: إنكم لكاذبون أيها المشركون، ما كنا ندعوكم إلى عبادتنا.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾ [الكهف: ٥٢](١).

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾﴾ [القصص: ٦٢، ٦٣](٢).

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥): يقول عزّ ذكره: ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ الله عزّ ذكره للمشركين به الآلهة والأنداد ﴿نَادُوا شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ يقول لهم: ادعوا الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي في العبادة لينصروكم ويمنعوكم مني ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ يقول: فاستغاثوا بهم فلم يغيثوهم ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا﴾.
وقال القاسمي (٧/ ٤٣): ﴿وَيَوْمَ يَقُولُ﴾ أي: الحق تعالى: ﴿نَادُوا شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ أي: في دار الدنيا أنهم شركاء لينقذوكم مما أنتم فيه. يقال لهم ذلك على رؤوس الأشهاد تقريعًا وتوبيخًا لهم ﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ أي: فنادوهم للإعانة لبقاء اعتقاد شركهم ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ أي: فلم يعينوهم؛ لعجزهم عن الجواب، فضلًا عن الإعانة. وفي إيراده مع ظهوره تهكم بهم وإيذان بأنهم في الحماقة بحيث لا يفهمونه إلا بالتصريح به ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم﴾ أي: بين الكفار وآلهتهم ﴿مَّوْبِقًا﴾ أي: مهلكًا يشتركون فيه، وهو النار. أو عداوة هي في الشدة نفس الهلاك. كقول عمر رضي الله عنه: (لا يكن حبك كلفًا، ولا بغضك تلفًا)، ويؤيد هذا قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨١- ٨٢].
قال ابن كثير: وأما إن جُعل الضمير في قوله «بَيْنَهُمْ» عائدًا إلى المؤمنين والكافرين كما قال عبد الله بن عمرو: (إنه يفرق بين أهل الهدى والضلالة به) فهو كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴿١٤﴾﴾ [الروم: الآية ١٤]، وقال: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: الآية ٤٣]، وقال تعالى: ﴿وَٱمْتَٰزُوا ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: الآية ٥٩]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾ [يونس: ٢٨- ٣٠].

(٢) قال السعدي (ص٦٢٢): هذا إخبار من الله تعالى عما يسأل عنه الخلائق =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= يوم القيامة، وأنه يسألهم عن أصول الأشياء، وعن عبادة الله وإجابة رسله، فقال: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ﴾ أي: ينادي مَن أشركوا به شركاء يعبدونهم، ويرجون نفعهم، ودفع الضرر عنهم، فيناديهم ليبين لهم عجزها وضلالهم، ﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ﴾ وليس لله شريك، ولكن ذلك بحَسَب زعمهم وافترائهم؛ ولهذا قال: ﴿ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ فأين هم، بذواتهم، وأين نفعهم وأين دفعهم؟ ومن المعلوم أنه يتبين لهم في تلك الحال أن الذي عبدوه ورجوه باطل مضمحل في ذاته، وما رجوا منه، فيقرون على أنفسهم بالضلالة والغواية. ولهذا ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ﴾ الرؤساء والقادة، في الكفر والشر، مقرين بغوايتهم وإغوائهم: ﴿رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ﴾ التابعون ﴿ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَـٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾ أي: كلنا قد اشترك في الغواية، وحق عليه كلمة العذاب. ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ﴾ من عبادتهم، أي: نحن برآء منهم ومن عملهم. ﴿مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ وإنما كانوا يعبدون الشياطين. ﴿وَقِيلَ﴾ لهم: ﴿ٱدْعُواْ شُرَكَآءَكُمْ﴾ على ما أمّلتم فيهم من النفع فأمروا بدعائهم في ذلك الوقت الحرج، الذي يضطر فيه العابد إلى من عبده.

﴿فَدَعَوْهُمْ﴾ لينفعوهم، أو يدفعوا عنهم من عذاب الله من شيء.

﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ فعلم الذين كفروا أنهم كانوا كاذبين مستحقين للعقوبة، ﴿وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾ الذي سيحل بهم عيانًا، بأبصارهم بعد ما كانوا مكذبين به، منكرين له.

﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُواْ يَهْتَدُونَ﴾ أي: لما حصل عليهم ما حصل، ولهدوا إلى صراط الجنة، كما اهتدوا في الدنيا، ولكن لم يهتدوا، فلم يهتدوا.

وقال ابن عاشور (١٥/ ٣٤٤): فَيُقَدَّرُ: واذكر يوم يقول: نادوا شركائي، أَوْ عَلَى جُمْلَةِ ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فَالتَّقْدِيرُ: وَلَا أَشْهَدْتُ شُرَكَاءَهُمْ جَمِيعًا وَلَا تَنْفَعُهُمْ شُرَكَاؤُهُمْ يَوْمَ الْحَشْرِ، فَهُوَ انْتِقَالٌ مِنْ إِبْطَالِ مَعْبُودِيَّةِ الشَّيْطَانِ وَالْجِنِّ إِلَى إِبْطَالِ إِلَهِيَّةِ جَمِيعِ الْآلِهَةِ الَّتِي عَبَدَهَا دَهْمَاءُ الْمُشْرِكِينَ مَعَ بَيَانِ مَا يَعْتَرِيهِمْ مِنَ الْخَيْبَةِ وَالْيَأْسِ يَوْمَئِذٍ.

وَقَدْ سَلَكَ فِي إِبْطَالِ إِلَهِيَّتِهَا طَرِيقَ الْمَذْهَبِ الْكَلَامِيِّ، وَهُوَ الِاسْتِدْلَالُ عَلَى انْتِفَاءِ الْمَاهِيَّةِ بِانْتِفَاءِ لَوَازِمِهَا، فَإِنَّهُ إِذَا انْتَفَى نَفْعُهَا لِلَّذِينَ يَعْبُدُونَهَا اسْتَلْزَمَ ذَلِكَ انْتِفَاءَ إِلَهِيَّتِهَا، وَحَصَلَ بِذَلِكَ تَشْخِيصُ خَيْبَتِهِمْ وَيَأْسِهِمْ مِنَ النَّجَاةِ.

## ١٦- رد الله ﷻ على المشركين:

قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ وَيُسۡـَٔلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الزخرف: الآية ١٩][1].

---

(١) قال الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٥٨١): يقول تعالى ذكره: وجَعَل هؤلاء المشركون بالله ملائكته الذين هم عباد الرحمن إناثًا.

**واختلفت القراء في قراءة ذلك:** فقرأته عامة قراء المدينة: «الذين هم عند الرحمن» بالنون، فكأنهم تأولوا في ذلك قول الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسۡتَكۡبِرُونَ عَنۡ عِبَادَتِهِۦ وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ يَسۡجُدُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٢٠٦] فتأويل الكلام على هذه القراءة: وجعلوا ملائكة الله الذين هم عنده يسبحونه ويقدسونه إناثًا، فقالوا: (هم بنات الله) جهلًا منهم بحق الله، وجرأة منهم على قيل الكذب والباطل.

وقرأ ذلك عامة قراء الكوفة والبصرة: ﴿وَجَعَلُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمۡ عِبَٰدُ ٱلرَّحۡمَٰنِ إِنَٰثًاۚ﴾ [الزخرف: الآية ١٩] بمعنى: جمع عبد. فمعنى الكلام على قراءة هؤلاء: وجعلوا ملائكة الله الذين هم خلقه وعباده بنات الله، فأنثوهم بوصفهم إياهم بأنهم إناث.

**والصواب من القول في ذلك عندي** أنهما قراءتان معروفتان في قراءة الأمصار صحيحتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب، وذلك أن الملائكة عباد الله وعنده.

واختلفوا أيضًا في قراءة قوله: ﴿أَشَهِدُواْ خَلۡقَهُمۡۚ﴾ [الزخرف: الآية ١٩]:

فقرأ ذلك بعض قراء المدينة: «أُشْهِدوا خلقهم» بضم الألف، على وجه ما لم يسم فاعله، بمعنى: أأشهد الله هؤلاء المشركين الجاعلين ملائكة الله إناثًا، خلق ملائكته الذين هم عنده، فعلموا ما هم، وأنهم إناث، فوصفوهم بذلك لعلمهم بهم، وبرؤيتهم إياهم، ثم رد ذلك إلى ما لم يسم فاعله.

وقرئ بفتح الألف، بمعنى: أشهدوا هم ذلك فعلموه؟

**والصواب من القول في ذلك عندي** أنهما قراءتان معروفتان، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.

وقوله: ﴿سَتُكۡتَبُ شَهَٰدَتُهُمۡ﴾ يقول تعالى ذكره: ستكتب شهادة هؤلاء القائلين: =

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ۝٨﴾ [التّكاثُر: الآية ٨].

## ١٧- تقريع الكفار على عبادتهم:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ۝١٧ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا ۝١٨ فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝١٩﴾ [الفرقان: ١٧- ١٩][1].

---

= الملائكة بنات الله في الدنيا، بما شهدوا به عليهم، ويُسألون عن شهادتهم تلك في الآخرة أن يأتوا ببرهان على حقيقتها، ولن يجدوا إلى ذلك سبيلًا.

وقال أبو السعود (٨/ ٤٣): ﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ﴾ [الزّخرُف: الآية ١٩] بيان لتضمين كفرِهم المذكورِ لكفرٍ آخرَ وتقريعٌ لهم بذلكَ، وهو جعلُهم أكملَ العبادِ وأكرمَهم على الله ﷻ أنقصَهُم رأيًا وأخسَّهُم صِنفًا. وقُرِئ: «عبيدُ الرحمنِ» وقُرِئ: «عند الرحمن» على تمثيل زلفاهم. وقرئ: «أُنُثًا» وهُو جمعُ الجمعِ ﴿أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ﴾ [الزّخرُف: الآية ١٩] أي: أحضرُوا خلقَ الله تعالى إيَّاهم فشاهدُوهم إناثًا حتى يحكموا بأنوثتِهم فإنَّ ذلكَ مما يُعلم بالمشاهدةِ. وهو تجهيلٌ لهُم وتهكُّمٌ بهم وقُرِئ: «أَأُشهِدُوا» بهمزتينِ مفتوحةٍ ومضمومة و«آأشهدوا» بألف بينهما ﴿سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ﴾ [الزّخرُف: الآية ١٩] هذه في ديوان أعمالهم.

﴿وَيُسْـَٔلُونَ﴾ عنها يوم القيامةِ وقُرِئ: «سيكتب» و«سنكتب» بالياء أو النون. وقُرئ: «شهاداتُهم» وهيَ قولُهم: إن لله جزء وإن له بناتٍ وإنها الملائكة. وقرئ: «يسألون» من المسألة للمبالغةِ.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤٧): يقول تعالى ذكره: ويوم نحشر هؤلاء المكذّبين بالساعة، العابدين الأوثان، وما يعبدون من دون الله من الملائكة والإنس والجنّ كما حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا عيسى، وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء، جميعًا عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الفُرقان: الآية ١٧] فيقول: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= ﴿ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [الفُرقان: الآية ١٧] قال: عيسى وعُزير والملائكة.
حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، نحوه.
واختلفت القرّاء في قراءة ذلك: فقرأه أبو جعفر القارئ وعبد الله بن كثير: ﴿وَيَوۡمَ يَحۡشُرُهُمۡ وَمَا يَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ﴾ [الفُرقان: الآية ١٧] بالياء جميعًا، بمعنى: ويوم يحشرهم ربك، ويحشر ما يعبدون من دون فيقول.
وقرأته عامة قرّاء الكوفيين «نحشرهم» بالنون، «فنقول». وكذلك قرأه نافع.
وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إنهما قراءتان مشهورتان متقاربتا المعنى، فبأيتهما قرأ القارئ فمصيب.
وقوله: ﴿فَيَقُولُ ءَأَنتُمۡ أَضۡلَلۡتُمۡ عِبَادِي هَٰٓؤُلَآءِ﴾ يقول: فيقول الله للذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله: أأنتم أضللتم عبادي هؤلاء: يقول: أنتم أزلتموهم عن طريق الهدى، ودعوتموهم إلى الغيّ والضلالة حتى تاهوا وهلكوا، أم هم ضلوا السبيل؟ يقول: أم عبادي هم الذين ضلوا سبيل الرشد والحقّ وسلكوا العطب.
القول في تأويل قوله تعالى: ﴿قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِن مَّتَّعۡتَهُمۡ وَءَابَآءَهُمۡ حَتَّىٰ نَسُواْ ٱلذِّكۡرَ وَكَانُواْ قَوۡمَۢا بُورٗا﴾ [الفُرقان: الآية ١٨] يقول تعالى ذكره: قالت الملائكة الذين كان هؤلاء المشركون يعبدونهم من دون الله وعيسى: تنزيهًا لك يا ربنا، وتبرئة مما أضاف إليك هؤلاء المشركون، ما كان ينبغي لنا أن نتخذ من دونك من أولياء نواليهم، أنت ولينا من دونهم، ولكن متعتهم بالمال يا ربنا في الدنيا والصحة، حتى نسوا الذكر وكانوا قوما هَلْكى، قد غلب عليهم الشقاء والخِذلان.
واختلفت القرّاء في قراءة قوله: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ﴾ [الفُرقان: الآية ١٨]:
فقرأ ذلك عامة قراء الأمصار ﴿نَّتَّخِذَ﴾ بفتح النون سوى الحسن ويزيد بن القعقاع، فإنهما قرآه: (أنَّ نُتَّخَذَ) بضم النون. فذهب الذين فتحوها إلى المعنى الذي بَيَّنّاه في تأويله من أن الملائكة وعيسى ومن عُبِد من دون الله من المؤمنين هم الذين تبرّءوا أن يكون كان لهم وليّ غير الله تعالى ذكره. وأما الذين قرءوا ذلك بضمّ النون، =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= فإنهم وجهوا معنى الكلام إلى أن المعبودين في الدنيا إنما تبرّءوا إلى الله أن يكون كان لهم أن يعبدوا من دون الله جلّ ثناؤه، كما أخبر الله عن عيسى أنه قال إذا قيل: ﴿ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ۚ﴾ [المائدة: ١١٦]. . . ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ ۚ﴾ [المائدة: ١١٧].

**وأولى القراءتين في ذلك عندي بالصواب قراءة من قرأه بفتح النون؛ لعلل ثلاث:**

**إحداهن:** إجماع من القرّاء عليها.

**والثانية:** أن الله جلّ ثناؤه ذكر نظير هذه القصة في سورة سبأ، فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَـٰٓئِكَةِ أَهَـٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَـٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ﴾، فأخبر عن الملائكة أنهم إذا سُئلوا عن عبادة من عبدهم تبرّءوا إلى الله من ولايتهم، فقالوا لربهم: ﴿أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ﴾ [سبإ: الآية ٤١] فذلك يوضح عن صحة قراءة من قرأ ذلك: ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِي لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ﴾ بمعنى: ما كان ينبغي لنا أن نتخذهم من دونك أولياء.

**والثالثة:** أن العرب لا تُدخل «مِن» هذه التي تدخل في الجحد إلا في الأسماء، ولا تُدخلها في الأخبار، لا يقولون: (ما رأيت أخاك من رجل)، وإنما يقولون: (ما رأيت من أحد)، و(ما عندي من رجل)، وقد دخلت ها هنا في الأولياء، وهي في موضع الخبر، ولو لم تكن فيها «مِن» كان وجهًا حسنًا.

وأما البور: فمصدر واحد وجمع للبائر، يقال: أصبحت منازلهم بورًا: أي: خالية لا شيء فيها، ومنه قولهم: (بارت السوق) و(بار الطعام) إذا خلا من الطلاب والمشتري، فلم يكن له طالب، فصار كالشيء الهالك؛ ومنه قول ابن الزِّبَعْرَى:

**يَا رَسُولَ المَلِيكِ إنَّ لسانِي رَاتِقٌ ما فَتَقْتُ إذْ أنا بُورُ**

وقد قيل: إن بور: مصدر، كالعدل والزور والقطع، لا يثنى ولا يُجمع ولا يؤنث.

وإنما أريد بالبور في هذا الموضع أن أعمال هؤلاء الكفار كانت باطلة؛ لأنها لم تكن لله كما ذكرنا عن ابن عباس.

وقال السعدي (ص٥٨٠): يخبر تعالى عن حالة المشركين وشركائهم يوم القيامة وتبريهم منهم وبطلان سعيهم فقال: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ﴾ أي: المكذبين المشركين =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= ﴿وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ﴾ الله مخاطبًا للمعبودين على وجه التقريع لمن عبدهم: ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ﴾ هل أمرتموهم بعبادتكم وزينتم لهم ذلك أم ذلك من تلقاء أنفسهم؟ ﴿قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ﴾ نزهوا الله عن شرك المشركين به وبرؤوا أنفسهم من ذلك، ﴿مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ﴾ أي: لا يليق بنا ولا يحسن منا أن نتخذ من دونك من أولياء نتولاهم ونعبدهم وندعوهم، فإذا كنا محتاجين ومفتقرين إلى عبادتك متبرئين من عبادة غيرك، فكيف نأمر أحدًا بعبادتنا؟ هذا لا يكون. أو: سبحانك عن أن نتخذ من دونك من أولياء وهذا كقول المسيح عيسى بن مريم عليه السلام: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ الآية. وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ﴾ ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾﴾ [الأحقاف: الآية ٦].

فلما نزهوا أنفسهم أن يدعوا لعبادة غير الله أو يكونوا أضلوهم، ذكروا السبب الموجب لإضلال المشركين فقالوا: ﴿وَلَٰكِن مَّتَّعْتَهُمْ وَءَابَآءَهُمْ﴾ في لذات الدنيا وشهواتها ومطالبها النفسية، ﴿حَتَّىٰ نَسُوا۟ ٱلذِّكْرَ﴾ اشتغالًا في لذات الدنيا وإكبابًا على شهواتها، فحافظوا على دنياهم وضيعوا دينهم ﴿وَكَانُوا۟ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفُرقان: الآية ١٨] أي: بائرين لا خير فيهم ولا يصلحون لصالح، لا يصلحون إلا للهلاك والبوار، فذكروا المانع من اتباعهم الهدى وهو التمتع في الدنيا الذي صرفهم عن الهدى، وعدم المقتضي للهدى وهو أنهم لا خير فيهم، فإذا عُدم المقتضي ووُجد المانع فلا تشاء من شر وهلاك إلا وجدته فيهم.

فلما تبرؤوا منهم قال الله توبيخًا وتقريعًا للعابدين ﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ﴾ إنهم أمروكم بعبادتهم ورضوا فعلكم، وإنهم شفعاء لكم عند ربكم، كذبوكم في ذلك الزعم وصاروا من أكبر أعدائكم، فحق عليكم العذاب، ﴿فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا﴾ للعذاب عنكم بفعلكم أو بفداء أو غير ذلك، ﴿وَلَا نَصْرًا﴾ لعجزكم وعدم ناصركم. هذا حكم الضالين المقلدين الجاهلين كما رأيت أسوأ حكم، وأشر مصير. وأما المعاند منهم الذي عرف الحق وصدف عنه فقال في حقه: ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ﴾ =

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَّفْعًا وَلَا ضَرًّا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [سبأ: ٤٠ - ٤٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١١٦﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ۚ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: ١١٦ - ١١٨][1].

---

= بترك الحق ظلمًا وعنادًا ﴿نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾ لا يقادر قدره ولا يبلغ أمره.

(١) قال ابن الجوزي في «زاد المسير» (١/ ٦٠٥): قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ قال الحسن، وأبو العالية: إن تعذبهم فبإقامتهم على كفرهم، وإن تغفر لهم فبتوبة كانت منهم. وقال الزجاج: عُلِم عيسى أن منهم من آمن، ومنهم من أقام على الكفر، فقال في جملتهم: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾ أي: إن تعذب من كفر منهم فإنهم عبادك، وأنت العادل فيهم لأنك قد أوضحت لهم الحق، فكفروا، وإن تغفر لهم، أي: وإن تغفر لمن أقلع منهم، وآمن، فذلك تفضّل منك، لأنه قد كان لك أن لا تغفر لهم بعد عظيم فريتهم، وأنت في مغفرتك لهم عزيز لا يمتنع عليك ما تريد، حكيم في ذلك. وقال ابن الأنباري: معنى الكلام: لا ينبغي لأحدٍ أن يعترض عليك، فإن عذبتهم، فلا اعتراض عليك، وإن غفرت لهم- ولست فاعلًا إذا ماتوا على الكفر- فلا اعتراض عليك. وقال غيره: العفو لا ينقص عزّك، ولا يخرج عن حكمك. وقد روى أبو ذر قال: قام رسول الله ﷺ قيام ليلةٍ بآيةٍ يردِّدها: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨]. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وقال القرطبي (٦/ ٣٧٧): قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: الآية ١١٨] شرط وجوابه ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: الآية ١١٨] مثله. روى النسائي عن أبي ذر قال: قام النبي ﷺ بآية ليلة حتى أصبح، والآية: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ [المائدة: الآية ١١٨].

واختلف في تأويله: فقيل: قاله على وجه الاستعطاف لهم والرأفة بهم كما يُستعطف السيد لعبده ولهذا لم يقل: فإنهم عصوك. وقيل: قاله على وجه التسليم لأمره والاستجارة من عذابه وهو يعلم أنه لا يغفر لكافر. وقيل: الهاء والميم في ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ﴾. لمن مات منهم على الكفر، والهاء والميم في ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ لمن تاب منهم قبل الموت. وهذا حسن. وأما قول من قال: (إن عيسى ﷺ لم يعلم أن الكافر لا يُغفر له) فقول مجترئ على كتاب الله ﷻ لأن الأخبار من الله ﷻ لا تُنسخ. وقيل: كان عند عيسى أنهم أحدثوا معاصي وعملوا بعده بما لم يأمرهم به إلا أنهم على عمود دينه فقال: وإن تغفر لهم ما أحدثوا بعدي من المعاصي.

وقال: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: الآية ١١٨] ولم يقل: (فإنك أنت الغفور الرحيم) على ما تقتضيه القصة من التسليم لأمره والتفويض لحكمه. ولو قال: (فإنك أنت الغفور الرحيم) لأوهم الدعاء بالمغفرة لمن مات على شركه وذلك مستحيل، فالتقدير: إن تبقهم على كفرهم حتى يموتوا وتعذبهم فإنهم عبادك، وإن تهدهم إلى توحيدك وطاعتك فتغفر لهم فإنك أنت العزيز الذي لا يمتنع عليك ما تريده، الحكيم فيما تفعله تُضل من تشاء وتهدي من تشاء. وقد قرأ جماعة: «فإنك أنت الغفور الرحيم» وليست من المصحف. ذكره القاضي عياض في كتاب «الشفا».

وقال أبو بكر الأنباري: وقد طعن على القرآن من قال: إن قوله: ﴿فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: الآية ١١٨] ليس بمشاكل لقوله: ﴿وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المائدة: الآية ١١٨] لأن الذي يشاكل المغفرة (فإنك أنت الغفور الرحيم) والجواب أنه لا يحتمل إلا ما أنزله الله ومتى نُقل إلى الذي نقله إليه ضعف معناه، فإنه ينفرد الغفور الرحيم بالشرط الثاني فلا يكون له بالشرط الأول تعلق، وهو على ما أنزله الله ﷻ واجتمع على قراءته المسلمون مقرون بالشرطين كليهما أولهما وآخرهما، إذ تلخيصه: إن تعذبهم فإنك أنت عزيز حكيم، وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم في الأمرين كليهما =

## ١٨- جهل المشركين وظلمهم:

قال تعالى: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ ٥٦﴾ [النّحل: الآية ٥٦][1].

---

= من التعذيب والغفران، فكان العزيز الحكيم أليق بهذا المكان لعمومه فإنه يجمع الشرطين ولم يصلح الغفور الرحيم إذ لم يحتمل من العموم ما احتمله العزيز الحكيم وما شهد بتعظيم الله تعالى وعدله والثناء عليه في الآية كلها والشرطان المذكوران أَوْلى وأثبت معنى في الآية مما يصلح لبعض الكلام دون بعض.

خرج مسلم من غير طريق عبد الله بن عمرو بن العاص أن النبي ﷺ تلا قوله ﷻ في إبراهيم: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنۡ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٣٦﴾ [إبراهيم: الآية ٣٦] وقال عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١١٨﴾ [المائدة: الآية ١١٨] فرفع يديه وقال: «**اللهم أمتي**» وبكى فقال الله ﷻ: «**يا جبريل، اذهب إلى محمد – وربك أعلم – فسله ما يبكيك» فأتاه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ فسأله فأخبره رسول الله ﷺ بما قال– وهو أعلم– فقال الله: يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنا سنرضيك في أمتك ولا نسوءك**».

وقال بعضهم: في الآية تقديم وتأخير ومعناه: إن تعذبهم فإنك أنت العزيز الحكيم وإن تغفر لهم فإنهم عبادك. ووجه الكلام على نسقه أولى لما بيناه. وبالله التوفيق.

(١) قال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٢٦): يقول تعالى ذكره: ويجعل هؤلاء المشركون من عَبَدة الأوثان لما لا يعلمون منه ضرًّا ولا نفعًا – نصيبًا. يقول: حظًّا وجزاء مما رزقناهم من الأموال، إشراكًا منهم له الذي يعلمون أنه خلقهم، وهو الذي ينفعهم ويضرّهم دون غيره... حدثنا بشر قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة قوله: ﴿وَيَجۡعَلُونَ لِمَا لَا يَعۡلَمُونَ نَصِيبٗا مِّمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡۗ﴾ [النّحل: الآية ٥٦] وهم مشركو العرب، جعلوا لأوثانهم نصيبًا مما رزقناهم، وجزءًا من أموالهم يجعلونه لأوثانهم.

وقوله ﴿تَٱللَّهِ لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ [النّحل: الآية ٥٦] يقول تعالى ذكره: والله أيها المشركون الجاعلون للآلهة والأنداد نصيبًا فيما رزقناكم شركًا بالله وكفرًا، ليسألنكم الله يوم القيامة عما كنتم في الدنيا تفترون، يعني: تختلقون من الباطل =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= والإفك على الله بدعواكم له شريكًا، وتصييركم لأوثانكم فيما رزقكم نصيبًا، ثم ليعاقبنكم عقوبة تكون جزاء لكفرانكم نعمه وافترائكم عليه.

**وقال الزجاج في «معاني القرآن» (٣/ ٢٠٥):** وقوله: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النّحل: الآية ٥٦] هو معنى قوله تعالى: ﴿فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٦] فجعلوا نصيبًا يتقربون به إلى الله تعالى، ونصيبًا يتقربون به إلى الأصنام والحجارة.

وقوله: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النّحل: الآية ٥٦]. أي: تالله لتسألُن عنه سؤال توبيخ حتى تعترفوا به على أنْفُسِكُمْ، وتُلْزِمُوا أنفسَكُم الحجة.

**وقال الخازن في «تفسيره» (٤/ ١٨٤):** وقوله تعالى ﴿لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النّحل: الآية ٥٦] يعني عما كنتم تكذبون في الدنيا في قولكم: إن هذه الأصنام آلهة وإن لها نصيبًا من أموالكم، وهذا التفات من الغيبة إلى الحضور، وهو من بديع الكلام وبليغه.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥٧٧):** يخبر تعالى عن قبائح المشركين الذين عبدوا مع الله غيره من الأصنام والأوثان والأنداد، وجعلوا لها نصيبًا مما رزقهم الله فقالوا: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ ۗ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النّحل: الآية ٥٦] ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا ۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ ۖ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ ۗ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾﴾ [الأنعام: الآية ١٣٦] أي: جعلوا لآلهتهم نصيبًا مع الله وفضلوهم أيضًا على جانبه، فأقسم الله تعالى بنفسه الكريمة ليسألنهم عن ذلك الذي افتروه، وائتفكوه، وليقابلنهم عليه وليجازينهم أوفر الجزاء في نار جهنم، فقال: ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ﴾ [النّحل: الآية ٥٦].

ثم أخبر تعالى عنهم أنهم جعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثًا، وجعلوها بنات الله، وعبدوها معه، فأخطؤوا خطأ كبيرًا في كل مقام من هذه المقامات الثلاث، فنسبوا إليه تعالى أن له ولدًا، ولا ولد له! ثم أعطوه أخس القسمين من الأولاد وهو البنات، وهم لا يرضونها لأنفسهم، كما قال: ﴿أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾﴾ [النجم: ٢١، ٢٢]. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= **وقال السعدي في «تفسيره» (ص٢٤٤):** يخبر تعالى عن جهل المشركين وظلمهم وافترائهم على الله الكذب، وأنهم يجعلون لأصنامهم التي لا تعلم ولا تنفع ولا تضر -نصيبًا مما رزقهم الله وأنعم به عليهم، فاستعانوا برزقه على الشرك به، وتقربوا به إلى أصنام منحوتة، كما قال تعالى: ﴿وَجَعَلُواْ لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ نَصِيبٗا فَقَالُواْ هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعۡمِهِمۡ وَهَٰذَا لِشُرَكَآئِنَاۖ فَمَا كَانَ لِشُرَكَآئِهِمۡ فَلَا يَصِلُ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٦] الآية، ﴿لَتُسۡـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمۡ تَفۡتَرُونَ﴾ [النحل: الآية ٥٦] ويقال: ﴿ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمۡۖ أَمۡ عَلَى ٱللَّهِ تَفۡتَرُونَ﴾ [يونس: الآية ٥٩] فيعاقبهم على ذلك أشد العقوبة.

**وقال الراجحي في «شرح تطهير الاعتقاد» للصنعاني (٤/ ٤):** فهؤلاء القبوريون والمعتقدون في جهال الأحياء وضلالهم - سلكوا مسالك المشركين حذو القُذة بالقُذة - والقذة هي: ريش السهم - والمعنى: أنهم نهجوا نهجهم دون انحراف أو تغيير، سواء بسواء، كما تُشبه ريشة السهم الريشة الأخرى دون زيادة أو نقصان، فهؤلاء القبوريون الذين يعتقدون في أصحاب القبور النفع والضر سلكوا مسلك عُباد الأصنام حذو القذة بالقذة، فاعتقدوا فيهم ما لا يجوز أن يُعتقد إلا في الله، فاعتقدوا أنهم ينفعون ويضرون من دون الله، ويقربونهم إلى الله، ويشفعون لهم، ويجلبون لهم الرزق، ويردون الغائب، ويشفون المريض.

وهذا لا يُعتقد إلا في الله، ومع ذلك اعتقدوا فيهم هذا الاعتقاد، وجعلوا لهم جزءًا من المال، كما جعل عباد الأصنام لأصنامهم، وقصدوا قبورهم من ديارهم البعيدة للزيارة، وطافوا حولها، وقاموا خاضعين عندها، وهتفوا بأصحابها عند الشدائد، ونحروا لهم تقربًا إليهم. سجود عباد القبور لأوثانهم فيهم من يسجد لهم؟ ولا أستبعد أن فيهم من يفعل ذلك، بل أخبرني من أثق به أنه رأى من يسجد على عتبة باب مشهد الولي الذي يقصده؛ تعظيمًا له، وهذا واقع، فهم يسجدون ويركعون لهم من دون الله؛ ولذا أَلَّف بعض عُباد الرافضة والشيعة كتابًا سماه: «حَجّ المَشاهد»، وهي القبور، فجعل للقبر حجًّا، وقال فيه: «إن الإنسان إذا أتى صاحب القبر يُحْرم أولًا كما يُحْرم الحاج، فإذا وصل إلى القبر استلمه وطاف به كما يطوف الحاج أو المعتمر بالكعبة!» فإذا طاف بهذا الوثن صلى بعد ذلك ركعتين، وسجد لصاحب القبر، فإذا انتهى ذبح لصاحب القبر، وحلق رأسه... وهكذا.

## ١٩- بطلان أعمال الكفار يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ۝٢٣﴾ [الفرقان: الآية ٢٣][(١)].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اللهَ لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً، يُعْطَى بِهَا فِي الدُّنْيَا وَيُجْزَى بِهَا فِي الْآخِرَةِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَيُطْعَمُ بِحَسَنَاتِ مَا عَمِلَ بِهَا لِلَّهِ فِي الدُّنْيَا، حَتَّى إِذَا أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَةٌ يُجْزَى بِهَا**»[(٢)].

---

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٥٥٣):** مَثَلُ أعمال الذين كفروا يوم القيامة التي كانوا يعملونها في الدنيا يزعمُون أنهم يريدون الله بها - مَثَلُ رمادٍ عصفت الريح عليه في يومِ ريح عاصفٍ، فنسفته وذهبت به، فكذلك أعمال أهل الكفر به يوم القيامة، لا يجدون منها شيئًا ينفعهم عند الله فينجيهم من عذابه؛ لأنهم لم يكونوا يعملونها لله خالصًا، بل كانوا يشركون فيها الأوثان والأصنام.

**وقال البغوي (٣/ ٤٤١): (وقدمنا)**، وعمدنا، (إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباء منثورًا) أي: باطلًا لا ثواب له؛ لأنهم لم يعملوه لله ﷻ. واختلفوا في الهباء: قال علي: هو ما يُرى في الكوة إذا وقع ضوء الشمس فيها كالغبار فلا يُمس بالأيدي، ولا يُرى في الظل. وهو قول الحسن وعكرمة ومجاهد. والمنثور: المفرق. وقال ابن عباس وقتادة وسعيد بن جبير: هو ما تسفيه الرياح وتذريه من التراب وحطام الشجر. وقال مقاتل: هو ما يسطع من حوافر الدواب عند السير. وقيل: الهباء المنثور ما يُرى في الكوة. والهباء المنبث هو ما تطيره الرياح من سنابك الخيل.

**وقال السعدي (ص٥٨١):** ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ﴾ [الفرقان: الآية ٢٣] أي: أعمالهم التي رجوا أن تكون خيرًا لهم وتعبوا فيها، ﴿فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان: الآية ٢٣] أي: باطلًا مضمحلًّا قد خسروه وحُرموا أجره وعوقبوا عليه. وذلك لفقده الإيمان وصدوره عن مكذب لله ورسله، فالعمل الذي يقبله الله ما صدر عن المؤمن المخلص المصدق للرسل المتبع لهم فيه.

(٢) أخرجه مسلم (٢٨٠٨). =

### ٢٠- السراب وأعمال الكفار يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلضَّلَٰلُ ٱلْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم: الآية ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾﴾ [النّور: الآية ٣٩][1].

---

= **قال النووي في «شرحه» على مسلم (١٧/ ١٥٠)**: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّ الْكَافِرَ الَّذِي مَاتَ عَلَى كُفْرِهِ لَا ثَوَابَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُجَازَى فِيهَا بِشَيْءٍ مِنْ عَمَلِهِ فِي الدُّنْيَا مُتَقَرِّبًا إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَصَرَّحَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ بِأَنْ يُطْعَمَ فِي الدُّنْيَا بِمَا عَمِلَهُ مِنَ الْحَسَنَاتِ، أَيْ: بِمَا فَعَلَهُ مُتَقَرِّبًا بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، مِمَّا لَا يَفْتَقِرُ صِحَّتُهُ إِلَى النِّيَّةِ كَصِلَةِ الرَّحِمِ وَالصَّدَقَةِ وَالْعِتْقِ وَالضِّيَافَةِ وَتَسْهِيلِ الْخَيْرَاتِ وَنَحْوِهَا. وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيُدَّخَرُ لَهُ حَسَنَاتُهُ وَثَوَابُ أَعْمَالِهِ إِلَى الْآخِرَةِ وَيُجْزَى بها مع ذلك أَيْضًا فِي الدنيا ولا مانع مِنْ جَزَائِهِ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَقَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ بِهِ فَيَجِبُ اعْتِقَادُهُ.

قَوْلُهُ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يَظْلِمُ مُؤْمِنًا حَسَنَةً» مَعْنَاهُ لَا يَتْرُكُ مُجَازَاتَهُ بِشَيْءٍ مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَالظُّلْمُ يُطْلَقُ بِمَعْنَى النَّقْصِ، وَحَقِيقَةُ الظُّلْمِ مُسْتَحِيلَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى كَمَا سَبَقَ بَيَانُهُ.

وَمَعْنَى «أَفْضَى إِلَى الْآخِرَةِ» صَارَ إِلَيْهَا.

وَأَمَّا إِذَا فَعَلَ الْكَافِرُ مِثْلَ هَذِهِ الْحَسَنَاتِ ثُمَّ أَسْلَمَ، فَإِنَّهُ يُثَابُ عَلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ عَلَى الْمَذْهَبِ الصَّحِيحِ.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٥)**: وهذا مثل ضربه الله لأعمال أهل الكفر به، فقال: والذين جحدوا توحيد ربهم وكذّبوا بهذا القرآن، وبمن جاء به - مَثَلُ أعمالهم التي عملوها ﴿كَسَرَابٍ﴾ يقول: مثل سراب، والسراب ما لصق بالأرض، وذلك يكون نصف النهار، وحين يشتدّ الحرّ والآل، ما كان كالماء بين السماء والأرض، وذلك يكون أوّل النهار، يرفع كلّ شيء ضحى. وقوله: ﴿بِقِيعَةٍ﴾ وهي جمع قاع، كالجيرة جمع جار، والقاع: ما انبسط من الأرض واتسع، وفيه يكون =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= السراب. قوله: ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً﴾ يقول: يظن العطشان من الناس السراب ماء ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾ [النُّور: الآية ٣٩] والهاء من ذكر السراب، والمعنى: حتى إذا جاء الظمآنُ السرابَ ملتمسًا ماءً، يستغيث به من عطشه ﴿لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ يقول: لم يجد السراب شيئًا.

فكذلك الكافرون بالله من أعمالهم التي عملوها في غرور، يحسبون أنها منجيتهم عند الله من عذابه، كما حسب الظمآن الذي رأى السراب فظنه ماء يُرويه من ظمئه، حتى إذا هلك وصار إلى الحاجة إلى عمله الذي كان يرى أنه نافعه عند الله، لم يجده ينفعه شيئًا؛ لأنه كان عمله على كفر بالله، ووجد الله هذا الكافرُ عند هلاكه بالمرصاد، فوفاه يوم القيامة حساب أعماله التي عملها في الدنيا، وجازاه بها جزاءه الذي يستحقه عليه منه.

فإن قال قائل: وكيف قيل: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾ فإن لم يكن السراب شيئًا، فعلام أدخلت الهاء في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ﴾؟ قيل: إنه شيء يُرى من بعيد كالضباب الذي يُرى كثيفًا من بعيد، والهباء، فإذا قرب منه المرء، رقّ وصار كالهواء. وقد يحتمل أن يكون معناه: حتى إذا جاء موضع السراب؛ لم يجد السراب شيئًا، فاكتفى بذكر السراب من ذكر موضعه.

﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ يقول: والله سريع حسابه؛ لأنه تعالى ذكره لا يحتاج إلى عقد أصابع، ولا حفظ بقلب، ولكنه عالم بذلك كله قبل أن يعمله العبد ومن بعد ما عمله.

**وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٩٩):** ثم ضرب الله مثلًا للكفار فقال: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍ﴾ قال ابن قتيبة: السراب: ما رأيته من الشمس كالماء نصف النهار، والآل: ما رأيته في أول النهار وآخره، وهو يرفع كل شيء، والقِيعة والقاع واحد. وقرأ أُبيّ بن كعب، وعاصم الجحدري، وابن السميفع: «بِقِيعات». وقال الزجاج: القيعة جمع قاع، مثل جارٍ وجيرة، والقيعة والقاع: ما انبسط من الأرض ولم يكن فيه نبات، فالذي يسير فيه يرى كأن فيه ماءً يجري، وذلك هو السراب، والآل مثل السراب، إلا أنه يرتفع وقت الضحى، كالماء، بين السماء والأرض ﴿يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ﴾ وهو الشديد العطش ﴿مَآءً﴾، حتى إذا جاء إلى موضع السراب =

## ٢١- حبوط أعمال المشركين في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [آل عمران: ٢١، ٢٢][(١)].

---

= رأى أرضًا لا ماء فيها، فأعلم الله أن الكافر الذي يظن أن عمله قد نفعه عند الله، كظن الذي يظن السراب ماءً، وعملُه قد حبط.

قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ أي: قَدِم على الله ﴿فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ﴾ أي: جازاه بعمله. وهذا في الظاهر خبر عن الظمآن، والمراد به الخبر عن الكافر.

**وقال الشنقيطي (٥/ ٥٤٩)**: ذكر - جل وعلا - في هذه الآية الكريمة أن أعمال الكفار باطلة، وأنها لا شيء؛ لأنه قال في السراب الذي مَثَّلها به: حتى إذا جاءه لم يجده شيئًا.

وما دلت عليه هذه الآية الكريمة من بطلان أعمال الكفار جاء موضحًا في آيات أُخر؛ كقوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمْۖ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍۖ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُواْ عَلَىٰ شَىْءٍۚ﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٦/ ٢٨٧)**: وأما قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢٢]، فإنه يعني بقوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، الذين يكفرون بآيات الله. ومعنى ذلك: أنّ الذين ذكرناهم، هم ﴿ٱلَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾، يعني: بطلت أعمالهم، ﴿فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾. فأما في الدنيا، فلم ينالوا بها محمدةً ولا ثناء من الناس؛ لأنهم كانوا على ضلال وباطل، ولم يرفع الله لهم بها ذكرًا، بل لعنهم وهتك أستارهم، وأبدى ما كانوا يخفون من قبائح أعمالهم على ألسن أنبيائه ورسله في كتبه التي أنزلها عليهم، فأبقى لهم ما بقيت الدنيا مذمَّةً، فذلك حبوطها في الدنيا. وأما في الآخرة، فإنه أعدّ لهم فيها من العقاب ما وصف في كتابه، وأعلم عباده أن أعمالهم تصير بُورًا لا ثوابَ لها؛ لأنها كانت كفرًا بالله، فجزاءُ أهلها =

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [المائدة: الآية ٥][1].

وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُم بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُم بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [التوبة: الآية ٦٩][2].

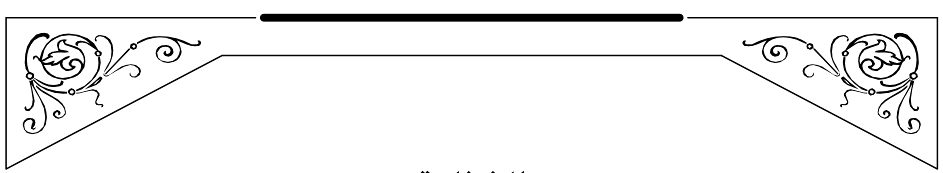
وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾﴾ [هود: ١٥، ١٦].

* * *

= الخلودُ في الجحيم.

(١) **قال السعدي في «تفسيره» (ص٢٢٢):** وقوله تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾ أي: ومن يكفر بالله تعالى، وما يجب الإيمان به من كتبه ورسله أو شيء من الشرائع، فقد حبط عمله، بشرط أن يموت على كفره، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ أي: الذين خسروا أنفسهم وأموالهم وأهليهم يوم القيامة، وحصلوا على الشقاوة الأبدية.

(٢) **قال القاسمي في «تفسيره» (٥/ ٤٥٢):** ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾ [التوبة: الآية ٦٩] أي: لم يستحقوا عليها ثوابًا في الدارين، أما في الآخرة فظاهر، وأما في الدنيا فما لهم من الذل والهوان وغير ذلك ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [التوبة: الآية ٦٩] أي: الذين خسروا الدارين.



## الشفاعة

الشفاعة من الأمور التي ثبتت بالكتاب والسنة، وأحاديثها متواترة.

قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٥] فنَفْي الشفاعة بلا إذن إثبات للشفاعة من بعد الإذن. وقال تعالى عن الملائكة: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النّجم: الآية ٢٦]. فبَيَّن الله الشفاعة الصحيحة، وهي التي تكون بإذنه ولمن يرتضي قوله وعمله[1].

### ١- معنى الشفاعة في اللغة:

الشفاعة في لغة العرب مشتقة من الشفع الذي هو غير الوتر، أي أن الشفع هو الزوج الذي هو عكس الوتر عند الإطلاق، تقول: أعطيتك كتابًا ثم شفعته بآخر، أي: صار ما معك زوجًا بعد أن كان وترًا، قال ابن منظور: (شفع الوتر من العدد شفعًا: صيره زوجًا)[2].

### ٢- تعريف الشفاعة في الشرع:

الشفاعة في الشرع هي طلب الرسول محمد ﷺ - أو غيره - من الله في الدار الآخرة حصول منفعة لأحد من الخلق.

---

(١) «شرح العقيدة الواسطية» للهراس (ص ٢١٥)، و«الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٤/ ٣٨٢).

(٢) «لسان العرب» (٨/ ١٨٣).

**ويدخل تحت هذا التعريف جميع أنواع الشفاعات الخاصة بنبينا محمد ﷺ وغيره**[(١)].

**قال الشيخ الفوزان حفظه الله:** الشفاعة معناها: التوسط في قضاء حاجة المحتاج لدى من هي عنده، سميت بذلك لأن طالب الحاجة كان منفردًا في الأول، ثمّ لما انضم إليه الشافع صار شفعًا؛ لأن الشفع ضد الوتر. فلما كان طالب الحاجة منفردًا، ثمّ انضم إليه الواسطة شفعه في الطلب؛ ولذلك سمّي شافعًا، وسمّي هذا العمل شفاعة، قال الله ﷻ: ﴿مَّن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً حَسَنَةً يَكُن لَّهُۥ نَصِيبٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن يَشْفَعْ شَفَٰعَةً سَيِّئَةً يَكُن لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا ۗ﴾ [النِّساء: الآية ٨٥][(٢)].

### أولًا: الأدلة القرآنية في ثبوت الشفاعة:

١- قال تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ ۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٥].

٢- وقال تعالى: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ﴾ [يُونس: الآية ٣].

٣- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٨].

٤- وقال تعالى: ﴿يومئذ لا تنفع الشفاعة إلا من أذن له الرحمن ورضي له قولا﴾.

٥- وقال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾ [النّجْم: الآية ٢٦].

٦- وقال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ٨٦].

---

(١) «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (١/ ٢٨٣).

(٢) «مؤلفات الفوزان» (١/ ٤٢٨).

في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ﴾ [الزخرف: الآية ٨٦] أي: الأصنام والأوثان «الشفاعة» أي: لا يقدرون على الشفاعة لهم. ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: الآية ٨٦] هذا استثناء منقطع، أي: لكن من شهد بالحق على بصيرة وعلم فإنه تنفع شفاعته عنده بإذنه له.

فهذه الآيات تدل على الشفاعة المثبتة بشروطها.

**وأما الآيات الدالة على نفي الشفاعة عن غير أهلها وهم كفار فمنها:**

١- قال تعالى: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ [الأنعام: الآية ٥١].

٢- وقال تعالى: ﴿مَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ﴾ [غافر: الآية ١٨].

والمراد بالظالمين هنا: الكافرون، ويشهد لذلك مفتتح الآية إذ هي في ذكر الكافرين.

٣- وقال تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٤][١].

**وقد ورد ذكر الشفاعة كثيرًا في الأحاديث النبوية الشريفة في كتب السنة الصحاح، منها:**

١- قال رسول الله ﷺ: «**لكل نبي دعوة قد دعا بها فاستجيبت، فجعلت دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة**»[٢].

٢- قال رسول الله ﷺ: «**أُعطيت خمسًا لم يعطهن أحد قبلي... وأعطيت الشفاعة**»[٣].

---

(١) «الإيمان باليوم الآخر» للصلابي (ص١٤٤)، و«اليوم الآخر»، و«يوم القيامة» (ص١٧٢).

(٢) مسلم رقم (٢٠٠).

(٣) مسلم رقم (٥٢١).

٣- وقال رسول الله ﷺ: «**أنا سيد ولد آدم يوم القيامة... وأول شافع وأول مشفَّع**»(١).

### ثانيًا: أقسام الشفاعة في الآخرة:

**تنقسم الشفاعة في الآخرة إلى:**

**١- الشفاعة الصحيحة:** وهي ما جمعت شروط الشفاعة الثلاثة:

- رضا الله عن الشافع.

- رضاه عن المشفوع له، لكن الشفاعة العظمى في الموقف عامة لجميع الناس مَن رضي الله عنهم ومَن لم يرضَ عنهم.

- إذنه في الشفاعة.

**ودليل ذلك** قوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِي شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ۝٢٦﴾ [النّجم: الآية ٢٦].

**٢- الشفاعة الباطلة:** وهي ما يتعلق به المشركون في أصنامهم حيث يعبدونهم ويزعمون أنهم شفعاء لهم عند الله كما قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يُونس: الآية ١٨]. ولكن هذه الشفاعة عند الله لا تنفع كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ۝٤٨﴾ [المدَّثِّر: الآية ٤٨].

ومن الآيات الدالة على بطلان شفاعة المشركين قوله تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُواْ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾ [الزمر: ٤٣].

وقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا ۖ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٤٤﴾ [الزُّمَر: الآية ٤٤].

---

(١) رواه مسلم (٢٢٧٨).

**ثالثًا: شروط الشفاعة: ثلاثة، وهي ظاهرة في كتاب الله ﷻ لمن تأملها، وهي كالتالي:**

**١- رضا الله عن الشافع:**

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا﴾ [طه: الآية ١٠٩].

**٢- رضا الله عن المشفوع له:**

قال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٢٨].

**٣- إذن الله بالشفاعة:**

قال تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۚ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ ۚ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ ۚ﴾ [البقرة: الآية ٢٥٥].

هذا وقد جمع الله تعالى هذه الشروط الثلاثة في قوله تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي السَّمَاوَاتِ لَا تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَن يَشَاءُ وَيَرْضَىٰ ﴿٢٦﴾﴾ [النجم: الآية ٢٦].

فقوله: ﴿إِلَّا مِن بَعْدِ أَن يَأْذَنَ اللَّهُ﴾ هذا شرط الإذن. وقوله: ﴿وَيَرْضَىٰ﴾، فلم يذكر متعلق الفعل (يرضى) فهل يرضى عن الشافع أم عن المشفوع؟ والقاعدة تقول: حذف المتعلق يفيد العموم[(١)].

إذن فالآية تدل على المعنيين، فتشمل الرضا عن الشافع وعن المشفوع، وهو المطلوب[(٢)].

---

(١) «قواعد التفسير» لخالد السبت (٢/ ٥٩٧).

(٢) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٢٩٢).

وقد وضَّح رسول الله ﷺ هذه القضية في حديث أنس في الصحيحين فقال: «**فأستأذن على ربي، فإذا رأيته وقعت له ساجدًا، فيدعني ما شاء الله، ثم يقول لي: ارفع رأسك، وسل تعطه، وقل يُسمع، وأشفع تشفع. فأرفع رأسي، فأحمد ربي بتحميد يعلمنيه ربي، ثم أشفع فيحد لي حدًّا، ثم اخرجهم من النار وأدخلهم الجنة ثم أعود**»(١).

## رابعًا: أنواع شفاعة النبي ﷺ:

**إن للنبي ﷺ يوم القيامة شفاعات متعددة، منها:**

**١- الشفاعة العظمى:** وهذه الشفاعة من أعظم الشفاعات، وهي المقام المحمود الذي قال الله تعالى فيه: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾ [الإسراء: الآية ٧٩].

وذلك حين يتوسل الناس يوم القيامة إلى آدم، ثم نوح، ثم إبراهيم، ثم موسى، ثم عيسى، عليهم الصلاة والسلام حتى ينتهي الأمر إلى نبينا محمد ﷺ فيقولون: «**يا محمد، أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ ألا ترى ما قد بلغنا؟ فأنطلق فآتي تحت العرش فأقع ساجدًا لربي ثم يفتح الله علي ويلهمني من محامده وحسن الثناء عليه شيئًا لم يفتحه لأحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك سل تعطه، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأقول: يا رب أمتي أمتي. فيقال: يا محمد أدخِل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب. والذي نفسي بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وبُصرى**»(٢).

---

(١) البخاري رقم (٧٠٠٢).

(٢) مسلم رقم (١٩٤).

يعني أن من لا حساب عليه من أمة محمد ﷺ يدخل الجنة مباشرة ولا يمر بما يمر به الناس من أهوال.

ثم بعد هذه الشفاعة يبدأ الحساب، وهذه الشفاعة خاصة بنبينا ﷺ[١].

**٢- اختصاصه ﷺ باستفتاح باب الجنة:** قال رسول الله ﷺ: «**أنا أول الناس يشفع في الجنة، وأنا أكثر الأنبياء تبعًا**»[٢].

وقال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستشفع، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد، فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك**»[٣].

**وأول من يدخل الجنة من الأمم أمته ﷺ** فقد قال: «**نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا وأوتيناه من بعدهم فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له - قال: يوم الجمعة - فاليوم لنا، وغدًا لليهود، وبعد غد للنصارى**»[٤].

**٣- الشفاعة في رفع درجات أقوام من أهل الجنة فوق ما يقتضيه ثواب أعمالهم** وقد جاء في ذلك بعض الأحاديث.

ودليل هذا النوع ما ثبت في الصحيحين وغيرهما من حديث أبي موسى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في استشهاد أبي عامر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وفيه: يا بن أخي، انطلِق إلى رسول الله ﷺ فأقرئه مني السلام وقل له: يقول لك أبو عامر: استغفر لي. قال: واستعملني أبو عامر على الناس ومكث يسيرًا ثم إنه مات، فلما رجعت إلى النبي ﷺ دخلت عليه وهو في بيت على سرير مرمل، وعليه فراش، وقد أَثَّر

---

(١) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٢٩٩).

(٢) مسلم رقم (١٩٦).

(٣) مسلم رقم (٣٣٣).

(٤) مسلم (٨٥٥).

رمال السرير بظهر رسول الله ﷺ وجنبيه فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر وقلت له: قال: قل له: يستغفر لي. فدعا رسول الله ﷺ بماء فتوضأ منه ثم رفع يديه، ثم قال: «**اللهم اغفر لعبدك أبي عامر**» حتى رأيت بياض إبطيه، ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك - أو: من الناس**». فقلت: ولي يا رسول الله فاستغفر، فقال النبي ﷺ: «**اللهم اغفر لعبد الله بن قيس ذنبه، وأدخِله يوم القيامة مدخلًا كريمًا**»(١).

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبي سلمة وقد شق بصره، فأغمضه ثم قال: «**إن الروح إذا قُبض تبعه البصر**» فضج ناس من أهله فقال: «**لا تَدْعوا على أنفسكم إلا بخير فإن الملائكة يُؤَمِّنون على ما تقولون**» ثم قال: «**اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين واغفر لنا وله يا رب العالمين، وافسح له في قبره ونوِّر له فيه**»(٢).

**٤- الشفاعة في بعض الكفار من أهل النار حتى يخفف عنهم:** هذه الشفاعة خاصة بالنبي ﷺ لعمه أبي طالب، ويُستدل لهذا النوع بحديث في الصحيحين عن العباس بن عبد المطلب رضي الله عنه أنه قال: يا رسول الله، هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم، هو في ضحضاح من نار(٣) ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**»(٤).

وهذه شفاعة تخفيف لا شفاعة إخراج من النار وإن كان أهون أهل النار

---

(١) البخاري (٨/ ٤١)، مسلم (٤/ ١٩٤٣).

(٢) رواه مسلم (٧-٩٢٠).

(٣) **ضحضاح:** ما زقّ من الماء على وجه الأرض ما يبلغ الكعبين فاستعاره للنار: النهاية (٣/ ٧٥).

(٤) البخاري رقم (٣٨٨٣).

عذابًا، كما في حديث ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذابًا أبو طالب، وهو منتعل بنعلين يغلي منهما دماغه**»[١].

---

(١) مسلم رقم (٣٦٢).

**قال الشيخ يوسف الغفيص حفظه الله في «شرح لمعة الاعتقاد» (ص١٧٠):** شفاعته ﷺ في عمه أبي طالب، وهذه الشفاعة خاصة به ﷺ وخاصة بأبي طالب، وهذا خاص به وخاص لأبي طالب، فليس هناك نبي أو رسول أو غيرهم يشفع لكافر، فإن الكفار محجوبون عن الشفاعة، كما قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: الآية ٤٨] أما أبو طالب فإن النبي ﷺ اختصه بهذه الشفاعة وعدًا من الله.

وإذا قيل: إن هذا الحديث معارض لظاهر القرآن! قيل: هذا ليس صحيحًا، إنما هذه حالة مخصوصة لأبي طالب، والذي ذُكر في القرآن هو مسألة العذاب من جهة رفعه، وأما من جهة درجات العذاب فإن هذا لم يُذكر شأنه في القرآن، وأبو طالب لم يحصل له بالشفاعة رفع العذاب عنه وإنما حصل له قدر من ماهية العذاب؛ ولهذا فإن العباس لما قال للنبي ﷺ كما في الصحيح: هل نفعت أبا طالب بشيء فإنه كان يحوطك ويغضب لك؟ قال: «**نعم، هو في ضحضاح من النار، ولولا أنا لكان في الدرك الأسفل من النار**».

وهنا سؤال: هل النبي ﷺ سأل ربه الشفاعة لأبي طالب وأن يخفف عنه العذاب فأجابه الله إلى ذلك فخفف عنه العذاب، أم أن الأمر هو أن الله قضى لأبي طالب هذا القضاء بسبب حاله مع الرسول ﷺ؟!

الجواب: لا يلزم أنه سأل ربه ذلك، لكن الله أخبره أن عمه على هذا القدر من العذاب بسببه، ولولا مقامه مع رسول الله ﷺ لما كان على هذا القدر بل كان أشد.

ونقول: إن الأصل والمناسب لأصول الشريعة أن هذا هو قضاء الله، إلا إذا جاء نص صريح في السنة النبوية يبين أن النبي ﷺ شفع وسأل ربه لعمه سؤالًا مختصًّا فأجيب إليه، فإن قوله عليه الصلاة والسلام للعباس لما سأله - لا يلزم منه أنه حصل هذا عن عن سؤال، إنما كان هذا عن إخبار من الله للنبي في شأن عمه، وبَيَّن الله لنبيه أن هذا بسبب حاله مع رسول الله. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= إذًا . . الأصل وظاهر بعض النصوص في الصحيحين وغيرهما أن هذا كان من قضاء الله المحض الذي ليس فيه شفاعة، ولكنه قرن بسببه ﷺ، فما درج عليه شفاعته لأبي طالب فلا نجزم فيها بنفي، لكن نقول: هذا معتبر بثبوت النص، فإن ثبت نص صريح في أن النبي شفع له قيل: هذه شفاعة أجيب إليها. وإن لم يثبت قيل: هذا قضاء الله، ولكن ذكر سببه وهو مقامه مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وهذا الفهم إذا لم يوجد نص هو الذي يصار إليه ولا يُعدل إلى غيره، وكما هو مذكور في الحديث أنه ليس إخراجًا من النار وإنما هو تخفيف من شأن عذابه، وهذا دليل على أن أبا طالب كان كافرًا خلافًا لما زعمته بعض طوائف الشيعة أنه أسلم. . . إلى آخره، فإن هذا كله من الكذب الذي ليس بشيء.

وباختصار: فإن مسألة أبي طالب تحتاج إلى تعمق وتتبع للنصوص، فإذا لم يصح فيها نص بذكر الشفاعة فلا تعد من مسائل الشفاعة وإنما تُعد من قضاء الله المختص بأبي طالب.

وأما إبراهيم فإنه يشفع لأبيه فلا يشفعه الله فيه كما ثبت في الصحيح من حديث أبي هريرة: «**يلقى إبراهيم أباه آزر يوم القيامة وعلى وجه آزر قترة وغبرة، فيقول إبراهيم لأبيه: ألم أقل لك: لا تعصني؟ فيقول أبوه: فاليوم لا أعصيك. فيقول إبراهيم: يا رب! إنك وعدتني ألا تخزيني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد؟ فيقول الله له: إني حرمت الجنة على الكافرين. ثم يقال: يا إبراهيم! انظر ما تحت رجليك؟ فينظر فإذا هو بذيخ متلطخ -أي: أن صورة آزر تُقلب إلى سبع- فيقول إبراهيم: بعدًا بعدًا. فيؤخذ بقوائمه إلى النار**».

فلا تُقبل شفاعة نبي أو رسول في أحد من أقاربه أو من غيرهم، إنما هذا خاص بأبي طالب. والأظهر أنه قضاء من الله ﷻ وليس عن شفاعة، وهذا هو الأنسب في الأصول، وهو المناسب لظاهر القرآن في قوله تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: الآية ٤٨]، وقوله تعالى في شأن أبي طالب: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبَة: الآية ١١٣] وإن كان هذا في الاستغفار، وقال النبي ﷺ: «**استأذنت ربي أن أستغفر لأمي فلم يأذن لي**»، وكذا في قصة نوح مع ابنه.

ولهذا لك أن تقول: إن فيه خصوصية لأبي طالب؛ لأن قائلًا قد يقول: وغيره من الكفار الذين لهم بعض الحسنات هل يخفف عذابهم بحسناتهم، كمن يبذل المال =

**٥- الشفاعة في أهل الكبائر:** شفاعته في أهل الكبائر من أمته ممن دخل النار، فيخرجون منها، وقد تواترت بهذا النوع الأحاديث، وهذه الشفاعة تشاركه فيها الملائكة والنبيون والمؤمنون أيضًا، وهذه الشفاعة تتكرر منه ﷺ أربع مرات(١).

ومن أحاديث هذا النوع حديث أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**»(٢).

**٦- الشفاعة في أقوام يدخلون الجنة بغير حساب:** ويحسن أن يستشهد لهذا النوع بحديث عمران بن حصين رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال النبي ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**»، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**هم الذين لا يكتوون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون**». فقال عكاشة بن محصن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: ادعُ الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت منهم**»، قال: فقام رجل

---

= أو الماء أو العتاق أو يبذل في بعض وجوه الخير؟

الجواب: النبي ﷺ قال في حديث أنس الذي رواه مسلم وغيره: «**إن الله لا يظلم مؤمنًا حسنة يعطى بها في الدنيا ويجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يجزى بها**»، والمراد بالحسنة هنا: لا يلزم أن الكفار ما يعرفون الخير، فالله يقول: ﴿لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾ [النِّساء: الآية ١١٤] وهذه كلها أوجه من الخير تصدر من المسلم والكافر؛ ولهذا قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ أي: في الآخرة؛ ولهذا فإن الكافر قد يفعل الخير على مثل هذا الوجه. أبو طالب لم تكن حسنته لوجه الله ﷻ، إنما كانت حسنة مع رسول الله من أجل القرابة والصلة والسؤدد.. إلى آخره من أوجه المقاصد عند أبي طالب، لم يُجز عليها في الآخرة.

(١) المنحة الإلهية في تهذيب الطحاوية للغنيمي (ص٢٩٢).

(٢) سنن الترمذي رقم (٢٤٣٥) وقال: حسن صحيح غريب.

فقال: يا نبي الله، ادع الله أن يجعلني منهم، قال: «**سبقك بها عكاشة**»[١].

**٧- شفاعة الرسول في أقوام تساوت حسناتهم وسيئاتهم:** فيشفع فيهم ليدخلوا الجنة وفي آخرين قد أُمر بهم إلى النار أن لا يدخلوها[٢].

### خامسًا: الشفعاء غير النبي ﷺ:

**١- الملائكة:**

قال تعالى: ﴿۞ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾ [النّجم: الآية ٢٦]. وفيه دلالة أنه إذا أذن الله تعالى له فإنه يشفع[٣].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ٢٨].

وقد جاء في الصحيحين من حديث طويل عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ: «**فيقول الله ﷻ: شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون. ولم يَبْقَ إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضة من النار فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا**»[٤].

**٢- الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والمؤمنون الصالحون:**

وقد ثبتت هذه الشفاعة بما جاء في الصحيحين من حديث طويل عن أبي

---

(١) مسلم (١/ ١٩٧، ١٩٨).

(٢) «اليوم الآخر القيامة الكبرى» (ص١٨٩)، و«فتح الباري» (١١/ ٤٣٦)، وانظر: «الإيمان باليوم الآخر» (ص١٥١).

(٣) «الشفاعة عند المثبتين والنافين» (ص٤١٢).

(٤) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه قوله ﷺ: «**فيقول الله** عز وجل: **شفعت الملائكة، وشفع النبيون، وشفع المؤمنون. ولم يَبْقَ إلا أرحم الراحمين. فيقبض قبضة من النار فيُخرج منها قومًا لم يعملوا خيرًا قط قد عادوا حممًا**»(١).

**٣- الشهداء:**

قال رسول الله ﷺ: «**يشفع الشهيد في سبعين من أهل بيته**»(٢).

وعن المقدام بن معدي كرب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**للشهيد عند الله ست خصال: يُغفر له في أول دفعة، ويرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار، الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع في سبعين من أقاربه**»(٣).

**٤- أولاد المؤمنين:**

عن أنس رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**ما من مسلم يموت له ثلاث من الولد لم يبلغوا الحِنث إلا أدخله الجنة بفضل رحمته**»(٤).

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

(٢) رواه أبو داود (٢٥٢٢)، وابن حبان (١٠/ ٥١٧) (٤٦٦٠)، والبيهقي (٩/ ١٦٤) (١٨٣٠٨)، والحديث سكت عنه أبو داود، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي داود».

(٣) رواه الترمذي (١٦٦٣)، وابن ماجه (٢٢٧٤)، وأحمد (٤/ ١٣١) (١٧٢٢١)، والبيهقى فى «شعب الإيمان» (٤/ ٢٥). قال الترمذي: حسن صحيح غريب، وحسنه ابن حجر في «تخريج مشكاة المصابيح» (٤/ ١٦) كما قال ذلك في المقدمة، وصححه الألباني في «صحيح سنن الترمذي».

(٤) رواه البخاري (١٣٨١).

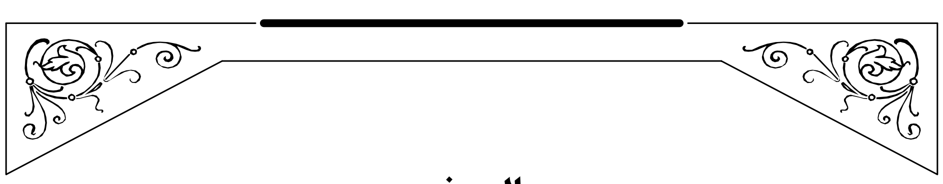
**٥- القرآن الكريم:**

عن أبي أمامة الباهلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعًا لأصحابه، اقرؤوا الزهراوين: البقرة وسورة آل عمران، فإنهما تأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان، أو كأنهما غيايتان**[١]**، أو كأنهما فرقان من طير صواف تحاجان عن أصحابهما، اقرؤوا سورة البقرة فإن أخذها بركة وتركها حسرة ولا يستطيعها البطلة - أي: السحرة -**»[٢].



(١) **الغياية:** كل شيء أظل الإنسان فوق رأسه.

(٢) رواه مسلم (٢٥٢- ٨٠٤).



## العرض

**معنى العرض في اللغة:**

من معاني العرض: الإبراز والظهور، ويقال: عرض الجند: جعلهم يمرون عليه واحدًا واحدًا. وعرض له من حقه شيئًا: أعطاه إياه مكان حقه. وعرض القوم على النار: أحرقهم بها(١).

**معنى العرض في الاصطلاح:**

إن المراد بالعرض على الله عند الإطلاق: هو بروز الخلائق وعرضهم على ربهم ﷻ في الموقف، عندما يتجلى تبارك وتعالى لهم لحسابهم وفصل القضاء بينهم، وهو كذلك عرض أعمال العباد عليهم، وعرض بعض الأشخاص عليه عرضًا خاصًّا بعد خروجهم من النار، وهذا المعنى الخاص للعرض الاصطلاحي هو أخص من العرض اللغوي العام كما أفادته النصوص الشريفة من كتاب الله ﷻ وسنة نبيه ﷺ.

**وقد قسم الشيخ حافظ الحكمي** رحمه الله **معاني العرض إلى معنيين، فقال:** العرض له معنيان: معنى عام، وهو عرض الخلائق كلهم على ربهم ﷻ، بادية له صفحاتهم، لا تخفى عليه منهم خافية، وهذا يدخل فيه من يناقش الحساب ومن لا يحاسب. والمعنى الثاني: عرض معاصي المؤمنين عليهم،

---

(١) انظر: كتب اللغة مادة عرض، و«المفردات للراغب» (ص٣٣٠)، و«أساس البلاغة» (ص٢٩٨)، و«معجم الألفاظ والأعلام القرآنية» (ص٣٣٧).

وتقريرهم بها، وسترها عليهم، ومغفرتها لهم. والمقصود هنا هو ذكر عرض الخلائق جميعهم على ربهم، أما العرض الثاني وهو عرض الحساب والمناقشة[١].

### أولًا: الأدلة من القرآن الكريم:

العرض على الله تعالى هو ما عبرت عنه الآيات الكريمة، التي تبين حالة عرض الخلائق على ربهم للحساب والجزاء وهي:

١ - قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقَّة: الآية ١٨].

٢ - وقوله تعالى: ﴿وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۚ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا ﴿٤٨﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٨].

٣ - وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۚ أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هُود: الآية ١٨].

٤ - وقوله تعالى: ﴿وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعَفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا مِنْ عَذَابِ اللَّهِ مِن شَيْءٍ ۚ قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهَدَيْنَاكُمْ ۖ سَوَاءٌ عَلَيْنَا أَجَزِعْنَا أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: الآية ٢١].

٥ - وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ ۖ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٤٨].

٦ - وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ هُم بَارِزُونَ ۖ لَا يَخْفَىٰ عَلَى اللَّهِ مِنْهُمْ شَيْءٌ ۚ لِّمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ۖ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: الآية ١٦].

٧ - وقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف:

---

(١) «معارج القبول» (٢/ ٢٤٧)، و«الحياة الآخرة» لغالب عواجي (٢/ ٨١٥).

[الأنعام: الآية ٤٧]. ولا شك أن هذا العرض إنما يكون لأجل الحساب والجزاء(١).

### ثانيًا: الأدلة من السنة:

من تلك الأدلة ما أخرج مسلم عن جرير بن عبد الله عن رسول الله ﷺ قال: «**أما إنكم تُعرضون على ربكم فترونه كما ترون هذا القمر**»(٢).

وجاء عن صفوان بن محرز قال: كنت آخذًا بيد ابن عمر، إذ عرض له رجل، قال: كيف سمعت رسول الله ﷺ يقول في النجوى يوم القيامة؟ قال: سمعته يقول: «**إن الله ﷻ يدني المؤمن، فيضع عليه كنفه، ويستره من الناس، ويقرره بذنوبه، ويقول له: أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ أتعرف ذنب كذا؟ حتى إذا قرره بذنوبه، ورأى في نفسه أنه قد هلك، قال: فإني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. ثم يعطى كتاب حسناته، وأما الكفار والمنافقون فيقول الأشهاد:** ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾ [هود: الآية ١٨]»(٣).

وهذا دليل كذلك على ثبوت عرض الخلائق على ربهم للحساب(٤).

ومما جاء في العرض الخاص أن أناسًا يخرجون من النار فيُعرضون على ربهم كما أخرج مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: «**يخرج من النار أربعة فيعرضون على الله، فيلتفت أحدهم فيقول: أي رب إذا خرجتني منها فلا تعدني فيها، فينجيه الله منها**».

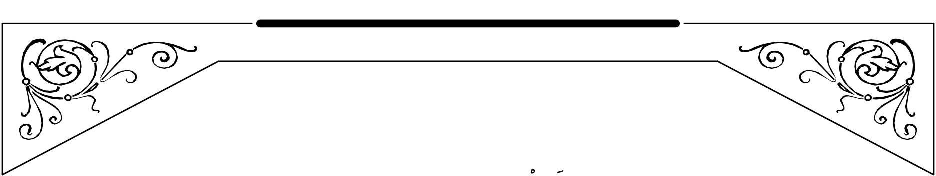
---

(١) «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (٢/ ٨٢٠).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤١)، «فتح القدير» (٢/ ٤٩٠).

(٤) رواه مسلم (١٩٢).



## نَشْر الدواوين

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾ مَّنِ ٱهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٣ - ١٥][1].

---

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٤٠١):** يقول تعالى ذكره: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ فيقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ فترك ذكر قوله: (فنقول له)، اكتفاء بدلالة الكلام عليه. وعنى بقوله: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ﴾: اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتبانا يكتبانه، ونحصيه عليك ﴿كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ يقول: حسبك اليوم نفسك عليك حاسبًا يحسب عليك أعمالك، فيحصيها عليك، لا نبتغي عليك شاهدًا غيرها، ولا نطلب عليك محصيًا سواها.

**وقال أبو السعود في «تفسيره» (٤/ ١٧٩):** أي: كفى نفسُك، والباء زائدة، و(اليومَ) ظرفٌ لـ (كفى) و(حسيبًا) تمييزٌ و(على) صلتُه لأنه بمعنى الحاسب كالصريم بمعنى الصارم، من حسَب عليه كذا. أو بمعنى الكافي، ووُضِع موضعَ الشهيد لأنه يكفي المدعي ما أهمه. وتذكيرُه لأن ما ذكر من الحساب والكفاية مما يتولاه الرجال أو لأنه مبنيٌّ على تأويل النفس بالشخص على أنها عبارة عن نفس المذكر، كقول جَبَلَةَ ابن حريث:

**يا نفسُ إنكِ باللذات مسرور ... فهل ينفعَنْك اليوم تذكيرُ**

**وقال ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٣/ ١٥):** قال قتادة: سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئًا في الدنيا. قال محمد: (حسيبًا) تمييز؛ وهو في قول بعضهم بمعنى: محاسب. =

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآية ٢٦][(١)].

---

= **وقال السعدي في «تفسيره» (ص٤٥٥):** وهذا إخبار عن كمال عدله أن كل إنسان يلزمه طائره في عنقه، أي: ما عمل من خير وشر يجعله الله ملازمًا له لا يتعداه إلى غيره، فلا يحاسب بعمل غيره ولا يحاسب غيره بعمله. ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ فيه ما عمله من الخير والشر حاضرًا صغيره وكبيره ويقال له: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسِب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣٩١):** وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾ [الغَاشِيَة: ٢٦] يقول: ثم إن على الله حسابه، وهو يجازيه بما سلف منه من معصية ربه، يُعلم بذلك نبيه محمدًا ﷺ أنه المتولي عقوبته دونه، وهو المجازي والمعاقب، وأنه الذي إليه التذكير وتبليغ الرسالة.

**وقال أبو السعود في «تفسيره» (٧/ ٨):** في المحشرِ لا على غيرِنا و(ثُمَّ) للتراخِي في الرتبةِ لا في الزمانِ فإن الترتبَ الزمانيَّ بين إيابِهم وحسابِهم لا بينَ كونِ إيابِهم إليهِ تعالَى وحسابِهم عليهِ تعالى فإنَّهما أمرانِ مستمرانِ.

وفي تصديرِ الجملتينِ بـ(إنَّ) وتقديمُ خبرِها وعطفُ الثانيةِ على الأُولى بكلمةِ (ثُمَّ) المفيدةِ لبعدِ منزلةِ الحسابِ في الشدةِ من الإنباءِ عن غايةِ السخطِ الموجبِ لتشديدِ العذابِ ما لا يَخْفى.

**وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٨/ ٥١٩)**، وقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾، الإتيان بـ(ثم)؛ للإشعار ما بين إيابهم وبدء حسابهم: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾. وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا﴾، بتقدم حرف التأكيد، وإسناد ذلك لله تعالى، وبحرف «على» مما يؤكد ذلك لا محالة، وأنه بأدق ما يكون، وعلى الصغيرة والكبيرة كما في قوله: ﴿وَإِن تُبْدُوا۟ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾، ومن الواضح مجيء ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم﴾، بعد قوله تعالى: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾؛ تسلية للنبي ﷺ وتخويفًا لأولئك الذين تولوا وأعرضوا، ثم إن =

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١١٧﴾﴾ [المؤمنون: الآية ١١٧](1).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الإنشقاق: ٧، ٨].

فذكر إيتاءهم الكتب أولًا ثم عقب بحرف الفاء الذي يقتضي الترتيب والتعقيب، فذكر الحساب(2). ويخرج لكل إنسان كتاب مفتوح فيقرأه وإن كان أميًّا، لإقامة الحجة عليه.

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُوا۟ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ

---

= الحساب في اليوم الآخر ليس خاصًّا بهؤلاء، بل هو عام بجميع الخلائق. ولكن إسناده لله تعالى مما يدل على المعاني المتقدمة. نسأل الله العفو والسلامة.

(1) **قال الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٨٤):** يقول تعالى ذكره: ومن يدع مع المعبود الذي لا تصلح العبادة إلا له معبودًا آخر، لا حجة له بما يقول، ويعمل من ذلك ولا بينة.

**وقال أبو السعود في «تفسيره» (٥/ ٢٢):** وقوله: ﴿فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٧] فهو مجازٍ له على قدرِ ما يستحقُّه ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٧] أي: إنَّ الشَّأنَ... إلخ.

وقُرِئَ بالفتحِ على أنَّه تعليلٌ أو خبرٌ ومعناهُ حسابُه عدمُ الفلاحِ، والأصلُ: حسابُه إنَّه لا يُفلحُ هو، فوُضعَ (الكافرونَ) موضعَ الضّميرِ لأنَّ (من يدعُ) في معنى الجمعِ وكذلك (حسابُه أنَّه لا يفلحُ) في معنى: «حسابُهم أنَّهم لا يُفلحون». بُدئتِ السُّورةُ الكريمةُ بتقريرِ فلاحِ المُؤمنين وخُتمتْ بنفيِ الفلاحِ عن الكافرينَ ثم أُمر رسولُ الله ﷺ بالاستغفارِ والاسترحامِ.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٥٠٢):** أي: الله يحاسبه على ذلك. ثم أخبر: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١١٧] أي: لديه يوم القيامة، لا فلاح لهم ولا نجاة.

(2) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٣٠٧).

أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ﴾ [الحاقة: ١٩- ٣٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰ أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ وَرَاءَ ظَهْرِهِ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُو ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧- ١٢].

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٧١].

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾﴾ [القمر: ٥٢، ٥٣].

والذين يكتبون هم الملائكة الذين وكّلهم الله مع كل إنسان يسجلون عليه كل شيء، قال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٧، ٨].

قال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٢﴾﴾ [يس: الآية ١٢].

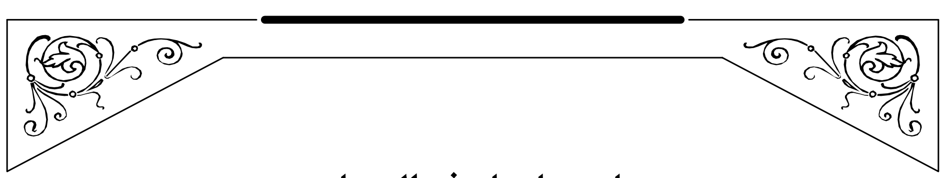
### الأدلة من السنة النبوية:

أما ما جاء في السنة النبوية في إثبات ذلك، فقد تقدم حديث ابن عمر الثابت في الصحيحين حينما سئل عن النجوى وتقرير الله لعبده بذنوبه، وفيه: «**فيقول سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. ثم تطوى صحيفة حسناته**». كما في لفظ البخاري[1]، وفي لفظ مسلم «**فيعطى صحيفة حسناته**» الحديث[2].



(١) رواه البخاري (٤٦٨٥).

(٢) رواه مسلم (٢٧٦٨).



## باب ما جاء في الحساب

### أولًا: إثبات الحساب:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٧، ٨][١].

---

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٣):** فأما من أُعطي كتاب أعماله بيمينه ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: الآية ٨] بأن ينظر في أعماله، فيغفر له سيئها، ويجازى على حسنها.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٥٦):** أي: سهلًا بلا تعسير، أي: لا يحقق عليه جميع دقائق أعماله؛ فإن من حوسب كذلك يهلك لا محالة. قال الإمام أحمد في «المسند» (٦/ ٤٧): حدثنا إسماعيل، أخبرنا أيوب، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من نوقش الحساب عُذب**». قالت: فقلت: أليس قال الله: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: الآية ٨]؟ قال: «**ليس ذاك بالحساب ولكن ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عُذب**».

وهكذا رواه البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦)، والترمذي (٣٣٣٧)، والنسائي (١١٦٥٩)، وابن جرير(٣٠/ ٧٤)، من حديث أيوب السختياني، به.

**وقال ابن جرير في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٤):** حدثنا ابن وكيع، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا أبو عامر الخراز، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**إنه ليس أحد يحاسب يوم القيامة إلا معذبًا**». فقلت: أليس الله يقول: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: الآية ٨]؟، قال: «**ذاك العرض، إنه من نوقش الحساب عُذب**»، وقال بيده على إصبعه كأنه ينكت. =

### ثانيًا: ذكر الحساب:

قال تعالى: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِي وَلِوَٰلِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ﴿٤١﴾﴾ [إبراهيم: الآية ٤١][(١)].

وقال تعالى: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٩][(٢)].

وقال تعالى: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ [ص: الآية ٥٣][(٣)].

---

= **قلتُ:** سنده ضعيف لضعف سفيان بن وكيع.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٩١٧):** ولهذا ذكر تفصيل الجزاء، فقال: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحَاقَّة: الآية ١٩] وهم أهل السعادة. ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: الآية ٨] وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له: «**إني قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم**».

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٢٨):** وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ﴾ [إبراهيم: الآية ٤١] يعني: يقوم الناس للحساب، فاكتفى بذكر الحساب من ذكر الناس، إذ كان مفهومًا معناه.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٥١٤):** أي: يوم تحاسب عبادك فتجزيهم بأعمالهم، إن خيرا فخير، وإن شرًّا فشر.

(٢) **قال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ١١٨):** وقوله: ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزُّمَر: ٦٩] أي: أضاءت يوم القيامة إذا تجلى الحق تبارك وتعالى للخلائق لفصل القضاء.

(٣) **قال الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٢٣):** وقوله: ﴿هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾﴾ [ص: الآية ٥٣] هذا الذي يعدكم الله في الدنيا أيها المؤمنون به من الكرامة لمن أدخله الله الجنة منكم في الآخرة.

**وقال الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣٣٨):** أي: ليوم تجزى كل نفس بِمَا عَمِلَتْ، وأن نعيم أهل الجنة غير منقطع.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٧٨):** أي: هذا الذي ذكرنا من صفة الجنة =

## ثالثًا: من أيقن بالحساب:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ ﴿٢٠﴾ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾ فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾ كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ هَنِيٓـًٔا بِمَآ أَسْلَفْتُمْ فِى ٱلْأَيَّامِ ٱلْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾ إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الحاقة: ١٩ - ٣٤][(١)].

---

= التي، وعدها لعباده المتقين التي يصيرون إليها بعد نشورهم وقيامهم من قبورهم وسلامتهم من النار.

(١) **قال يحيى بن سلام في «تفسيره» (١/ ١٢٢) لأصحابه:** هل تعرفوني؟ فيقولون: قد غيرتك كرامة الله، من أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، ليبشر كل رجل منكم بمثل هذا.

وإذا كان في الشر رأسًا يدعو إليه، ويأمر به، ويكثر عليه تبعه، نودي باسمه واسم أبيه، فيتقدم إلى حسابه، ويخرج له كتاب أسود بخط أسود، في باطنه الحسنات وفي ظهره السيئات، فيبدأ بالحسنات فيقرأها فيفرح ويظن أنه سينجو، فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه حسناتك وقد رُدت عليك. فيسود وجهه، ويعلوه الحزن، ويقنط من الخير.

ثم يقلب كتابه فيقرأ سيئاته، فلا يزداد إلا حزنًا ولا يزداد وجهه إلا سوادًا.

فإذا بلغ آخر الكتاب وجد فيه: هذه سيئاتك وقد ضعفت عليك، فيعظم للنار حتى إن فخذه ليكون مسيرة أيام، وجلده مقدار أربعين ذراعًا، وتزرق عيناه، ويسود لونه، ويكسى سرابيل القطران، ثم تخلع كتفه اليسرى فتجعل وراء ظهره، ثم يعطى كتابه بشماله، ويقال له: انطلق إلى أصحابك فأخبرهم أن لكل إنسان منهم مثل هذا. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= فينطلق وهو يقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُوتَ كِتَٰبِيَهۡ ۝٢٥ وَلَمۡ أَدۡرِ مَا حِسَابِيَهۡ ۝٢٦ يَٰلَيۡتَهَا كَانَتِ ٱلۡقَاضِيَةَ ۝٢٧ مَآ أَغۡنَىٰ عَنِّي مَالِيَهۡۜ ۝٢٨ هَلَكَ عَنِّي سُلۡطَٰنِيَهۡ ۝٢٩﴾ [الحاقة: ٢٥-٢٩].

قال الله: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ۝٣٠ ثُمَّ ٱلۡجَحِيمَ صَلُّوهُ ۝٣١ ثُمَّ فِي سِلۡسِلَةٖ ذَرۡعُهَا سَبۡعُونَ ذِرَاعٗا فَٱسۡلُكُوهُ ۝٣٢﴾ [الحاقة: ٣٠-٣٢] فيسلك فيها سبعون ذراعا، ﴿فَٱسۡلُكُوهُ﴾ كما قال الله، فيسلك فيها سلكًا تدخل من فيه حتى تخرج من دبره، فيأتي أصحابه، فيقول: هل تعرفوني؟ فيقولون: ما ندري ولكن قد نرى ما بك من الخزي، فمن أنت؟ فيقول: أنا فلان بن فلان، إن لكل إنسان منكم مثل هذا. ثم ينصب للناس وتبدو فضائحه حتى يعير، فيتمنى أن لو قد انطلق به إلى النار استحياء مما يبدو منه.

قوله: ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: الآية ١٤] شاهدًا.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٢١٣):** يخبر تعالى عن سعادة من أوتي كتابه يوم القيامة بيمينه، وفرحه بذلك، وأنه من شدة فرحه يقول لكل من لقيه: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ أي: خذوا اقرؤوا كتابيه؛ لأنه يعلم أن الذي فيه خير وحسنات محضة؛ لأنه ممن بَدَّل الله سيئاته حسنات. قال عبد الرحمن بن زيد: معنى: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ أي: ها اقرؤوا كتابيه، و«ؤم» زائدة. كذا قال، والظاهر أنها بمعنى: هاكم.

وقد قال ابن أبى حاتم: حدثنا: بشر بن مطر الواسطي، حدثنا يزيد بن هارون، أخبرنا عاصم الأحول، عن أبي عثمان قال: المؤمن يعطى كتابه بيمينه في ستر من الله، فيقرأ سيئاته، فكلما قرأ سيئة تغير لونه حتى يمر بحسناته فيقرؤها، فيرجع إليه لونه.

ثم ينظر فإذا سيئاته قد بُدلت حسنات، قال: فعند ذلك يقول: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ﴾ وحدثنا أبي، حدثنا إبراهيم بن الوليد بن سلمة، حدثنا روح بن عبادة، حدثنا موسى ابن عبيدة، أخبرني عبد الله بن عبد الله بن حنظلة - غسيل الملائكة - قال: إن الله يقف عبده يوم القيامة فيبدي سيئاته في ظهر صحيفته، فيقول له: أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم أي رب. فيقول له إني لم أفضحك به، وإني قد غفرت لك. فيقول عند ذلك: ﴿هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ۝١٩ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ﴾ حين نجا من فضحه يوم القيامة.

وقد تقدم في الصحيح حديث ابن عمر حين سئل عن النجوى، فقال: سمعت =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= النبي الله ﷺ يقول: «**يدني الله العبد يوم القيامة، فيقرره بذنوبه كلها، حتى إذا رأى أنه قد هلك قال الله: إني سترتها عليك في الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم. ثم يعطى كتاب حسناته بيمينه، وأما الكافر والمنافق فيقول الأشهاد:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: الآية ١٨].

وقوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَٰقٍ حِسَابِيَهۡ ٢٠﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٠] أي: قد كنت موقنًا في الدنيا أن هذا اليوم كائن لا محالة، كما قال الذين يظنون أنهم ملاقو ربهم.

قال الله: ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ٢١﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢١] أي: مرضية، ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ٢٢﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٢] أي: رفيعة قصورها، حسان حورها، نعيمة دورها، دائم حبورها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو عتبة الحسن بن علي بن مسلم السكوني، حدثنا إسماعيل بن عياش، عن سعيد بن يوسف، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلام الأسود قال: سمعت أبا أمامة قال: سأل رجل رسول الله ﷺ: هل يتزاور أهل الجنة؟ قال: «**نعم، إنه ليهبط أهل الدرجة العليا إلى أهل الدرجة السفلى، فيحيونهم ويسلمون عليهم، ولا يستطيع أهل الدرجة السفلى يصعدون إلى الأعلين، تقصر بهم أعمالهم**».

**قلتُ:** سنده ضعيف لضعف سعيد بن يوسف الرحبى. وقد ثبت في «صحيح البخاري» (٢٧٩٠): «إن الجنة مائة درجة، ما بين كل درجتين كما بين السماء والأرض».

وقوله: ﴿قُطُوفُهَا دَانِيَةٞ ٢٣﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٣] قال البراء بن عازب: أي: قريبة، يتناولها أحدهم، وهو نائم على سريره. وكذا قال غير واحد.

قال الطبراني: حدثنا إسحاق ابن إبراهيم الدبري عن عبد الرزاق، عن سفيان الثوري، عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم، عن عطاء بن يسار، عن سلمان الفارسي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا يدخل أحد الجنة إلا بجواز: (بسم الله الرحمن الرحيم) هذا كتاب من الله لفلان بن فلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية**».

**قلتُ:** سنده ضعيف، فيه عبد الرحمن بن زياد ضعيف، أخرجه الطبراني في «الكبير» (٦/ ٢٧٢)، وابن عدى في الكامل (١/ ٣٤٤)، وقال ابن عدي عن إسحاق الدبري: حدث عن عبد الرزاق بحديث منكر. ثم ذكر هذا الحديث.=

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وكذا رواه الضياء في صفة الجنة من طريق سعدان بن سعيد، بن سليمان التيمي، عن أبي عثمان النهدي، عن سلمان، عن رسول الله ﷺ قال: «**يعطى المؤمن جوازًا على الصراط: (بسم الله الرحمن الرحيم)، هذا كتاب من الله العزيز الحكيم لفلان، أدخلوه جنة عالية، قطوفها دانية**».

**قلتُ:** سنده ضعيف، انظر: «العلل المتناهية» لابن الجوزي (٢/ ٤٤٦).

وقوله: ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴿٢٤﴾﴾ [الحاقة: الآية ٢٤] أي: يقال لهم ذلك تفضلًا عليهم، وامتنانًا وإنعامًا وإحسانًا. وإلا فقد ثبت في الصحيح عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**اعملوا وسددوا وقاربوا، واعلموا أن أحدا منكم لن يُدخله عمله الجنة**». قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «**ولا أنا، إلا أن يتغمدني الله برحمة منه وفضل**».

**قلتُ:** عند البخاري (٥٦٧٣)، ومسلم (٢٨١٦) من حديث أبي هريرة، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وهذا إخبار عن حال الأشقياء إذا أُعطي أحدهم كتابه في العرصات بشماله، فحينئذٍ يندم غاية الندم، فيقول: ﴿يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَا لَيْتَهَا كَانَتِ الْقَاضِيَةَ﴾ قال الضحاك: يعني موتة لا حياة بعدها. وكذا قال محمد بن كعب، والربيع، والسدي. وقال قتادة: تمنى الموت، ولم يكن شيء في الدنيا أكره إليه منه.

﴿مَا أَغْنَى عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّي سُلْطَانِيَهْ﴾ أي: لم يدفع عني مالي ولا جاهي عذاب الله وبأسه، بل خلص الأمر إليّ وحدي، فلا معين لي ولا مجير. فعندها يقول الله، ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُّوهُ﴾ أي: يأمر الزبانية أن تأخذه عنفًا من المحشر، فتغله، أي: تضع الأغلال في عنقه، ثم تورده إلى جهنم فتصليه إياها، أي: تغمره فيها.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا: أبو سعيد الأشج، حدثنا أبو خالد، عن عمرو بن قيس، عن المنهال بن عمرو قال: إذا قال الله ﷻ: ﴿خُذُوهُ﴾ ابتدره سبعون ألف ملك، إن الملك منهم ليقول هكذا، فيلقي سبعين ألفًا في النار.

وروى ابن أبي الدنيا في «الأهوال» أنه يبتدره أربعمائة ألف، ولا يبقى شيء إلا دقه، فيقول: ما لي ولك؟ فيقول: إن الرب عليك غضبان، فكل شيء غضبان عليك. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وقال الفضيل: إذا قال الرب ﷻ: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ ابتدره سبعون ألف ملك، أيهم يجعل الغل في عنقه. ﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ أي: اغمروه فيها.

وقوله: ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ ﴿٣٢﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٣٢] قال كعب الأحبار: كل حلقة منها قدر حديد الدنيا.

وقال العوفي عن ابن عباس، وابن جرير: بذراع الملك. وقال ابن جريج، قال ابن عباس: ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ تدخل في استه ثم تخرج من فيه، ثم ينظمون فيها كما ينظم الجراد في العود حين يشوى.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٨٨٤):** هؤلاء أهل الشقاء يعطون كتب أعمالهم السيئة بشمالهم تمييزًا لهم وخزيًا وعارًا وفضيحة، فيقول أحدهم من الهم والغم والخزي: ﴿يَٰلَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٥] لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبدية.

﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٦] أي: ليتني كنت نسيًا منسيًّا ولم أُبعث وأحاسب ولهذا قال: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٧] أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها. ثم التفت إلى ماله وسلطانه، فإذا هو وبال عليه لم يقدم منه لآخرته، ولم ينفعه في الافتداء من عذاب الله، فيقول: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنِّي مَالِيَهْ ﴿٢٨﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٨] أي: ما نفعني لا في الدنيا، لم أقدم منه شيئًا، ولا في الآخرة، قد ذهب وقت نفعه. ﴿هَلَكَ عَنِّي سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٩] أي: ذهب واضمحل فلم تنفع الجنود الكثيرة، ولا العدد الخطيرة، ولا الجاه العريض، بل ذهب ذلك كله أدراج الرياح، وفاتت بسببه المتاجر والأرباح، وحضر بدله الهموم والغموم والأتراح.

فحينئذٍ يؤمر بعذابه فيقال للزبانية الغلاظ الشداد: ﴿خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٣٠] أي: اجعلوا في عنقه غلًّا يخنقه.

﴿ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٣١] أي: قلِّبوه على جمرها ولهبها. ﴿ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا﴾ [الحَاقَّة: الآية ٣٢] من سلاسل الجحيم في غاية الحرارة ﴿فَٱسْلُكُوهُ﴾ أي: انظموه فيها بأن تدخل في دبره وتخرج من فمه، ويعلق فيها، فلا يزال يعذب هذا العذاب الفظيع، فبئس العذاب والعقاب، وواحسرة من له التوبيخ والعتاب.

فإن السبب الذي أوصله إلى هذا المحل: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٣٣﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٣٣] بأن كان كافرًا بربه معاندًا لرسله رادًّا ما جاءوا به من الحق.

وقال تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الانشقاق: ٨، ٩][١].

---

(١) **قال مجاهد في «تفسيره» (ص٧١٤):** أنبأ عبد الرحمن، قال: ثنا إبراهيم، قال: ثنا آدم، قال: ثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد: ﴿وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾﴾ [الانشقاق: الآية ٤] قال: «أخرجت ما فيها من الموتى وتخلت منهم».

**قلتُ:** في سنده ابن أبي نجيح، في سماعه التفسير من مجاهد مقال. انظر: «الإلماع» بتحقيقي (ص١٦٥).

أنبأ عبد الرحمن، قال: ثنا إبراهيم، قال: ثنا آدم، قال: نا حماد بن زيد، عن أيوب السختياني، عن عبد الله بن أبي مليكة، عن عائشة، قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**من حوسب عُذب**» قالت: فقلت: أليس يقول الله ﷻ: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: الآية ٨] فقال: «**يا عائشة ذاكم العرض، ولكن من نوقش الحساب عُذب**».

**قلتُ:** حديث صحيح، أخرجه البخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٧٩) (٢٨٧٦).

**وقال القرطبي في «تفسيره» (١٩/ ٢٧٢):** قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الحَاقَّة: الآية ١٩] وهو المؤمن ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾﴾ [الانشقاق: الآية ٨] لا مناقشة فيه. كذا رُوي عن رسول الله ﷺ من حديث عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: «**من حوسب يوم القيامة عُذب**» قالت: فقلت: يا رسول الله أليس قد قال الله ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾؟ فقال: «**ليس ذاك الحساب، إنما ذلك العرض، من نوقش الحساب يوم القيامة عُذب**» أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦)، والترمذي (٢٤٢٦)، وقال: حديث حسن صحيح. ﴿وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا ﴿٩﴾﴾ [الانشقاق: الآية ٩] أزواجه في الجنة من الحور العين مسرورًا أي: مغتبطًا قرير العين. ويقال: إنها نزلت في أبي سلمة بن عبد الأسد، وهو أول من هاجر من مكة إلى المدينة. وقيل: إلى أهله الذين كانوا له في الدنيا ليخبرهم بخلاصه وسلامته. والأول قول قتادة. أي: إلى أهله الذين قد أعدهم الله له في الجنة.

وقال تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ فَيَغۡفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤][(١)].

---

(١) **قال أبو جعفر الطبري في «تفسيره» (٦/ ١٠١):** يعني جل ثناؤه بقوله: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ﴾، لله ملك كل ما في السموات وما في الأرض من صغير وكبير، وإليه تدبير جميعه، وبيده صرفه وتقليبه، لا يخفى عليه منه شيء، لأنه مدبره ومالكه ومصرفه. وإنما عنى بذلك جل ثناؤه كتمان الشهود الشهادة، يقول: لا تكتموا الشهادة أيها الشهود، ومن يكتمها يفجر قلبه، ولن يخفى علي كتمانه ذلك؛ لأني بكل شيء عليم، وبيدي صرف كل شيء في السموات والأرض وملكه، أعلم خفي ذلك وجليه، فاتقوا عقابي إياكم على كتمانكم الشهادة. وعيدًا من الله بذلك من كتمها، وتخويفًا منه له به. ثم أخبرهم عما هو فاعل بهم في آخرتهم وبمن كان من نظرائهم ممن انطوى كشحًا على معصية فأضمرها، أو أظهر موبقة فأبداها من نفسه - من المحاسبة عليها فقال: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤]، يقول: وإن تظهروا فيما عندكم من الشهادة على حق رب المال الجحود والإنكار، أو تخفوا ذلك فتضمروه في أنفسكم، وغير ذلك من سيئ أعمالكم. يحاسبكم به الله"، يعني بذلك: يحتسب به عليكم من أعمالكم، فمُجازٍ من شاء منكم من المسيئين بسوء عمله، وغافر لمن شاء منكم من المسيئين.

ثم اختلف أهل التأويل فيما عنى بقوله: ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤]: فقال بعضهم بما قلنا: من أنه عنى به الشهود في كتمانهم الشهادة، وأنه لاحق بهم كل من كان من نظرائهم ممن أضمر معصية أو أبداها.

**وقال ابن عطية في «تفسيره» (١/ ٣٨٩):** معناه أن الأمر سواء، لا تنفع فيه المواراة والكتم، بل يعلمه ويحاسب عليه، وقوله: ﴿فِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٣٥] تقتضي قوة اللفظ أنه ما تقرر في النفس واعتقد واستصحبت الفكرة فيه، وأما الخواطر التي لا يمكن دفعها فليست في النفس إلا على تجوز. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= **وقال ابن كثير في «تفسيره» (١/ ٧٢٨):** يخبر تعالى أن له ملك السموات والأرض وما فيهن وما بينهن، وأنه المطلع على ما فيهن، لا تخفى عليه الظواهر ولا السرائر والضمائر، وإن دقت وخفيت، وأخبر أنه سيحاسب عباده على ما فعلوه وما أخفوه في صدورهم كما قال: ﴿قُلْ إِن تُخْفُواْ مَا فِى صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمْهُ ٱللَّهُ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢٩]، وقال: ﴿يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى﴾ [طه: الآية ٧]، والآيات في ذلك كثيرة جدًّا، وقد أخبر في هذه بمزيد على العلم، وهو: المحاسبة على ذلك؛ ولهذا لما نزلت هذه الآية اشتد ذلك على الصحابة ﷺ، وخافوا منها، ومن محاسبة الله لهم على جليل الأعمال وحقيرها، وهذا من شدة إيمانهم وإيقانهم.

قال الإمام أحمد: حدثنا عفان، حدثنا عبد الرحمن بن إبراهيم، حدثني أبو عبد الرحمن - يعني العلاء -عن أبيه، عن أبي هريرة، قال: لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿لِّلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] اشتد ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فأتوا رسول الله ﷺ ثم جثوا على الرُّكب، وقالوا: يا رسول الله، كُلفنا من الأعمال ما نطيق: الصلاة والصيام والجهاد والصدقة، وقد أنزل عليك هذه الآية ولا نطيقها.

فقال رسول الله ﷺ: «**أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتابين من قبلكم: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا، غفرانك ربنا وإليك المصير**». فلما أقر بها القوم وذلت بها ألسنتهم، أنزل الله في أثرها: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ وَقَالُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٥] فلما فعلوا ذلك نسخها الله فأنزل: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦] إلى آخره.

**قلتُ:** حديث صحيح، أخرجه مسلم (١٢٥).

**وقال القرطبي في «تفسيره» (٣/ ٤٢١):** قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] فيه مسألتان: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= **الأولى:** اختلف الناس في معنى قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] على أقوال خمسة:

**الأول:** أنها منسوخة، قاله ابن عباس وابن مسعود وعائشة وأبو هريرة والشعبي وعطاء ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب وموسى بن عبيدة وجماعة من الصحابة والتابعين، وأنه بقي هذا التكليف حولًا حتى أنزل الله الفرج بقوله: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦]. وهو قول ابن مسعود وعائشة وعطاء ومحمد بن سيرين ومحمد بن كعب وغيرهم.

وفي صحيح مسلم (١٢٦) عن ابن عباس قال: لما نزلت ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من شيء، فقال النبي ﷺ: «**قولوا: سمعنا وأطعنا وسلمنا**» قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦] قال: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦] قال: قد فعلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٦] قال: قد فعلت.

في رواية: فلما فعلوا ذلك نسخها الله ثم أنزل تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾، وسيأتي. **قلتُ:** عند مسلم (١٢٥) من حديث أبي هريرة.

**الثاني:** قال ابن عباس وعكرمة والشعبي ومجاهد: إنها محكمة مخصوصة، وهي في معنى الشهادة التي نهى عن كتمها، ثم أعلم في هذه الآية أن الكاتم لها المخفي ما في نفسه محاسب.

**الثالث:** أن الآية فيما يطرأ على النفوس من الشك واليقين. وقال مجاهد أيضًا.

**الرابع:** أنها محكمة عامة غير منسوخة، والله محاسب خلقه على ما عملوا من عمل وعلى ما لم يعملوه مما ثبت في نفوسهم وأضمروه ونووه وأرادوه، فيغفر للمؤمنين ويأخذ به أهل الكفر والنفاق. ذكره الطبري عن قوم، وأدخل عن ابن عباس ما يشبه هذا. روى عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس أنه قال: لم تنسخ، ولكن إذا جمع الله الخلائق يقول: إني أخبركم بما أكننتم في أنفسكم» فأما المؤمنون فيخبرهم =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= ثم يغفر لهم، وأما أهل الشك والريب فيخبرهم بما أخفوه من التكذيب. فذلك قوله: ﴿يُحَاسِبْكُم بِهِ ٱللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] وهو قوله ﷻ: ﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٢٥]، من الشك والنفاق. وقال الضحاك: يعلمه الله يوم القيامة بما كان يسره ليعلم أنه لم يَخْفَ عليه. وفي الخبر: إن الله تعالى يقول يوم القيامة: «هذا يوم تبلى فيه السرائر وتخرج الضمائر وأن كُتابي لم يكتبوا إلا ما ظهر من أعمالكم وأنا المطلع على ما لم يطلعوا عليه ولم يخبروه ولا كتبوه فأنا أخبركم بذلك وأحاسبكم عليه فأغفر لمن أشاء وأعذب من أشاء» فيغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين، وهذا أصح ما في الباب، يدل عليه حديث النجوى على ما يأتي بيانه: فقد ثبت عن النبي ﷺ: «**إن الله تجاوز لأمتي عما حدثت به أنفسها ما لم يتكلموا أو يعملوا به**». **قلتُ:** عند البخاري (٥٢٦٩)، ومسلم (١٢٧) من حديث أبي هريرة.

فإنا نقول: ذلك محمول على أحكام الدنيا، مثل الطلاق والعتاق والبيع التي لا يلزمه حكمها ما لم يتكلم به، والذي ذكر في الآية فيما يؤاخذ العبد به بينه وبين الله تعالى في الآخرة. وقال الحسن: الآية محكمة ليست بمنسوخة. قال الطبري: وقال آخرون نحو هذا المعنى الذي ذُكر عن ابن عباس، إلا أنهم قالوا: إن العذاب الذي يكون جزاء لما خطر في النفوس وصحبه الفكر إنما هو بمصائب الدنيا وآلامها وسائر مكارهها. ثم أسند عن عائشة نحو هذا المعنى **وهو (القول الخامس):** ورجح الطبري أن الآية محكمة غير منسوخة: قال ابن عطية: وهذا هو الصواب، وذلك أن قوله تعالى: ﴿وَإِن تُبْدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٤] معناه مما هو في وسعكم وتحت كسبكم، وذلك استصحاب المعتقد والفكر، فلما كان اللفظ مما يمكن أن تدخل فيه الخواطر أشفق الصحابة والنبي ﷺ، فبَيَّن الله لهم ما أراد بالآية الأخرى، وخصصها ونص على حكمه أنه لا يكلف نفسًا إلا وسعها، والخواطر ليست هي ولا دفعها في الوسع، بل هي أمر غالب وليست مما يكتسب، فكان في هذا البيان فرجهم وكشف كربهم، وباقي الآية محكمة لا نسخ فيها: ومما يدفع أمر النسخ أن الآية خبر والأخبار لا يدخلها النسخ، فإن ذهب ذاهب إلى تقدير النسخ فإنما يترتب له في الحكم الذي لحق الصحابة حين فزعوا من الآية، وذلك أن =

وقال تعالى: ﴿وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعۡضَ ٱلَّذِي نَعِدُهُمۡ أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ ۝٤٠﴾ [الرّعد: الآية ٤٠](١).

وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا﴾ [الإسراء: الآية ٧١](٢).

---

= قول النبي ﷺ لهم: «**قولوا سمعنا وأطعنا**». يجيء منه الأمر بأن يثبتوا على هذا ويلتزموه وينتظروا لطف الله في الغفران. فإذا قرر هذا الحكم فصحيح وقوع النسخ فيه، وتُشْبه الآية حينئذٍ قوله تعالى: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ﴾ [الأنفَال: الآية ٦٥]، فهذا لفظه الخبر ولكن معناه التزموا هذا واثبتوا عليه واصبروا بحسبه. ثم نسخ بعد ذلك. وأجمع الناس فيما علمتُ على أن هذه الآية في الجهاد منسوخة بصبر المائة للمائتين.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٩٣):** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: وإما نرينك يا محمد في حياتك بعض الذي نعد هؤلاء المشركين بالله من العقاب على كفرهم، أو نتوفينك قبل أن نريك ذلك، فإنما عليك أن تنتهي إلى طاعة ربك فيما أمرك به من تبليغهم رسالته، لا طلب صلاحهم ولا فسادهم، وعلينا محاسبتهم، فمجازاتهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر.

**وقال الزجاج في «تفسيره» (٣/ ١٥٠):** ﴿أَوۡ نَتَوَفَّيَنَّكَ﴾ [يُونس: الآية ٤٦]. عطف على ﴿نُرِيَنَّكَ﴾ [يُونس: الآية ٤٦] وجواب الجزاء: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُ وَعَلَيۡنَا ٱلۡحِسَابُ﴾ [الرّعد: الآية ٤٠] أي: علينا الحساب لِنَجْزيَ كل نفس بما عملت. والمعنى: إما أَرَيْنَاكَ بعض الذي وعدناهم من إظهار دين الإسلام على الدين كله، أو توفيناك قبل ذلك، فليس عليك إلَّا البَلاغُ - كَفَروا هم به.

(٢) **قال الزجاج في «تفسيره» (٣/ ٢٥٢):** وقوله: ﴿يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ﴾ وتُقرأ يوم يَدْعُو - بالياء - ﴿كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ﴾ [الإسرَاء: الآية ٧١]، يعنى به يوم القيامة، وهو منصوب على (اذكر يوم يدعو كل أناس بِإِمَامِهِمْ)، ويجوز أن يكون منصوبًا بمعنى «يعيدكم الذي فطركم يوم يدعو كل أنَاس بإمامهم» ومعنى بإمامهم بدينهم الذي ائتموا به، وقيل بكتابهم، والمعنى واحدٌ. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= ويدل عليه ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ أي: من كان على حق أُعطي كتابه بيمينه. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٤٩]. المعنى: ولا يظلمون مقدار فتيل، والفتيل: القشرة التي في شق النواة.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٩٨):** يخبر تبارك وتعالى عن يوم القيامة: أنه يحاسب كل أمة بإمامهم. وقد اختلفوا في ذلك: فقال مجاهد وقتادة: أي: بنبيهم. وهذا كقوله: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يُونس: الآية ٤٧]. وقال بعض السلف: هذا أكبر شرف لأصحاب الحديث؛ لأن إمامهم النبي ﷺ. وقال ابن زيد: بكتابهم الذي أنزل على نبيهم، من التشريع. واختاره ابن جرير، ورُوي عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد أنه قال: بكتبهم. فيحتمل أن يكون أراد هذا، وأن يكون أراد ما رواه العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ﴾ أي: بكتاب أعمالهم، وكذا قال أبو العالية، والحسن، والضحاك. وهذا القول هو الأرجح؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية ١٢]. وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ۚ وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٩]. وقال تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجاثية: ٢٨، ٢٩]. وهذا لا ينافي أن يجاء بالنبي إذا حكم الله بين أمته، فإنه لا بد أن يكون شاهدًا عليها بأعمالها، كما قال: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ﴾ [الزُّمَر: الآية ٦٩]، وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النِّساء: الآية ٤١]. ولكن المراد هاهنا بالإمام هو كتاب الأعمال؛ ولهذا قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِمْ ۖ فَمَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ﴾ أي: من فرحته وسروره بما فيه من العمل الصالح، يقرؤه ويحب قراءته، كما قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ هَاؤُمُ اقْرَءُوا كِتَابِيَهْ ﴿١٩﴾ إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ إلى أن قال: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِشِمَالِهِ فَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ﴾ [الحاقة: ١٩ -٢٦]. وقوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٤٩] قد تقدم أن «الفتيل» هو الخيط المستطيل في شق النواة. =

وقال تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ﴿٤٩﴾﴾ [الكهف: الآية ٤٩](١).

---

= **وقال السعدي في «تفسيره» (ص٤٦٣):** يخبر تعالى عن حال الخلق يوم القيامة، وأنه يدعو كل أناس، ومعهم إمامهم وهاديهم إلى الرشد، وهم الرسل ونوابهم، فتعرض كل أمة، ويحضرها رسولهم الذي دعاهم، وتُعرض أعمالهم على الكتاب الذي يدعو إليه الرسول، هل هي موافقة له أم لا؟ فينقسمون بهذا قسمين: ﴿فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ٧١] لكونه اتبع إمامه الهادي إلى صراط مستقيم، واهتدى بكتابه، فكثرت حسناته، وقلت سيئاته ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ﴾ قراءة سرور وبهجة، على ما يرون فيها مما يفرحهم ويسرهم. ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٤٩] مما عملوه من الحسنات.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٨):** يقول عز ذكره: ووضع الله يومئذٍ كتاب أعمال عباده في أيديهم، فأخذ واحد بيمينه وأخذ واحد بشماله ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: الآية ٤٩] يقول عز ذكره: فترى المجرمين المشركين بالله مشفقين، يقول: خائفين وجلين مما فيه مكتوب من أعمالهم السيئة التي عملوها في الدنيا أن يؤاخذوا بها ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾ [الكهف: الآية ٤٩] يعني أنهم يقولون إذا قرءوا كتابهم، ورأوا ما قد كُتب عليهم فيه من صغائر ذنوبهم وكبائرها، نادوا بالويل حين أيقنوا بعذاب الله، وضجوا مما قد عرفوا من أفعالهم الخبيثة التي قد أحصاها كتابهم، ولم يقدروا أن ينكروا صحتها. كما حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة، قوله: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ﴾ [الكهف: الآية ٤٩] اشتكى القوم كما تسمعون الإحصاء، ولم يشتكِ أحد ظلما، فإياكم والمحقرات من الذنوب، فإنها تجتمع على صاحبها حتى تهلكه، ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يضرب لها مثلًا يقول: «**كمثل قوم انطلقوا يسيرون حتى نزلوا بفلاة من الأرض، وحضر صنيع القوم، فانطلق كل رجل يحتطب، فجعل الرجل يجيء بالعود، ويجيء الآخر بالعود، حتى جمعوا سوادًا كثيرًا وأججوا نارًا،** =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= **فإن الذنب الصغير يجتمع على صاحبه حتى يهلكه»** وقيل: إنه عنى بالصغيرة في هذا الموضوع: الضحك.

**وقال أيضًا (٢٣/ ٥٨٥):** قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٠] يقول: أيقنت. حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٠]: ظن ظنًّا يقينًا، فنفعه الله بظنه.

**قلتُ:** إسناده حسن. حدثني يونس، قال: أخبرنا ابن وهب، قال: قال ابن زيد، في قوله: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٠] قال: إن الظن من المؤمن يقين، وإن «عسى» من الله واجب ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبَة: الآية ١٨] ﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ﴾ [القَصَص: الآية ٦٧].

**قلتُ:** إسناده صحيح. حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا ابن ثور، عن معمر، عن قتادة: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ ۝٢٠﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٠] قال: ما كان من ظن الآخرة فهو علم.

**قلتُ:** إسناده صحيح.

الجصاص في «أحكام القرآن» (٤/ ٣٨٨): ومعناه: أيقنت.

**وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٣٢):** قوله ﷻ: ﴿إِنِّي ظَنَنتُ﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٠] أي: علمت وأيقنت في الدنيا ﴿أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٠] أي: أُبعث، وأُحاسب في الآخرة ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢١] أي: في حالة من العيش راضِيَةٍ، قال الفراء: أي: فيها الرضا. وقال الزجاج: أي: ذات رضا يرضاها من يعيش فيها. وقال أبو عبيدة: مجازها مجاز مرضيّة.

قوله: ﴿فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ۝٢٢﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٢] أي: عالية المنازل ﴿قُطُوفُهَا﴾ أي: ثمارها ﴿دَانِيَةٌ﴾ أي: قريبة ممن يتناولها، وهي جمع قطف. والقطف: ما يقطف من الثمار. قال البراء بن عازب: يتناول الرجل الثمرة وهو نائم.

**وقال الزجاج في «تفسيره» (٣/ ٢٩٣):** وُضِعَ كتابُ كُل امْرئ بِيَمينهِ أو شماله. ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]. كل من وقع في هلكةٍ دعا بالويل. ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي: لا تاركًا صغيرةً. ﴿وَوَجَدُواْ مَا عَمِلُواْ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]. =

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠ كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾[1].

---

= أي: إنما يعاقبهم فيضع العقوبة موضعها في مُجازاة الذنُوبِ. وأجمع أهل اللغة أن الظلم وضع الشيء في غير موضعه.

**وقال القاسمي في «تفسيره» (٧/ ٤١):** ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي: صحائف الأعمال بين يدي الله بحضرة الخلائق ﴿فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي: خائفين أن يفتضحوا ﴿مِمَّا فِيهِ﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي: من أعمالهم السيئة المسطرة ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي: هلكتنا وحسرتنا على ما فرطنا في أعمارنا. قال القاشانيّ: يدعون الهلكة التي هلكوا بها، من أثر العقيدة الفاسدة والأعمال السيئة ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ [الكهف: الآية ٤٩] أي: أيّ شأن حصل له، فلا يترك ذنبًا صغيرًا ولا كبيرًا إلا ضبطه وحفظه. والاستفهام مجاز عن التعجب في إحصائه كل المعاصي، وعدّه مقاديرها وأوصافها، وعدم تسامحه في شيء منها. قال البقاعيّ عليه الرحمة: إن لام الجر رسمت مفصولة (يعني في الرسم العثمانيّ) إشارة إلى أنهم لشدة الكرب يقفون على بعض الكلمة. وهذا من لطائفه رَحِمَهُ ٱللَّهُ. ﴿وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]، أي: مكتوبًا في الصحف تفصيلًا، من خير وشر. كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا﴾ [آل عِمرَان: الآية ٣٠] الآية. وقال: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾. ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩] أي: فيكتب عليه ما لم يعمله، أو يزيد في عقابه.

ثم أشار تعالى إلى أن الكفر والعصيان مصدره طاعة الشيطان، وإيثاره على الرحمن. والشيطان أعدى الأعداء وأفسق الفساق، فلا يتولاه إلا من سفه نفسه، وحاد عن جادة الصواب.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٢٧١):** وقوله: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ۝١٠﴾ [الانفِطار: الآية ١٠] يقول: وإن عليكم رقباء حافظين يحفظون أعمالكم، ويحصونها عليكم ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١﴾ [الانفِطار: الآية ١١] يقول: كرامًا على الله كاتبين يكتبون أعمالكم... وقوله: ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾ [الانفِطار: الآية ١٢] يقول: يعلم هؤلاء الحافظون ما تفعلون من خير أو شر، يحصون ذلك عليكم.

وقال تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟ وَءَاثَٰرَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية ١٢](١).

---

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٠/٤٩٧):** يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾ [يس: الآية ١٢] من خلقنا ﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا۟﴾ [يس: الآية ١٢] في الدنيا من خير وشر، وصالح الأعمال وسيئها.

**وقال الزجاج في «تفسيره» (٤/ ٢٨١):** ما أسلفوا من أعْمَالِهم، ونكتب آثارهم أي: من سن سنة حسنة كتب له ثوابها، ومن سن سنة سيئة كتب عليه عقابها. وقد قيل: «وتكتب آثارهم» أي: خطاهم، والأول أكثر وأبْيَن.

**وقال الشيخ الشنقيطي في «أضواء البيان» (٦/ ٢٩٠):** ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أربعة أشياء:

**الأول:** أنه يحيي الموتى، مؤكدًا ذلك متكلمًا عن نفسه بصيغة التعظيم.

**الثاني:** أنه يكتب ما قدموا في دار الدنيا.

**الثالث:** أنه يكتب آثارهم.

**الرابع:** أنه أحصى كل شيء في إمام مبين، أي: في كتاب بين واضح.

**وهذه الأشياء الأربعة جاءت موضحة في غير هذا الموضع:**

**أما الأول منها وهو كونه يحيي الموتى بالبعث،** فقد جاء في آيات كثيرة من كتاب الله تعالى، كقوله تعالى: ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ﴾، وقوله تعالى: قل أي: وربي إنه لحق، وقوله تعالى: وأقسموا بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت بلى وعدا عليه حقا، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد قدمناها بكثرة في سورة «البقرة»، وسورة «النحل»، في الكلام على براهين البعث، وقدمنا الإحالة على ذلك مرارًا.

**وأما الثاني منها وهو كونه يكتب ما قدموا في دار الدنيا،** فقد جاء في آيات كثيرة؛ كقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم ۚ بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ ۚ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وقوله تعالى: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾، وقوله تعالى: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ الآية، وقوله تعالى: ﴿مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾.

**وأما الثالث منها وهو كونهم تُكتب آثارهم،** فقد ذكر في بعض الآيات أيضًا.

**واعلم أن قوله: وآثارهم، فيه وجهان من التفسير معروفان عند العلماء:**

**الأول منهما:** أن معنى (ما قدموا): ما باشروا فعله في حياتهم، وأن معنى (آثارهم): هو ما سنوه في الإسلام من سنة حسنة أو سيئة، فهو من آثارهم التي يُعمل بها بعدهم.

**الثاني:** أن معنى (آثارهم): خطاهم إلى المساجد ونحوها من فعل الخير، وكذلك خطاهم إلى الشر، كما ثبت عنه ﷺ أنه قال: «**يا بني سلمة دياركم تكتب آثاركم**»، يعني: خطاكم من بيوتكم إلى مسجده ﷺ.

**أما على القول الأول:** فالله جل وعلا قد نص على أنهم يحملون أوزار من أضلوهم وسنوا لهم السنن السيئة؛ كما في قوله تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۙ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النّحل: الآية ٢٥] الآية، وقوله تعالى: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العَنكبوت: الآية ١٣].

وقد أوضحنا ذلك في سورة «النحل» في الكلام على قوله تعالى: ﴿وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [النّحل: الآية ٢٥] الآية وذكرنا حديث جرير وأبي هريرة، في صحيح مسلم في إيضاح ذلك.

ومن الآيات الدالة على مؤاخذة الإنسان بما عمل به بعده مما سنه من هدى أو ضلالة - قوله تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القِيَامَة: الآية ١٣]، بناء على أن المعنى (بما قدم): مباشرًا له، و(أخر): مما عُمل به بعده مما سنه من هدى أو ضلال. وقوله تعالى: ﴿عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ وَأَخَّرَتْ ﴿٥﴾﴾ [الانفِطار: الآية ٥]، على القول بذلك.

**وأما على التفسير الثاني:** وهو أن معنى (آثارهم): خطاهم إلى المساجد ونحوها -: فقد جاء بعض الآيات دالًّا على ذلك المعنى؛ كقوله تعالى: ﴿وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ﴾ [التّوبَة: الآية ١٢١]؛ لأن ذلك يستلزم أن تُكتب لهم خطاهم التي قطعوا =

وعن عبد الله بن حنظلة غسيل الملائكة: «إن الله تبارك وتعالى يوقف عبده يوم القيامة، فيعطيه صحيفته وحسناته في ظهر صحيفته، فيغبطه أهل القيامة، وسيئاته في بطن صحيفته، فيقول له: عبدي! أنت عملت هذا؟ فيقول: نعم، أي رب. فيقول: إني لم أفضحك بها اليوم، وإني قد غفرت لك. فيقول عندها: ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾»[(١)].

وعن الحسن قَالَ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿هَآؤُمُ ٱقْرَءُواْ كِتَٰبِيَهْ ۝١٩ إِنِّى ظَنَنتُ أَنِّى مُلَٰقٍ حِسَابِيَهْ﴾ قَالَ: «إِنَّ الْمُؤْمِنَ أَحْسَنَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَحْسَنَ الْعَمَلَ، وَإِنَّ الْمُنَافِقَ أَسَاءَ الظَّنَّ بِرَبِّهِ فَأَسَاءَ الْعَمَلَ»[(٢)].

### رابعًا: أول من يدعى للحساب يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥، ١٦][(٣)].

---

= بها الوادي في غزوهم.

**وأما الرابع: وهو قوله تعالى:** ﴿وَكُلَّ شَىْءٍ أَحْصَيْنَٰهُ فِىٓ إِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [يس: الآية ١٢]، فقد تدل عليه الآيات الدالة على الأمر الثاني، وهو كتابة جميع الأعمال التي قدموها، بناء على أن المراد بذلك خصوص الأعمال. وأما على فرض كونه عامًّا، فقد دلت عليه آيات أخر؛ كقوله تعالى: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَىْءٍ عَدَدًۢا﴾ [الجن: الآية ٢٨]، وقوله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ٣٨]، بناء على أن المراد بالكتاب اللوح المحفوظ، وهو أصح القولين، والعلم عند الله تعالى.

(١) **ضعيف:** أخرجه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٩٧٢)، وأبو بكر الدينوري في «المجالسة» (١٦١٤).

(٢) **حسن:** عند ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥١٩١).

(٣) **قال القرطبي في «تفسيره» (٩/ ١٥):** قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ =

وعن أبي هريرة، فقال له ناتل أهل الشام: أيها الشيخ، حَدِّثنا حديثًا سمعته من رسول الله ﷺ. قال: نعم، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أول الناس يقضى يوم القيامة عليه رجل استشهد، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: قاتلت فيك حتى استشهدت. قال: كذبت، ولكنك قاتلت**

---

= ﴿إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [هُود: الآية ١٦] إشارة إلى التخليد، والمؤمن لا يخلد؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النِّساء: الآية ٤٨] الآية. فهو محمول على ما لو كانت. موافاة هذا المرائي على الكفر. وقيل: المعنى: ليس لهم إلا النار في أيام معلومة ثم يخرج إما بالشفاعة وإما بالقبضة. والآية تقتضي الوعيد بسلب الإيمان، وفي الحديث الماضي يريد الكفر وخاصة الرياء، إذ هو شرك على ما تقدم بيانه في (النساء)، ويأتي في آخر (الكهف). ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ [الأعرَاف: الآية ١٣٩] ابتداء وخبر، قال أبو حاتم: وحذف الهاء، قال النحاس: هذا لا يحتاج إلى حذف؛ لأنه بمعنى المصدر، أي: وباطل عمله. وفي حرف أُبي وعبد الله ﴿وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾ وتكون ﴿مَّا﴾ زائدة، أي: وكانوا يعملون باطلًا.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٣٧٨):** يقول تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾ [هُود: الآية ١٥] أي: كل إرادته مقصورة على الحياة الدنيا، وعلى زينتها من النساء والبنين، والقناطير المقنطرة، من الذهب، والفضة، والخيل المسومة، والأنعام والحرث، قد صرف رغبته وسعيه وعمله في هذه الأشياء، ولم يجعل لدار القرار من إرادته شيئًا، فهذا لا يكون إلا كافرًا؛ لأنه لو كان مؤمنًا، لكان ما معه من الإيمان يمنعه أن تكون جميع إرادته للدار الدنيا، بل نفس إيمانه وما تيسر له من الأعمال أثر من آثار إرادته الدار الآخرة. ولكن هذا الشقي الذي كأنه خُلق للدنيا وحدها ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا﴾ [هُود: الآية ١٥] أي: نعطيهم ما قسم لهم في أم الكتاب من ثواب الدنيا. ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ [هُود: الآية ١٥] أي: لا يُنقصون شيئًا مما قُدر لهم، ولكن هذا منتهى نعيمهم. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي ٱلْأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ﴾ [هُود: الآية ١٦] خالدين فيها أبدًا، لا يفتَّر عنهم العذاب، وقد حرموا جزيل الثواب. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ [هُود: الآية ١٦] أي: في الدنيا، أي: بطل واضمحل ما عملوه مما يكيدون به الحق وأهله، وما عملوه من أعمال الخير التي لا أساس لها ولا وجود لشرطها وهو الإيمان.

**لأن يقال: جريء، فقد قيل، ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل تعلم العلم، وعَلَّمه وقرأ القرآن، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: تعلمت العلم، وعلمته وقرأت فيك القرآن. قال: كذبت، ولكنك تعلمت العلم ليقال: عالم، وقرأت القرآن ليقال: هو قارئ، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه حتى أُلقي في النار. ورجل وَسَّع الله عليه، وأعطاه من أصناف المال كله، فأُتي به فعرفه نعمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟ قال: ما تركت من سبيل تحب أن ينفق فيها إلا أنفقت فيها لك. قال: كذبت، ولكنك فعلت ليقال: هو جواد، فقد قيل. ثم أُمر به فسُحب على وجهه، ثم أُلقي في النار»**[١].

وعن عُقْبَةَ بْنَ مُسْلِمٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ شُفَيًّا الأَصْبَحِيَّ حَدَّثَهُ أَنَّهُ دَخَلَ المَدِينَةَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ قَدِ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ النَّاسُ، فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: أَبُو هُرَيْرَةَ. فَدَنَوْتُ مِنْهُ حَتَّى قَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُوَ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَلَمَّا سَكَتَ وَخَلَا قُلْتُ لَهُ: أَسْأَلُكَ بِحَقٍّ وَبِحَقٍّ لَمَا حَدَّثْتَنِي حَدِيثًا سَمِعْتَهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتَهُ وَعَلِمْتَهُ. فَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَقَلْتُهُ وَعَلِمْتُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً فَمَكَثْنَا قَلِيلًا ثُمَّ أَفَاقَ، فَقَالَ: لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ أَفَاقَ فَمَسَحَ وَجْهَهُ فَقَالَ: أَفْعَلُ، لَأُحَدِّثَنَّكَ حَدِيثًا حَدَّثَنِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَنَا وَهُوَ فِي هَذَا الْبَيْتِ مَا مَعَنَا أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ نَشَغَ أَبُو هُرَيْرَةَ نَشْغَةً شَدِيدَةً، ثُمَّ مَالَ خَارًّا عَلَى وَجْهِهِ فَأَسْنَدْتُهُ عَلَيَّ طَوِيلًا، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ:

حَدَّثَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى إِذَا كَانَ يَوْمُ القِيَامَةِ يَنْزِلُ إِلَى العِبَادِ لِيَقْضِيَ بَيْنَهُمْ وَكُلُّ أُمَّةٍ جَاثِيَةٌ، فَأَوَّلُ مَنْ يَدْعُو بِهِ رَجُلٌ جَمَعَ القُرْآنَ، وَرَجُلٌ قُتِلَ**

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٠٥)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٢٢).

فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَرَجُلٌ كَثِيرُ المَالِ:

فَيَقُولُ اللَّهُ لِلْقَارِئِ: أَلَمْ أُعَلِّمْكَ مَا أَنْزَلْتُ عَلَى رَسُولِي؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا عُلِّمْتَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَقُومُ بِهِ آنَاءَ اللَّيْلِ وَآنَاءَ النَّهَارِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ، وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ، وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: إِنَّ فُلَانًا قَارِئٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيُؤْتَى بِصَاحِبِ المَالِ فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَمْ أُوَسِّعْ عَلَيْكَ حَتَّى لَمْ أَدَعْكَ تَحْتَاجُ إِلَى أَحَدٍ؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ. قَالَ: فَمَاذَا عَمِلْتَ فِيمَا آتَيْتُكَ؟ قَالَ: كُنْتُ أَصِلُ الرَّحِمَ وَأَتَصَدَّقُ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَوَادٌ. فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ.

وَيُؤْتَى بِالَّذِي قُتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: فِي مَاذَا قُتِلْتَ؟ فَيَقُولُ: أُمِرْتُ بِالجِهَادِ فِي سَبِيلِكَ فَقَاتَلْتُ حَتَّى قُتِلْتُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ: كَذَبْتَ. وَتَقُولُ لَهُ المَلَائِكَةُ: كَذَبْتَ. وَيَقُولُ اللَّهُ: بَلْ أَرَدْتَ أَنْ يُقَالَ: فُلَانٌ جَرِيءٌ، فَقَدْ قِيلَ ذَاكَ»، ثُمَّ ضَرَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى رُكْبَتِي فَقَالَ: «يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، أُولَئِكَ الثَّلَاثَةُ أَوَّلُ خَلْقِ اللَّهِ تُسَعَّرُ بِهِمُ النَّارُ يَوْمَ القِيَامَةِ».

وَقَالَ الوَلِيدُ أَبُو عُثْمَانَ: فَأَخْبَرَنِي عُقْبَةُ بْنُ مُسْلِمٍ أَنَّ شُفَيًّا، هُوَ الَّذِي دَخَلَ عَلَى مُعَاوِيَةَ فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا. قَالَ أَبُو عُثْمَانَ: وَحَدَّثَنِي العَلَاءُ بْنُ أَبِي حَكِيمٍ أَنَّهُ كَانَ سَيَّافًا لِمُعَاوِيَةَ فَدَخَلَ عَلَيْهِ رَجُلٌ، فَأَخْبَرَهُ بِهَذَا عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، فَقَالَ مُعَاوِيَةُ: «قَدْ فُعِلَ بِهَؤُلَاءِ هَذَا فَكَيْفَ بِمَنْ بَقِيَ مِنَ النَّاسِ؟ ثُمَّ بَكَى مُعَاوِيَةُ بُكَاءً شَدِيدًا حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ هَالِكٌ، وَقُلْنَا: قَدْ جَاءَنَا هَذَا الرَّجُلُ بِشَرٍّ!! ثُمَّ أَفَاقَ مُعَاوِيَةُ وَمَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ...»[1].

---

(١) **صحيح**: أخرجه الترمذي (٢٣٨٢)، وابن حبان (٤٠٨).

## خامسًا: أول الأمم محاسبة:

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ ۗ وَلَوْ آمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُم ۚ مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿١١٠﴾﴾ [آل عِمران: الآية ١١٠][(١)].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أن كل أمة أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتينا من بعدهم، فهذا اليوم الذي اختلفوا فيه، فغدًا لليهود، وبعد غد للنصارى**»[(٢)].

وعنه أيضًا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: سمعتُ رسول الله ﷺ يقول: «**نحن الآخرون السابقون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، ثم هذا يومهم الذي فُرض عليهم فاختلفوا فيه، فهدانا الله، فالناس لنا فيه تبع، اليهود غدًا، والنصارى بعد غد**»[(٣)].

---

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٧/ ١٠٠):** اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عِمران: الآية ١١٠]:

فقال بعضهم: هم الذين هاجروا مع رسول الله ﷺ من مكة إلى المدينة وخاصة من أصحاب رسول الله ﷺ.

**وقال الزجاج في «تفسير» (١/ ٤٥٦):** عنى به أمة محمد ﷺ. وقيل في معنى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ﴾ [آل عِمران: الآية ١١٠]: كنتم عند الله في اللوح المحفوظ. وقيل: كنتم منذ آمنتم خير أمة. وقال بعضهم: معنى ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عِمران: الآية ١١٠]: هذا الخطاب أصله أنَّه خوطب به أصحاب النبي ﷺ وهو يعم سائر أمَّة محمد، والشريطة في الخيرية ما هو في الكلام وهو قوله ﷻ: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عِمران: الآية ١١٠].

(٢) أخرجه البخاري (٣٤٨٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٣) أخرجه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

وعن ابن عباس مرفوعًا: «**نحن آخر الأمم، وأول من يحاسب، يقال: أين الأمة الأمية ونبيها؟ فنحن الآخرون الأولون**»(١).

وعن أبي هريرة، وعن ربعي بن حراش، عن حذيفة، قالا: قال رسول الله ﷺ: «**أضل الله عن الجمعة من كان قبلنا، فكان لليهود يوم السبت، وكان للنصارى يوم الأحد، فجاء الله بنا فهدانا الله ليوم الجمعة، فجعل الجمعة، والسبت، والأحد، وكذلك هم تبع لنا يوم القيامة، نحن الآخرون من أهل الدنيا، والأولون يوم القيامة، المقضي لهم قبل الخلائق**» وفي رواية واصل: «**المقضي بينهم**»(٢).

---

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٢٩٠)، وقال البوصيري في «الزوائد»: إسناده صحيح رجاله ثقات.

**قلت:** يشهد له ما بقبله.

(٢) أخرجه مسلم (٨٥٦)، والنسائي (١٣٦٨).

**وقَالَ الطِّيبِيُّ كما في «مرقاة المفاتيح» (٣/ ١٠١٠):** (الْمَقْضِيُّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ): صِفَةُ الْآخَرُونَ، أَيِ: الَّذِينَ يُقْضَى لَهُمْ قَبْلَ النَّاسِ لِيَدْخُلُوا الْجَنَّةَ أَوَّلًا، كَأَنَّهُ قِيلَ: الْآخِرُونَ السَّابِقُونَ. اهـ. وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى تَقَدُّمِ رُتْبَتِهِمْ فِي كُلِّ مَوْقِفٍ مِنْ مَوَاقِفِ الْقِيَامَةِ، وَفِي كُلِّ مَرْتَبَةٍ مِنْ مَرَاتِبِ الْحُكُومَةِ، وَفِي قَوْلِهِ لَهُمْ إِيمَاءٌ إِلَى كَمَالِ الِاعْتِنَاءِ بِهِمْ وَبِشَأْنِهِمْ، وَإِيمَاءٌ إِلَى إِظْهَارِ رِفْعَةِ مَكَانَتِهِمْ وَعُلُوِّ مَكَانِهِمْ، فَكَأَنَّ جَمِيعَ الْخَلَائِقِ تَبَعٌ لَهُمْ، بَلْ خُلِقُوا لِأَجْلِهِمْ. حَشَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى مَعَهُمْ.

**وقال السندي في حاشيته على النسائي (٣/ ٨٦):** وَالْمُرَادُ أَنَّ هَذِهِ الْأُمَّةَ وَإِنْ تَأَخَّرَ وُجُودُهَا فِي الدُّنْيَا عَنِ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، فَهِيَ سَابِقَةٌ إِيَّاهُم فِي الْآخِرَةِ بِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ يُحْشَرُ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ وَأَوَّلُ مَنْ يُقْضَى بَيْنَهُمْ وَأَوَّلُ من يدْخل الْجنَّة. وَفِي مُسلم: «نَحْنُ الْآخِرُونَ من أهل الدُّنْيَا وَالسَّابِقُونَ يَوْم الْقِيَامَة المَقْضِيُّ لَهُم قَبْلَ الْخَلَائِقِ» وَبِمَعْنَاهُ مَا رَوَاهُ الْمُصَنِّفُ بَعْدَ هَذَا. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالسَّبْقِ إِحْرَازُ فَضِيلَةِ الْيَوْمِ السَّابِقِ بِالْفَضْلِ وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِهِ السَّبْقُ إِلَى الْقَبُولِ وَالطَّاعَةِ الَّتِي حُرِمَهَا أَهْلُ الْكِتَابِ فَقَالُوا: سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا. وَالْأَوَّلُ أَقْوَى (بَيْدَ) مِثْلُ غَيْرٍ وَزْنًا.

## سادسًا: أول ما يحاسب به العبد:

عن أبي هريرة: أن النبي ﷺ قال: «**إن أول ما يحاسب به الناس يوم القيامة الصلاة، يقول الله للملائكة: انظروا إلى صلاة عبدي. فإن كانت تامة كتبت تامة، وإن كانت ناقصة كتبت ناقصة، قال الله بحلمه، وعلمه، وفضل رده على عبده: انظروا هل من تطوع؟ فإن كان له تطوع كملت له**»، ثم قال رسول الله ﷺ: «**ثم تؤخذ الأعمال على ذلكم**»(١).

## سابعًا: الله يفصل بين عباده يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱلَّذِينَ هَادُواْ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلۡمَجُوسَ وَٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ١٧﴾ [الحَج: الآية ١٧](٢).

---

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٤/ ٦٤) (٥/ ٣٧٧)، والنسائي (٤٦٦)، وانظر: «علل الحديث» لابن أبي حاتم (١/ ١٥٢)، و«العلل» للدارقطني (٨/ ٢٢٤٤)، وفي الباب عن ابن مسعود كما عند النسائي (٣٤٣٩)، ومن طريق تميم الداري كما عند أحمد في «مسنده» (٤/ ١٠٣)، وأبي داود (٨٨٦)، ومن طريق أنس بن مالك كما عند أبي يعلى في «مسنده» (٤١٢٤)، وجميع هذه الطرق لا تخلو من مقال.

(٢) **قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٨٤)**: يقول تعالى ذكره: إن الفصل بين هؤلاء المنافقين الذين يعبدون الله على حرف، والذين أشركوا بالله فعبدوا الأوثان والأصنام، والذين هادوا، وهم اليهود والصابئون والنصارى والمجوس الذي عظموا النيران وخدموها، وبين الذين آمنوا بالله ورسله إلى الله، وسيفصل بينهم يوم القيامة بعدل من القضاء، وفصله بينهم إدخاله النار الأحزاب كلهم والجنة المؤمنين به وبرسله، فذلك هو الفصل من الله بينهم.

**وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٢٢٧)**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الحَج: الآية ١٧] أي: يقضي ﴿يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١١٣] بينهم بادخال المؤمنين الجنة والآخرين =

## ثامنًا: الله سريع الحساب:

قال تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ لَهُمۡ نَصِيبٞ مِّمَّا كَسَبُواْۚ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ٢٠٢﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٠٢](1).

---

= النار ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٠] من أعمالهم ﴿شَهِيدٌ﴾ [يُونس: الآية ٤٦].

**وقال القرطبي (١٢/ ٢٣):** ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ﴾ [الحَج: الآية ١٧] أي: يَقْضِي وَيَحْكُمُ، فَلِلْكَافِرِينَ النَّارُ، وَلِلْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةُ. وَقِيلَ: هَذَا الْفَصْلُ بِأَنْ يُعَرِّفَهُمُ الْمُحِقَّ مِنَ الْمُبْطِلِ بِمَعْرِفَةٍ ضَرُورِيَّةٍ، وَالْيَوْمَ يَتَمَيَّزُ الْمُحِقُّ عَنِ الْمُبْطِلِ بِالنَّظَرِ وَالِاسْتِدْلَالِ. ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ﴾ [الحَج: الآية ١٧] أي: مِنْ أَعْمَالِ خَلْقِهِ وَحَرَكَاتِهِمْ وَأَقْوَالِهِمْ، فَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ شَيْءٌ مِنْهَا، سُبْحَانَهُ! وَقَوْلُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَفۡصِلُ بَيۡنَهُمۡ﴾ [الحَج: الآية ١٧] خَبَرُ ﴿إِنَّ﴾ فِي قَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البَقَرَة: الآية ٦٢] كَمَا تَقُولُ: إِنَّ زَيْدًا إِنَّ الْخَيْرَ عِنْدَهُ. وَقَالَ الْفَرَّاءُ: وَلَا يَجُوزُ فِي الْكَلَامِ: إِنَّ زَيْدًا إِنَّ أَخَاهُ مُنْطَلِقٌ. وَزَعَمَ أَنَّهُ إِنَّمَا جَازَ فِي الْآيَةِ لِأَنَّ فِي الْكَلَامِ مَعْنَى الْمُجَازَاةِ، أي: مَنْ آمَنَ وَمَنْ تَهَوَّدَ أَوْ تَنَصَّرَ أَوْ صَبَأَ يُفْصَلُ بَيْنَهُمْ، وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ ﷻ. وَرَدَّ أَبُو إِسْحَاقَ عَلَى الْفَرَّاءِ هَذَا الْقَوْلَ، وَاسْتَقْبَحَ قَوْلَهُ: (لَا يَجُوزُ إِنَّ زَيْدًا إِنَّ أَخَاهُ مُنْطَلِقٌ)، قَالَ: لِأَنَّهُ لَا فَرْقَ بَيْنَ زَيْدٍ وَبَيْنَ الَّذِينَ، وَ﴿إِنَّ﴾ تَدْخُلُ عَلَى كُلِّ مُبْتَدَإٍ فَتَقُولُ: (إِنَّ زَيْدًا هُوَ مُنْطَلِقٌ)، ثُمَّ تَأْتِي (بِإِنَّ) فَتَقُولُ: (إِنَّ زَيْدًا إِنَّهُ مُنْطَلِقٌ). وَقَالَ الشَّاعِرُ:

**إِنَّ الْخَلِيفَةَ إِنَّ اللَّهَ سَرْبَلَهُ ... سِرْبَالَ عِزٍّ بِهِ ترجى الخواتيم**

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٤/ ٢٠٧):** وأما قوله: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٠٢]، فإنه يعني جل ثناؤه أنه محيط بعمل الفريقين كليهما اللذين من مسألة أحدهما: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٠٠]، ومن مسألة الآخر: ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٠١]، فمحص له بأسرع الحساب، ثم إنه مُجازٍ كلا الفريقين على عمله. وإنما وصف جل ثناؤه نفسه بسرعة الحساب لأنه جل ذكره يحصي ما يحصي من أعمال عباده بغير عقد أصابع، ولا فكر ولا روية، فِعل العجزة الضعفة من الخلق، ولكنه لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء، ولا يعزب عنه مثقال ذرة فيهما، ثم هو مُجازٍ عباده على كل ذلك. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= فلذلك امتدح نفسه جل ذكره بسرعة الحساب، وأخبر خلقه أنه ليس لهم بمثل، فيحتاج في حسابه إلى عقد كف أو وعي صدر.

**وقال أيضًا (١٦/ ٤٩٨):** والله سريع الحساب يحصي أعمال هؤلاء المشركين، لا يخفى عليه شيء، وهو من وراء جزائهم عليها.

**وقال البغوي في «تفسيره» (١/ ٢٦٠):** ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٢]، يعني: إذا حاسب عبده فحسابه سريع لا يحتاج إلى عقد يد ولا وعي صدر ولا إلى روية ولا فكر، قال الحسن: أسرع من لمح البصر. وقيل: معناه: إتيان القيامة قريب لأن ما هو كائن لا محالة فهو قريب، قال الله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ [الشّورى: الآية ١٧].

**وقال في «شرح السنة» (١٥/ ١٣٠):** أي: حسابه واقع لا محالة، وكل ما هو واقع لا محالة، فهو سريع، وقيل: سرعة حسابه أنه لا يشغله حساب واحد عن حساب الآخر، ولا يشغله سمع عن سمع فهو أسرع الحاسبين.

**وقال ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٢/ ٣٦٠):** يعني: العذاب؛ إذا أراد أن يعذب قومًا من الذين كذبوا رسلهم كان عذابه إياهم أسرع من الطرف؛ يخوف بهذا المشركين.

**وقال الزجاج في «تفسيره» (١/ ٢٧٥):** المعنى أنه قد علم ما للمحاسَب وما عليه قَبْل توقيفه على حسابه، فالفائدة في الحساب علم حقيقته. وقد قيل في بعض التفسير: إن حساب العبد أسرع من لمح البصر. واللَّه أعلم.

**وقال النحاس في «معاني القرآن» (١/ ١٤٤):** ثم قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٢] أي: اعلم ما للمحاسب وما عليه قبل توقيفه على حسابه وهو يحاسبه بغير تذكر ولا روية وليس الآدمي كذلك.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٢٥):** أي: مَن جَحَد بما أنزل الله في كتابه فإن الله سيجازيه على ذلك، ويحاسبه على تكذيبه، ويعاقبه على مخالفته كتابه.

**وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١٣/ ١٧٣):** وَجُمْلَةُ (وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسابِ) يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ عَطْفًا عَلَى جُمْلَةِ (وَاللَّهُ يَحْكُمُ) فَتَكُونُ دَلِيلًا رَابِعًا عَلَى أَنَّ وَعْدَهُ وَاقِعٌ وَأَنَّ تَأَخُّرَهُ وَإِنْ طَالَ فَمَا هُوَ إِلَّا سَرِيعٌ بِاعْتِبَارِ تَحَقُّقِ وُقُوعِهِ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَطْفًا عَلَى جُمْلَةِ الْحَالِ. وَالْمَعْنَى: يَحْكُمُ غَيْرَ مَنْقُوصٍ حُكْمُهُ وَسَرِيعًا حِسَابُهُ. وَمَآلُ =

وقال: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِآيَاتِ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [آل عمران: الآية ١٩].

وقال: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [المائدة: الآية ٤].

وقال: ﴿وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [الرعد: الآية ٤١].

وقال: ﴿وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [البقرة: الآية ٢٠٢].

وقال: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾ [غافر: الآية ١٧].

## تاسعًا: الله يغفر الذنوب يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: ٨١، ٨٢][(١)].

---

= التَّقْدِيرَيْنِ وَاحِدٌ. وَالْحِسَابُ: كِنَايَةٌ عَنِ الْجَزَاءِ. وَالسُّرْعَةُ: الْعَجَلَةُ، وَهِيَ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِحَسَبِهِ.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٧٣٥):** أي: لا تستبطئوا ذلك اليوم فإنه آتٍ، وكل آتٍ قريب. وهو أيضًا سريع المحاسبة لعباده يوم القيامة، لإحاطة علمه وكمال قدرته.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٦٣):** يقول: والذي يميتني إذا شاء ثم يحييني إذا أراد بعد مماتي. ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ فربي هذا الذي بيده نفعي وضرّي، وله القدرة والسلطان، وله الدنيا والآخرة، لا الذي لا يسمع إذا دُعي، ولا ينفع ولا يضرّ. وإنما كان هذا الكلام من إبراهيم احتجاجًا على قومه في أنه لا تصلح الألوهة ولا ينبغي أن تكون العبودة إلا لمن يفعل هذه الأفعال، لا لمن لا يطيق نفعًا ولا ضرًّا.

وقيل: إن إبراهيم صلوات الله عليه عَنَي بقوله: ﴿وَالَّذِي أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشعراء: الآية ٨٢]: والذي أرجو أن يغفر لي قولي: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصافات: الآية ٨٩] وقولي: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: الآية ٦٣] وقولي لسارة: إنها أختي. ذِكر من قال ذلك: حدثني محمد بن عمرو، قال: ثنا أبو عاصم، قال: ثنا =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= عيسى؛ وحدثني الحارث، قال: ثنا الحسن قال: ثنا ورقاء جميعًا، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٨٢] قال: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصَّافات: الآية ٨٩] وقوله: ﴿فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبيَاء: الآية ٦٣] وقوله لسارة: إنها أختي، حين أراد فرعون من الفراعنة أن يأخذها. حدثنا القاسم قال: ثنا الحسين قال: ثني حجاج، عن ابن جُرَيج، عن مجاهد، قوله: ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٨٢] قال: قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ [الصَّافات: الآية ٨٩] وقوله: ﴿بَلْ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبيَاء: الآية ٦٣] وقوله لسارة: إنها أختي. قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو تُمَيلة، عن أبي حمزة، عن جابر، عن عكرمة ومجاهد نحوه.

ويعني بقوله: ﴿يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفَاتِحَة: الآية ٤] يوم الحساب، يوم المجازاة.

**وقال الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٩٣):** ومعنى خطيئتي أن الأنبياء بَشَر، وقد يجوز أن يقع عليهم الخطيئة إلا أنهم صلوات الله عليهم لا تكون منهم الكبيرة لأنهم مَعْصُومون مُخْتَارُون على العالمين كل نبي هو أفضل من عالم أهل دَهْرِه كُلِّهِمْ.

**وقال أبو السعود (٥/ ١٤٥):** ﴿وَٱلَّذِيٓ أَطْمَعُ أَن يَغْفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوْمَ ٱلدِّينِ﴾ ذكره عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ هضمًا لنفسه، وتعليمًا للأُمَّةِ أنْ يجتنبُوا المعاصي ويكونوا على حَذَرٍ وطلب مغفرة لَما يفرطُ منهم وتلافيًا لما عَسَى يندرُ منه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ من الصَّغائر وتنبيهًا لأبيه وقومه على أنْ يتأمَّلوا في أمرهم فيقفُوا على أنَّهم من سوء الحال في درجةٍ لا يُقادر قدرُها، فإنَّ حالَه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ مع كونه في طاعة الله تعالى وعبادتِه في الغاية القاصيةِ حيثُ كانت بتلك المثابة، فما ظنُّك بحال أولئك المغمُورين في الكُفر وفُنون المعاصي والخطايا.

وحَمْلُ الخطيئة على كلماتِه الثَّلاثِ: (إنِّي سقيمٌ) وقوله: (بل فعله كبيرُهم هذا) وقوله لسارَّةَ: (هي أختي) مَّما لا سبيلَ إليه لأنَّها مع كونها معاريضَ لامن قبيل الخطايا المفتقرةِ إلى الاستغفار - إنَّما صدرتْ عنه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ بعد هذه المقاولةِ الجاريةِ بينه وبين قومه، أما الثَّالثةُ فظاهرةٌ لوقوعِها بعد مهاجرتِه عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ إلى الشأمِ وأما الأوليانِ فلأنَّهما وقعتا مكتنفتينِ بكسرِ الأصنامِ، ومن البيِّن أنَّ جريانَ هذه المقالاتِ فيما بينهم كان في مبادئ الأمرِ، وتعليقُ مغفرةِ =

وعن ابْنَ عُمَرَ: قَالَ سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ - وَقَالَ هِشَامٌ: يَدْنُو الْمُؤْمِنُ - حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ. يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ - مَرَّتَيْنِ - فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الآخَرُونَ - أَوِ الْكُفَّارُ - فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: الآية ١٨]»(١).

وعَنْ أَبِي بُرْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ أَمْثَالِ الْجِبَالِ، فَيَغْفِرُهَا اللهُ لَهُمْ وَيَضَعُهَا عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى**» فِيمَا أَحْسِبُ أَنَا. قَالَ أَبُو رَوْحٍ: لَا أَدْرِي مِمَّنِ الشَّكُّ. قَالَ أَبُو بُرْدَةَ: فَحَدَّثْتُ بِهِ عُمَرَ بْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ فَقَالَ: أَبُوكَ حَدَّثَكَ هَذَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؟ قُلْتُ: نَعَمْ(٢).

---

= الخطيئةِ بيومِ الدِّينِ مع أنَّها إنَّما تُغفر في الدُّنيا لأنَّ أثرَها يومئذٍ يتبيَّن ولأنَّ في ذلك تهويلًا له وإشارةً إلى وقوعِ الجزاءِ فيه إنْ لم تُغفر.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٧٦٧).

**وقال النووي في «شرحه على مسلم» (١٧/ ٨٥):** وَأَمَّا رِوَايَةُ: «يَجِيءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِذُنُوبٍ...» فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ تِلْكَ الذُّنُوبَ لِلْمُسْلِمِينَ وَيُسْقِطُهَا عَنْهُمْ، وَيَضَعُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِثْلَهَا بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ فَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ بِأَعْمَالِهِمْ لَا بِذُنُوبِ الْمُسْلِمِينَ، وَلَا بُدَّ من هَذَا التَّأْوِيلِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰۚ﴾ [الأنعام: الآية ١٦٤] وَقَوْلُهُ: «وَيَضَعُهَا» مَجَازٌ وَالْمُرَادُ يَضَعُ عَلَيْهِمْ مِثْلَهَا بِذُنُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ، لَكِنْ لَمَّا أَسْقَطَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَبْقَى عَلَى الْكُفَّارِ سَيِّئَاتِهِمْ صَارُوا فِي مَعْنَى مَنْ حَمَلَ إِثْمَ الْفَرِيقَيْنِ لِكَوْنِهِمْ حَمَلُوا الْإِثْمَ الْبَاقِي وَهُوَ إِثْمُهُمْ. وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ آثَامًا كَانَ لِلْكُفَّارِ سَبَبٌ فِيهَا بِأَنْ سَنُّوهَا، فَتَسْقُطُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِعَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى وَيُوضَعُ عَلَى الْكُفَّارِ مِثْلُهَا لِكَوْنِهِمْ سَنُّوهَا، وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

**وقال ابن حزم في «الملل والأهواء» (٤/ ١٢):** وَقَول الله تَعَالَى لمُحَمد ﷺ: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفَتْح: الآية ٢] إِنَّمَا الْخَطِيئَة الْمَذْكُورَة والذنُوب المغفورة مَا وَقع بنسيان أَو بِقصد إِلَى الله تَعَالَى إِرَادَة الْخَيْر فَلم يُوَافق رضَا الله ﷻ بذلك فَقَط.

وَذكروا قَول مُوسَى ﵇ للخضر ﵇: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ فَأنْكر مُوسَى ﵇ الشَّيْء وَهُوَ لَا يُعلمهُ، وَقد كَانَ أَخذ عَلَيْهِ الْعَهْد أَن لَا يسْأَله عَن شَيْء حَتَّى يُحْدث لَهُ مِنْهُ ذكرًا، فَهَذَا أَيْضًا لَا حجَّة لَهُم فِيهِ لِأَن ذَلِك كَانَ على سَبِيل النسْيَان وَقد بَيَّن مُوسَى ﵇ ذَلِك بقوله: ﴿لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ فَرغب إِلَيْهِ أَنه لَا يؤاخذه بنسيانه، ومؤاخذة الْخضر لَهُ بِالنِّسْيَانِ دَلِيل على صِحَة مَا قُلْنَا من أَنهم عَلَيْهِم السَّلَام مؤاخذون بِالنِّسْيَانِ وَبِمَا قصدُوا بِهِ الله ﷻ فَلم يصادفوا بذلك مُرَاد الله ﷻ، وَتَكَلَّم مُوسَى ﵇ على ظَاهر الْأَمر وَقدر أَن الْغُلَام زكي إِذْ لم يعلم لَهُ ذَنبًا وَكَانَ عِنْد الْخضر الْعلم الجلي بِكفْر ذَلِك الْغُلَام واستحقاقه الْقَتْل، فقصد مُوسَى ﵇ بكلامه فِي ذَلِك وَجه الله تَعَالَى وَالرَّحْمَة وإنكار مَا لم يعلم وَجهه.

وَذكروا قَول مُوسَى ﵇: ﴿فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ﴾ فَقَوْل صَحِيح وَهُوَ حَاله قبل النُّبُوَّة فَإِنَّهُ كَانَ ضَالًّا عَمَّا اهْتَدَى لَهُ بعد النُّبُوَّة وضلال الْغَيْب عَن الْعلم كَمَا تَقول أضللت بَعِيري لَا ضلال الْقَصْد إِلَى الْإِثْم. وَهَكَذَا قَول الله تَعَالَى لنَبيه ﷺ ووجدك ضَالًّا فهدى أي: ضَالًّا عَن الْمعرفَة. وَبِاللَّهِ تَعَالَى التَّوْفِيق.

**وقال النووي في «شرحه على مسلم» (١٧/ ٨٥):** وَأَمَّا رواية يجيء يوم القيامة ناس من المسلمين بِذُنُوبٍ فَمَعْنَاهُ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَغْفِرُ تِلْكَ الذُّنُوبَ لِلْمُسْلِمِينَ وَيُسْقِطُهَا عَنْهُمْ وَيَضَعُ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مِثْلَهَا بِكُفْرِهِمْ وَذُنُوبِهِمْ فَيُدْخِلُهُمُ النَّارَ بِأَعْمَالِهِمْ لا بذنوب المسلمين ولا بدمن هَذَا التَّأْوِيلِ

لِقَوْلِهِ تَعَالَى وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وزرأخرى وَقَوْلُهُ وَيَضَعُهَا مَجَازٌ وَالْمُرَادُ يَضَعُ عَلَيْهِمْ مِثْلَهَا بِذُنُوبِهِمْ كَمَا ذَكَرْنَاهُ لَكِنْ لَمَّا أَسْقَطَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنِ الْمُسْلِمِينَ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَبْقَى عَلَى الْكُفَّارِ سَيِّئَاتِهِمْ صَارُوا فِي مَعْنَى مَنْ حَمَلَ إِثْمَ الْفَرِيقَيْنِ لِكَوْنِهِمْ حَمَلُوا الْإِثْمَ الْبَاقِي وَهُوَ إِثْمُهُمْ وَيُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ آثَامًا كَانَ لِلْكُفَّارِ سَبَبٌ فِيهَا بِأَنْ سَنُّوهَا فَتَسْقُطُ عَنِ الْمُسْلِمِينَ بِعَفْوِ اللَّهِ تَعَالَى وَيُوضَعُ عَلَى الْكُفَّارِ مِثْلُهَا لِكَوْنِهِمْ سَنُّوهَا وَمَنْ سَنَّ سُنَّةً سَيِّئَةً كَانَ عَلَيْهِ مِثْلُ وِزْرِ كُلِّ مَنْ يَعْمَلُ بِهَا وَاَللَّهُ أَعْلَمُ.

وعن عبد الله بن أبي أوفى رضي الله عنهما، قال: «دعا رسول الله ﷺ يوم الأحزاب على المشركين، فقال: «**اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اللهم اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم وزلزلهم**»[(١)].

### عاشرًا: الحساب اليسير:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝٧ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٧، ٨][(٢)].

وعن زوج النبي ﷺ: كانت لا تسمع شيئًا لا تعرفه إلا راجعت فيه حتى تعرفه، وأن النبي ﷺ قال: «**من حوسب عُذب**» قالت عائشة: فقلت: أوليس

---

(١) أخرجه البخاري (٢٩٣٣)، ومسلم (١٧٤٢)، وأحمد (٤/ ٣٥٥).

(٢) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٣١٣):** وقوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ﴾ [الحَاقَّة: ١٩] يقول تعالى ذكره: فأما من أُعطي كتاب أعماله بيمينه ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: الآية ٨] بأن ينظر في أعماله، فيغفر له سيئها، ويجازى على حسنها.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٩١٧):** ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: ٨] وهو العرض اليسير على الله، فيقرره الله بذنوبه، حتى إذا ظن العبد أنه قد هلك، قال الله تعالى له: «**إني قد سترتها عليك في الدنيا، فأنا أسترها لك اليوم**».

يقول الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ۝٨﴾ [الانشقاق: الآية ٨]؟ قالت: فقال: «**إنما ذلك العرض، ولكن من نوقش الحساب يهلك**»[١].

وفي رواية: عن النبي ﷺ، قال: «**ليس أحد يحاسب إلا هلك**» قلت: يا رسول الله أليس الله يقول: حسابًا يسيرًا؟ قال: «**ذاك العرض، ولكن من نوقش الحساب هلك**»[٢].

### الحادي عشر: العبد يقر بذنبه:

قال تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝١٣ ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ۝١٤﴾ [الإسراء: ١٣، ١٤][٣].

---

(١) أخرجه البخاري (١٠٣)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٢) أخرجه البخاري (٤٩٣٩)، ومسلم (٢٨٧٦).

(٣) **قال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٧)**: يقول تعالى ذكره: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ﴾ [الإسراء: الآية ١٣] ما قُضِي له أنه عامله، وهو صائر إليه من شقاء أو سعادة بعمله في عنقه لا يفارقه، وإنما قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾ [الإسراء: الآية ١٣] مَثَل لما كانت العرب تتفاءل به أو تتشاءم من سوانح الطير وبوارحها، فأعلمهم جل ثناؤه أن كل إنسان منهم قد ألزمه ربه طائره في عنقه، نحسًا كان ذلك الذي ألزمه من الطائر، وشقاء يورده سعيرًا، أو كان سعدًا يورده جنات عدن.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل.

ذِكر من قال ذلك: عن محمد بن بشار، قال: ثنا معاذ بن هشام، قال: ثني أبي، عن قتادة، عن جابر بن عبد الله أن نبي الله ﷺ قال: «**لا عدوى ولا طيرة، وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه**».

**قلتُ:** فيه قتادة لم يسمع من جابر. وأخرجه مسلم (٢٢٢٢) من طريق أبي الزبير، عن جابر، بلفظ: «**لا عدوى، ولا طيرة، ولا غول**». وقوله: (وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه)، معناه صحيح. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= حدثني محمد بن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثنى أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١٣] قال: الطائر: عمله. قال: والطائر في أشياء كثيرة، فمنه التشاؤم الذي يتشاءم به الناس بعضهم من بعض.

**قلتُ:** سنده ضعيف مسلسل بالضعفاء.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني عطاء الخراساني عن ابن عباس: قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١٣] قال: عمله وما قُدِّر عليه، فهو ملازمه أينما كان، فزائل معه أينما زال.

**قلتُ:** سنده ضعيف لضعف الحسين بن داود أبو علي يلقب سنيدًا.

قال ابن جريج: وقال: طائره: عمله. قال ابن جريج: وأخبرني عبد الله بن كثير، عن مجاهد، قال: عمله وما كتب الله له.

...**ثم قال: فإن قال قائل: وكيف قال:** ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ إن كان الأمر على ما وصفت، ولم يقل: ألزمناه في يديه ورجليه أو غير ذلك من أعضاء الجسد؟ قيل: لأن العنق هو موضع السمات، وموضع القلائد والأطوقة، وغير ذلك مما يزين أو يشين، فجرى كلام العرب بنسبة الأشياء اللازمة بني آدم وغيرهم من ذلك إلى أعناقهم، وكثر استعمالهم ذلك حتى أضافوا الأشياء اللازمة سائر الأبدان إلى الأعناق، كما أضافوا جنايات أعضاء الأبدان إلى اليد، فقالوا: (ذلك بما كسبت يداه)، وإن كان الذي جر عليه لسانه أو فرجه، فكذلك قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١٣].

واختلفت القراء في قراءة قوله: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٣]:

فقرأه بعض أهل المدينة ومكة، وهو نافع وابن كثير وعامة قراء العراق: ﴿وَنُخْرِجُ﴾ [الإسراء: الآية ١٣] بالنون ﴿لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٣] بفتح الياء من يلقاه وتخفيف القاف منه، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة ردًّا على قوله: ﴿أَلْزَمْنَٰهُ﴾ [الإسراء: الآية ١٣]، ونحن نخرج له يوم القيامة كتاب عمله منشورًا، وكان بعض قراء أهل الشام يوافق هؤلاء على قراءة قوله: ﴿وَنُخْرِجُ﴾ [الإسراء: الآية ١٣] ويخالفهم في قوله: ﴿يَلْقَىٰهُ﴾ فيقرؤه «ويلقاه» بضم الياء وتشديد القاف، بمعنى: ونخرج له نحن يوم القيامة كتابا يلقاه. ثم يرده إلى ما لم يسم فاعله، فيقول: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= يلقى الإنسان ذلك الكتاب منشورًا.
وذكر عن مجاهد ما حدثنا أحمد بن يوسف، قال: ثنا القاسم، قال: ثنا يزيد، عن جرير بن حازم عن حميد، عن مجاهد أنه قرأها «ويخرج له يوم القيامة كتابا» قال: يزيد: يعني يخرج الطائر. وفي سنده حميد، وهو ابن قيس الأعرج، ترجم له الحافظ بقوله: ليس به بأس.
هكذا أحسبه قرأها بفتح الياء، وهي قراءة الحسن البصري وابن محيصن؛ وكأن من قرأ هذه القراءة وَجَّه تأويل الكلام إلى: ويَخْرج له الطائر الذي ألزمناه عنق الإنسان يوم القيامة، فيصير كتابًا يقرؤه منشورًا.
وقرأ ذلك بعض أهل المدينة: «ويُخْرَج له» بضم الياء على مذهب ما لم يسم فاعله، وكأنه وَجَّه معنى الكلام إلى: ويُخْرَج له الطائر يوم القيامة كتابًا، يريد: ويُخْرِج الله ذلك الطائر قد صيره كتابًا، إلا أنه نحاه نحو ما لم يسم فاعله.
**وأولى القراءات في ذلك بالصواب،** قراءة من قرأه ﴿وَنُخْرِجُ﴾ [الإسرَاء: الآية ١٣] بالنون وضمها ﴿لَهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ كِتَٰبٗا يَلۡقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسرَاء: الآية ١٣] بفتح الياء وتخفيف القاف، لأن الخبر جرى قبل ذلك عن الله تعالى أنه الذي ألزم خلقه ما ألزم من ذلك؛ فالصواب أن يكون الذي يليه خبرًا عنه، أنه هو الذي يُخرجه لهم يوم القيامة، أن يكون بالنون كما كان الخبر الذي قبله بالنون.
وأما قوله: ﴿يَلۡقَىٰهُ﴾ فإن في إجماع الحجة من القراء على تصويب ما اخترنا من القراءة في ذلك، وشذوذ ما خالفه - الحجة الكافية لنا على تقارب معنى القراءتين: أعني ضم الياء وفتحها في ذلك، وتشديد القاف وتخفيفها فيه؛ فإذا كان الصواب في القراءة هو ما اخترنا بالذي عليه دللنا، فتأويل الكلام: وكل إنسان منكم يا معشر بني آدم ألزمناه نحسه وسعد، وشقاءه وسعادته، بما سبق له في علمنا أنه صائر إليه، وعامل من الخير والشر في عنقه، فلا يجاوز في شيء من أعماله ما قضينا عليه أنه عامله، وما كتبنا له أنه صائر إليه، ونحن نُخرج له إذا وافانا كتابًا يصادفه منشورًا بأعماله التي عملها في الدنيا، وبطائره الذي كتبنا له، وألزمناه إياه في عنقه، قد أحصى عليه ربه فيه كل ما سلف في الدنيا.
وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذِكر من قال ذلك: حدثني محمد =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= ابن سعد، قال: ثني أبي، قال: ثني عمي، قال: ثني أبي، عن أبيه، عن ابن عباس: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٣] قال: هو عمله الذي عمل أُحصي عليه، فأُخرج له يوم القيامة ما كُتب عليه من العمل يلقاه منشورًا. وسنده ضعيف.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٣]: أي: عمله.

**قلتُ:** وسنده حسن.

حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثنا أبو سفيان، عن معمر، عن قتادة ﴿أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١٣] قال: عمله ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ﴾ [الإسراء: الآية ١٣] قال: نُخرج ذلك العمل. وسنده ضعيف لضعف الحسين. ﴿كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٣].

قال معمر: وتلا الحسن: ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ﴾ [ق: الآية ١٧] يا ابن آدم بُسطت لك صحيفتك، وُوكل بك ملكان كريمان، أحدهما عن يمينك، والآخر عن يسارك. فأما الذي عن يمينك فيحفظ حسناتك، وأما الذي عن شمالك فيحفظ سيئاتك، فاعمل ما شئت، أقلل أو أكثر، حتى إذا مت طُويت صحيفتك، فجُعلت في عنقك معك في قبرك، حتى تخرج يوم القيامة كتابًا تلقاه منشورًا ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٤] قد عدل والله عليك من جعلك حسيب نفسك.

حدثنا ابن عبد الأعلى، قال: ثنا محمد بن ثور، عن معمر، عن قتادة: طائره: عمله، ونخرج له بذلك العمل كتابًا يلقاه منشورًا.

وقد كان بعض أهل العربية يتأول قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١٣]: أي: حظه، من قولهم: طار سهم فلان بكذا: إذا خرج سهمه على نصيب من الأنصباء.

وذلك وإن كان قولًا له وجه، فإن تأويل أهل التأويل على ما قد بينت، وغير جائز أن يُتجاوز في تأويل القرآن ما قالوه إلى غيره، على أن ما قاله هذا القائل إن كان عنى بقوله حظه من العمل والشقاء والسعادة، فلم يبعد معنى قوله من معنى قولهم.

**القول في تأويل قوله تعالى:** ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٤]: يقول تعالى ذكره: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٣] =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= فيقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: الآية ١٤] فترك ذكر قوله: (فنقول له)، اكتفاء بدلالة الكلام عليه. وعنى بقوله: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ﴾ [الإسراء: الآية ١٤]: اقرأ كتاب عملك الذي عملته في الدنيا، الذي كان كاتبانا يكتبانه، ونحصيه عليك ﴿كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا﴾ [الإسراء: الآية ١٤] يقول: حسبك اليوم نفسك عليك حاسبًا يحسب عليك أعمالك، فيحصيها عليك، لا نبتغي عليك شاهدًا غيرها، ولا نطلب عليك محصيًا سواها.

حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قتادة: ﴿ٱقۡرَأۡ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفۡسِكَ ٱلۡيَوۡمَ عَلَيۡكَ حَسِيبٗا ١٤﴾ [الإسراء: الآية ١٤] سيقرأ يومئذٍ من لم يكن قارئًا في الدنيا.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٤٥٥):** وهذا من أعظم العدل والإنصاف أن يقال للعبد: حاسب نفسك ليعرف بما عليه من الحق الموجب للعقاب.

**وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٣/ ٦٠) في قوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلۡزَمۡنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ﴾، وجهان معروفان من التفسير:**

**الأول:** أن المراد بالطائر: العمل، من قولهم: (طار له سهم) إذا خرج له، أي: ألزمناه ما طار له من عمله.

**الثاني:** أن المراد بالطائر ما سبق له في علم الله من شقاوة أو سعادة.

والقولان متلازمان؛ لأن ما يطير له من العمل هو سبب ما يئول إليه من الشقاوة أو السعادة.

**فإذا عرفت الوجهين المذكورين فاعلم:** أنا قدمنا في ترجمة هذا الكتاب المبارك أن الآية قد يكون فيها للعلماء قولان أو أقوال، وكلها حق، ويشهد له قرآن، فنذكر جميع الأقوال وأدلتها من القرآن؛ لأنها كلها حق، والوجهان المذكوران في تفسير هذه الآية الكريمة كلاهما يشهد له قرآن.

**أما على القول الأول بأن المراد بطائره عمله،** فالآيات الدالة على أن عمل الإنسان لازم له كثيرة جدًّا؛ كقوله تعالى: ﴿لَّيۡسَ بِأَمَانِيِّكُمۡ وَلَآ أَمَانِيِّ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِۗ مَن يَعۡمَلۡ سُوٓءٗا يُجۡزَ بِهِۦ﴾ الآية، وقوله: ﴿إِنَّمَا تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾ [الطُّور: الآية ١٦]، وقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدۡحٗا فَمُلَٰقِيهِ ٦﴾ [الانشقاق: الآية ٦]، وقوله: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ﴾ [فُصِّلَت: الآية ٤٦]. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾، والآيات بمثل هذا كثيرة جدًّا.

**وأما على القول بأن المراد بطائره نصيبه الذي طار له في الأزل من الشقاوة أو السعادة،** فالآيات الدالة على ذلك أيضًا كثيرة؛ كقوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾ [التغابن: الآية ٢]، وقوله: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ﴾ [الأعراف: الآية ٣٠]، وقوله: ﴿فَرِيقٌ فِى ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى ٱلسَّعِيرِ﴾ [الشورى: الآية ٧]، إلى غير ذلك من الآيات. وقوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ﴿فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ١٣]؛ أي: جعلنا عمله، أو ما سبق له من شقاوة أو سعادة في عنقه، أي: لازمًا له لزوم القلادة أو الغل لا ينفك عنه، ومنه قول العرب: (تقلدها طوق الحمامة)، وقولهم: (الموت في الرقاب)، و(هذا الأمر ربقة في رقبته)، ومنه قول الشاعر:

**اذهب بها اذهب بها طوقتها طوق الحمامة**

فالمعنى في ذلك كله اللزوم وعدم الانفكاك.

وقوله جل وعلا في هذه الآية الكريمة: ﴿وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كِتَٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا﴾ [الإسراء: الآية ١٣]، ذكر جل وعلا في هذه الآية الكريمة أن ذلك العمل الذي ألزم الإنسان إياه يخرجه له يوم القيامة في كتاب يلقاه منشورًا، أي: مفتوحًا يقرؤه هو وغيره.

وبَيَّن أشياء من صفات هذا الكتاب الذي يلقاه منشورا في آيات أخر، فبّيَّن أن من صفاته: أن المجرمين مشفقون؛ أي: خائفون مما فيه، وأنه لا يترك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها، وأنهم يجدون فيه جميع ما عملوا حاضرًا ليس منه شيء غائبًا، وأن الله جل وعلا لا يظلمهم في الجزاء عليه شيئًا، وذلك في قوله جل وعلا: ﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا ۝﴾ [الكهف: الآية ٤٩].

وبَيَّن في موضع آخر: أن بعض الناس يؤتى هذا الكتاب بيمينه - جعلنا الله وإخواننا المسلمين منهم - وأن من أوتيه بيمينه يحاسب حسابًا يسيرًا، ويرجع إلى أهله مسرورًا، وأنه في عيشة راضية، في جنة عالية، قطوفها دانية، قال تعالى: =

وعن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي المُؤْمِنَ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ، فَيَقُولُ: أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أي: رَبِّ، حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ، وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ، قَالَ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ اليَوْمَ. فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الكَافِرُ وَالمُنَافِقُونَ، فَيَقُولُ الأَشْهَادُ:** ﴿هَٰؤُلَاءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هُود: الآية ١٨]»(١).

---

= ﴿فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَنقَلِبُ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ مَسْرُورًا﴾، وقال تعالى: فأما من أوتي كتابه بيمينه فيقول هاؤم اقرءوا كتابيه إني ظننت أني ملاق حسابيه فهو في عيشة راضية في جنة عالية قطوفها دانية.

وبَيَّن في موضع آخر أن من أوتيه بشماله يتمنى أنه لم يؤته وأنه يؤمر به فيصلى الجحيم ويسلك في سلسلة من سلاسل النار ذرعها سبعون ذراعا وذلك في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾ يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾ مَآ أَغْنَىٰ عَنِّى مَالِيَهْۜ ﴿٢٨﴾ هَلَكَ عَنِّى سُلْطَٰنِيَهْ ﴿٢٩﴾ خُذُوهُ فَغُلُّوهُ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ ٱلْجَحِيمَ صَلُّوهُ ﴿٣١﴾ ثُمَّ فِى سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَٱسْلُكُوهُ﴾ أعاذنا الله وإخواننا المسلمين من النار ومما قرب إليها من قول وعمل.

وبَيَّن في موضع آخر: أن من أوتي كتابه وراء ظهره يصلى السعير، ويدعو الثبور. وذلك في قوله: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهْرِهِۦ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا۟ ثُبُورًا ﴿١١﴾ وَيَصْلَىٰ سَعِيرًا﴾. وقوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ كِتَٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴿١٤﴾﴾ [الإسراء: الآية ١٤]، يعني أن نفسه تعلم أنه لم يُظلم، ولم يُكتب عليه إلا ما عمل؛ لأنه في ذلك الوقت يتذكر كل ما عمل في الدنيا من أول عمره إلى آخره، كما قال تعالى: ﴿يُنَبَّؤُا۟ ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ ﴿١٣﴾﴾ [القِيَامَة: الآية ١٣].

وقد بَيَّن تعالى في مواضع أخر: أنه إن أنكر شيئًا من عمله شهدت عليه جوارحه.

(١) أخرجه البخاري (٢٤٤١)، ومسلم (٢٧٦٨).

**وقال القاضي عياض في «شرحه» على مسلم (٨/ ٢٧٢):** وقوله: (يدنى المؤمن من ربه يوم القيامة حتى يضع عليه كنفه، فيقرره، بذنوبه، فيقول: هل تعرف؟ فيقول: =

### الثاني عشر: الله يستر المؤمن يوم القيامة:

عن ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما آخِذٌ بِيَدِهِ، إِذْ عَرَضَ رَجُلٌ، فَقَالَ: كَيْفَ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ فِي النَّجْوَى؟ فَقَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**يُدْنَى الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ** – وَقَالَ هِشَامٌ: يَدْنُو الْمُؤْمِنُ – **حَتَّى يَضَعَ عَلَيْهِ كَنَفَهُ فَيُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ، تَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا؟ يَقُولُ: أَعْرِفُ. يَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ – مَرَّتَيْنِ – فَيَقُولُ: سَتَرْتُهَا فِي الدُّنْيَا، وَأَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ. ثُمَّ تُطْوَى صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الآخَرُونَ – أَوِ الْكُفَّارُ – فَيُنَادَى عَلَى رُءُوسِ الأَشْهَادِ:** ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ أَلَا لَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [هود: الآية ١٨]»[(١)].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**لا يستر الله على عبد في الدنيا إلا ستره الله يوم القيامة**»[(٢)].

---

= رب، أعرف. قال: فإنى قد سترتها عليك فى الدنيا، وأنا أغفرها لك اليوم) الحديث، قال الإمام: الدنو هاهنا: دنو كرامة لا دنو مسافة؛ لأن البارى – سبحانه فى غير مكان، فلايصح منه دنو مسافة ولا بعدها. والمراد بقوله: (حتى يضع عليه كنفه) أي: ستره وعفوه، وما يتفضل عليه به حينئذٍ. وقد صحفها بعض الرواة فرواها بالتاء، وهو تصحيف لا ينبغي أن يشغل به.

(١) أخرجه البخاري (٤٦٨٥)، ومسلم (٢٧٦٨).

**وقال بدر الدين العيني في «عمدة القاري شرح صحيح البخاري» (١٨/ ٢٩٥):** قَوْله: (يدني الْمُؤمن) على صِيغَة الْمَجْهُول من الدنو، وَهُوَ الْقرب. قَوْله: (كنفه) بِفَتْح النُّون وَهُوَ الْجَانِب والناحية، وَهَذَا تَمْثِيل لجعله تَحت ظلّ رَحمته يَوْم الْقِيَامَة، وَقَالَ ابْن الْأَثِير: حَتَّى يضع عَلَيْهِ كنفه أي: يستره، وَقيل: يرحمه ويلطف بِهِ، والكنف والدنو كِلَاهُمَا مجازان لِاسْتِحَالَة حقيقتهما على الله تَعَالَى، والْحَدِيث من المتشابهات.

(٢) أخرجه مسلم (٢٥٩٠)، وأحمد في «المسند» (٢/ ٣٨٨). =

وعنه أيضًا ﵁ قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَن نَفَّس عن مؤمن كربة من كرب الدنيا، نَفَّس الله عنه كربة من كرب يوم القيامة، ومَن يَسَّر على معسر، يَسَّر الله عليه في الدنيا والآخرة**»(١).

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ ﵄ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**المُسْلِمُ أَخُو المُسْلِمِ لاَ يَظْلِمُهُ وَلاَ يُسْلِمُهُ، وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ كَانَ اللَّهُ فِي حَاجَتِهِ، وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُ كُرْبَةً مِنْ كُرُبَاتِ يَوْمِ القِيَامَةِ، وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(٢).

---

= **وقال النووي في «شرحه» على مسلم (١٦/ ١٤٣):** قَالَ الْقَاضِي يُحْتَمَلُ وَجْهَيْنِ: **أَحَدُهُمَا:** أَنْ يَسْتُرُ مَعَاصِيَهُ وَعُيُوبَهُ عَنْ إِذَاعَتِهَا فِي أَهْلِ الْمَوْقِفِ. **وَالثَّانِي:** تَرْكُ مُحَاسَبَتِهِ عَلَيْهَا وَتَرْكُ ذِكْرِهَا. قَالَ: وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ لِمَا جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الْآخَرِ: «يُقَرِّرُهُ بِذُنُوبِهِ يَقُولُ: سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ».

(١) أخرجه مسلم (٢٦٩٩)، وأبو داود (٤٩٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٢٤٤٢)، ومسلم (٢٥٨٠).

**وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٩٧):** قَوْلُهُ: «لَا يَظْلِمُهُ» هُوَ خَبَرٌ بِمَعْنَى الْأَمْرِ فَإِنَّ ظُلْمَ الْمُسْلِمِ لِلْمُسْلِمِ حَرَامٌ. وَقَوْلُهُ: «وَلَا يُسْلِمُهُ» أي: لَا يَتْرُكُهُ مَعَ مَنْ يُؤْذِيهِ وَلَا فِيمَا يُؤْذِيهِ بَلْ يَنْصُرُهُ وَيَدْفَعُ عَنْهُ. وَهَذَا أَخَصُّ مِنْ تَرْكِ الظُّلْمِ، وَقَدْ يَكُونُ ذَلِكَ وَاجِبًا وَقَدْ يَكُونُ مَنْدُوبًا بِحَسَبِ اخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ. وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى عَنْ سَالِمٍ: «وَلَا يُسْلِمُهُ فِي مُصِيبَةٍ نَزَلَتْ بِهِ» وَلِمُسْلِمٍ فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «وَلَا يَحْقِرُهُ» وَهُوَ بِالْمُهْمَلَةِ وَالْقَافِ وَفِيهِ: «بِحَسْبِ امْرِئٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ».

قَوْلُهُ: «وَمَنْ كَانَ فِي حَاجَةِ أَخِيهِ» فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «وَاللَّهُ فِي عَوْنِ الْعَبْدِ مَا كَانَ الْعَبْدُ فِي عَوْنِ أَخِيهِ».

قَوْلُهُ: «وَمَنْ فَرَّجَ عَنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً» أي: غُمَّةً وَالْكَرْبُ هُوَ الْغَمُّ الَّذِي يَأْخُذُ النَّفْسَ، وَكُرُبَاتٌ بِضَمِّ الرَّاءِ جَمْعُ كُرْبَةٍ وَيَجُوزُ فَتْحُ رَاءِ كُرُبَاتٍ وَسُكُونُهَا.

قَوْلُهُ: «وَمَنْ سَتَرَ مُسْلِمًا» أي: رَآهُ عَلَى قَبِيحٍ فَلَمْ يُظْهِرْهُ، أي: لِلنَّاسِ وَلَيْسَ فِي هَذَا =

## الثالث عشر: شدة الحساب:

قال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾﴾ [الطَّلَاق: الآية ٨][1].

---

= مَا يَقْتَضِي تَرْكَ الْإِنْكَارِ عَلَيْهِ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ.

**وقال ابن دقيق العيد في «شرح الأربعين النووية» (ص١١٩):** هذا الحديث عظيم جامع لأنواع من العلوم والقواعد والآداب: فيه فضل قضاء حوائج المسلمين ونفعهم بما يتيسر من علم أو مال أو معاونة أو إشارة بمصلحة أو نصيحة أو غير ذلك. ومعنى تنفيس الكربة إزلتها. قوله: «من ستر مسلمًا» الستر عليه أن يستر زلاته، والمراد به الستر على ذوي الهيئات ونحوهم ممن ليس معروفًا بالفساد، وهذا في ستر معصية وقعت وانقضت، أما إذا علم معصيته وهو متلبس بها فيجب المبادرة بالإنكار عليه ومنعه منها، فإن عجز لزمه رفعها إلى ولي الأمر إن لم يترتب على ذلك مفسدة، فالمعروف بذلك لا يُستر عليه لأن الستر على هذا يطمعه في الفساد والإيذاء وانتهاك المحرمات وجسارة غيره على مثل ذلك، بل يُستحب أن يرفعه إلى الإمام إن لم يخف من ذلك مفسدة، وكذلك القول في جرح الرواة والشهود والأمناء على الصدقات والأوقاف والأيتام ونحوهم، فيجب تجريحهم عند الحاجة ولا يحل الستر عليهم إذا رأى منهم ما يقدح في أهليتهم، وليس هذا من الغيبة المحرمة، بل من النصيحة الواجبة.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٤٦٥):** وقوله: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ [الطَّلَاق: الآية ٨] يقول: فحاسبناها على نعمتنا عندها وشكرها حسابًا شديدًا، يقول: حسابًا استقصينا فيه عليهم، لم نعف لهم فيه عن شيء، ولم نتجاوز فيه عنهم.

**وقال ابن عطية في «تفسيره» (٥/ ٣٢٧):** ومعنى: ﴿فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا﴾ [الطَّلَاق: الآية ٨] أي: لم نغتفر لها زلة بل أُخذت بالدقائق من الذنوب.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ١٥٥):** أي: منكرًا فظيعًا.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٨٧٢):** يخبر تعالى عن إهلاكه الأمم العاتية والقرون المكذبة للرسل أن كثرتهم وقوتهم - لم تنفعهم شيئًا حين جاءهم الحساب الشديد =

### الرابع عشر: سوء الحساب:

قال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٨﴾ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ٱلْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰٓ ۚ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿١٩﴾ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢١﴾﴾ [الرعد: ١٨-٢١][(١)].

---

= والعذاب الأليم، وأن الله أذاقهم من العذاب ما هو موجب أعمالهم السيئة. ومع عذاب الدنيا، فإن الله أعد لهم في الآخرة عذابًا شديدًا ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [المائدة: الآية ١٠٠] أي: يا ذوي العقول، التي تفهم عن الله آياته وعبره، وأن الذي أهلك القرون الماضية بتكذيبهم، أن من بعدهم مثلهم، لا فرق بين الطائفتين.

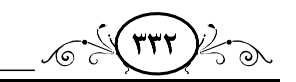
(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤١٧) يقول:** هؤلاء الذين لم يستجيبوا لله لهم سوء الحساب. يقول: لهم عند الله أن يأخذهم بذنوبهم كلها، فلا يغفر لهم منها شيئًا، ولكن يعذبهم على جميعها.

**وقال ابن عطية في «تفسيره» (٣/ ٣٠٨):** وسُوءُ الْحِسابِ هو: التقصي على المحاسب وأن لا يقع في حسابه من التجاوز شيء. قاله شهر بن حوشب وإبراهيم النخعي، وقاله فرقد السبخي وغيره.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٤٩):** وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا۟ لَهُۥ﴾ [الرّعد: الآية ١٨] أي: لم: يطيعوا الله ﴿لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ﴾ [المائدة: الآية ٣٦] أي: في الدار الآخرة، لو أن يمكنهم أن يفتدوا من عذاب الله بملء الأرض ذهبًا ومثله معه لافتدوا به، ولكن لا يُتقبل منهم؛ لأنه تعالى لا يقبل منهم يوم القيامة صرفًا ولا عدلًا ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرّعد: الآية ١٨] أي: في الدار الآخرة، أي: يناقشون على النقير والقِطمير، والجليل والحقير، ومن نوقش الحساب عُذب؛ ولهذا قال: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرّعد: الآية ١٨].

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٤١٦):** وهو الحساب الذي يأتي على كل ما أسلفوه =

وعن أبي الجوزاء: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: الآية ٢١] قال: المناقشة في الأعمال»[١].



## الخامس عشر: التبويخ يوم الحساب:

قال تعالى: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ۝ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ۝﴾ [الصافات: ٢٤، ٢٥][٢].

---

= من عمل سيئ وما ضيعوه من حقوق الله وحقوق عباده، قد كُتب ذلك وسُطر عليهم وقالوا: ﴿يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا ۚ وَوَجَدُوا۟ مَا عَمِلُوا۟ حَاضِرًا ۗ وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩] «و» بعد هذا الحساب السيئ ﴿مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۚ﴾ [آل عمران: الآية ١٩٧] الجامعة لكل عذاب، من الجوع الشديد، والعطش الوجيع، والنار الحامية والزقوم والزمهرير، والضريع، وجميع ما ذكره الله من أصناف العذاب ﴿وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [الرعد: الآية ١٨] أي: المقر والمسكن مسكنهم.

**وقال الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٤٢٠):** وقوله: ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: الآية ٢١]، يقول: ويحذرون مناقشة الله إياهم في الحساب، ثم لا يصفح لهم عن ذنب، فهم لرهبتهم ذلك جادون في طاعته، محافظون على حدوده.

**وقال أبو السعود في «تفسيره» (٥/ ١٧):** ﴿وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: الآية ٢١] فيحاسبون أنفسَهم قبل أن يحاسَبوا، وفيه دَلالةٌ على كمالِ فظاعتِه.

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٥٦٥٤).

(٢) **قال ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٩٢٦٩):** حدثنا أبي، حدثنا صفوان بن صالح، حدثنا الوليد بن مسلم عن صفوان بن عمرو عن أيفع بن عبد الكلاعي: أنه سمعه وهو يعظ الناس يقول: إن لجهنم سبع قناطر- قال: والصراط عليهن - قال: فيحبس الخلائق عند القنطرة الأولى، فيقول: وقفوهم إنهم مسئولون. قال: فيحاسبون على الصلاة ويُسألون عنها، قال: فيهلك فيها من هلك، وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثاني حوسبوا على الأمانة كيف أدوها، وكيف خانوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا. فإذا بلغوا القنطرة الثالثة سئلوا عن الرحم كيف وصلوها وكيف قطعوها؟ قال: فيهلك من هلك وينجو من نجا. قال: والرحم يومئذٍ مدلية إلى الهوى في =

### السادس عشر: لا يحاسب أحد بدلًا من أحد:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٢][(١)].

---

= جهنم تقول: اللهم من وصلني فصله ومن قطعني فاقطعه. قال: وهي التي يقول الله ﷻ- ﴿إِنَّ رَبَّكَ لَبِٱلْمِرْصَادِ ﴿١٤﴾﴾ [الفَجر: الآية ١٤].

**قلتُ:** سنده ضعيف صفوان بن صالح والوليد بن مسلم يدلسان تدليس التسوية، وأيفع ابن عبد الكلاعي قال الأزدي: لا يصح حديثه. كما في «السان» (٢/ ٢٣٣).

**وقال القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٧٤):** أي: قفوهم للحساب ثم سوقوهم إلى النار. وقيل: يساقون إلى النار أولًا ثم يُحشرون للسؤال إذا قربوا من النار. إنهم مسئولون عن أعمالهم وأقوالهم وأفعالهم، قال القرظي والكلبي والضحاك: عن خطاياهم. ابن عباس: عن لا إله إلا الله. وعنه أيضا: عن ظلم الخلق. وفي هذا كله دليل على أن الكافر يحاسب. وقد مضى في «الحجر» الكلام فيه. وقيل: سؤالهم أن يقال لهم: ﴿أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ إقامة الحجة. ويقال لهم: ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾﴾ [الصَّافات: الآية ٢٥] على جهة التقريع والتوبيخ، أي: ينصر بعضكم بعضًا فيمنعه من عذاب الله. وقيل: هو إشارة إلى قول أبي جهل يوم بدر: ﴿نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ﴾ [القَمَر: الآية ٤٤]. وأصله (تتناصرون) فطُرحت إحدى التاءين تخفيفًا. وشَدَّد البَزي التاء في الوصل.

**وقال ابن عاشور في «التحريروالتنوير» (٢٧/ ٢٦٢):** وقَوْلِهِ: ﴿وَقِفُوهُمْۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾، فَإِنَّ ذَلِكَ لِلتَّقْرِيرِ وَالتَّوْبِيخِ فَإِنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مُتَّسَعُ الزَّمَانِ، فَفِيهِ مَوَاطِنُ لَا يُسْأَلُ أَهْلُ الذُّنُوبِ عَنْ ذُنُوبِهِمْ، وَفِيهِ مَوَاطِنُ يُسْأَلُونَ فِيهَا سُؤَالَ تَقْرِيرٍ وَتَوْبِيخٍ.

(١) **قال ابن أبي زمنين في «أصول السنة» (ص١١٧) في الإيمان بأن الله يحاسب عباده:** قال محمد: ومن قول أهل السنة: أن الله ﷻ يحاسب عباده يوم القيامة ويسألهم مشافهة منه إليهم، وقال ﷻ: ﴿يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ﴾ وقال: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النِّساء: الآية ٤١] =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= وقال: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وقال: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ ٱلْحَٰسِبِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٦٢] وقال: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١١٣]، وهل يحاسِب العباد إلا الذي خلقهم وتَعَبَّدَهم وأحصى أعمالهم وحفظها عليهم حتى يسألهم عنها، فيغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء وهو العلي القدير.

**وقال القاسمي في «تفسيره» (٤/ ٣٦٩):** وقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعَام: الآية ٥٢] - كقول نوح عليه السلام في الذين قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ﴾ [الشعراء: ١١١- ١١٣] أي: إنما حسابهم على الله ﷻ، وليس عَلَيَّ من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء.

**وقال العلامة أبو السعود:** الجملة اعتراض وسط بين النهي وجوابه، تقريرًا له ودفعًا لما عسى يتوهم كونه مسوّغًا لطردهم من أقاويل الطاعنين في دينهم، كدأب قوم نوح حيث قالوا. ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ ٱلرَّأْيِ﴾ [هُود: الآية ٢٧] أي: ما عليك شيء من حساب إيمانهم وأعمالهم الباطنة، حتى تتصدى له، وتبني على ذلك ما تراه من الأحكام، وإنما وظيفتك - حسبما هو شأن منصب النبوة - اعتبار ظواهر الأعمال وإجراء الأحكام على موجبها. وأما بواطن الأمر فحسابها على العليم بذات الصدور، كقوله تعالى: ﴿إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ١١٣] وذكر قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعَام: الآية ٥٢] مع أن الجواب قد تم بما قبله للمبالغة في بيان انتفاء كون حسابهم عليه ﷺ، بنظمه في سلك ما لا شبهة فيه أصلًا، وهو انتفاء كون حسابه عليه السلام عليهم، على طريقة قوله تعالى: ﴿لَا يَسْتَـْٔخِرُونَ سَاعَةً ۖ وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ﴾ [الأعرَاف: الآية ٣٤].

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٢٥٩):** وقوله: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ﴾ [الأنعَام: الآية ٥٢] كما قال نوح عليه السلام في جواب الذين قالوا: ﴿أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ قال ﴿وَمَا عِلْمِي بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّي ۖ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء: ١١١، ١١٣]، أي: إنما حسابهم على الله ﷻ، وليس علي من حسابهم من شيء، كما أنه ليس عليهم من حسابي من شيء. وقوله: ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعَام: الآية ٥٢] أي: إن فعلت هذا والحالة هذه. قال الإمام =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= أحمد في «مسنده» (١/ ٤٢٠): حدثنا أسباط -هو ابن محمد -حدثنا أشعث، عن كردوس، عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش على رسول الله ﷺ وعنده خباب، وصهيب، وبلال، وعمار. فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء؟ فنزل فيهم القرآن: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: الآية ٥١] إلى قوله: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٣].

**قلتُ:** إسناد ضعيف لضعف أشعث، وهو ابن سوار الكندي.

ورواه ابن جرير، من طريق أشعث، عن كردوس، عن ابن مسعود قال: مر الملأ من قريش برسول الله ﷺ وعنده صهيب، وبلال، وعمار، وخباب، وغيرهم من ضعفاء المسلمين، فقالوا: يا محمد، أرضيت بهؤلاء من قومك؟ أهؤلاء الذين من الله عليهم من بيننا؟ ونحن نكون تبعًا لهؤلاء؟ اطردهم عنك، فلعلك إن طردتهم أن نتبعك. فنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الأنعام: الآية ٥٢] ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ﴾ [الأنعام: الآية ٥٣] إلى آخر الآية.

**قلتُ:** سنده كسابقه.

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد بن يحيى بن سعيد القطان، حدثنا عمرو بن محمد العنقزي، حدثنا أسباط بن نصر، عن السدي، عن أبي سعيد الأزدي -وكان قارئ الأزد -عن أبي الكنود، عن خباب في قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ﴾ [الأنعام: الآية ٥٢] قال: جاء الأقرع بن حابس التميمي وعيينة بن حصن الفزاري، فوجدوا رسول الله ﷺ مع صهيب وبلال وعمار وخباب قاعدًا في ناس من الضعفاء من المؤمنين فلما رأوهم حول النبي ﷺ حقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا: إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك فنستحيي أن ترانا العرب مع هذه الأعبد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنا، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت. قال: «نعم». قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا، قال: فدعا بالصحيفة ودعا عليًّا ليكتب، ونحن قعود في ناحية، فنزل جبريل فقال: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَيْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [الأنعام: الآية ٥٢] فرمى رسول الله ﷺ بالصحيفة، ثم دعانا فأتيناه. =

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾﴾ [الأنعام: الآية ٦٩].

وقال تعالى: ﴿۞ قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ وَمَا عِلْمِى بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّى لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الشعراء: ١١١- ١١٣].

وعن جابر، أن النبي ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فإذا قالوها، عصموا مني دماءهم وأموالهم وأنفسهم، إلا بحقها، وحسابهم على الله**»(١).

وعن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**أُمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا: لا إله إلا الله، فمن قال: لا إله إلا الله، عصم مني ماله، ونفسه إلا بحقه، وحسابه**

---

= **قلتُ:** سنده ضعيف، أسباط بن نصر الهمداني، صدوق كثير الخطأ يُغرب. وأبو سعيد الأزدي وشيخه لم يذكرهما إلا ابن حبان فى كتاب «الثقات». وترجم لهما الحافظ بمقبول، كما في «التقريب»، ولغرابة المتن.

ورواه ابن جرير، من حديث أسباط، به. وهذا حديث غريب، فإن هذه الآية مكية، والأقرع بن حابس وعيينة إنما أسلما بعد الهجرة بدهر.

وقال سفيان الثوري عن المقدام بن شريح، عن أبيه قال: قال سعد: نزلت هذه الآية في ستة من أصحاب النبي ﷺ، منهم ابن مسعود، قال: كنا نسبق إلى النبي ﷺ وندنو منه ونسمع منه، فقالت قريش: يدني هؤلاء دوننا؟ فنزلت: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الأنعام: الآية ٥٢].

**قلتُ:** حديث صحيح: عند مسلم (٢٤١٣) (٤٥).

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٢٥٨):** ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ﴾ [الأنعام: الآية ٥٢] أي: كلٌّ له حسابه، وله عمله الحسن، وعمله القبيح. ﴿فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: الآية ٥٢] وقد امتثل ﷺ هذا الأمر أشد امتثال، فكان إذا جلس الفقراء من المؤمنين صبر نفسَه معهم، وأحسن معاملتهم، وألان لهم جانبه، وحَسَّن خُلُقَه، وقَرَّبهم منه، بل كانوا هم أكثر أهل مجلسه ﭫ.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٤١)، وابن ماجه (٣٩٢٨)، وأحمد في «المسند» (١٤٥٦٠).

**على الله»**[(١)].

### السابع عشر: الصابرون يوفون أجورهم بغير حساب:

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠][(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٧٢٨٤) ومسلم (٣٣)(٢١).

(٢) **قال الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٧٠):** إنما يعطي الله أهل الصبر على ما لقوا فيه في الدنيا أجرهم في الآخرة بغير حساب، يقول: ثوابهم بغير حساب.

**وقال الزجاج في «تفسيره» (٤/ ٣٤٨):** أي: مَن صَبَر على البلاء في طاعة اللَّه أُعطي أَجْرَهُ بغَير حساب. جاء في التفسير بغير مكيال وغير ميزان. يغرف له غرفا، وهذا وإن كان الثواب لا يقع على بعضه كيل ولا وزن مما يتنغم به الإنسان من اللذة، والسرور والراحة، فإنه يمثل ما يعلم بحاسة القلب بما يدرك بالنظر، فيعرف مقدار القلة من الكثرة.

**وقال القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ٢٤١):** ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠]، أي: بغير تقدير. وقيل: يزاد على الثواب؛ لأنه لو أُعطي بقدر ما عمل لكان بحساب. وقيل: بغير حساب، أي: بغير متابعة ولا مطالبة كما تقع المطالبة بنعيم الدنيا. والصابرون هنا الصائمون، دليله قوله عليه الصلاة والسلام مخبرًا عن الله ﷻ: **«الصوم لي وأنا أجزي به»**.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٧/ ٨٩):** قال الأوزاعي: ليس يوزن لهم ولا يكال، إنما يُغرف لهم غرفًا. وقال ابن جريج: بلغني أنه لا يحسب عليهم ثواب عملهم قط، ولكن يزادون على ذلك. وقال السدي: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠] يعني: في الجنة.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٧٢١):** قوله: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٠] وهذا عام في جميع أنواع الصبر: الصبر على أقدار الله المؤلمة فلا يتسخطها، والصبر عن معاصيه فلا يرتكبها، والصبر على طاعته حتى يؤديها، =

### الثامن عشر: من يدخل الجنة من أمة محمد ﷺ بغير حساب:

قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠﴾ [غافر: الآية ٤٠][(١)].

---

= فوعد الله الصابرين أجرهم بغير حساب، أي: بغير حد ولا عد ولا مقدار، وما ذاك إلا لفضيلة الصبر ومحله عند الله وأنه مُعين على كل الأمور.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٤/٢٧٤) في تفسير قوله تعالى:** ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: الآية ٢١٢]: ويعني بذلك: والله يعطي الذين اتقوا يوم القيامة من نعمه وكراماته وجزيل عطاياه، بغير محاسبة منه لهم على ما مَنَّ به عليهم من كرامته.

فإن قال لنا قائل: وما في قوله: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقَرَة: الآية ٢١٢] من المدح؟ قيل: المعنى الذي فيه من المدح الخير عن أنه غير خائف نفاد خزائنه، فيحتاج إلى حساب ما يخرج منها، إذ كان الحساب من المعطي إنما يكون ليعلم قدر العطاء الذي يخرج من ملكه إلى غيره لئلا يتجاوز في عطاياه إلى ما يجحف به، فربنا تبارك وتعالى غير خائف نفاد خزائنه ولا انتقاص شيء من ملكه بعطائه ما يعطي عباده، فيحتاج إلى حساب ما يعطي، وإحصاء ما يُبقي. فذلك المعنى الذي في قوله: ﴿وَٱللَّهُ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقَرَة: الآية ٢١٢].

**وقال الزجاج في «تفسيره» (١/ ٢٨٢):** أي: ليس يَرْزُق المؤمنَ على قدر إيمانه ولا يَرزُقُ الكافرَ على قدر كفره. فهذا معنى ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: الآية ٤٠] - أي: ليس يحاسبه بالرزق في الدنيا على قدر العمل، ولكن الرزق في الآخرة على قدر العمل وما يتفضل اللَّه به جلَّ وعزَّ.

**وقال البغوي في «تفسيره» (٤/ ١١٣):** ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ﴾ [غافر: الآية ٣٩]، متعة تنتفعون بها مدة ثم تنقطع، ﴿وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ﴾ [غافر: ٣٩]، التي لا تزول. ﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٤٠﴾ [غافر: الآية ٤٠]، =

وعن عمران بن حصين رضي الله عنهما قال: قال نبي الله ﷺ: «**يدخل الجنة من أمتي سبعون ألفًا بغير حساب**»، قالوا: ومن هم يا رسول الله؟ قال: «**هم الذين لا يكتوون ولا يَسْتَرْقون، وعلى ربهم يتوكلون**»، فقام عكاشة فقال: ادعُ الله أن يجعلني منهم. قال: «**أنت منهم**»، قال: فقام رجل فقال: يا نبي الله، ادعُ الله أن يجعلني منهم، قال: «**سبقك بها عكاشة**»(١).

وعن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن أول ثلة تدخل الجنة لفقراء المهاجرين، الذين يُتقى بهم المكاره، وإذا أُمروا، سمعوا وأطاعوا، وإذا كانت لرجل منهم حاجة إلى السلطان لم تُقْضَ له، حتى يموت وهي في صدره، وإن الله عز وجل يدعو يوم القيامة الجنة، فتأتي بزخرفها وزينتها فيقول: أي عبادي الذين قاتلوا في سبيلي وقتلوا، وأوذوا في سبيلي، وجاهدوا في سبيلي، ادخلوا الجنة، فيدخلونها بغير حساب ولا عذاب**»(٢).

### التاسع عشر: تبرؤ العباد من بعضهم يوم الحساب:

قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [القصص: ٧٤، ٧٥](٣).

---

= قال مقاتل: لا تبعة عليهم فيما يُعطون في الجنة من الخير.

**وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٤/ ٣٩):** وفي قوله: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غَافر: الآية ٤٠] قولان: أحدهما: أنهم لا تَبِعَةَ عليهم فيما يُعْطَون في الجنة. قاله مقاتل. والثاني: أنه يُصَبُّ عليهم الرِّزق صَبًّا بغير تقتير. قاله أبو سليمان الدّمشقي.

(١) أخرجه البخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢١٨).

(٢) أخرجه في «المسند» (٦٥٧١)، والحاكم (٢/ ٧١)، وسنده حسن.

(٣) **قال الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦١٤):** يعني تعالى ذكره: ويوم ينادي ربك يا محمد =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= هؤلاء المشركين فيقول لهم: ﴿أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القَصَص: الآية ٦٢] أيها القوم في الدنيا أنهم شركائي.

وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القَصَص: الآية ٧٥] وأحضرنا من كلّ جماعة شهيدها وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة.

وقيل: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ من قوله: نزع فلان بحجة كذا، بمعنى: أحضرها وأخرجها.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل. ذِكر من قال ذلك: حدثنا بشر، قال: ثنا يزيد، قال: ثنا سعيد، عن قَتادة، قوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القَصَص: الآية ٧٥] وشهيدُها: نبيّها، يشهد عليها أنه قد بَلَّغ رسالة ربه.

**وقال القاسمي (٧/ ٥٣٦):** ﴿وَنَزَعْنَا﴾ أي: وأخرجنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ أي: نبيًّا يشهد عليهم بما كانوا عليه. كقوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النِّساء: الآية ٤١]، فَقُلْنا أي: لكل أمة من تلك الأمم ﴿هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ أي: على ما أنتم عليه. أحق هو أم لا؟ فعجزوا عن آخرهم. وظهر برهان النبيّ، كما قال تعالى: ﴿فَعَلِمُوٓاْ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القَصَص: الآية ٧٥] أي: في الألوهية، لا يشاركه فيها أحد ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: غاب عنهم غيبة الضائع.

**وقال أيضًا (٨/ ٣٤٦):** ﴿وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ أي: وأيقنوا يومئذٍ ما لهم من ملجأ يلجئون إليه من عذاب الله.

**وقال السعدي (ص٦٢٣):** أي: ويوم ينادي الله المشركين به، العادلين به غيره، الذين يزعمون أن له شركاء، يستحقون أن يُعبدوا، وينفعون ويضرون، فإذا كان يوم القيامة أراد الله أن يُظهر جراءتهم وكذبهم في زعمهم وتكذيبهم لأنفسهم فـ﴿يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [القَصَص: الآية ٦٢] أي: بزعمهم، لا بنفس الأمر، كما قال: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ [يُونس: الآية ٦٦] فإذا حضروا وإياهم، نزع ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ﴾ [النِّساء: الآية ٤١] من الأمم المكذبة ﴿شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣] يشهد على ما جرى في الدنيا من شركهم واعتقادهم، وهؤلاء بمنزلة المنتخبين، أي: انتخبنا من رؤساء المكذبين من يتصدى للخصومة عنهم، والمجادلة عن إخوانهم، ومن هم وإياهم على طريق واحد، فإذا برزوا للمحاكمة ﴿فَقُلْنَا هَاتُواْ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [القَصَص: الآية ٧٥] حجتكم =

وقال تعالى: ﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓاْ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّواْ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت: ٤٧، ٤٨].

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُواْ ضَلُّواْ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُواْ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [غافر: ٧٣، ٧٤].

وقال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِى سَوَآءِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَٱللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾﴾ [الصافات: ٥٤ - ٥٧].

### العشرون: تمني الكافر أنه لم يحاسب:

قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ فَيَقُولُ يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ ﴿٢٥﴾ وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الحاقة: ٢٥، ٢٦][1].

---

= ودليلكم على صحة شرككم، هل أمرناكم بذلك؟ هل أمرتكم رسلي؟ هل وجدتم ذلك في شيء من كتبي؟ هل فيهم أحد يستحق شيئًا من الإلهية؟ هل ينفعونكم أو يدفعون عنكم من عذاب الله أو يغنون عنكم؟ فليفعلوا إذًا إن كان فيهم أهلية وليُروكم إن كان لهم قدرة، ﴿فَعَلِمُوٓاْ﴾ [القَصَص: الآية ٧٥] حينئذٍ بطلان قولهم وفساده، و﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القَصَص: الآية ٧٥] تعالى، قد توجهت عليهم الخصومة، وانقطعت حجتهم، وأفلجت حجة الله، ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾ [الأنعَام: الآية ٢٤] من الكذب والإفك، واضمحل وتلاشى وعدم، وعلموا أن الله قد عدل فيهم، حيث لم يضع العقوبة إلا بمن استحقها واستأهلها.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٣/ ٥٨٧)**: وأما من أُعطي يومئذٍ كتاب أعماله بشماله، فيقول: يا ليتني لم أُعطَ كتابيه، ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الحَاقَّة: الآية ٢٦] يقول: ولم أدر أي شيء حسابيه. =

## الحادي والعشرون: تبويخ وتقريع الكفار عند الحساب:

قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ [الأنعام: الآية ٣٠](١).

---

= وقوله: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقَّة: الآية ٢٧] يقول: يا ليت الموتة التي متها في الدنيا كانت هي الفراغ من كل ما بعدها، ولم يكن بعدها حياة ولا بعث؛ والقضاء: وهو الفراغ. وقيل: إنه تمنى الموت الذي يقضي عليه، فتخرج منه نفسه.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٨٨٤):** ﴿يَٰلَيْتَنِى لَمْ أُوتَ كِتَٰبِيَهْ﴾ [الحاقَّة: الآية ٢٥] لأنه يبشر بدخول النار والخسارة الأبدية. ﴿وَلَمْ أَدْرِ مَا حِسَابِيَهْ ﴿٢٦﴾﴾ [الحاقَّة: الآية ٢٦] أي: ليتني كنت نسيًا منسيًّا ولم أُبعث وأُحاسب ولهذا قال: ﴿يَٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ ﴿٢٧﴾﴾ [الحاقَّة: الآية ٢٧] أي: يا ليت موتتي هي الموتة التي لا بعث بعدها.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١١/ ٣٢٣):** يقول تعالى ذكره: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾ [الأنعام: الآية ٢٧]، يا محمد، هؤلاء القائلين: ما هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمبعوثين ﴿إِذْ وُقِفُوا۟﴾ [الأنعام: الآية ٢٧]، يوم القيامة، أي: حُبسوا، ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ [الأنعام: الآية ٣٠]، يعني على حكم الله وقضائه فيهم ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ ۚ﴾ [الأنعام: الآية ٣٠]، يقول: فقيل لهم: أليس هذا البعث والنشر بعد الممات الذي كنتم تنكرونه في الدنيا - حقًّا؟ فأجابوا، فقالوا: ﴿بَلَىٰ﴾ والله إنه لحق ﴿قَالَ فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ﴾ [الأنعام: الآية ٣٠]، يقول: فقال الله تعالى ذكره لهم: فذوقوا العذاب الذي كنتم به في الدنيا تكذبون ﴿بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾، يقول: بتكذيبكم به وجحودكموه الذي كان منكم في الدنيا.

**وقال القرطبي في «تفسيره» (٦/ ٤١١):** قوله تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ [الأنعام: الآية ٣٠] ﴿وُقِفُوا۟﴾ [الأنعام: الآية ٢٧] أي: حُبسوا ﴿عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ﴾ [الأنعام: الآية ٣٠] أي: على ما يكون من أمر الله فيهم. وقيل: «على» بمعنى «عند» أي: عند ملائكته وجزائه، وحيث لا سلطان فيه لغير الله ﷻ، تقول: «وقفت على فلان» أي: عنده، وجواب «لو» محذوف لعظم شأن الوقوف. ﴿قال أليس هذا بالحق﴾ تقرير وتوبيخ، أي: أليس هذا البعث كائنًا موجودًا؟! ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ٣٠] ويؤكدون اعترافهم بالقسم بقولهم: ﴿وَرَبِّنَا ۚ﴾ [الأنعام: الآية ٣٠]. وقيل: إن الملائكة تقول لهم بأمر =

وقال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلْجَحِيمُ لِلْغَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٩٠، ٩٢] (١).

---

= الله: أليس هذا البعث وهذا العذاب حقًّا؟ فيقولون: ﴿بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأنعام: الآية ٣٠] إنه حق.

**وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٧/ ١٨٧):** وَجُمْلَةُ: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ اسْتِئْنَافٌ بَيَانِيٌّ، لِأَنَّ قَوْلَهُ: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟﴾ قَدْ آذَنَ بِمَشْهَدٍ عَظِيمٍ مَهُولٍ فَكَانَ مِنْ حَقِّ السَّامِعِ أَنْ يَسْأَلَ: مَاذَا لَقُوا مِنْ رَبِّهِمْ، فَيُجَابُ: ﴿قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ﴾ الْآيَةَ. وَالْإِشَارَةُ إِلَى الْبَعْثِ الَّذِي عَايَنُوهُ وَشَاهَدُوهُ. وَالِاسْتِفْهَامُ تَقْرِيرِيٌّ دَخَلَ عَلَى نَفْيِ الْأَمْرِ الْمُقَرَّرِ بِهِ لِاخْتِبَارِ مِقْدَارِ إِقْرَارِ الْمَسْئُولِ؟ فَلِذَلِكَ يَسْأَلُ عَنْ نَفْيِ مَا هُوَ وَاقِعٌ لِأَنَّهُ إِنْ كَانَ لَهُ مَطْمَعٌ فِي الْإِنْكَارِ تَدَرَّعَ إِلَيْهِ بِالنَّفْيِ الْوَاقِعِ فِي سُؤَالِ الْمُقَرَّرِ. وَالْمَقْصُودُ: أَهَذَا حَقٌّ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَهُ بَاطِلًا. وَلِذَلِكَ أَجَابُوا بِالْحَرْفِ الْمَوْضُوعِ لِإِبْطَالِ مَا قَبْلَهُ وَهُوَ «بَلى» فَهُوَ يُبْطِلُ النَّفْيَ فَهُوَ إِقْرَارٌ بِوُقُوعِ الْمُنَى، أي: بَلَى هُوَ حَقٌّ، وَأَكَّدُوا ذَلِكَ بِالْقَسَمِ تَحْقِيقًا لِاعْتِرَافِهِمْ لِلْمُعْتَرِفِ بِهِ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ لِلَّهِ تَعَالَى، أي: نُقِرُّ وَلَا نَشُكُّ فِيهِ فَلِذَلِكَ نُقْسِمُ عَلَيْهِ. وَهَذَا مِنِ اسْتِعْمَالِ الْقَسَمِ لِتَأْكِيدِ لَازِمِ فَائِدَةِ الْخَبَرِ.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٢٥٤):** أي: ولو ترى الكافرين ﴿إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [الأنعام: الآية ٣٠] لرأيت أمرًا عظيمًا، وهَوْلًا جسيمًا، ﴿قَالَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠] لهم موبخًا ومقرعًا: ﴿أَلَيْسَ هَٰذَا﴾ [الأنعام: الآية ٣٠] الذي ترون من العذاب ﴿بِٱلْحَقِّ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَرَبِّنَا﴾ [الأنعام: الآية ٣٠] فأقروا واعترفوا حيث لا ينفعهم ذلك.

(١) **قال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١٩/ ١٥١):** وَذِكْرُ مَا يُقَالُ لِلْغَاوِينَ لِلْإِنْحَاءِ عَلَيْهِمْ وَإِظْهَارِ حَقَارَةِ أَصْنَامِهِمْ، فَقِيلَ لَهُمْ: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ وَفِي الِاقْتِصَارِ عَلَى ذِكْرِ هَذَا دُونَ غَيْرِهِ مِمَّا يُخَاطَبُونَ بِهِ يَوْمَئِذٍ مُنَاسَبَةٌ لِمَقَامِ طَلَبِ الْإِقْلَاعِ عَنْ عِبَادَةِ تِلْكَ الْأَصْنَامِ. وَأُسْنِدَ فِعْلُ الْقَوْلِ إِلَى غَيْرِ مَعْلُومٍ لِأَنَّ الْغَرَضَ تَعَلَّقَ بِمَعْرِفَةِ الْقَوْلِ لَا بِمَعْرِفَةِ الْقَائِلِ، فَالْقَائِلُ الْمَلَائِكَةُ بِإِذْنٍ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى لِأَنَّ الْمُشْرِكِينَ أَحْقَرُ مِنْ أَنْ يُوَجِّهَ اللَّهُ إِلَيْهِمْ خِطَابَهُ مُبَاشَرَةً. وَالِاسْتِفْهَامُ فِي قَوْلِهِ: ﴿أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ﴾ اسْتِفْهَامٌ عَنْ تَعْيِينِ مَكَانِ الْأَصْنَامِ إِنْ لَمْ تَكُنْ حَاضِرَةً، أَوْ عَنْ عَمَلِهَا إِنْ كَانَتْ حَاضِرَةً فِي ذَلِكَ الْمَوْقِفِ، تَنْزِيلًا لِعَدَمِ جَدْوَاهَا فِيمَا كَانُوا يَأْمُلُونَهُ مِنْهَا مَنْزِلَةَ الْعَدَمِ تَهَكُّمًا وَتَوْبِيخًا وَتَوْقِيفًا =

### الثاني والعشرون: من نسي يوم الحساب:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ [ص: الآية ٢٦](١).

**قال الحسن:** أخذ الله على الحكام أن لا يتبعوا الهوى، ولا يخشوا الناس، ولا يشتروا بآياته ثمنًا قليلًا. ثم قرأ: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾، وقرأ: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى

---

= عَلَى الْخَطَأ. وَالِاسْتِفْهَامُ فِي ﴿هَلْ يَنصُرُونَكُمْ﴾ كَذَلِكَ مَعَ الْإِنْكَارِ أَنْ تَكُونَ الْأَصْنَامُ نُصَرَاءَ. وَالِانْتِصَارُ طَلَبُ النَّصِيرِ.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٢١/ ١٨٩):** يقول تعالى ذكره: إن الذين يميلون عن سبيل الله، وذلك الحق الذي شرعه لعباده، وأمرهم بالعمل به، فيجورون عنه في الدنيا - لهم في الآخرة يوم الحساب عذاب شديد على ضلالهم عن سبيل الله بما نسوا أمر الله، يقول: بما تركوا القضاء بالعدل، والعمل بطاعة الله ﴿يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ من صلة العذاب الشديد.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك، قال أهل التأويل. ذِكر من قال ذلك:

حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا العوام، عن عكرمة، في قوله: ﴿عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ قال: هذا من التقديم والتأخير، يقول: لهم يوم الحساب عذاب شديد بما نسوا. **قلتُ:** سنده صحيح.

حدثنا محمد، قال: ثنا أحمد، قال: ثنا أسباط، عن السدي، قوله: ﴿بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾ قال: نسوا: تركوا.

**وقال البغوي في «تفسيره» (٤/ ٦٦):** أي: بأن تركوا الإيمان بيوم الحساب. وقال الزجاج: بتركهم العمل لذلك اليوم. وقال عكرمة والسدي: في الآية تقديم وتأخير، تقديره: لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا، أي: تركوا القضاء بالعدل.

وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ ۚ فَلَا تَخْشَوُا۟ ٱلنَّاسَ وَٱخْشَوْنِ وَلَا تَشْتَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِى ثَمَنًا قَلِيلًا ۚ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾، ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟﴾ [المائدة: الآية ٤٤]: استودعوا من كتاب الله»، وقرأ: ﴿وَدَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِى ٱلْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ ٱلْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَٰهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ ۚ وَكُلًّا ءَاتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ﴾، «فحمد سليمان ولم يلم داود، ولولا ما ذكر الله من أمر هذين لرأيت أن القضاة هلكوا، فإنه أثنى على هذا بعلمه وعَذَر هذا باجتهاده».

وقال مزاحم بن زفر: قال لنا عمر بن عبد العزيز: «خمس إذا أخطأ القاضي منهن خصلة، كانت فيه وصمة: أن يكون فهمًا، حليمًا، عفيفًا، صليبًا، عالمًا، سئولًا عن العلم»[1].

### الثالث والعشرون: ما يُسأل عنه العباد:

#### ١- الكفر والشرك:

فيسألهم عن الشركاء والأنداد الذين كانوا يعبدونهم من دون الله، قال تعالى: ﴿وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٢، ٩٣].

ويُسألون عن عبادتهم لغير الله من تقديم القرابين للآلهة التي كانوا يعبدونها، قال تعالى: ﴿وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَٰهُمْ ۗ تَٱللَّهِ لَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [النحل: الآية ٥٦].

---

(١) ذكره البخاري (٩/ ٦٧) معلقًا، وقد وصله ابن حجر في «تغليق التعليق» (٥/ ٢٩٢)، وفي سنده سعيد بن بشير الأزدي، وهو ضعيف كما في «التقريب».

ويُسألون عن تكذيبهم للرسل: ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٥، ٦٦].

**٢- ما عملوه في دنياهم:**

يُسأل المرء يوم القيامة عن جميع أعماله التي عملها في الحياة الدنيا كما قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣] وعن أبي برزة الأسلمي قال: قال رسول الله ﷺ: «**لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن عمره فيما أفناه وعن علمه فيما فعل وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه**»(١).

**٣- النعيم الذي يتمتعون به:**

يسأل الله عباده يوم القيامة عن النعيم الذي خولهم إياه في الدنيا، كما قال: ﴿ثُمَّ لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾﴾ [التكاثر: الآية ٨]. يعني بالنعيم شبع البطون، وبارد الماء، وظلال المساكن، واعتدال الخلق، ولذة النوم. وقال سعيد بن جبير: حتى عن شربة عسل. وقال مجاهد: عن كل لذة من لذات الدنيا. وقال الحسن البصري: من النعيم الغداء والعشاء. وقال أبو قلابة: من النعيم أكل السمن والعسل بالخبز النقي.

ففي (صحيح مسلم) عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «**يلقى (الرب) العبد فيقول: أي فل، ألم أكرمك، وأُسودك، وأزوجك، وأُسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. قال: فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ قال: فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني.**

---

(١) رواه الترمذي (٢٤١٧)، والدارمي (١/ ١٤٤). قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح. وصحح إسناده الإشبيلي في «الأحكام الصغرى» (٨٧١) كما أشار إلى ذلك في مقدمته. وقال الألباني في «صحيح سنن الترمذي»: صحيح.

**ثم يلقى الثاني فيقول: أي فل، ألم أكرمك، وأُسودك، وأزوجك، وأُسخر لك الخيل والإبل، وأذرك ترأس وتربع؟ فيقول: بلى. أي رب، فيقول: أفظننت أنك ملاقي؟ فيقول: لا. فيقول: فإني أنساك كما نسيتني.**

**ثم يلقى الثالث، فيقول له مثل ذلك، فيقول: يا رب آمنت بك وبكتابك وبرسلك وصليت وصمت وتصدقت. ويثني بخير ما استطاع. فيقول: هاهنا إذن. قال: ثم يقال له: الآن نبعث عليك شاهدًا عليك. ويتفكر في نفسه، مَن ذا يشهد عليّ؟ فيختم الله على فيه. ويقال لفخذه ولحمه وعظامه: انطقي. فتنطق فخذه ولحمه وعظامه بعمله. وذلك ليعذر من نفسه. وذلك المنافق الذي يسخط الله عليه»**[١].

**٤- العهود والمواثيق:**

يسأل الله عباده عما عاهدوه عليه ﴿وَلَقَدْ كَانُوا۟ عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ ٱلْأَدْبَـٰرَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ ٱللَّهِ مَسْـُٔولًا﴾ [الأحزاب: ١٥].

وكل عهد مشروع بين العباد فإن الله سائل العبد عن الوفاء به: ﴿وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤].

**٥- السمع والبصر والفؤاد:**

يسأل الله العباد عن جميع ما يقولونه؛ ولذلك حذرهم من القول بلا علم ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾، قال قتادة: لا تقل: (رأيت) ولم تر، و(سمعت) ولم تسمع، و(علمت) ولم تعلم، فإن الله سائلك عن ذلك كله[٢].

---

(١) رواه مسلم (٢٩٦٨).

(٢) «القيامة الكبرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٢١)، وانظر: «الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٤/ ٤٦٣).

**٦- يُسأل العبد عن كل شيء فعله:**

قال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ [النّحل: الآية ٩٣][١].

---

(١) **قال ابن عطية في «تفسيره» (٣/ ٤١٨):** ثم توعد في آخر الآية بسؤال كل أحد يوم القيامة عن عمله، وهذا سؤال توبيخ، وليس ثم سؤال تفهم، وذلك هو المنفي في آيات.

**وقال القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ١٧٢):** ﴿وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ بتوفيقه إياهم، فضلًا منه عليهم، ولا يُسأل عما يفعل بل تُسألون أنتم. والآية ترد على أهل القدر.

**وقال القاسمي (٦/ ٤٠٥):** ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ أي: حنيفة مسلمة ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ ۚ وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أي: في الدنيا، سؤال تبكيت ومجازاة، لا استفسار وتفهم. وهو المنفي في غير هذه الآية. أو في موقف دون موقف كما مر.

**وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (١٤/ ٢٦٧):** لَمَّا أَحَالَ الْبَيَانَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ زَادَهُمْ إِعْلَامًا بِحِكْمَةِ هَذَا التَّأْخِيرِ، فَأَعْلَمَهُمْ أَنَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُبَيِّنَ لَهُمُ الْحَقَّ مِنْ هَذِهِ الدَّارِ فَيَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً، وَلَكِنَّهُ أَضَلَّ مَنْ شَاءَ، أي: خَلَقَ فِيهِ دَاعِيَةَ الضَّلَالِ، وَهَدَى مَنْ شَاءَ، أي: خَلَقَ فِيهِ دَاعِيَةَ الْهُدَى. وَأَحَالَ الْأَمْرَ هُنَا عَلَى الْمَشِيئَةِ إِجْمَالًا؛ لِتَعَذُّرِ نَشْرِ مَطَاوِي الْحِكْمَةِ مِنْ ذَلِك. وَمَرْجِعُهَا إِلَى مَشِيئَةِ اللَّهِ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ النَّاسَ عَلَى هَذَا الِاخْتِلَافِ النَّاشِئِ عَنِ اخْتِلَافِ أَحْوَالِ التَّفْكِيرِ وَمَرَاتِبِ الْمَدَارِكِ وَالْعُقُولِ، وَذَلِكَ يَتَوَلَّدُ مِنْ تَطَوُّرَاتٍ عَظِيمَةٍ تَعْرِضُ لِلْإِنْسَانِ فِي تَنَاسُلِهِ وَحَضَارَتِهِ وَغَيْرِ ذَلِك مِمَّا أَجْمَلَهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾ ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ﴿٥﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾. وَهَذِهِ الْمَشِيئَةُ لَا يَطَّلِعُ عَلَى كُنْهِهَا إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَتَظْهَرُ آثَارُهَا فِي فِرْقَةِ الْمُهْتَدِينَ وَفِرْقَةِ الضَّالِّينَ.

وَلَمَّا كَانَ قَوْلُهُ: ﴿وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النّحل: الآية ٩٣] قَدْ يَغْتَرُّ بِهِ قِصَارُ الْأَنْظَارِ فَيَحْسَبُونَ أَنَّ الضَّالِّينَ وَالْمُهْتَدِينَ سَوَاءٌ عِنْدَ اللَّهِ وَأَنَّ الضَّالِّينَ =

وقال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢، ٩٣](١).

### ٧- سؤال الجوارح يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ۝٣٦﴾ [الإسراء: الآية ٣٦](٢).

---

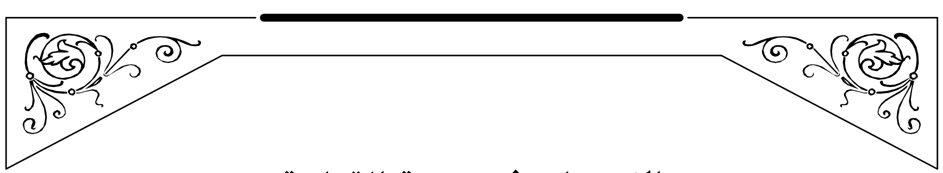
= مَعْذُورُونَ فِي ضَلَالِهِمْ إِذْ كَانَ مِنْ أَثَرِ مَشِيئَةِ اللَّهِ، فَعَقَّبَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَتُسْـَٔلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: الآية ٩٣] مُؤَكَّدًا بِتَأْكِيدَيْنِ كَمَا تَقَدَّمَ نَظِيرُهُ آنِفًا، أي: عَمَّا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلِ ضَلَالٍ أَوْ عَمَلِ هدى. وَالسُّؤَال: كِنَايَةٌ عَنِ الْمُحَاسَبَةِ، لِأَنَّهُ سُؤَالٌ حَكِيمٌ تَتَرَتَّبُ عَلَيْهِ الْإِنَارَةَ وَلَيْسَ سُؤال اسْتِطْلَاعٍ.

(١) **وقال الطبري في «تفسيره» (١٧/ ١٤٩):** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿فَوَرَبِّكَ﴾ يا محمد لنسألن هؤلاء الذين جعلوا القرآن في الدنيا عضين في الآخرة ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الدنيا، فيما أمرناهم به، وفيما بعثناك به إليهم من آي: كتابي الذي أنزلته إليهم، وفيما دعوناهم إليه من الإقرار به ومن توحيدي والبراءة من الأنداد والأوثان.

**وقال أبو السعود في «تفسيره» (٥/ ٩٢):** ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ في الدُّنيا من قول وفعل وترْكٍ، فيدخُل فيه ما ذُكر من الاقتسام والتعضيةِ دخولًا أوليًّا. ولنجزيّنهم بذلك جزاءً موفورًا. وفيه من التشديد وتأكيد الوعيد ما لا يخفى. والفاءُ لترتيب الوعيدِ على أعمالهم التي ذكر بعضها. وفي التعرُّض لوصفِ الربوبيةِ مضافًا إليه عليه الصلاة والسلام إظهار اللطفِ به عليه الصلاة والسلام.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٤٣٥):** ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٩٢﴾ [الحِجر: الآية ٩٢] أي: جميع من قدح فيه وعابه وحرَّفه وبدَّله ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ وفي هذا أعظم ترهيب وزجر لهم عن الإقامة على ما كانوا عليه.

(٢) **قال القرطبي في «تفسيره» (١٠/ ٢٥٩):** قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا﴾ أي: يُسأل كل واحد منهم عما اكتسب، فالفؤاد يسأل =



## الامتحان في عرصة القيامة

عَنِ الْأَسْوَدِ بْنِ سَرِيعٍ، أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ قال: «**أَرْبَعَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: رَجُلٌ أَصَمُّ لَا يَسْمَعُ شَيْئًا، وَرَجُلٌ أَحْمَقُ، وَرَجُلٌ هَرَمٌ، وَرَجُلٌ مَاتَ فِي فَتْرَةٍ، فَأَمَّا الْأَصَمُّ فَيَقُولُ:**

---

= عما افتكر فيه واعتقده، والسمع والبصر عما رأى من ذلك وسمع. وقيل: المعنى أن الله ﷻ يسأل الإنسان عما حواه سمعه وبصره وفؤاده، ونظيره قوله ﷺ: «**كلكم راعٍ وكلكم مسئول عن رعيته**» فالإنسان راعٍ على جوارحه، فكأنه قال: كل هذه كان الإنسان عنه مسئولًا، فهو على حذف مضاف. والمعنى الأول أبلغ في الحجة، فإنه يقع تكذيبه من جوارحه، وتلك غاية الخزي، كما قال: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٦٥﴾ [يس: الآية ٦٥]، وقوله: ﴿شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ [فصّلت: الآية ٢٠]. وعبر عن السمع والبصر والفؤاد بأولئك لأنها حواس لها إدراك، وجعلها في هذه الآية مسئولة، فهي حالة من يعقل، فلذلك عبر عنها بأولئك.

**وقال الشنقيطي في «تفسيره» (٣/ ١٤٥):** نهى جل وعلا في هذه الآية الكريمة عن اتباع الإنسان ما ليس له به علم، ويشمل ذلك قوله: رأيت، ولم ير. وسمعت، ولم يسمع. وعلمت، ولم يعلم. ويدخل فيه كل قول بلا علم، وأن يعمل الإنسان بما لا يعلم.

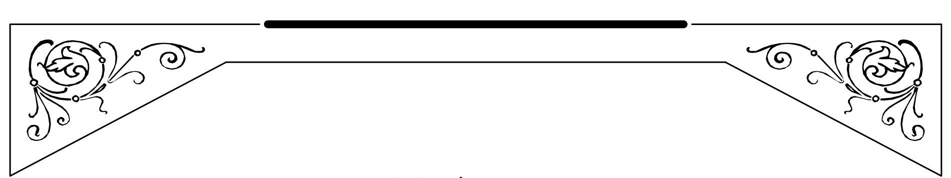
وقد أشار جل وعلا إلى هذا المعنى في آيات أخر؛ كقوله: ﴿إِنَّمَا يَأۡمُرُكُم بِٱلسُّوٓءِ وَٱلۡفَحۡشَآءِ وَأَن تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾.

**وقال الخازن (٤/ ٢٥٦):** ﴿إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا﴾ معناه يُسأل المرء عن سمعه وبصره وفؤاده، وقيل: يُسأل السمع البصر والفؤاد عما فعله المرء. فعلى هذا ترجع الإشارة في أولئك إلى الأعضاء. وعلى القول الأول ترجع إلى أربابها.

رَبِّ، لَقَدْ جاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَسْمَعُ شَيْئًا. وَأَمَّا الْأَحْمَقُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جاءَ الْإِسْلَامُ وَالصِّبْيَانُ يَحْذِفُونِي بِالْبَعْرِ. وَأَمَّا الْهَرَمُ فَيَقُولُ: رَبِّ، لَقَدْ جاءَ الْإِسْلَامُ وَمَا أَعْقِلُ شَيْئًا. وَأَمَّا الَّذِي مَاتَ في الْفَتْرَةِ فَيَقُولُ: رَبِّ، مَا أَتَانِي لَكَ رَسُولٌ. فَيَأْخُذُ مَوَاثِيقَهُمْ لَيُطِيعُنَّهُ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ أَنِ ادْخُلُوا النَّارَ،» قَالَ: «فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لَوْ دَخَلُوهَا لَكَانَتْ عَلَيْهِمْ بَرْدًا وَسَلَامًا»[1].



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٦٣٠١)، وابن حبان(٧٣٥٧)، وهوصحيح بمجموع طرقه.



## باب ما جاء في الشهادة

### الله ﷻ أعظم شاهد يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِيٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٥٥﴾﴾ [الأحزاب: الآية ٥٥][1].

### كل رسول شاهد على أمته:

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [يونس: الآية ٤٧][2].

---

(١) **قال يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٧٣٥):** قال: ﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: الآية ٥٥] شاهدًا لكل شيء، وشاهدًا على كل شيء.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٦/ ٤٥٦):** فإنه شهيد على كل شيء، لا تخفى عليه خافية، فراقبن الرقيب.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٦٧١):** يشهد أعمال العباد، ظاهرها وباطنها، ويسمع أقوالهم، ويرى حركاتهم، ثم يجازيهم على ذلك أتم الجزاء وأوفاه.

(٢) قال القرطبي في «تفسيره» (٨/ ٣٤٩): قوله تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولٌۖ فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُم بِٱلْقِسْطِ﴾ [يونس: الآية ٤٧] يكون المعنى: ولكل أمة رسول شاهد عليهم، فإذا جاء رسولهم يوم القيامة قضي بينهم، مثل ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: الآية ٤١].

وقال ابن عباس: تنكر الكفار غدًا مجيء الرسل إليهم، فيؤتى بالرسول فيقول: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= قد أبلغتكم الرسالة. فحينئذٍ يقضى عليهم بالعذاب. دليله قوله: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾.

ويجوز أن يكون المعنى أنهم لا يعذبون في الدنيا حتى يرسل إليهم، فمن آمن فاز ونجا، ومن لم يؤمن هلك وعُذب. دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾. والقسط: العدل. ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: لا يعذبون بغير ذنب ولا يؤاخذون بغير حجة.

**وقال القاسمي في «تفسيره» (٦/ ٢٩):** ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولٞۖ﴾ [يُونس: الآية ٤٧] أي: منهم، أُرسل لهدايتهم، وتزكيتهم بما يصلحهم ﴿فَإِذَا جَآءَ رَسُولُهُمۡ﴾ [يُونس: الآية ٤٧] أي: فبلّغهم ما أُرسل به فكذبوه ﴿قُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِ﴾ [يُونس: الآية ٤٧] أي: بالعدل فأنجي الرسول وأتباعه، وعُذب مكذبوه ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أي: في ذلك القضاء المستوجب لتعذيبهم لأنه من نتائج أعمالهم.

وقال القاشانيّ في قوله تعالى: ﴿قُضِيَ بَيۡنَهُم﴾ [يُونس: الآية ٤٧]: أي: بهداية من اهتدى منهم، وضلالة من ضل، وسعادة من سعد، وشقاوة من شقي؛ لظهور ذلك بوجوده، وطاعة بعضهم إياه لقربه منه، وإنكار بعضهم له لبعده عنه. أو قضى بينهم بإنجاء من اهتدى به وإثابته، وإهلاك من ضل وتعذيبه؛ لظهور أسباب ذلك بوجوده. انتهى- فالآية على هذا كقوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا﴾ [الإسرَاء: الآية ١٥]، وجوز أن يكون المعنى لكل أمة من الأمم يوم القيامة رسول تنسب إليه، وتدعى به، فإذا جاء رسولهم الموقف ليشهد عليهم بالكفر والإيمان، قضى بينهم بإنجاء المؤمنين، وعقاب الكافرين. كقوله تعالى: ﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٣٦٥):** يقول تعالى: ﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٖ﴾ من الأمم الماضية ﴿رَّسُولٞۖ﴾ يدعوهم إلى توحيد الله ودينه. ﴿فَإِذَا جَآءَ﴾ هم ﴿رَسُولُهُمۡ﴾ بالآيات، صدقه بعضهم، وكذبه آخرون، فيقضي الله بينهم بالقسط بنجاة المؤمنين، وإهلاك المكذبين ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ بأن يعذبوا قبل إرسال الرسول وبيان الحجة، أو يعذبوا بغير جرمهم.

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النّحل: الآية ٨٤].

وقال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٧٥﴾﴾ [القَصَص: الآية ٧٥][1].

### شهادة النبي ﷺ على أمته:

قال تعالى: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ﴾ [الحَج: الآية ٧٨][2].

وقال تعالى: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النّحل: الآية ٨٩].

---

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٦١٤):** وقوله: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القَصَص: الآية ٧٥] وأحضرنا من كل جماعة شهيدها وهو نبيها الذي يشهد عليها بما أجابته أمته فيما أتاهم به عن الله من الرسالة.

وقيل: ﴿وَنَزَعْنَا﴾ من قوله: (نزع فلان بحجة كذا، بمعنى: أحضرها وأخرجها.

**وقال ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٩١):** قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ [القَصَص: الآية ٧٥] أي: أخرْجنا من كل أُمَّة رسولها الذي يشهد عليها بالتبليغ ﴿فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ﴾ [القَصَص: الآية ٧٥] أي: حُجَّتكم على ما كنتم تعبُدون من دوني ﴿فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ [القَصَص: ٧٥] أي: عَلِموا أنَّه لا إله إلا هو.

﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾ أي: بَطَل في الآخرة ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ في الدنيا من الشّركاء.

(٢) **قال السعدي في «تفسيره» (ص٤٤٧):** لما ذكر فيما تقدم أنه يبعث في كل أمة شهيدًا ذكر ذلك أيضًا هنا، وخص منهم هذا الرسول الكريم فقال: ﴿وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ أي: على أمتك تشهد عليهم بالخير والشر، وهذا من كمال عدل الله تعالى أن كل رسول يشهد على أمته لأنه أعظم اطلاعًا من غيره على أعمال أمته، وأعدل وأشفق من أن يشهد عليهم إلا بما يستحقون.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣].

وعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، قَالَ: قَالَ لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**»، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، آقْرَأُ عَلَيْكَ، وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**» فَقَرَأْتُ سُورَةَ النِّسَاءِ حَتَّى أَتَيْتُ إِلَى هَذِهِ الآيَةِ: ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ ﴿٤١﴾ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا**﴾، قَالَ: «**حَسْبُكَ الآنَ**» فَالْتَفَتُّ إِلَيْهِ، فَإِذَا عَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ»(١).

### ▣ شهادته ﷺ لبعض أصحابه:

وقوله ﷺ لرافع: «**يَا رَافِعُ، إِنْ شِئْتَ نَزَعْتُ السَّهْمَ وَالْقُطْبَةَ جَمِيعًا، وَإِنْ شِئْتَ نَزَعْتُ السَّهْمَ وَتَرَكْتُ الْقُطْبَةَ، وَشَهِدْتُ لَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّكَ شَهِيدٌ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، بَلْ انْزِعِ السَّهْمَ وَدَعِ الْقُطْبَةَ، وَاشْهَدْ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنِّي شَهِيدٌ. قَالَ: فَنَزَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّهْمَ وَتَرَكَ الْقُطْبَةَ(٢).

وعَن شَدَّادِ بْنِ الهَادِ، أَنَّ رَجُلًا مِنَ الأَعْرَابِ جَاءَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَآمَنَ بِهِ وَاتَّبَعَهُ، ثُمَّ قَالَ: أُهَاجِرُ مَعَكَ. فَأَوْصَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ بَعْضَ أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَتْ غَزْوَةٌ غَنِمَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْيًا، فَقَسَمَ وَقَسَمَ لَهُ، فَأَعْطَى أَصْحَابَهُ مَا قَسَمَ لَهُ، وَكَانَ يَرْعَى ظَهْرَهُمْ، فَلَمَّا جَاءَ دَفَعُوهُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا هَذَا؟

قَالُوا: قِسْمٌ قَسَمَهُ لَكَ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَخَذَهُ فَجَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: مَا هَذَا؟ قَالَ: «**قَسَمْتُهُ لَكَ**»، قَالَ: مَا عَلَى هَذَا اتَّبَعْتُكَ، وَلَكِنِّ اتَّبَعْتُكَ عَلَى أَنْ أُرْمَى إِلَى هَاهُنَا - وَأَشَارَ إِلَى حَلْقِهِ بِسَهْمٍ - فَأَمُوتَ فَأَدْخُلَ الجَنَّةَ، فَقَالَ: «**إِنْ تَصْدُقِ اللهَ يَصْدُقْكَ**»، فَلَبِثُوا قَلِيلًا ثُمَّ نَهَضُوا فِي قِتَالِ العَدُوِّ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ يُحْمَلُ قَدْ أَصَابَهُ سَهْمٌ حَيْثُ أَشَارَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَهُوَ هُوَ؟**» قَالُوا:

---

(١) أخرجه البخاري (٥٠٥٠)، ومسلم (٨٠٠).

(٢) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد في «المسند» (٦/٣٧٨)، والطبراني في «الكبير» (٤٢٤٢).

نَعَمْ. قَالَ: «**صَدَقَ اللهَ فَصَدَقَهُ**»، ثُمَّ كَفَّنَهُ النَّبِيُّ ﷺ فِي جُبَّةِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَدَّمَهُ فَصَلَّى عَلَيهِ، فَكَانَ مما ظَهَرَ مِنْ صَلاَتِهِ: «**اللهُمَّ هَذَا عَبدُكَ خَرَجَ مُهَاجِرًا فِي سَبِيلِكَ فَقُتِلَ شَهِيدًا أَنَا شَهِيدٌ عَلَى ذَلِكَ**»[١].

### شهادته ﷺ لأهل أُحد:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ يَوْمًا فَصَلَّى عَلَى أَهْلِ أُحُدٍ صَلاَتَهُ عَلَى المَيِّتِ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ، وَأَنَا شَهِيدٌ عَلَيْكُمْ، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَنْظُرُ إِلَى حَوْضِي الآنَ، وَإِنِّي أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ - أَوْ: مَفَاتِيحَ الأَرْضِ - وَإِنِّي وَاللَّهِ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنْ أَخَافُ عَلَيْكُمْ أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**»[٢].

وعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ مِنْ قَتْلَى أُحُدٍ فِي ثَوْبٍ وَاحِدٍ، ثُمَّ يَقُولُ: «**أَيُّهُمْ أَكْثَرُ أَخْذًا لِلْقُرْآنِ؟**»، فَإِذَا أُشِيرَ لَهُ إِلَى أَحَدِهِمَا قَدَّمَهُ فِي اللَّحْدِ، وَقَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلاَءِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، وَأَمَرَ بِدَفْنِهِمْ فِي دِمَائِهِمْ، وَلَمْ يُغَسَّلُوا، وَلَمْ يُصَلَّ عَلَيْهِمْ[٣].

**قال المباركفوري في «تحفة الأحوذي» (٤/ ١٠٨):** فقال: «أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هَؤُلَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» فِي الْمِرْقَاةِ: قَالَ الْمُظْهِرُ: أي: أَنَا شَفِيعٌ لَهُمْ وَأَشْهَدُ أَنَّهُمْ بَذَلُوا أَرْوَاحَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ.

### شهادة عيسى عليه السلام:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ

---

(١) **إسناده حسن:** أخرجه النسائي (١٩٦٩)، والحاكم في «المستدرك» (٣/ ٥٩٥).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

(٣) أخرجه البخاري (١٣٤٣)، وأبو داود (٣١٣٨).

عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾﴾ [النِّساء: الآية ١٥٩][(١)].

## أمة محمد ﷺ شهداء على الخلق:

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣].

وقال تعالى: ﴿وَفِي هَٰذَا لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨][(٢)].

---

(١) **قال الطبري «تفسيره» (٩/ ٣٩٠):** يعني بذلك جل ثناؤه: ويوم القيامة يكون عيسى على أهل الكتاب ﴿شَهِيدٗا﴾، يعني: شاهدًا عليهم بتكذيب من كذَّبه منهم، وتصديق مَن صَدَّقَه منهم، فيما أتاهم به من عند الله، وبإبلاغه رسالة ربه.

**وقال ابن أبي زمنين في «تفسيره» (١/ ٤٢٠):** أي: يشهد عليهم أنه قد بَلَّغ رسالة ربه، وأقر بالعبودية على نفسه.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٢/ ٤٥٤):** ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ [النِّساء: الآية ١٥٩] أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه إلى السماء وبعد نزوله إلى الأرض.

فأما من فسر هذه الآية بأن المعنى: أن كل كتابي لا يموت حتى يؤمن بعيسى أو بمحمد، عليهما الصلاة والسلام، فهذا هو الواقع، وذلك أن كل أحد عند احتضاره يتجلي له ما كان جاهلًا به، فيؤمن به، ولكن لا يكون ذلك إيمانًا نافعًا له، إذ كان قد شاهد المَلَك، كما قال تعالى في أول هذه السورة: ﴿وَلَيۡسَتِ ٱلتَّوۡبَةُ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلۡمَوۡتُ قَالَ إِنِّي تُبۡتُ ٱلۡـَٰٔنَ وَلَا ٱلَّذِينَ يَمُوتُونَ وَهُمۡ كُفَّارٌۚ﴾ [النِّساء: الآية ١٨] الآية.

(٢) **قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٩٣):** وقوله: ﴿لِيَكُونَ ٱلرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيۡكُمۡ وَتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨] يقول تعالى ذكره: اجتباكم الله وسماكم أيها المؤمنون بالله وآياته من أمة محمد ﷺ مسلمين؛ ليكون محمد رسول الله شهيدًا عليكم يوم القيامة، بأنه قد بلغكم ما أُرسل به إليكم، وتكونوا أنتم شهداء حينئذٍ على =

وعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَجِيءُ نُوحٌ وَأُمَّتُهُ، فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: هَلْ بَلَّغْتَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ أي رَبِّ. فَيَقُولُ لِأُمَّتِهِ: هَلْ بَلَّغَكُمْ؟ فَيَقُولُونَ لاَ، مَا جَاءَنَا مِنْ نَبِيٍّ. فَيَقُولُ لِنُوحٍ: مَنْ يَشْهَدُ لَكَ؟ فَيَقُولُ: مُحَمَّدٌ ﷺ وَأُمَّتُهُ. فَنَشْهَدُ أَنَّهُ قَدْ بَلَّغَ، وَهُوَ قَوْلُهُ جَلَّ ذِكْرُهُ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾** وَالوَسَطُ: العَدْلُ»[1].

## شهود الملائكة على الأعمال:

قال تعالى: ﴿وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [ق: الآية ٢١][2].

---

= الرسل أجمعين، أنهم قد بلَّغوا أممهم ما أُرسلوا به إليهم.

**وقال الزجاج في «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٤٤٠):** وقوله: ﴿وَتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨]. يروى أن الله سبحانه أعطى هذه الأمة ثلاثة أشياء لم يعْطَها إلا الأنبياء. جُعِلَتْ شَهِيدَة على سائر الأمَمِ، والشهادة لكل نبيٍّ على أُمَّتِه. وأن يقال للنبي عليه السلام: اذهب ولا حرج عليك، وقال اللَّه لهذه الأُمَّة: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحَجّ: الآية ٧٨]، وأنه قال لكل نَبِيٍّ: سَلْ تُعْطَه، وقال لهذه الأمَّةِ: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غَافر: الآية ٦٠].

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٤٥٧):** أي: إنما جعلناكم هكذا أمة وسطًا عدولًا خيارًا، مشهودًا بعدالتكم عند جميع الأمم لتكونوا يوم القيامة شهداء على الناس لأن جميع الأمم معترفة يومئذٍ بسيادتها وفضلها على كل أمة سواها؛ فلهذا تُقبل شهادتهم عليهم يوم القيامة، في أن الرسل بلغتهم رسالة ربهم، والرسول يشهد على هذه الأمة أنه بلغها ذلك. وقد تقدم الكلام على هذا عند قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣]، وذكرنا حديث نوح وأمته بما أغنى عن إعادته.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٣٩).

(٢) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٢/ ٣٤٧):** وجاءت يوم ينفخ في الصور كل نفس ربها معها سائق يسوقها إلى الله وشهيد يشهد عليها بما عملت في الدنيا من خير أو شر.

**وقال ابن أبي زمنين في «تفسيره» (٤/ ٢٧٢):** سائق يسوقها إلى الجنة أو النار، =

وقال تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: ١٠ - ١٢][(١)].

---

= وشاهد يشهد عليها بعملها. وتفسير بعضهم: هو ملكه الذي كتب عمله في الدنيا هو شاهد عليه بعمله.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٨٠٥):** ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَائِقٌ﴾ [ق: الآية ٢١] يسوقها إلى موقف القيامة، فلا يمكنها أن تتأخر عنه، ﴿وَشَهِيدٌ﴾ يشهد عليها بأعمالها خيرها وشرها، وهذا يدل على اعتناء الله بالعباد، وحفظه لأعمالهم، ومجازاته لهم بالعدل، فهذا الأمر مما يجب أن يجعله العبد منه على بال، ولكن أكثر الناس غافلون؛ ولهذا قال: ﴿لَّقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا﴾ [ق: الآية ٢٢] أي: يقال للمعرض المكذب يوم القيامة هذا الكلام توبيخًا ولومًا وتعنيفًا، أي: لقد كنت مكذبًا بهذا، تاركًا للعمل له فالآن «كشفنا عنك غطاءك» الذي غطى قلبك، فكثر نومك، واستمر إعراضك، ﴿فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ﴾ [ق: الآية ٢٢] ينظر ما يزعجه ويروعه، من أنواع العذاب والنكال.

أو هذا خطاب من الله للعبد، فإنه في الدنيا، في غفلة عما خُلق له، ولكنه يوم القيامة ينتبه ويزول عنه وسنه، ولكنه في وقت لا يمكنه أن يتدارك الفارط، ولا يستدرك الفائت.

وهذا كله تخويف من الله للعباد، وترهيب، بذكر ما يكون على المكذبين. في ذلك اليوم العظيم.

(١) **قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٣٤٤):** وقوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ﴾ يعني: وإن عليكم لملائكة حفظة كرامًا فلا تقابلوهم بالقبائح، فإنهم يكتبون عليكم جميع أعمالكم.

**وقال القاسمي في «تفسيره» (٩/ ٤٢٥):** ﴿وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَافِظِينَ ﴿١٠﴾﴾ [الانفطار: الآية ١٠] أي: رقباء يحفظون أعمالكم ويحصونها عليكم ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴿١١﴾﴾ [الانفطار: الآية ١١] أي: يكتبون ما تقولون. ﴿يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴿١٢﴾﴾ [الانفطار: الآية ١٢] أي: من خير أو شر. أي: يحصونه عليكم، فلا يغفلون ولا ينسون.

**قال الرازيّ:** إن الله تعالى أجرى أموره مع عباده على ما يتعاملون به فيما بينهم؛ =

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ، فَقَالَ: **«هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟»** قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي، قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ، قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»**[(١)].

### شهود الجوارح على الإنسان يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [النُّور: الآية ٢٤][(٢)].

---

= لأن ذلك أبلغ في تقرير المعنى عندهم. ولما كان الأبلغ عندهم في المحاسبة إخراج كتاب بشهود، خوطبوا بمثل هذا فيما يحاسبون به يوم القيامة. فيخرج لهم كتب منشورة، ويحضر هناك ملائكة يشهدون عليهم، كما يشهد عدول السلطان على من يعصيه ويخالف أمره، فيقولون له: أعطاك الملك كذا وكذا. وفعل بك كذا وكذا، ثم قد خالفته وفعلت كذا وكذا. فكذا ها هنا. والله أعلم بحقيقة ذلك. انتهى.

ولا يخفى أن الحفظة الكرام وعملهم، من الغيب الذي لا يمكن اكتناهه؛ فيجب الإيمان به كما ورد، مع تفويض كنهه إلى بارئه تعالى. ومن الفضول في العلم التوسع فيما لا يدرك بالنظر وتسويد وجوه الصحف بها. وبالله سبحانه التوفيق.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٩).

(٢) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٤٤):** ﴿وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُم﴾ قيل: إن الذي ينطق من أرجلهم: أفخاذهم من الرجل اليُسرى ﴿بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ في الدنيا من الآثام.

**وقال الزجاج في «تفسيره» (٣/ ٢٣٩):** فالجوارح شواهدُ على ابن آدم بعمله.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٥٦٥):** فكل جارحة تشهد عليهم بما عملته، ينطقها الذي أنطق كل شيء، فلا يمكنه الإنكار، ولقد عدل في العباد. مَن جعل =

وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٩ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝٢٠﴾ [فصلت: ١٩، ٢٠].

وعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: كُنَّا عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ فَضَحِكَ فَقَالَ: **«هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ أَضْحَكُ؟»** قَالَ: قُلْنَا: اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: **«مِنْ مُخَاطَبَةِ الْعَبْدِ رَبَّهُ، يَقُولُ: يَا رَبِّ أَلَمْ تُجِرْنِي مِنَ الظُّلْمِ؟ قَالَ: يَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: فَإِنِّي لَا أُجِيزُ عَلَى نَفْسِي إِلَّا شَاهِدًا مِنِّي. قَالَ: فَيَقُولُ: كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ شَهِيدًا، وَبِالْكِرَامِ الْكَاتِبِينَ شُهُودًا. قَالَ: فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، فَيُقَالُ لِأَرْكَانِهِ: انْطِقِي. قَالَ: فَتَنْطِقُ بِأَعْمَالِهِ. قَالَ: ثُمَّ يُخَلَّى بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْكَلَامِ. قَالَ: فَيَقُولُ: بُعْدًا لَكُنَّ وَسُحْقًا، فَعَنْكُنَّ كُنْتُ أُنَاضِلُ»**[(١)].

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: **«هَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الشَّمْسِ فِي الظَّهِيرَةِ، لَيْسَتْ فِي سَحَابَةٍ؟»** قَالُوا: لَا. قَالَ: **«فَهَلْ تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَيْسَ فِي سَحَابَةٍ؟»** قَالُوا: لَا. قَالَ: **«فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ رَبِّكُمْ إِلَّا كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا»**.

قَالَ: **«فَيَلْقَى الْعَبْدَ، فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ وَتَرْبَعُ؟ فَيَقُولُ: بَلَى. قَالَ: فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي.**

**ثُمَّ يَلْقَى الثَّانِيَ فَيَقُولُ: أَيْ فُلْ أَلَمْ أُكْرِمْكَ، وَأُسَوِّدْكَ، وَأُزَوِّجْكَ، وَأُسَخِّرْ لَكَ الْخَيْلَ وَالْإِبِلَ، وَأَذَرْكَ تَرْأَسُ، وَتَرْبَعُ، فَيَقُولُ: بَلَى، أَيْ رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَظَنَنْتَ أَنَّكَ مُلَاقِيَّ؟ فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: فَإِنِّي أَنْسَاكَ كَمَا نَسِيتَنِي. ثُمَّ يَلْقَى الثَّالِثَ، فَيَقُولُ لَهُ مِثْلَ**

---

= شهودهم من أنفسهم.

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٩).

**ذَلِكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ آمَنْتُ بِكَ، وَبِكِتَابِكَ، وَبِرُسُلِكَ، وَصَلَّيْتُ، وَصُمْتُ، وَتَصَدَّقْتُ. وَيُثْنِي بِخَيْرٍ مَا اسْتَطَاعَ، فَيَقُولُ: هَاهُنَا إِذًا. قَالَ: ثُمَّ يُقَالُ لَهُ: الْآنَ نَبْعَثُ شَاهِدَنَا عَلَيْكَ. وَيَتَفَكَّرُ فِي نَفْسِهِ: مَنْ ذَا الَّذِي يَشْهَدُ عَلَيَّ؟! فَيُخْتَمُ عَلَى فِيهِ، وَيُقَالُ لِفَخِذِهِ وَلَحْمِهِ وَعِظَامِهِ: انْطِقِي. فَتَنْطِقُ فَخِذُهُ وَلَحْمُهُ وَعِظَامُهُ بِعَمَلِهِ؛ وَذَلِكَ لِيُعْذِرَ مِنْ نَفْسِهِ، وَذَلِكَ الْمُنَافِقُ وَذَلِكَ الَّذِي يَسْخَطُ اللهُ عَلَيْهِ»**[1].

### الفخذ أول من يشهد على صاحبه:

عَنْ حَكِيمِ بْنِ مُعَاوِيَةَ الْبَهْزِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنِّي حَلَفْتُ هَكَذَا - وَنَشَرَ أَصَابِعَ يَدَيْهِ - حَتَّى تُخْبِرَنِي مَا الَّذِي بَعَثَكَ اللَّهُ بِهِ؟ قَالَ: «**بَعَثَنِي اللَّهُ بِالْإِسْلَامِ**». قَالَ: وَمَا الْإِسْلَامُ؟ قَالَ: «**شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَتُقِيمُ الصَّلَاةَ، وَتُؤْتِي الزَّكَاةَ، أَخَوَانِ نَصِيرَانِ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْ أَحَدٍ تَوْبَةً أَشْرَكَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ**». قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا حَقُّ زَوْجِ أَحَدِنَا عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**تُطْعِمُهَا إِذَا أَكَلْتَ، وَتَكْسُوهَا إِذَا اكْتَسَيْتَ، وَلَا تَضْرِبِ الْوَجْهَ وَلَا تُقَبِّحْ، وَلَا تَهْجُرْ إِلَّا فِي الْبَيْتِ**». ثُمَّ قَالَ: «**هَاهُنَا تُحْشَرُونَ. هَاهُنَا تُحْشَرُونَ. هَاهُنَا تُحْشَرُونَ - ثَلَاثًا - رُكْبَانًا وَمُشَاةً، وَعَلَى وُجُوهِكُمْ، تُوفُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ سَبْعِينَ أُمَّةً أَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ وَأَكْرَمُهَا عَلَى اللَّهِ، تَأْتُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَعَلَى أَفْوَاهِكُمُ الْفِدَامُ. أَوَّلُ مَا يُعْرِبُ عَنْ أَحَدِكُمْ فَخِذُهُ**» قَالَ ابْنُ أَبِي بُكَيْرٍ: فَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى الشَّامِ فَقَالَ: «**إِلَى هَاهُنَا تُحْشَرُونَ**»[2].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٩٦٨).

(٢) **إسناده حسن:** أخرجه أحمد في «المسند» (٢٠٠١١)، والنسائي في «الكبرى» (١١٤٠٥)، والحاكم (٤/ ٥٦٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

## الأرض تشهد على العباد يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝﴾ [الزلزلة: ٤، ٥] (١).

---

(١) **قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٦٠):** وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝﴾ [الزلزلة: الآية ٤] أي: تحدث بما عمل العاملون على ظهرها. قال الإمام أحمد: حدثنا إبراهيم، حدثنا ابن المبارك -وقال الترمذي (٢٤٢٩)، وأبو عبد الرحمن النسائي «الكبرى» (١١٦٩٣)، واللفظ له: حدثنا سويد بن نصر، أخبرنا عبد الله - هو ابن المبارك- عن سعيد بن أبي أيوب، عن يحيى بن أبي سليمان، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝﴾ [الزلزلة: الآية ٤] قال: «**أتدرون ما أخبارها؟**». قالوا: الله ورسوله أعلم. قال: «**فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد وأمة بما عمل على ظهرها، أن تقول: عمل كذا وكذا يوم كذا وكذا، فهذه أخبارها**». ثم قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح غريب.

**قلتُ:** إسناده ضعيف، فيه يحيى بن أبي سليمان، قال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث.

وفي معجم الطبراني من حديث ابن لهيعة: حدثني الحارث بن يزيد -سمع ربيعة الجرشي-: أن رسول الله ﷺ قال: «**تحفَّظوا من الأرض، فإنها أُمكم، وإنه ليس من أحد عامل عليها خيرًا أو شرًّا، إلا وهي مخبرة**».

**قلتُ:** ابن لهيعة، ضعيف انظر: «التهذيب».

وقوله: ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝﴾ [الزلزلة: الآية ٥] قال البخاري: أوحى لها وأوحى إليها، ووحى لها ووحى إليها: واحد. وكذا قال ابن عباس: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: الآية ٥] أي: أوحى إليها. والظاهر أن هذا مضمن بمعنى أُذِن لها.

وقال شبيب بن بشر، عن عكرمة، عن ابن عباس: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝﴾ [الزلزلة: الآية ٤] قال: قال لها ربها: قولي. فقالت.

وقال مجاهد: ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة: الآية ٥] أي: أمرها. وقال القرظي: أمرها أن =

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝٤﴾ [الزلزلة: الآية ٤] قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا أَخْبَارُهَا؟**» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّ أَخْبَارَهَا أَنْ تَشْهَدَ عَلَى كُلِّ عَبْدٍ أَوْ أَمَةٍ بِمَا عَمِلَ عَلَى ظَهْرِهَا، تَقُولُ: عَمِلَ يَوْمَ كَذَا كَذَا وَكَذَا، فَهَذِهِ أَخْبَارُهَا**»[(١)].

## شهادة المال:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ رضي الله عنه: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَامَ عَلَى المِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنَّمَا أَخْشَى عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي مَا يُفْتَحُ عَلَيْكُمْ مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ**»، ثُمَّ ذَكَرَ زَهْرَةَ الدُّنْيَا، فَبَدَأَ بِإِحْدَاهُمَا، وَثَنَّى بِالأُخْرَى، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَوَيَأْتِي الخَيْرُ بِالشَّرِّ؟ فَسَكَتَ عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ، قُلْنَا: يُوحَى إِلَيْهِ، وَسَكَتَ النَّاسُ كَأَنَّ عَلَى رُءُوسِهِمُ الطَّيْرَ، ثُمَّ إِنَّهُ مَسَحَ عَنْ وَجْهِهِ الرُّحَضَاءَ، فَقَالَ: «**أَيْنَ**

---

= تنشق عنهم.
وقوله: ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ [الزلزلة: الآية ٦] أي: يرجعون عن مواقف الحساب، ﴿أَشْتَاتًا﴾ [النور: الآية ٦١] أي: أنواعًا وأصنافًا، ما بين شقي وسعيد، ومأمور به إلى الجنة، ومأمور به إلى النار.
**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٩٣٢):** ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ﴾ [الزلزلة: الآية ٤] الأرض ﴿أَخْبَارَهَا﴾ [الزلزلة: الآية ٤] أي: تشهد على العاملين بما عملوا على ظهرها من خير وشر، فإن الأرض من جملة الشهود الذين يشهدون على العباد بأعمالهم، ذلك ﴿بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝٥﴾ [الزلزلة: الآية ٥] أي: وأمرها أن تخبر بما عُمل عليها، فلا تعصى لأمره. ﴿يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ﴾ [الزلزلة: الآية ٦] من موقف القيامة، حين يقضي الله بينهم ﴿أَشْتَاتًا﴾ [النور: الآية ٦١] أي: فِرقًا متفاوتين. ﴿لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ﴾ [الزلزلة: الآية ٦] أي: ليريهم الله ما عملوا من الحسنات والسيئات، ويريهم جزاءه موفرًا.

(١) أخرجه الترمذي (٣٣٥٣)، وقال: «هذاحديث حسن صحيح غريب». وفي سنده يحيى بن أبي سليمان، قال البخاري: منكر الحديث. وقال أبو حاتم: مضطرب الحديث.

**السَّائِلُ آنِفًا، أَوَخَيْرٌ هُوَ – ثَلاَثًا – إِنَّ الخَيْرَ لاَ يَأْتِي إِلَّا بِالخَيْرِ، وَإِنَّهُ كُلَّمَا يُنْبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقْتُلُ حَبَطًا أَوْ يُلِمُّ إِلَّا آكِلَةَ الخَضِرِ، كُلَّمَا أَكَلَتْ حَتَّى إِذَا امْتَلأَتْ خَاصِرَتَاهَا، اسْتَقْبَلَتِ الشَّمْسَ، فَثَلَطَتْ وَبَالَتْ، ثُمَّ رَتَعَتْ، وَإِنَّ هَذَا المَالَ خَضِرَةٌ حُلْوَةٌ، وَنِعْمَ صَاحِبُ المُسْلِمِ لِمَنْ أَخَذَهُ بِحَقِّهِ، فَجَعَلَهُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَاليَتَامَى وَالمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَمَنْ لَمْ يَأْخُذْهُ بِحَقِّهِ فَهُوَ كَالآكِلِ الَّذِي لاَ يَشْبَعُ، وَيَكُونُ عَلَيْهِ شَهِيدًا يَوْمَ القِيَامَةِ»**[١].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: «**لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[٢].

### وشهدوا على أنفسهم يوم الحساب:

قال تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ أَنَّهُمۡ كَانُواْ كَٰفِرِينَ ١٣٠﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠][٣].

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٤٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٩)، والنسائي (٦٠٩).

(٣) **قال الطبري في «تفسيره» (١٢/ ١٢٣):** وهذا خبر من الله جل ثناؤه عن قول مشركي الجن والإنس عند تقريعه إياهم بقوله لهم: ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَقُصُّونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِي وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ﴾، أنهم يقولونه... ﴿شَهِدۡنَا عَلَىٰٓ أَنفُسِنَاۖ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠]، بأن رسلك قد أتتنا بآياتك، وأنذرتنا لقاء يومنا هذا، فكذبناها وجحدنا رسالتها، ولم نتبع آياتك ولم نؤمن بها.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٢٧٤):** ﴿وَغَرَّتۡهُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠] =

## شهادة الجن والانس وكل شيء للمؤذن:

عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي صَعْصَعَةَ الأَنْصَارِيِّ، عَنْ أَبِيهِ، أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ أَبَا سَعِيدٍ الخُدْرِيَّ قَالَ لَهُ: إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الغَنَمَ وَالبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ أَوْ بَادِيَتِكَ، فَأَذَّنْتَ بِالصَّلاَةِ فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: «**لاَ يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ المُؤَذِّنِ جِنٌّ وَلاَ إِنْسٌ وَلاَ شَيْءٌ، إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ القِيَامَةِ**»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[(١)].

## شهادة الحجر الاسود على من استلمه بحق:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لَيَبْعَثَنَّ اللَّهُ الْحَجَرَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُ عَيْنَانِ يُبْصِرُ بِهِمَا، وَلِسَانٌ يَنْطِقُ بِهِ، يَشْهَدُ بِهِ عَلَى مَنِ اسْتَلَمَهُ بِحَقٍّ**»[(٢)].

## الجزاء على الأعمال:

قال تعالى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ

---

= بزينتها وزخرفها، ونعيمها فاطمأنوا بها ورضوا، وألهتهم عن الآخرة، ﴿وَشَهِدُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُواْ كَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: الآية ١٣٠] فقامت عليهم حجة الله، وعلم حينئذٍ كل أحد حتى هم بأنفسهم عدل الله فيهم، فقال لهم حاكمًا عليهم بالعذاب الأليم: ﴿ٱدْخُلُواْ فِىٓ﴾ جملة ﴿فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ صنعوا كصنيعكم، واستمتعوا بخلاقهم كما استمتعتم، وخاضوا بالباطل كما خضتم، إنهم كانوا خاسرين، أي: الأولون من هؤلاء والآخرون، وأي خسران أعظم من خسران جنات النعيم، وحرمان جوار أكرم الأكرمين؟! ولكنهم وإن اشتركوا في الخسران، فإنهم يتفاوتون في مقداره تفاوتًا عظيمًا.

(١) أخرجه البخاري (٦٠٩)، والنسائي (٦٤٤)، وابن ماجه (٧٢٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٩٦١)، وأحمد في «المسند» (٢٦٤٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن. وهو كما قال.

خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾  [المؤمنون: ١٠٣- ١٠٤][(١)].

---

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٥):** يقول جل ثناؤه: ومن خفت موازين أعماله الصالحة، فلم تثقل بإقراره بتوحيد الله، والإيمان به وبرسوله، واتباع أمره ونهيه، فأولئك الذين غبنوا أنفسهم حظوظها من جزيل ثواب الله وكرامته.

﴿بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾، يقول: بما كانوا بحجج الله وأدلته يجحدون، فلا يقرون بصحتها، ولا يوقنون بحقيقتها، كالذي: (١٤٣٣٧) - حدثنا ابن وكيع قال، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن مجاهد: ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾، قال: حسناته.

**قلتُ:** وسنده ضعيف لضعف ابن وكيع. وقيل: فأولئك، ومن في لفظ الواحد، لأن معناه الجمع. ولو جاء موحدا كان صوابا فصيحا.

وقال ابن عطية في «تفسيره» (٢/ ٣٧٥): يسأل الأمم أجمع عما بلغ إليهم عنه وعن جميع أعمالهم ويسأل النبيين عما بلغوا.

قال القاضي أبو محمد: وقد نفي السؤال في آيات وذلك هو سؤال الاستفهام الحقيقي وقد أثبت في آيات كهذه الآية وهذا هو سؤال التقرير، فإن الله قد أحاط علما بكل ذلك قبل السؤال فأما الأنبياء والمؤمنون فيعقبهم جوابهم رحمة وكرامة، وأما الكفار ومن نفذ عليه الوعيد من العصاة فيعقبهم جوابهم عذابًا وتوبيخا، فمن أنكر منهم قص عليه بعلم، وقرأ ابن مسعود وابن عباس «فلنسألن الذين أرسلنا إليهم قبلك رسلنا ولنسألن المرسلين».

وقوله تعالى: ﴿فَلَنَقُصَّنَّ﴾ أي: فلنسردن عليهم أعمالهم قصة قصة، ﴿بِعِلۡمٍ﴾ أي: بحقيقة ويقين، قال ابن عباس: يوضع الكتاب يوم القيامة فيتكلم بما كانوا يعملون.

قال القاضي أبو محمد: يشبه أن يكون الكلام هنا استعارة إذ كل شيء فيه مقيد، ﴿وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ﴾ أي: ما كنا من لا يعلم جميع تصرفاتهم كالغائب عن الشيء الذي لا يعرف له حالا.

وقال أيضًا (٢/ ٣٧٧): المعنى من خفت كفة حسناته فشالت، و﴿خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ أي: بالهلاك والخلود في النار وتلك غاية الخسارة، وقوله: ﴿بِمَا كَانُوا۟﴾ أي: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= جزاء بذلك كما تقول أكرمتك بما أكرمتني، و«ما» في هذا الموضع مصدرية، و«الآيات» هنا البراهين والأوامر والنواهي و﴿يَظۡلِمُونَ﴾ أي: يضعونها في غير مواضعها بالكفر والتكذيب.

وقال أيضًا: (٤/ ١٥٦): جمع «الموازين» من حيث الموزون جمع وهي الأعمال ع ومعنى الوزن إقامة الحجة على الناس بالمحسوس على عادتهم وعرفهم، ووزن الكافر على أحد وجهين: إما أن يوضع كفره في كفة فلا يجد شيئًا يعادله في الكفة الأخرى، وإما أن توضع أعماله من صلة رحم ووجه بر في كفة الحسنات ثم يوضع كفره في الكفة الأخرى فتخف أعماله.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٤٩٧): أي: ثقلت سيئاته على حسناته،** ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ أي: خابوا وهلكوا، وباؤوا بالصفقة الخاسرة.

وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إسماعيل بن أبي الحارث، حدثنا داود بن المحبر، حدثنا صالح المري، عن ثابت البناني وجعفر بن زيد ومنصور بن زاذان، عن أنس بن مالك يرفعه قال: «إن لله ملكا موكلا بالميزان، فيؤتى بابن آدم، فيوقف بين كفتي الميزان، فإن ثقل ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق: سعد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدا، وإن خف ميزانه نادى ملك بصوت يسمع الخلائق: شقي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدا». إسناده ضعيف، فإن داود بن المحبر متروك. ولهذا قال: ﴿فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ أي: ماكثون، دائمون مقيمون لا يظعنون. ﴿تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾، كما قال تعالى: ﴿وَتَغۡشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾، وقال ﴿لَوۡ يَعۡلَمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ حِينَ لَا يَكُفُّونَ عَن وُجُوهِهِمُ ٱلنَّارَ وَلَا عَن ظُهُورِهِمۡ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٣٩﴾ [الأنبياء: الآية ٣٩].

والسعدي في «تفسيره» (ص٥٥٩): وفي القيامة مواضع، يشتد كربها، ويعظم وقعها، كالميزان الذي يميز به أعمال العبد، وينظر فيه بالعدل ما له وما عليه، وتبين فيه مثاقيل الذر، من الخير والشر، ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ لنجاتهم من النار، واستحقاقهم الجنة، وفوزهم بالثناء الجميل، ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ بأن رجحت سيئاته على حسناته، وأحاطت بها خطيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ كل خسارة، غير هذه الخسارة، فإنها - =

**الجزاء من جنس العمل:**

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**من أقال مسلمًا أقاله اللهُ عَثْرتَهُ**»(١).

**قال القاري في «مرقاة المفاتيح» (٥/ ١٩٤٦):** وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ أَقَالَ مُسْلِمًا** - أي: بَيْعَهُ - **أَقَالَ اللَّهُ عَثْرَتَهُ** - أي: غَفَرَ زَلَّتَهُ وَخَطِيئَتَهُ - **يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

**وقال العظيم آبادي في «عون المعبود» (٩/ ٢٩٧) قَالَ فِي إِنْجَاح الْحَاجَة:** صُورَةُ إِقَالَةِ الْبَيْعِ إِذَا اِشْتَرَى أَحَدٌ شَيْئًا مِنْ رَجُلٍ ثُمَّ نَدِمَ عَلَى اِشْتِرَائِهِ إِمَّا لِظُهُورِ الْغَبْنِ فِيهِ أَوْ لِزَوَالِ حَاجَتِهِ إِلَيْهِ أَوْ لِانْعِدَامِ الثَّمَنِ، فَرَدَّ الْمَبِيعِ عَلَى الْبَائِعِ وَقَبِلَ الْبَائِعُ رَدَّهُ، أَزَالَ اللَّهُ مَشَقَّتَه وَعَثْرَتَه يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ إِحْسَانٌ مِنْهُ عَلَى الْمُشْتَرِي، لِأَنَّ الْبَيْعَ كَانَ قَدْ بَتَّ فَلَا يَسْتَطِيعُ الْمُشْتَرِي فَسْخَهُ.

---

= بالنسبة إليها- سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة، لا يجبر مصابها، ولا يستدرك فائتها، خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية، قد خسر نفسه الشريفة، التي يتمكن بها من السعادة الأبدية ففوتها هذا النعيم المقيم، في جوار الرب الكريم.

**وقال الشنقيطي في «أضواء البيان» (٢/ ٩):** بَيَّن تعالى في هذه الآية الكريمة أن من ثقلت موازينهم أفلحوا، ومن خفت موازينهم خسروا بسبب ظلمهم. ولم يُفصِّل الفلاح والخسران هنا. وقد جاء في بعض المواضع ما يدل على أن المراد بالفلاح هنا كونه في عيشة راضية في الجنة، وأن المراد بالخسران هنا كونه في الهاوية من النار، وذلك في قوله: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٦ فَهُوَ فِى عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨ فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

وبَيَّن أيضًا خسران من خفت موازينه، بقوله: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ إلى غير ذلك من الآيات.

(١) أخرجه أبو داود (٣٤٦٠)، وأحمد في «المسند» (٧٤٣١)، وابن ماجه (٢١٩٩).

### اقتصاص المظالم بين الخلق:

في ذلك اليوم يُقتص للناس بعضهم من بعض، فالحساب شامل لظلم العبد نفسه وظلمه لغيره من الناس، وما أعظم خيبة الذي وقع في ظلم الناس لأن القصاص يومئذٍ لا يكون بالمال ولا السجن ولا غير ذلك، بل يكون بالحسنات والسيئات(١).

قال تعالى: ﴿۞ وَعَنَتِ ٱلْوُجُوهُ لِلْحَيِّ ٱلْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾﴾ [طه: الآية ١١١](٢).

---

(١) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٣٤٣).

(٢) **قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٧٨)**: وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: الآية ١١١] يقول تعالى ذكره: ولم يظفر بحاجته وطلبته مَن حَمل إلى موقف القيادة شركًا بالله، وكفرًا به، وعملًا بمعصيته.

وبنحو الذي قلنا في تأويل ذلك قال أهل التأويل. ذِكر من قال ذلك: حدثنا الحسن ابن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن قتادة، في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: الآية ١١١] قال: مَن حَمَل شركًا.

**قلتُ:** سنده صحيح: أخرجه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٧٨٠).

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٥/ ٣١٨)**: وقوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: الآية ١١١] أي: يوم القيامة، فإن الله سيؤدي كل حق إلى صاحبه، حتى يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء.

**وقال الشنقيطي في «تفسيره» (٤/ ١٠١)**: وقوله في هذه الآية: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: الآية ١١١] قال بعض العلماء: أي: خسر من حمل شركًا. وتدل لهذا القول الآيات القرآنية الدالة على تسمية الشرك ظلما. كقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: الآية ١٣]، وقوله: ﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥٤]، وقوله: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾ [يُونس: الآية ١٠٦]. =

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾(1) [الزمر: ٣٠، ٣١].

---

= فإن فعلت ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: الآية ٨٢] الآية إلى غير ذلك من الآيات.

والأظهر أن الظلم في قوله: ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾ [طه: الآية ١١١]، يعم الشرك وغيره من المعاصي. وخيبة كل ظالم بقدر ما حمل من الظلم. والعلم عند الله تعالى.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٢١/ ٢٨٧):** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: إنك يا محمد ميت عن قليل، وإن هؤلاء المكذّبيك من قومك والمؤمنين منهم ميتون ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٣١] يقول: ثم إن جميعكم المؤمنين والكافرين يوم القيامة عند ربكم تختصمون، فيأخذ للمظلوم منكم من الظالم، ويفصل بين جميعكم بالحقّ. واختلف أهل التأويل في تأويل ذلك: فقال بعضهم: عنى به اختصام المؤمنين والكافرين، واختصام المظلوم والظالم. وقال آخرون: بل عنى بذلك اختصام أهل الإسلام. وأَوْلى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: عنى بذلك: إنك يا محمد ستموت، وإنكم أيها الناس ستموتون، ثم إن جميعكم أيها الناس تختصمون عند ربكم، مؤمنكم وكافركم، ومحقوكم ومبطلوكم، وظالموكم ومظلوموكم، حتى يؤخذ لكلّ منكم ممن لصاحبه قِبله حق حقُّه. وإنما قلنا هذا القول أَوْلى بالصواب لأن الله عم بقوله: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٣١] خطاب جميع عباده، فلم يخصص بذلك منهم بعضًا دون بعض، فذلك على عمومه على ما عمه الله به، وقد تُنزل الآية في معنى، ثم يكون داخلًا في حكمها كلّ ما كان في معنى ما نزلت به.

**وقال الشوكاني (٤/ ٥٣٠):** أَيْ: تُخَاصِمُهُمْ يَا مُحَمَّدُ وَتَحْتَجُّ عَلَيْهِمْ بِأَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَهُمْ وَأَنْذَرْتَهُمْ وَهُمْ يُخَاصِمُونَكَ، أَوْ يُخَاصِمُ الْمُؤْمِنُ الْكَافِرَ، وَالظَّالِمُ الْمَظْلُومَ.

**وقال القرطبي (١٥/ ٢٥٤):** ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٣١] يَعْنِي تَخَاصُمَ الْكَافِرِ وَالْمُؤْمِنِ وَالظَّالِمِ وَالْمَظْلُومِ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وَفِي خَبَرٍ فِيهِ طُولٌ: إِنَّ الْخُصُومَةَ تَبْلُغُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلَى أَنْ يُحَاجَّ الرُّوحُ الْجَسَدَ.
وَقَالَ الزُّبَيْرُ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَيُكَرَّرُ عَلَيْنَا مَا كَانَ بَيْنَنَا فِي الدُّنْيَا مَعَ خَوَاصِّ الذُّنُوبِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، لَيُكَرَّرَنَّ عَلَيْكُمْ حَتَّى يُؤَدَّى إِلَى كُلِّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ**» فَقَالَ الزُّبَيْرُ: وَاللَّهِ إِنَّ الْأَمْرَ لَشَدِيدٌ.
وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَقَدْ عِشْنَا بُرْهَةً مِنْ دَهْرِنَا وَنَحْنُ نَرَى هَذِهِ الْآيَةَ نَزَلَتْ فِينَا وَفِي أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٣١] فَقُلْنَا: وَكَيْفَ نَخْتَصِمُ وَنَبِيُّنَا وَاحِدٌ وَدِينُنَا وَاحِدٌ، حَتَّى رَأَيْتُ بَعْضَنَا يَضْرِبُ وُجُوهَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ، فَعَرَفْتُ أَنَّهَا فِينَا نَزَلَتْ.
وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: كُنَّا نَقُولُ: رَبُّنَا وَاحِدٌ وَدِينُنَا وَاحِدٌ وَنَبِيُّنَا وَاحِدٌ، فَمَا هَذِهِ الْخُصُومَةُ؟! فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ وَشَدَّ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ، قُلْنَا: نَعَمْ، هُوَ هَذَا.
وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ النَّخَعِيُّ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ جَعَلَ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَقُولُونَ: مَا خُصُومَتُنَا بَيْنَنَا؟! فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ رضي الله عنه قَالُوا: هَذِهِ خُصُومَتُنَا بَيْنَنَا.
وَقِيلَ: تَخَاصُمُهُمْ هُوَ تَحَاكُمُهُمْ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَيَسْتَوْفِي مِنْ حَسَنَاتِ الظَّالِمِ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وَيَرُدُّهَا فِي حَسَنَاتِ مَنْ وَجَبَتْ لَهُ. وَهَذَا عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْمَظَالِمِ كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَنَ الْمُفْلِسُ؟**» قَالُوا: الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ. قَالَ: «**إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ وَصِيَامٍ وَزَكَاةٍ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا وَأَكَلَ مَالَ هَذَا وَسَفَكَ دَمَ هَذَا وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يَقْضِيَ مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ**» خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ. وَقَدْ مَضَى الْمَعْنَى مُجَوَّدًا فِي «آلِ عِمْرَانَ» وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلِمَةٌ لِأَحَدٍ من عِرْضِهِ أَوْ شَيْءٍ فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَّا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أُخِذَ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ أُخِذَ مِنْ سَيِّئَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِلَ عَلَيْهِ**» وَفِي الْحَدِيثِ الْمُسْنَدِ: «**أَوَّلُ مَا تَقَعُ الْخُصُومَاتُ فِي الدُّنْيَا**».
**وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٣/ ٤٠٥)**: وَتَأْكِيدُ جُمْلَةِ (إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) لِرَدِّ إِنْكَارِ الْمُشْرِكِينَ الْبَعْثَ. وَتَقْدِيمُ (عِنْدَ رَبِّكُمْ) عَلَى =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= (تَخْتَصِمُونَ) لِلِاهْتِمَامِ وَرِعَايَةِ الْفَاصِلَةِ. وَالِاخْتِصَامُ: كِنَايَةٌ عَنِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ، أي: يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا اخْتَصَمْتُمْ فِيهِ فِي الدُّنْيَا مِنْ إِثْبَاتِ الْمُشْرِكِينَ آلِهَةً وَإِبْطَالِكُمْ ذَلِكَ، فَهُوَ كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [النّحل: الآية ١٢٤].

وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الِاخْتِصَامُ أُطْلِقَ عَلَى حِكَايَةِ مَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ فِي الدُّنْيَا حِينَ تُعْرَضُ أَعْمَالُهُمْ، كَمَا يُقَالُ: هَذَا تَخَاصُمُ فُلَانٍ وَفُلَانٍ، فِي طَالِعِ مَحْضَرِ خُصُومَةٍ وَمُقَاوَلَةٍ بَيْنَهُمَا يُقْرَأُ بَيْنَ يَدَيِ الْقَاضِي.

وَيَجُوزُ أَنْ تُصَوَّرَ خُصُومَةُ بَيْنِ الْفَرِيقَيْنِ يَوْمَئِذٍ لِيَفْتَضِحَ الْمُبْطِلُونَ وَيَبْهَجَ أَهْلُ الْحَقِّ، عَلَى نَحْوِ مَا قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾ [ص: الآية ٦٤].

وَعَلَى الْوَجْهِ الْأَوَّلِ فَضَمِيرُ (إِنَّكُمْ) عَائِدٌ إِلَى مَجْمُوعِ مَا عَادَ إِلَيْهِ ضَمِيرُ (إِنَّكَ) و(إِنَّهُمْ).

وَعَلَى الْوَجْهَيْنِ الْأَخِيرَيْنِ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّمِيرُ كَمَا فِي الْوَجْهِ الْأَوَّلِ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَائِدًا إِلَى جَمِيعِ الْأُمَّةِ وَهُوَ اخْتِصَامُ الظُّلَامَاتِ، وَقَدْ وَرَدَ تَأْوِيلُ الضَّمِيرِ عَلَى هَذَا الْمَعْنَى فِيمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ قَالَ: «لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ قُلْنَا: كَيْفَ نَخْتَصِمُ وَنَحْنُ إِخْوَانٌ؟! فَلَمَّا قُتِلَ عُثْمَانُ وَضَرَبَ بَعْضُنَا وَجْهَ بَعْضٍ بِالسَّيْفِ قُلْنَا: هَذَا الْخِصَامُ الَّذِي وَعَدَنَا رَبُّنَا». وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ مِثْلَ مَقَالَةِ ابْنِ عُمَرَ وَلَكِنَّ أَبَا سَعِيدٍ قَالَ: «فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ صِفِّينَ وَشَدَّ بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ بِالسُّيُوفِ قُلْنَا: نَعَمْ هُوَ ذَا». وَسَوَاءٌ شَمِلَتِ الْآيَةُ هَذِهِ الْمَحَامِلَ وَهُوَ الْأَلْيَقُ، أَوْ لَمْ تَشْمَلْهَا فَالمَقْصُودُ الْأَصْلِيُّ مِنْهَا هُوَ تَخَاصُمُ أَهْلِ الْإِيمَانِ وَأَهْلِ الشِّرْكِ، ﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ﴾.

أَفَادَتِ الْفَاءُ تَفْرِيعَ مَا بَعْدَهَا عَلَى مَا قَبْلَهَا تَفْرِيعَ الْقَضَاءِ عَنِ الْخُصُومَةِ الَّتِي فِي قَوْلِهِ: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٣١] إِذْ قد عَلِمْتَ أَنَّ الِاخْتِصَامَ كُنِّيَ بِهِ عَنِ الْحُكْمِ بَيْنَهُمْ فِيمَا خَالَفُوا فِيهِ وَأَنْكَرُوهُ، وَالْمَعْنَى: يَقْضِي بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَكُونُ الْقَضَاءُ عَلَى مَنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ إِذْ هُوَ الَّذِي لَا أَظْلَمَ مِنْهُ، أي: فَيَكُونُ الْقَضَاءُ عَلَى الْمُشْرِكِينَ إِذْ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ بِنِسْبَةِ الشُّرَكَاءِ =

وقال رسول الله ﷺ: «**من كانت له مظلمة لأخيه من عرضه أو شيء فليتحلله منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، إن كان له عمل صالح أُخذ منه قدر مظلمته، وإن لم تكن له حسنات أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه**»[(١)].

وقال رسول الله ﷺ: «**أتدرون من المفلس؟**» قالوا: المفلس فينا من لا

---

= إِلَيْهِ وَالْبَنَاتِ، وَكَذَّبُوا بِالصِّدْقِ وَهُوَ الْقُرْآنُ، وَمَا صدق مِمَّنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ الْفَرِيقُ الَّذِينَ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ وَهُمُ الْمَعْنِيُّونَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٢٤]. وَقَدْ كُنِّيَ عَنْ كَوْنِهِمْ مَدِينِينَ بِتَحْقِيقِ أَنَّهُمْ أَظْلَمُ لِأَنَّ مِنَ الْعَدْلِ أَنْ لَا يُقَرَّ الظَّالِمُ عَلَى ظُلْمِهِ فَإِذَا وُصِفَ الْخَصْمُ بِأَنَّهُ ظَالِمٌ عُلِمَ أَنَّهُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى حِكَايَةً عَن دَاوُد: ﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ [ص: الآية ٢٤].
وَقَدْ عُدِلَ عَنْ صَوْغِ الْحُكْمِ عَلَيْهِمْ بِصِيغَةِ الْإِخْبَارِ إِلَى صَوْغِهِ فِي صُورَةِ الِاسْتِفْهَامِ لِلْإِيمَاءِ إِلَى أَنَّ السَّامِعَ لَا يَسَعُهُ إِلَّا الْجَوَابُ بِأَنَّهُمْ أَظْلَمُ.
فَالِاسْتِفْهَامُ مُسْتَعْمَلٌ مَجَازًا مُرْسَلًا أَوْ كِنَايَةً مُرَادٌ بِهِ أَنَّهُمْ أَظْلَمُ الظَّالِمِينَ وَأَنَّهُ لَا ظَالِمَ أَظْلَمُ مِنْهُمْ، فَآلَ مَعْنَاهُ إِلَى نَفْيِ أَنْ يَكُونَ فَرِيقٌ أَظْلَمَ مِنْهُمْ فَإِنَّهُمْ أَتَوْا أَصْنَافًا مِنَ الظُّلْمِ الْعَظِيمِ: ظُلْمِ الِاعْتِدَاءِ عَلَى حُرْمَةِ الرَّبِّ بِالْكَذِبِ فِي صِفَاتِهِ إِذْ زَعَمُوا أَنَّ لَهُ شُرَكَاءَ فِي الرُّبُوبِيَّةِ، وَالْكَذِبِ عَلَيْهِ بِادِّعَاءِ أَنَّهُ أَمَرَهُمْ بِمَا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْبَاطِلِ، وَظُلْمِ الرَّسُولِ ﷺ بِتَكْذِيبِهِ، وَظُلْمِ الْقُرْآنِ بِنِسْبَتِهِ إِلَى الْبَاطِلِ، وَظُلْمِ الْمُؤْمِنِينَ بِالْأَذَى، وَظُلْمِ حَقَائِقِ الْعَالَمِ بِقَلْبِهَا وَإِفْسَادِهَا، وَظُلْمِ أَنْفُسِهِمْ بِإِقْحَامِهَا فِي الْعَذَابِ الْخَالِدِ.
وَعُدِلَ عَنِ الْإِتْيَان بضميرهم إِلَى الْإِتْيَانِ بِالْمَوْصُولِ لِمَا فِي الصِّلَةِ مِنَ الْإِيمَاءِ إِلَى وَجْهِ كَوْنِهِمْ أَظْلَمَ النَّاسِ.
وَإِنَّمَا اقْتُصِرَ فِي التَّعْلِيلِ عَلَى أَنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبُوا بِالصِّدْقِ لِأَنَّ هَذَيْنِ الْكَذِبَيْنِ هُمَا جِمَاعُ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الظُّلْمِ الْمَذْكُورِ آنِفًا.
وَالصِّدْقُ: ضِدُّ الْكَذِبِ. وَالْمُرَادُ بِالصِّدْقِ الْقُرْآنُ الَّذِي جَاءَ بِهِ النَّبِيءُ ﷺ، وَمَجِيءُ الصِّدْقِ إِلَيْهِمْ: بُلُوغُهُ إِيَّاهُمْ، أي: سَمَاعُهُمْ إِيَّاهُ وَفَهْمُهُمْ، فَإِنَّهُ بِلِسَانِهِمْ وَجَاءَ بِأَفْصَحِ بَيَانٍ بِحَيْثُ لَا يُعْرِضُ عَنْهُ إِلَّا مُكَابِرٌ مُؤْثِرٌ حُظُوظَ الشَّهْوَةِ وَالْبَاطِلِ عَلَى حُظُوظِ الْإِنْصَافِ وَالنَّجَاةِ.

(١) رواه البخاري (٢٤٤٩).

درهم له ولا متاع. فقال: «**إن المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرحت عليه ثم طُرح في النار**»(١).

ومن كمال عدل الله تعالى في ذلك اليوم أنه يقتص للبهائم بعضها من بعض(٢).

عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: إذا كان يوم القيامة مُدت الأرض مد الأديم وحُشر الخلائق: الإنس والجن والدواب والوحوش، فإذا كان ذلك اليوم جعل القصاص بين الدواب حتى تقتص الشاة الجماء من القرناء بنطحها، فإذا فرغ الله من القصاص بين الدواب، قال لها: كوني ترابًا. فتكون ترابًا، فيراها الكافر فيقول: ﴿يَٰلَيۡتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبإ: الآية ٤٠](٣).

١- **عظم شأن الدماء:** من أعظم الأمور عند الله أن يسفك العباد بعضهم دم بعض في غير الطريق الذي شرعه الله تبارك وتعالى(٤).

قال رسول الله ﷺ: «**يجيء الرجل آخذًا بيد الرجل، فيقول: يا رب، هذا قتلني. فيقول: لمَ قتلتَه؟ فيقول: قتلته لتكون العزة لك. فيقول: فإنها لي. ويجيء الرجل آخذًا بيد الرجل فيقول: أي رب، إن هذا قتلني، فيقول الله: لمَ قتلتَه؟ فيقول: لتكون العزة لفلان. فيقول: إنها ليست لفلان. فيبوء بإثمه**»(٥).

---

(١) رواه مسلم (٢٣١٧).

(٢) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٣٤٣).

(٣) أخرجه الحاكم (٨٧١٦)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيحة» (٤/ ٦٠٧)

(٤) «اليوم الآخر القيامة الكبرى» للأشقر (ص٢٤٠).

(٥) أخرجه النسائي (٣٩٩٧)، وصححه الشيخ الألباني رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

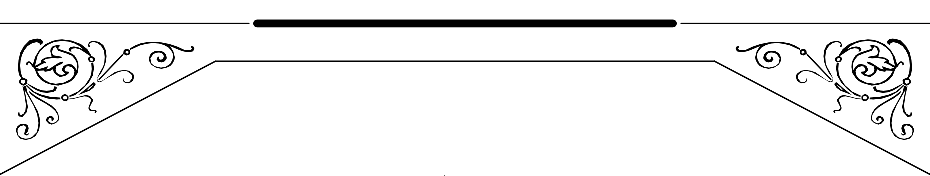
٢- وقال رسول الله ﷺ: «**يجيء المقتول بالقاتل يوم القيامة، ناصيته ورأسه بيده، وأوداجه تشخب دماء فيقول: يا رب، سل هذا فيم قتلني؟ حتى يدنيه من العرش**»[١].

٣- أول ما يقضى بين العباد في الدماء: ولعظم أمر الدماء فإنها تكون أول شيء يقضى فيه بين العباد، فقد قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يقضى بين الناس يوم القيامة في الدماء**»[٢].



(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (٢٦٨٣) من حديث ابن عباس.

(٢) رواه البخاري (١٤٦٠)، ومسلم (٣٠- ٩٩٠) من حديث أبي ذر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.



## باب ما جاء في الميزان

الميزان الذي أخبر الله تعالى عنه في كثير من آيات القرآن الكريم وأخبر عنه رسول الله ﷺ في الأحاديث الشريفة في أكثر من مناسبة، تنويهًا بعظم شأنه وخطورة أمره. وهو ميزان حقيقي، له لسان وكفتان توزن به أعمال العباد خيرها وشرها، وقد أخبر الله تعالى عنه في القرآن الكريم إخبارًا مجملًا من غير تفصيل لحقيقته، وجاءت السنة النبوية فبينته[1].

### أدلة وجوب إثبات الميزان:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيۡنَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فِي جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿١٠٣﴾ تَلۡفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمۡ فِيهَا كَٰلِحُونَ ﴿١٠٤﴾﴾ [المؤمنون: ١٠١ - ١٠٤].

وقال تعالى: ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٨﴾ وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظۡلِمُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٧].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٖ رَّاضِيَةٖ ﴿٢١﴾ وَأَمَّا مَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ [القارعة: ٦ - ٨].

---

(١) «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (٢/ ١٠٨٥).

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**إِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ، مَا يَتَبَيَّنُ فِيهَا، يَزِلُّ بِهَا فِي النَّارِ أَبْعَدَ مِمَّا بَيْنَ المَشْرِقِ**»[1].

وعَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قَالَ لِيَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ الْمَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ**»[2].

وعن أَبي هُرَيْرَةَ يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ يَقْبَلُ الصَّدَقَةَ وَيَأْخُذُهَا بِيَمِينِهِ فَيُرَبِّيهَا لِأَحَدِكُمْ كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ مُهْرَهُ، حَتَّى إِنَّ اللُّقْمَةَ لَتَصِيرُ مِثْلَ أُحُدٍ، وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ** ﷻ: ﴿هُوَ يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَأْخُذُ ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: الآية ١٠٤]، وَ﴿يَمْحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ وَيُرْبِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [البقرة: الآية ٢٧٦]»[3].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٤٧٧) (٦٤٧٨)، ومسلم (٢٩٨٨).

(٢) أخرجه مسلم (٢٦٢٦).

(٣) **إسناده صحيح**: أخرجه الترمذي (٦٦٢)، وقال: «هذا حديث حسن صحيح». وأحمد في «المسند» (٢/ ٢٦٨).

**قال الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٣١٢)**: وأن الله جل ثناؤه يزن أعمال خلقه الحسنات منها والسيئات، كما قال جل ثناؤه: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨]، موازين عمله الصالح ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨]، يقول: فأولئك هم الذين ظفروا بالنجاح، وأدركوا الفوز بالطلبات، والخلود والبقاء في الجنات؛ لتظاهر الأخبار عن رسول الله ﷺ بقوله: «**ما وُضِع في الميزان شيء أثقل من حسن الخُلُق**»، ونحو ذلك من الأخبار التي تحقق أن ذلك ميزانٌ يوزن به الأعمال، على ما وصفت.

فإن أنكر ذلك جاهل بتوجيه معنى خبر الله عن الميزان وخبر رسوله ﷺ عنه، وِجْهَته، وقال: أوَ بالله حاجة إلى وزن الأشياء، وهو العالم بمقدار كل شيء قبل خلقه إياه وبعده، وفي كل حال؟ أو قال: وكيف توزن الأعمال، والأعمال ليست بأجسام توصف بالثقل والخفة، وإنما توزن الأشياء ليعرف ثقلها من خفتها، وكثرتها من قلتها، وذلك لا يجوز إلا على الأشياء التي توصف بالثقل والخفة، والكثرة =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= والقلة؟

قيل له في قوله: (وما وجه وزن الله الأعمالَ، وهو العالم بمقاديرها قبل كونها؟): وزن ذلك نظيرُ إثباته إياه في أمِّ الكتاب واستنساخه ذلك في الكتب، من غير حاجة به إليه، ومن غير خوف من نسيانه، وهو العالم بكل ذلك في كل حال ووقت قبل كونه وبعد وجوده، بل ليكون ذلك حجة على خلقه، كما قال جل ثناؤه في تنزيله: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾ [الجاثية: ٢٨، ٢٩] الآية. فكذلك وزنه تعالى أعمال خلقه بالميزان، حجة عليهم ولهم، إما بالتقصير في طاعته والتضييع، وإما بالتكميل والتتميم.



**وقال الزجاج (٢/ ٣١٩):** اختلف الناس في ذكر الميزان في القيامة، وجاءَ في بعض التفسير أنه ميزان له كِفَّتَان، وأن الميزانَ أُنزل إلى الدنيا ليتعامل الناس بالعدل وتوزن به الأعمال، وقال بعضهم: الميزانُ: العدلُ. وذهب إلى قولك: (هذا في وزن هذا)، وإن لم يكن مما يوزنُ، وتأويله أنه قد قام في النفس مساويًا لغيره كما يقوم الوزن في مِرآةِ العَيْنِ. وقال بعضهم: الميزانُ الكتابُ الذي فيه أعمال الخلق. وهذا كله في باب اللغة - والاحتجاج سائغ، إلا أن الأَوْلَى مِنْ هذا أن يُتبَعَ مَا جَاءَ بالأسانيد الصحاح. فإن جاءَ في الخبر أنه ميزان له كِفَّتَان، من حيث يَنقُلُ أهلُ الثقة، فينبغي أن يُقْبَلَ ذَلِكَ. وقد رُوي عن جرير عن الضحاك أن الميزانَ الْعدْلُ. والله أعلم بحقيقة ذلك، إلا أن جملة أعمال الْعِبَادِ مَوْزُونَةٌ على غاية العَدْل والحَق.

**وقال البغوي في «تفسيره» (٢/ ١٨٠):** قوله تعالى: ﴿وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ﴾ [الأعراف: الآية ٨]، يعني: يوم السؤال. قال مجاهد: معناه: والقضاء يومئذٍ العدل. وقال الأكثرون: أراد به وزن الأعمال بالميزان، وذاك أن الله تعالى ينصب ميزانًا له لسان وكفتان، كل كفة بقدر ما بين المشرق والمغرب.

واختلفوا في كيفية الوزن:

فقال بعضهم: توزن صحائف الأعمال. وروينا: «أن رجلا يُنشر عليه تسعة وتسعون سجلًّا، كل سجل مد البصر، فيخرج له بطاقة فيها شهادة أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله، فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، فطاشت السجلات وثقلت البطاقة». وقيل: توزن الأشخاص. وروينا عن رسول الله ﷺ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= أنه قال: «ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة فلا يزن عند الله جناح بعوضة».
وقيل: توزن الأعمال، رُوي ذلك عن ابن عباس، فيؤتى بالأعمال الحسنة على صورة حسنة وبالأعمال السيئة على صورة قبيحة فتوضع في الميزان، والحكمة في وزن الأعمال امتحان الله عباده بالإيمان في الدنيا وإقامة الحجة عليهم في العقبى، فمن ثقلت موازينه، قال مجاهد: حسناته، فأولئك هم المفلحون. ومن خفت موازينه فأولئك الذين خسروا أنفسهم بما كانوا بآياتنا يظلمون. وقال أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين حضره الموت في وصيته لعمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إنما ثقلت موازين من ثقلت موازينه يوم القيامة باتباعهم الحق في الدنيا وثقله عليهم وحُق لميزان يوضع فيه الحق غدًا أن يكون ثقيلًا، وإنما خفت موازين من خفت موازينه يوم القيامة باتباعهم الباطل في الدنيا وخفته عليهم. وحُق لميزان يوضع فيه الباطل غدًا أن يكون خفيفًا.
فإن قيل: فقد قيل: (من ثقلت موازينه) ذكر بلفظ الجمع، والميزان واحد؟! قيل: يجوز أن يكون لفظه جمعًا ومعناه واحد كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ﴾، وقيل: لكل عبد ميزان، وقيل: الأصل ميزان واحد عظيم ولكل عبد فيه ميزان معلق به، وقيل: جمعه لأن الميزان يشتمل على الكفتين والشاهدين واللسان، ولا يتم الوزن إلا باجتماعهما.
**وقال السعدي (ص٥٥٩):** يخبر تعالى عن هول يوم القيامة وما في ذلك اليوم من المزعجات والمقلقات، وأنه إذا نُفخ في الصور نفخة البعث، فحُشر الناس أجمعون لميقات يوم معلوم - أنه يصيبهم من الهول ما ينسيهم أنسابهم التي هي أقوى الأسباب، فغير الأنساب من باب أَوْلى، وأنه لا يسأل أحد أحدًا عن حاله؛ لاشتغاله بنفسه، فلا يدري هل ينجو نجاة لا شقاوة بعدها؟ أو يشقى شقاوة لا سعادة بعدها؟ قال تعالى: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ ٱلْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ﴿٣٤﴾ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ﴿٣٥﴾ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ﴿٣٦﴾ لِكُلِّ ٱمْرِيٍٕ مِّنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ﴾. وفي القيامة مواضع، يشتد كربها، ويعظم وقعها، كالميزان الذي يميز به أعمال العبد، وينظر فيه بالعدل ما له وما عليه، وتبين فيه مثاقيل الذر من الخير والشر، ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨] بأن رجحت حسناته على سيئاته ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨] لنجاتهم من النار، واستحقاقهم الجنة، وفوزهم بالثناء الجميل، ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٩] بأن رجحت سيئاته =

## ما ورد في الميزان:

قال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ ۚ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩][1].

---

= على حسناته، وأحاطت بها خطيئاته ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ كل خسارة غير هذه الخسارة، فإنها -بالنسبة إليها- سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة، لا يجبر مصابها، ولا يستدرك فائتها، خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية، قد خسر نفسه الشريفة التي يتمكن بها من السعادة الأبدية ففوتها هذا النعيم المقيم في جوار الرب الكريم. ﴿فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾ لا يخرجون منها أبد الآبدين، وهذا الوعيد، إنما هو كما ذكرنا، لمن أحاطت خطيئاته بحسناته، ولا يكون ذلك إلا كافرًا، فعلى هذا، لا يحاسب محاسبة من توزن حسناته وسيئاته، فإنهم لا حسنات لهم، ولكن تُعد أعمالهم وتُحصى، فيوقفون عليها، ويقررون بها، ويجزون بها، وأما من معه أصل الإيمان، ولكن عظمت سيئاته فرجحت على حسناته، فإنه وإن دخل النار، لا يخلد فيها، كما دلت على ذلك نصوص الكتاب والسنة.

**وقال النووي (٦/ ٢٩٣):** أي: لا يتدبرها ويفكر في قبحها وما يترتب عليها؛ كالكلمة عند السلطان وغيره من الولاة، وكالكلمة بقذف. أو معناه وكالكلمة التي يترتب عليها إضرار مسلم ونحو ذلك. قال: وينبغي لمن أراد النطق أن يتدبره في نفسه قبل نطقه فإن ظهرت مصلحته تكلم وإلا أمسك.

**وقال القاضي عياض في «إكمال المعلم» (٣/ ٥٣٩):** وقوله: **«اتقوا النار ولو بشق تمرة»**: تحريض على الصدقة، وأنه لا يستحقر منها شيء وشق الشيء: نصفه.

(١) **قال القرطبي في «التذكرة» (ص٣٦٠):** الميزان حق ولا يكون في حق كل أحد، بدليل قوله ﷺ: «فيقال: يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه».

**وقال ابن كثير (٣/ ٣٨٩):** ﴿وَٱلْوَزْنُ﴾ أي: للأعمال يوم القيامة ﴿ٱلْحَقُّ﴾ أي: لا يظلم تعالى أحدًا، كما قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ۝٤٧﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النِّساء: الآية ٤٠].

فصل: والذي يوضع في الميزان يوم القيامة قيل: الأعمال وإن كانت أعراضًا، إلا أن الله تعالى يقلبها يوم القيامة أجسامًا. قال البغوي: يروى هذا عن ابن عباس كما جاء في الصحيح من أن «البقرة» و«آل عمران» يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان - أو: غيايتان - أو فِرقان من طير صواف. من ذلك في الصحيح قصة القرآن وأنه يأتي صاحبه في صورة شاب شاحب اللون، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا القرآن الذي أسهرتُ ليلك وأظمأتُ نهارك. وفي حديث البراء، في قصة سؤال القبر: «فيأتي المؤمنَ شاب حسن اللون طيب الريح، فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا عملك الصالح . . .» وذكر عكسه في شأن الكافر والمنافق.

وقيل: يوزن كتاب الأعمال، كما جاء في حديث البطاقة، في الرجل الذي يؤتى به ويوضع له في كفة تسعة وتسعون سجلًّا كل سجل مد البصر، ثم يؤتى بتلك البطاقة فيها: «لا إله إلا الله» فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقول الله تعالى: إنك لا تُظلم. فتوضع تلك البطاقة في كفة الميزان. قال رسول الله ﷺ: فطاشت السجلات، وثقلت البطاقة. رواه الترمذي بنحو من هذا وصححه.

وقيل: يوزن صاحب العمل، كما في الحديث: «**يؤتى يوم القيامة بالرجل السمين، فلا يزن عند الله جناح بعوضة**» **ثم قرأ:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]. وفي مناقب عبد الله بن مسعود أن رسول الله ﷺ قال: «**أتعجبون من دقة ساقيه؟! فوالذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من أُحد**».

وقد يمكن الجمع بين هذه الآثار بأن يكون ذلك كله صحيحًا، فتارة توزن الأعمال، وتارة توزن محالها، وتارة يوزن فاعلها. والله أعلم.

**وقال القاسمي (٥/ ٦):** ﴿وَٱلۡوَزۡنُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّۚ﴾ [الأعراف: الآية ٨] أي: وزن الأعمال والتمييز بين راجحها وخفيفها، يوم يسأل الله الأمم ورسلهم، العدل. ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨] أي: حسناته في الميزان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨] أي: الناجون من السخط والعذاب. ﴿وَمَنۡ خَفَّتۡ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٩] أي: حسناته في الميزان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: الآية ٩] بالعقوبة =

## الميزان له كِفتان:

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ العَاصِ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يُصَاحُ بِرَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ، فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مَدَّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ اللَّهُ ﷻ: هَلْ تُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَظَلَمَتْكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا. ثُمَّ يَقُولُ: أَلَكَ عُذْرٌ، أَلَكَ حَسَنَةٌ؟ فَيُهَابُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: لَا. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَاتٍ، وَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتُخْرَجُ لَهُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ. قَالَ: فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ، مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ**»(١).

وعنه أيضًا يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ**»، قَالَ: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**»(٢).

---

= ﴿بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ أي: يكفرون.

(١) **حديث صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، وابن ماجه (٤٣٠٠)، واللفظ له، وأحمد في «المسند» (٦٥٨٣).

(٢) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩)، واللفظ له وقال الترمذي: «هذا حديث حسن غريب» وابن ماجه (٤٣٠٠)، وأحمد في «المسند» (٦٥٨٣).

**قال القاري على «شرح البخاري» (٢٣/ ٢٦):** والميزان هوالذي يوزن به في القيامة أعمال العباد، وفي كيفيته أقوال، والأصح أنه جسم محسوس ذو لسان وكفتين، والله تعالى يجعل الأعمال كالأعيان موزونة، أويوزن صحف الأعمال.

**وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٨-ب/ ٣٠):** وَقَدِ اخْتَلَفَ السَّلَفُ فِي وُجُودِ مَخْلُوقٍ يُبَيِّنُ مِقْدَارَ الْجَزَاءِ مِنَ الْعَمَلِ يُسَمَّى بِالْمِيزَانِ تُوزَنُ فِيهِ الْأَعْمَالُ حَقِيقَةً:

فَأَثْبَتَ ذَلِكَ الْجُمْهُورُ وَنَفَاهُ جَمَاعَةٌ مِنْهُمُ الضَّحَّاكُ وَمُجَاهِدٌ وَالْأَعْمَشُ، وَقَالُوا: هُوَ الْقَضَاءُ السَّوِيُّ.

وَقَدْ تَبِعَ اخْتِلَافَهُمُ الْمُتَأَخِّرُونَ: فَذَهَبَ جُمْهُورُ الْأَشَاعِرَةِ وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ إِلَى تَفْسِيرِ الْجُمْهُورِ، وَذَهَبَ بَعْضُ الْأَشَاعِرَةِ الْمُتَأَخِّرِينَ وَجُمْهُورُ الْمُعْتَزِلَةِ إِلَى مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ مُجَاهِدٌ وَالضَّحَّاكُ وَالْأَعْمَشُ.

وَالْأَمْرُ هَيِّنٌ، وَالِاسْتِدْلَالُ لَيْسَ بِبَيِّنٍ وَالْمَقْصُودُ الْمَعْنَى وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ آلَتَهُ. وَالْإِخْبَارُ عَنِ الْوَزْنِ بِقَوْلِهِ: ﴿ٱلۡحَقُّۚ﴾ إِنْ كَانَ الْوَزْنُ مَجَازًا عَنْ تَعْيِينِ مَقَادِيرِ الْجَزَاءِ فَالْحَقُّ بِمَعْنَى الْعَدْلِ، أي: الْجَزَاءُ عَادِلٌ غَيْرُ جَائِرٍ، لِأَنَّهُ مِنْ أَنْوَاعِ الْقَضَاءِ وَالْحُكْمِ، وَإِنْ كَانَ الْوَزْنُ تَمْثِيلًا بِهَيْئَةِ الْمِيزَانِ، فَالْعَدْلُ بِمَعْنَى السَّوِيِّ، أي: وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ مُسَاوٍ لِلْأَعْمَالِ لَا يَرْجُحُ وَلَا يُجْحِفُ. وَعَلَى الْوَجْهَيْنِ فَالْإِخْبَارُ عَنْهُ بِالْمَصْدَرِ مُبَالَغَةٌ فِي كَوْنِهِ مُحِقًّا.

وَتَفَرَّعَ عَلَى كَوْنِهِ الْحَقَّ قَوْلُهُ: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨]، فَهُوَ تَفْصِيلٌ لِلْوَزْنِ بِبَيَانِ أَثَرِهِ عَلَى قَدْرِ الْمَوْزُونِ. وَمَحَلُّ التَّفْرِيعِ هُوَ قَوْلُهُ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨] وَقَوْلُهُ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: الآية ٩] إِذْ ذَلِكَ مُفَرَّعٌ عَلَى قَوْلِهِ: ﴿فَمَن ثَقُلَتۡ

مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨] وَقَولِهِ: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٩].

وَثِقَلُ الْمِيزَانِ فِي الْمَعْنَى الْحَقِيقِيِّ رُجْحَانُ الْمِيزَانِ بِالشَّيْءِ الْمَوْزُونِ، وَهُوَ هُنَا مُسْتَعَارٌ لِاعْتِبَارِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ غَالِبَةً وَوَافِرَةً، أي: مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ الصَّالِحَاتُ، وَإِنَّمَا لَمْ يَذْكُرْ مَا ثَقُلَتْ بِهِ الْمَوَازِينُ لِأَنَّهُ مَعْلُومٌ مِنِ اعْتِبَارِ الْوَزْنِ؛ لِأَنَّ مُتَعَارَفَ النَّاسِ أَنَّهُمْ يَزِنُونَ الْأَشْيَاءَ الْمَرْغُوبَ فِي شِرَائِهَا الْمُتَنَافَسَ فِي ضَبْطِ مَقَادِيرِهَا وَالَّتِي يَتَغَابَنُ النَّاسُ فِيهَا.

وَالثِّقَلُ مَعَ تِلْكَ الِاسْتِعَارَةِ هُوَ أَيْضًا تَرْشِيحٌ لِاسْتِعَارَةِ الْوَزْنِ لِلْجَزَاءِ، ثُمَّ الْخِفَّةُ مُسْتَعَارَةٌ لِعَدَمِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ أَخْذًا بِغَايَةِ الْخِفَّةِ عَلَى وِزَانِ عَكْسِ الثِّقَلِ، وَهِيَ أَيْضًا تَرْشِيحٌ ثَانٍ لِاسْتِعَارَةِ الْمِيزَانِ، وَالْمُرَادُ هُنَا الْخِفَّةُ الشَّدِيدَةُ وَهِيَ انْعِدَامُ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ لِقَوْلِهِ: بما كانُوا بِآياتِنا يَظْلِمُونَ. وَالْفَلَاحُ حُصُولُ الْخَيْرِ وَإِدْرَاكُ الْمَطْلُوبِ. وَالتَّعْرِيفُ فِي الْمُفْلِحُونَ لِلْجِنْسِ أَوِ الْعَهْدِ وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ فِي سُورَةِ الْبَقَرَةِ. ٥ وَمَا صدق (مَنْ) وَاحِدٌ لِقَوْلِهِ: ﴿مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨]، وَإِذْ قَدْ كَانَ هَذَا الْوَاحِدُ غَيْرَ مُعَيَّنٍ، بَلْ هُوَ كُلُّ مَنْ تَحَقَّقَ فِيهِ مَضْمُونُ جُمْلَةِ الشَّرْطِ، فَهُوَ عَامٌّ صَحَّ اعْتِبَارُهُ جَمَاعَةً فِي الْإِشَارَةِ وَالضَّمِيرَيْنِ مِنْ قَوْلِهِ: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨]. وَالْإِتْيَانُ بِالْإِشَارَةِ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى أَنَّهُمْ إِنَّمَا حَصَّلُوا الْفَلَاحَ لِأَجْلِ ثِقَلِ مَوَازِينِهِمْ، وَاخْتِيرَ اسْمُ إِشَارَةِ الْبُعْدِ تَنْبِيهًا عَلَى الْبُعْدِ الْمَعْنَوِيِّ الِاعْتِبَارِيِّ. وَضَمِيرُ الْفَصْلِ لِقَصْدِ الِانْحِصَارِ، أَيْ: هُمُ الَّذِينَ انْحَصَرَ فِيهِمْ تَحَقُّقُ الْمُفْلِحِينَ، أَيْ: إِنْ عَلِمْتَ جَمَاعَةً تُعْرَفُ بِالْمُفْلِحِينَ فَهُمْ هُمْ.

وَالْخُسْرَانُ حَقِيقَتُهُ ضِدُّ الرِّبْحِ، وَهُوَ عَدَمُ تَحْصِيلِ التَّاجِرِ عَلَى مَا يَسْتَفْضِلُهُ مِنْ بَيْعِهِ، وَيُسْتَعَارُ لِفُقْدَانِ نَفْعِ مَا يُرْجَى مِنْهُ النَّفْعُ، فَمَعْنَى (خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ) فَقَدُوا فَوَائِدَهَا، فَإِنَّ كُلَّ أَحَدٍ يَرْجُو مِنْ مَوَاهِبِهِ - وَهِيَ مَجْمُوعُ نَفْسِهِ - أَنْ

تَجْلِبَ لَهُ النَّفْعَ وَتَدْفَعَ عَنْهُ الضُّرَّ بِالرَّأْيِ السَّدِيدِ، وَابْتِكَارِ الْعَمَلِ الْمُفِيدِ. وَنُفُوسُ الْمُشْرِكِينَ قَدْ سَوَّلَتْ لَهُمْ أَعْمَالًا كَانَتْ سَبَبَ خِفَّةِ مَوَازِينِ أَعْمَالِهِمْ، أَيْ: سَبَبَ فَقْدِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ مِنْهُمْ، فَكَانَتْ نُفُوسُهُمْ كَرَأْسِ مَالِ التَّاجِرِ الَّذِي رَجَا مِنْهُ زِيَادَةَ الرِّزْقِ فَأَضَاعَهُ كُلَّهُ فَهُوَ خَاسِرٌ لَهُ، فَكَذَلِكَ هَؤُلَاءِ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ إِذْ أَوْقَعَتْهُمْ فِي الْعَذَابِ الْمُقِيمِ.

### ثقل الميزان وخفته:

قال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝١٠٢ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ۝١٠٣ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ ۝١٠٤﴾ [المؤمنون: ١٠٢ - ١٠٤][1].

(١) **قال الطبري (١٩/ ٧٣)**: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨] موازين حسناته، وخفت موازين سيئاته ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨] يعني: الخالدون في جنات النعيم ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٩] يقول: ومن خفَّت موازين حسناته فرجَحَت بها موازين سيئاته ﴿فَأُوْلَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: الآية ٩] يقول: غبنوا أنفسهم حظوظها من رحمة الله ﴿فِى جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٣] يقول: هم في نار جهنم. وقوله: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٤] يقول: تَسْفَع وُجوهَهم النارُ. كما حدثنا القاسم، قال: ثنا الحسين، قال: ثني حجاج، عن ابن جريج، قال: قال ابن عباس: ﴿تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٤] قال: تنفح ﴿وَهُمْ فِيهَا كَـٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون: الآية ١٠٤] والكلوح: أن تتقلص الشفتان عن الأسنان حتى تبدو الأسنان، كما قال الأعشى:

وَلَـهُ المُقْـدَمُ لا مِـثْـلَ لَـه ساعة الشِّدْق عَنِ النَّابِ كَلَحْ

فتأويل الكلام: يَسْفَع وجوههم لهبُ النار فتحرقها، وهم فيها متقلصو الشفاه عن الأسنان؛ من إحراق النار وجوههم.

**وقال ابن كثير (٨/ ٤٦٨)**: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ۝٨﴾ [القارعة: الآية ٨] أي: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= رجحت سيئاته على حسناته. وقوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القَارعَة: الآية ٩] قيل: معناه: فهو ساقط هاوٍ بأم رأسه في نار جهنم. وعَبَّر عنه بأمه -يعني دماغه- رُوي نحو هذا عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي صالح، وقتادة. قال قتادة: يهوي في النار على رأسه.

وكذا قال أبو صالح: يهوون في النار على رءوسهم. وقيل: معناه: ﴿فَأُمُّهُۥ﴾ [القَارعَة: الآية ٩] التي يرجع إليها، ويصير في المعاد إليها ﴿هَاوِيَةٌ﴾ [القَارعَة: الآية ٩] وهي اسم من أسماء النار. قال ابن جرير: وإنما قيل: للهاوية أمه لأنه لا مأوى له غيرها. وقال ابن زيد: الهاوية: النار، هي أمه ومأواه التي يرجع إليها ويأوي إليها، وقرأ: ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٥١]. قال ابن أبي حاتم: ورُوي عن قتادة أنه قال: هي النار، وهي مأواهم. ولهذا قال تعالى مفسرًا للهاوية: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةٌۢ﴾.

**وقال ابن عطية (٤/ ١٥٦):** جمع «الموازين» من حيث الموزون جمع وهي الأعمال، ومعنى الوزن إقامة الحجة على الناس المحسوس على عادتهم وعرفهم. ووزن الكافر على أحد وجهين: إما أن يوضع كفره في كفة فلا يجد شيئًا يعادله في الكفة الأخرى، وإما أن توضع أعماله من صلة رحم ووجه بر في كفة الحسنات، ثم يوضع كفره في الكفة الأخرى فتخف أعماله. و«لفح النار» إصابتها بالوهج والإحراق. وقرأ أبو حيوة «كلحون» بغير ألف والكلوح: انكشاف الشفتين عن الأسنان، وهذا يعتري الإنسان عند المباطشة مع الغضب، ويعتري الرؤوس عند النار، وقد شَبَّه عبد الله بن مسعود ما في هذه الآية مما يعتري رؤوس الكباش إذا شيطت بالنار فإنها تكلح، ومنه كلوح الكلب والأسد، ويستعار للزمن والخطوب.

**وقال السعدي (ص٥٥٩):** ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعرَاف: الآية ٩] بأن رجحت سيئاته على حسناته، وأحاطت بها خطيئاته ﴿فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعرَاف: الآية ٩] كل خسارة غير هذه الخسارة، فإنها -بالنسبة إليها- سهلة، ولكن هذه خسارة صعبة، لا يجبر مصابها، ولا يستدرك فائتها، خسارة أبدية، وشقاوة سرمدية، قد خسر نفسه الشريفة التي يتمكن بها من السعادة الأبدية ففوتها هذا النعيم المقيم في جوار الرب الكريم.

وقال تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: ٧، ٨] (١).

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ۝٦ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ۝٧ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ۝٩﴾ [القارعة: ٦ - ٩].

## أعمال العباد توزن يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۝١٠٣ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ

---

(١) **قال الطبري (٢٤/ ٥٤٩):** وقوله: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة: الآية ٧] يقول: فمن عمل في الدنيا وزن ذرة من خير، يرى ثوابه هنالك ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: الآية ٨] يقول: ومن كان عمل في الدنيا وزن ذرة من شر يرى جزاءه هنالك.

**وقال الزجاج (٥/ ٣٥٢):** ومعنى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة: الآية ٧]، تأويله أن اللَّه جلَّ وعزَّ قد أحصى أعمال العباد من خَيرٍ، وكل يرى عمله، فمن أَحَبَّ اللَّه أن يغفر له غَفَر له. ومن أحب أَنْ يُجَازِيَه جَازَاهُ. وقيل: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ في الدنيا. وكذلك شَرًّا يره في الدنيا. واللَّه أعلم.

**وقال البغوي (٨/ ٥٠٣):** قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ كَعْبٍ فِي هَذِهِ الْآيَةِ: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧﴾ [الزلزلة: الآية ٧]: مِنْ كَافِرٍ يَرَى ثَوَابَهُ فِي الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ، ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝٨﴾ [الزلزلة: الآية ٨] مِنْ مُؤْمِنٍ يَرَى عُقُوبَتَهُ فِي الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ وَأَهْلِهِ وَوَلَدِهِ، حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ الدُّنْيَا وَلَيْسَ لَهُ عِنْدَ اللَّهِ شَرٌّ.

**وقال السعدي (ص٩٣٢):** وهذا شامل عام للخير والشر كله؛ لأنه إذا رأى مثقال الذرة التي هي أحقر الأشياء وجوزي عليها، فما فوق ذلك من باب أَوْلى وأحرى، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا﴾ [آل عمران: الآية ٣٠] ﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]. وهذه الآية فيها غاية الترغيب في فعل الخير ولو قليلًا والترهيب من فعل الشر ولو حقيرًا.

يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٥][1].

---

(١) **وقال الطبري (١٨/ ١٢٩):** يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين وصفنا صفتهم، الأخسرون أعمالًا الذين كفروا بحُجج ربهم وأدلته، وأنكروا لقاءه ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الكهف: الآية ١٠٥] يقول: فبطلت أعمالهم، فلم يكن لها ثواب ينفع أصحابها في الآخرة، بل لهم منها عذاب وخزي طويل ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥] يقول تعالى ذكره: فلا نجعل لهم ثقلًا. وإنما عنى بذلك أنهم لا تثقل بهم موازينهم؛ لأن الموازين إنما تثقل بالأعمال الصالحة، وليس لهؤلاء شيء من الأعمال الصالحة فتثقل به موازينهم.

**وقال الخازن (٤/ ٣٣٦):** قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾﴾ [الكهف: الآية ١٠٣] يعني الذين أتعبوا أنفسهم في عمل يرجون به فضلًا ونوالًا فنالوا هلاكًا وبوارًا، قال ابن عباس: هم اليهود والنصارى. وقيل: هم الرهبان الذي حبسوا أنفسهم في الصوامع. وقال علي بن أبي طالب: هم أهل حروراء يعني الخوارج: ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ [الكهف: الآية ١٠٤] أي: بطل عملهم واجتهادهم ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ﴾ [الكهف: الآية ١٠٤] أي: يظنون ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٤] أي: عملًا. ثم وصفهم فقال تعالى: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ﴾ يعني أنهم جحدوا دلائل توحيده وقدرته، وكفروا بالبعث والثواب والعقاب، وذلك لأنهم كفروا بالنبي ﷺ وبالقرآن فصاروا كافرين بهذه الأشياء ﴿فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [الكهف: الآية ١٠٥] أي: بطلت ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]. قيل: لا تقيم لهم ميزانًا؛ لأن الميزان إنما يوضع لأهل الحسنات والسيئات من الموحدين ليتميزوا مقدار الطاعات ومقدار السيئات. قال أبو سعيد الخدري: « يأتي أناس بأعمال يوم القيامة هي عندهم من العظم كجبال تهامة، فإذا وزنوها لم تزن شيئًا فذلك قوله تعالى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥] وقيل: معناه: نزدري بهم فليس لهم عندنا حظ ولا قدر ولا وزن، عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين =**

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= **يوم القيامة لا يزن عند الله جناح بعوضة**» وقال: اقرؤوا إن شئتم ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾.

**وقال القرطبي (١١/ ٦٧)**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]، والْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا ثَوَابَ لَهُمْ، وَأَعْمَالُهُمْ مُقَابَلَةٌ بِالْعَذَابِ، فَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ تُوزَنُ فِي مَوَازِينِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ. وَقَالَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ: يؤتى بأعمال كَجِبَالِ تِهَامَةَ فَلَا تَزِنُ شَيْئًا. وَقِيلَ: يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدَ الْمَجَازَ وَالِاسْتِعَارَةَ، كَأَنَّهُ قَالَ: فَلَا قَدْرَ لَهُمْ عِنْدَنَا يَوْمئِذٍ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

**وقال ابن كثير (٥/ ٢٠٢)**: أي: لا نثقل موازينهم؛ لأنها خالية عن الخير.

قال البخاري: حدثنا محمد بن عبد الله، حدثنا سعيد بن أبي مريم، أخبرنا المغيرة، حدثني أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ أنه قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**» وقال: «**اقرؤوا إن شئتم**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]».

وعن يحيى بن بكير، عن مغيرة بن عبد الرحمن، عن أبي الزناد، مثله. هكذا ذكره عن يحيى بن بكير معلقًا. وقد رواه مسلم عن أبي بكر محمد بن إسحاق، عن يحيى ابن بكير، به، وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا أبو الوليد، حدثنا عبد الرحمن ابن أبي الزناد، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالرجل الأكول الشروب العظيم، فيوزن بحبة فلا يزنها**». قال: «**وقرأ**: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]» وكذا رواه ابن جرير، عن أبي كريب، عن أبي الصلت، عن أبي الزناد، عن صالح مولى التوأمة، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، مرفوعا فذكره بلفظ البخاري سواء.

وقال أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حدثنا العباس بن محمد، حدثنا عون بن عمارة، حدثنا هشام بن حسان، عن واصل، عن عبد الله بن بريدة، عن أبيه قال: كنا عند رسول الله ﷺ، فأقبل رجل من قريش يخطر في حُلة له. فلما قام على النبي ﷺ قال: «**يا بريدة، هذا ممن لا يقيم الله له يوم القيامة وزنًا**». ثم قال: تفرد به واصل مولى أبي عنبسة وعون بن عمارة وليس بالحافظ، ولم يتابع عليه.

وقد قال ابن جرير أيضًا: حدثنا محمد بن بشار، حدثنا عبد الرحمن، حدثنا =

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قال: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ العَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ القِيَامَةِ، لاَ يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**» وَقَالَ: «**اقْرَءُوا**، ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥]»(١).

وعَنْ سَلْمَانَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**يُوضَعُ الْمِيزَانُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَلَوْ وُزِنَ فِيهِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ لَوَسِعَتْ، فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: يَا رَبِّ لِمَنْ يَزِنُ هَذَا؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: لِمَنْ شِئْتُ مِنْ خَلْقِي. فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ. وَيُوضَعُ الصِّرَاطُ مِثْلَ حَدِّ الْمُوسَى فَتَقُولُ الْمَلَائِكَةُ: مَنْ تُجِيزُ عَلَى هَذَا؟ فَيَقُولُ: مَنْ شِئْتَ مِنْ خَلْقِي. فَيَقُولُ: سُبْحَانَكَ مَا عَبَدْنَاكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ**»(٢).

---

= سفيان، عن الأعمش، عن شمر عن أبي يحيى، عن كعب قال: يؤتى يوم القيامة برجل عظيم طويل، فلا يزن عند الله جناح بعوضة، اقرؤوا: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥].

(١) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

**قال النووي في «شرحه» على مسلم (١٧/ ١٢٩):** قَوْلُهُ ﷺ: «**لايزن عند الله جناح بعوضة**» أي: لا يعدله في القدر والمنزلة، أي: لاقدر له.

**وقال الملا في « شرح المشكاة» (٨/ ٣٥٢٠):** قال رسول الله ﷺ: «**ليأتي الرجل العظيم**» أي: جاهًا ومالًا، أو لحمًا وشحمًا؛ فيكون قوله: «السمين» عطف بيان له «يوم القيامة لا يزن» أي: لا يعدل ولا يسوي «عند الله جناح بعوضة» أي: لا يكون له عند الله قدر ومنزلة، تقول العرب: (ما لفلان عندنا وزن) أي: قدر؛ لخسته، ومنه حديث: «**لو كانت الدنيا تعدل عند الله جناح بعوضة لما سقى كافرًا منها شربة ماء**».

(٢) أخرجه الحاكم في «المستدرك» (٨٨٠١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ وَلَمْ يُخْرِجَاهُ. **قلتُ:** الراجح فيه والله أعلم أنه موقوف. وانظر: «الصحيحة» (٩٤١).

**قال أبو العون السفاريني في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٨٦): تَنْبِيهَاتٌ:**

**الْأَوَّلُ:** اخْتُلِفَ فِي الْمِيزَانِ هَلْ هُوَ وَاحِدٌ أَوْ أَكْثَرُ: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= فَالْأَشْهَرُ أَنَّهُ مِيزَانٌ وَاحِدٌ لِجَمِيعِ الْأُمَمِ، وَلِجَمِيعِ الْأَعْمَالِ، كِفَّتَاهُ كَأَطْبَاقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَمَا مَرَّ. وَقِيلَ: إِنَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ مِيزَانٌ. وقال الْحَسَنُ الْبَصْرِيُّ: لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنَ الْمُكَلَّفِينَ مِيزَانٌ.

قال بَعْضُهُمْ: الْأَظْهَرُ إِثْبَاتُ مَوَازِينَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا مِيزَانٍ وَاحِدٍ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨] قَالَ: وَعَلَى هَذَا فَلَا يَبْعُدُ أَنْ يَكُونَ لِأَفْعَالِ الْقُلُوبِ مِيزَانٌ، وَلِأَفْعَالِ الْجَوَارِحِ مِيزَانٌ، وَلِمَا يَتَعَلَّقُ بِالْقَوْلِ مِيزَانٌ.

أَوْرَدَ هَذَا ابْنُ عَطِيَّةَ، وَقَالَ: النَّاسُ عَلَى خِلَافِهِ، وَإِنَّمَا لِكُلِّ وَاحِدٍ وَزْنٌ مُخْتَصٌّ بِهِ، وَالْمِيزَانُ وَاحِدٌ.

وقال بَعْضُهُمْ: إِنَّمَا جَمَعَ الْمَوَازِينَ فِي الْآيَةِ لِكَثْرَةِ مَنْ تُوزَنُ أَعْمَالُهُمْ. وَهُوَ حَسَنٌ.

**الثَّانِي**: اخْتُلِفَ فِي الْمَوْزُونِ:

قِيلَ: يُوزَنُ الْعَبْدُ مَعَ عَمَلِهِ. وَقِيلَ: تُوزَنُ نَفْسُ الْأَعْمَالِ فَتُصَوَّرُ الْأَعْمَالُ الصَّالِحَةُ بِصُورَةٍ حَسَنَةٍ نُورَانِيَّةٍ ثُمَّ تُطْرَحُ فِي كِفَّةِ النُّورِ، وَهِيَ الْيُمْنَى الْمُعَدَّةُ لِلْحَسَنَاتِ، فَتَثْقُلُ بِفَضْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ، وَتُصَوَّرُ الْأَعْمَالُ السَّيِّئَةُ بِصُورَةٍ قَبِيحَةٍ ظُلْمَانِيَّةٍ ثُمَّ تُطْرَحُ فِي الْكِفَّةِ الْمُظْلِمَةِ، وَهِيَ الشِّمَالُ الْمُعَدَّةُ لِلسَّيِّئَاتِ، فَتُخَفَّفُ بِعَدْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ كَمَا جَاءَ بِهِ الْحَدِيثُ، فَامْتِنَاعُ قَلْبِ الْحَقَائِقِ فِي مَقَامِ خَرْقِ الْعَادَاتِ غَيْرُ مُلْتَفَتٍ إِلَيْهِ كَمَا لَا يَخْفَى.

وَقِيلَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَخْلُقُ أَجْسَامًا عَلَى عَدَدِ تِلْكَ الْأَعْمَالِ مِنْ غَيْرِ قَلْبٍ لَهَا.

وَالْحَقُّ مَا قَدَّمْنَاهُ؛ أَنَّ الْمَوْزُونَ صُحُفُ الْأَعْمَالِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ وَالْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُمَا، وَصَوَّبَهُ الشَّيْخُ مَرْعِيٌّ فِي بَهْجَتِهِ، وَذَهَبَ إِلَيْهِ جُمْهُورٌ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ، وَقَدْ سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمَّا يُوزَنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: «**الصُّحُفُ**» ذَكَرَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ وَغَيْرُهُ، وَحَكَاهُ ابْنُ عَطِيَّةَ عَنْ أَبِي الْمَعَالِي، وَيُؤَيِّدُ ذَلِكَ حَدِيثُ الْبِطَاقَةِ وَالسِّجِلَّاتِ، رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ، وَابْنُ مَاجَهْ، وَابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ، وَالْحَاكِمُ وَالْبَيْهَقِيُّ، وَقَالَ الْحَاكِمُ: عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ. عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رضي الله عنهما عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ يَسْتَخْلِصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْشَرُ لَهُ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ سِجِلًّا كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ الْبَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الْحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ أَوْ حَسَنَةٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ اللَّهُ:** =

### ذِكر الله يثقل الميزان:

عن أبي سلمى راعي رسول الله ﷺ، ولقيته بالكوفة في مسجدها، قال: سمعت رسول الله ﷺ، يقول: «**بخ بخ – وأشار بيده بخمس – ما أثقلهن في الميزان: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، والولد الصالح يُتوفى للمرء المسلم فيحتسبه**»(١).

= **بَلَى إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ الْيَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ الْبِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَيُقَالُ: فَإِنَّكَ لَا تُظْلَمُ. وَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالْبِطَاقَةُ فِي كِفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ الْبِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**».

قال الْعَلَّامَةُ الشَّيْخُ مَرْعِيٌّ فِي بَهْجَتِهِ: ثَبَتَ بِهَذَا الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ أَنَّ الْمَوْزُونَ صَحَائِفُ الْأَعْمَالِ.

فَإِنْ قِيلَ: قَدْ أَخْرَجَ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ**»، فَقَدْ صَرَّحَ بِأَنَّ الْمَوْزُونَ نَفْسُ بَدَنِ الْإِنْسَانِ.

فَالْجَوَابُ أَنَّ هَذَا ضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَثَلًا لِلَّذِي يَغْتَرُّ بِبَعْضِ الْأَجْسَامِ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنْ عَدَمِ اكْتِرَاثِ اللَّهِ بِالْأَجْسَادِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى الصُّوَرِ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ إِلَى الْأَعْمَالِ وَالْقُلُوبِ، فَكَمْ مِنْ جِسْمٍ وَسِيمٍ وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ أَصْحَابِ الْجَحِيمِ. فَهَذَا مَحْمِلُ الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه أحمد (٣/ ٤٤٣) (٤/ ٢٣٧)، وابن حبان (٣/ ١١٥).

**قال السندي:** قوله: «بخ بخ»، يقال عند المدح والرضا بالشيء، ويكرر للمبالغة، مبنية على السكون فإن وصلت جررت ونوّنت، وربما شددت. وقال: «يتوفى»، على بناء المفعول، والتقييد بالصالح لعظم المصيبة بموته، وفيه أن الأجر لا يتوقف على أن يموت صغيرًا.

### أثقل شيء في الميزان حسن الخلق:

عن أمِّ الدرداء عن أبي الدرداء، عن النبيِّ ﷺ، قال: «**ما مِنْ شيءٍ أثقلُ في الميزانِ مِن حُسنِ الخُلُقِ**»[١].

---

(١) أخرجه أبو داود (٤٧٩٩)، والترمذي (٢٠٠٣)، والبخاري في «الأدب» (٢٧١).

**قال القرطبي (٤/ ١٣٣٠):** «البر حسن الخلق» يعني: أن حسن الخلق أعظم خصال البر، كما قال: «الحج عرفة» ويعني بحسن الخلق: الإنصاف في المعاملة، والرفق في المجادلة، والعدل في الأحكام، والبذل والإحسان.

**وقال النووي في «شرح الأربعين النووية» (ص١٩):** «وخالق الناس بخلق حسن» معناه عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به واعلم «أن أثقل ما يوضع في الميزان الخلق الحسن».

**وقال ابن رجب في «حديث اختصام الملأ الأعلى» (١٢):** ومن هذا قول بعضهم وقد سُئل عن حسن الخلق، فقال: بذل الندى وكف الأذى. وهذا الوصف المذكور في القرآن أكمل من هذا؛ لأنه وصفهم ببذل الندى، واحتمال الأذى. وحسن الخلق يبلغ به العبد درجات المجتهدين في العبادة، كما قال النبي ﷺ: «**إن الرجل ليدرك بحسن خلقه درجة الصائم النهار، القائم الليل**». ورُؤي بعض السلف في المنام فسئل عن بعض إخوانه الصالحين، فقال: وأين ذلك؟! رُفع في الجنة بحُسن خلقه.

**وقال الغزالي في «فيض القدير» (٢/ ٤٤٦):** (إن حسن الخلق) بالضم (ليذيب الخطيئة) أي: يمحو أثرها ويقطع خبرها (كما تذيب الشمس) أي: حرارة ضوئها (الجليد)، وهو كما في الصحاح ندى يسقط من السماء فيجمد على الأرض. قال الزمخشري: ومن المجاز: «لك جامد هذا المال وذائبه» قال الغزالي: الخلق الحسن أفضل أعمال الصِّديقين وهو على التحقيق شطر الدين وهو ثمرة مجاهدة المتقين ورياضة المتعبدين. والأخلاق السيئة هي السموم القاتلة والهلكات الدامغة والمخازي الفاضحة والرذائل الواضحة».

### ما يملأ الميزان:

عن أبي مالك الأشعري قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأان – أو تملأ – ما بين السماوات والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك. أو عليك، كل الناس يغدو فبائع نفسه فمعتقها أو موبقها**»[١].

---

(١) أخرجه مسلم (٤٥٤)، والترمذي (٣٥١٧).

**قلتُ:** في سماع أبي سلام من أبي مالك كلام لأهل العلم. فانظر غير مأمور كتابي «الاسماع في إثبات السماع» ترجمة أبي سلام وبالله التوفيق.

**قال القاضي عياض في «شرح مسلم» (٢/ ٧):** وقوله: «والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملأان ما بين السماوات والأرض»: بيانُ أجر الحمد إذا أضيف إلى النسبيح وقُرن به على إفراثه؛ لأنه ملأ الميزان – أي من الأجر – فإذا قُرِن بالتسبيح كان أجره بقدر ملء ما بين السموات والأرض، وذهب بعضهم إلى أن ثناء العبودية على شيئين: المعرفة بالله، والافتقار إلى الله، فصفاء معرفة الله بتنزيهه، وكمال الافتقار إليه: أن ترى نفسك فى تصريفه كيف شاء، فغاية التنزيه سبحان الله، وفى الحمد لله الافتقار إلى الله، وأنه رأى أقواله وأفعاله بالله، ولم يرها من نفسه. وقد روينا هذا الحديث من غير هذا الطريق: «التسبيح نصف الميزان أو الحمدُ ملاؤه والتكبير يملأ ما بين السماء والأرض» ومعناه يرجع إلى ما ذكرناه.

**وقال النووي في «شرح مسلم» (٣/ ١٠١):** هَذَا حَدِيثٌ عَظِيمٌ وأَصْلٌ مِنْ أُصُولِ الْإِسْلَام، قَدِ اشْتَمَلَ عَلَى مُهِمَّاتٍ مِنْ قَوَاعِدِ الْإِسْلَامِ:

فَأَمَّا الطُّهُورُ فَالْمُرَادُ بِهِ الْفِعْلُ فَهُوَ مَضْمُومُ الطَّاءِ عَلَى الْمُخْتَارِ وَقَوْلِ الْأَكْثَرِينَ وَيَجُوزُ فَتْحُهَا كَمَا تَقَدَّمَ. وَأَصْلُ الشَّطْرِ النِّصْفُ.

وَاخْتُلِفَ فِي مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «**الطُّهُورُ شَطْرُ الْإِيمَانِ**» فَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْأَجْرَ فِيهِ يَنْتَهِي تَضْعِيفُهُ إِلَى نِصْفِ أَجْرِ الْإِيمَانِ وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِيمَانَ يَجُبُّ مَا قَبْلَهُ مِنَ الْخَطَايَا وَكَذَلِكَ الْوُضُوءُ لِأَنَّ الْوُضُوءَ لَا يَصِحُّ إِلَّا مَعَ الْإِيمَانِ، فَصَارَ لِتَوَقُّفِهِ عَلَى الْإِيمَانِ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= فِي مَعْنَى الشَّطْرِ وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْإِيمَانِ هُنَا الصَّلَاةُ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣] وَالطَّهَارَةُ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الصَّلَاةِ فَصَارَتْ كَالشَّطْرِ، وَلَيْسَ يَلْزَمُ فِي الشَّطْرِ أَنْ يَكُونَ نِصْفًا حَقِيقِيًّا. وَهَذَا الْقَوْلُ أَقْرَبُ الْأَقْوَالِ.

وَيَحْتَمِلُ أَنْ يكون مَعْنَاهُ أَنَّ الْإِيمَانَ تَصْدِيقٌ بِالْقَلْبِ وَانْقِيَادٌ بِالظَّاهِرِ وَهُمَا شَطْرَانِ لِلْإِيمَانِ، وَالطَّهَارَةُ مُتَضَمِّنَةٌ الصَّلَاةَ فَهِيَ انْقِيَادٌ فِي الظَّاهِرِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «**وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ**» فَمَعْنَاهُ عِظَمُ أَجْرِهَا وَأَنَّهُ يَمْلَأُ الْمِيزَانَ، وَقَدْ تَظَاهَرَتْ نُصُوصُ الْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ عَلَى وَزْنِ الْأَعْمَالِ وَثِقَلِ الْمَوَازِينِ وَخِفَّتِهَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: «**وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأانِ - أَوْ تَمْلَأُ - مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» فَضَبَطْنَاهُ بِالتَّاءِ الْمُثَنَّاةِ مِنْ فَوْقُ فِي «تَمْلَآنِ وَتَمْلَأُ» وَهُوَ صَحِيحٌ فَالْأَوَّلُ ضَمِيرُ مُؤَنَّثَتَيْنِ غَائِبَتَيْنِ وَالثَّانِي ضَمِيرُ هَذِهِ الْجُمْلَةِ مِنَ الْكَلَامِ.

قَالَ صَاحِبُ «التَّحْرِيرِ»: يَجُوزُ «تَمْلَآنِ» بِالتَّأْنِيثِ وَالتَّذْكِيرِ جَمِيعًا، فَالتَّأْنِيثُ عَلَى مَا ذَكَرْنَاهُ وَالتَّذْكِيرُ عَلَى إِرَادَةِ النَّوْعَيْنِ مِنَ الْكَلَامِ أَوِ الذِّكْرَيْنِ. قَالَ: وَأَمَّا «تَمْلَأُ» فَمُذَكَّرٌ عَلَى إِرَادَةِ الذِّكْرِ.

وَأَمَّا مَعْنَاهُ فَيَحْتَمِلُ أَنْ يُقَالَ: لَوْ قُدِّرَ ثَوَابُهُمَا جِسْمًا لَمَلَأَ مَا بَيْنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ. وَسَبَبُ عِظَمِ فَضْلِهِمَا مَا اشْتَمَلَتَا عَلَيْهِ مِنَ التَّنْزِيهِ لِلَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: «سُبْحَانَ اللَّهِ» وَالتَّفْوِيضِ وَالِافْتِقَارِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى.

**وقال ابن دقيق العيد في «شرح الأربعين النووية» (ص٢١):** أما الطهور فالمراد به هنا الفعل، وهو بضم الطاء على المختار، واختلف في معناه: فقيل: إن الأجر فيه ينتهي إلى نصف أجر الإيمان وقيل: المراد بالإيمان هنا الصلاة، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ [البَقَرَة: الآية ١٤٣] والطهارة شرط في صحة الصلاة فصارت كالشطر ولا يلزم في الشطر أن يكون نصفًا حقيقيًّا وقيل غير ذلك.

وأما قوله: «**والحمد لله تملأ الميزان**» فمعناه: أنها لعظم أجرها تملأ ميزان الحامد لله تعالى، وقد تظاهرت نصوص القرآن والسنة على وزن الأعمال وثقل الموازين وخفتها. وكذلك قوله: «**وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين السماء والأرض**» وسبب عظم فضلها ما اشتملت عليه من التنزيه لله تعالى والافتقار إليه.

وقوله: «**تملآن أو تملأ**» ضبطه بعضهم بالتاء المثناة فوق وهو صحيح، فالأول =

## كلمتان ثقيلتان في الميزان:

عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، قال: قال النبي ﷺ: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»(١).

---

= ضمير مثنى والثاني ضمير في هذه الجملة من الكلام. وقال بعضهم: يجوز «تملآن» بالتذكير والتأنيث، أما التأنيث فعلى ما تقدم وأما التذكير فعلى إرادة النوعين من الكلام وأما «تملأ» فيُذكّر على إرادة الذكر.

(١) أخرجه البخاري (٧٥٦٣)، ومسلم (٢٦٩٤).

**قال ابن حجر في «فتح الباري» (١/ ٤٧٣):** قوله «كلمتان» فيه ترغيب وتخفيف. وقوله: «حبيبتان» فيه حث على ذكرهما لمحبة الرحمن إياهما. وقوله: «خفيفتان» فيه حث بالنسبة إلى ما يتعلق بالعمل. وقوله «ثقيلتان» فيه إظهار ثوابهما.

وجاء الترتيب بهذا الحديث على أسلوب عظيم، وهو أن حب الرب سابق وذكر العبد وخفة الذكر على لسانه قال وبعد ذلك ثواب هاتين الكلمتين إلى يوم القيامة وهاتان الكلمتان معناهما جاء في ختام دعاء أهل الجنة لقوله تعالى: ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ انتهى كلام الشيخ ملخصًا ولقد أبدى فيه لطائف وعجائب جزاه الله خيرًا بمنه وكرمه.

**وقال علي الملا في «شرح مشكاة المصابيح» (٤/ ١٥٩٤):** قال رسول الله: «كلمتان» أي: جملتان مفيدتان «خفيفتان على اللسان»: أي: تجريان عليه بالسهولة «ثقيلتان في الميزان» أي: بالمثوبة. قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: الخفة مستعارة للسهولة، شبه سهولة جريان هذا الكلام بما يخف على الحامل من بعض الحمولات فلا يشق عليه، فذَكَر المشبه وأراد المشبه به، وأما الثقل فعلى حقيقته؛ لأن الأعمال تتجسم عند الميزان.اهـ. وقيل: توزن صحائف الأعمال، ويدل عليه حديث البطاقة والسجلات.

## مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ:

عن أَبَي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنِ احْتَبَسَ فَرَسًا فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِيمَانًا بِاللَّهِ وَتَصْدِيقًا بِوَعْدِهِ، فَإِنَّ شِبَعَهُ وَرِيَّهُ وَرَوْثَهُ وَبَوْلَهُ فِي مِيزَانِهِ يَوْمَ القِيَامَةِ**»(١).

## يوزن الناس بأعمالهم لا بأجسادهم:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيَأْتِي الرَّجُلُ الْعَظِيمُ السَّمِينُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، لَا يَزِنُ عِنْدَ اللهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» اقْرَءُوا:** «﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: الآية ٩]»(٢).

---

(١) أخرجه البخاري (٢٨٥٣)، والنسائي (٢٥٨٤).

**قال صاحب «مرقاة المفاتيح» (٦/ ٢٥٠١):** وقوله: «من احتبس فرسًا في سبيل الله»: أي: ربطه وحبسه على نفسه مما عسى أن يحدث من غزو أو غير ذلك، وقد يجيء بمعنى الوقف. قال التوربشتي: حبسته واحتبس أيضًا، بنفسه يتعدى ولا يتعدى، والمعنى أنه يحبسه على نفسه لسد ما عسى أن يحدث في ثغر من الثغور ثلمة. «إيمانًا بالله»: مفعول له؛ أي: ربطه خالصًا لله تعالى وامتثالًا لأمره «وتصديقًا بوعده»: عبارة عن الثواب على الاحتباس وتلخيصه أنه امتثالًا واحتسابًا، وذلك أن الله تعالى وعد الثواب على الاحتباس، فمن احتبس، فكأنه قال: صدقتك فيما وعدتني «فإن شبعه»: بكسر ففتح (وريه): بكسر فتشديد تحتية؛ أي: ما يشبعه ويرويه «وروثه وبوله في ميزانه يوم القيامة»: أي: في ميزان صاحبه ثواب هذه الأشياء يوم القيامة.

(٢) أخرجه البخاري (٤٧٢٩)، ومسلم (٢٧٨٥).

**وقال القرطبي (١١/ ٦٦):** والْمَعْنَى أَنَّهُمْ لَا ثَوَابَ لَهُمْ، وَأَعْمَالُهُمْ مُقَابَلَةٌ بِالْعَذَابِ، فَلَا حَسَنَةَ لَهُمْ تُوزَنُ فِي مَوَازِينِ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ لَا حَسَنَةَ لَهُ فَهُوَ فِي النَّارِ.

**وقال القاضي عياض في «شرحه» على مسلم (٨/ ٣١٥):** وقوله: «**لا يزن عند الله جناح بعوضة**»: أي لا يعدلها فى القدر والمنزلة، أي لا قدر له.

**وقال الصنعاني في «سبل السلام» (٢/ ٧١٨):** الْأَحَادِيثُ ظَاهِرَةٌ فِي أَنَّ أَعْمَالَ بَنِي =

وعن معاوية بن قرة، عن أبيه، أن عبد الله بن مسعود رقى في شجرة يجتني منها سواكًا، فوضع رجليه عليها، فضحك أصحاب النبي ﷺ من دقة

---

= آدَمَ تُوزَنُ وَأَنَّهُ عَامٌّ لِجَمِيعِهِمْ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: إنَّهُ يَخُصُّ الْمُؤْمِنَ الَّذِي لَا سَيِّئَةَ لَهُ وَلَهُ حَسَنَاتٌ كَثِيرَةٌ زَائِدَةٌ عَلَى مَحْضِ الْإِيمَانِ، فَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ السَّبْعِينَ الْأَلْفَ. وَيَخُصُّ مِنْهُ الْكَافِرَ الَّذِي لَا حَسَنَةَ لَهُ وَلَا ذَنْبَ لَهُ غَيْرَ الْكُفْرِ فَإِنَّهُ يَقَعُ فِي النَّارِ بِغَيْرِ حِسَابٍ وَلَا مِيزَانٍ، نَقَلَ الْقُرْطُبِيُّ عَنْ بَعْضِ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ قَالَ: الْكَافِرُ مُطْلَقًا لَا ثَوَابَ لَهُ وَلَا تُوضَعُ حَسَنَتُهُ فِي الْمِيزَانِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥] وَلِحَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ فِي الصَّحِيحِ: «الْكَافِرُ لَا يَزِنُ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بَعُوضَةٍ» (وَأُجِيبَ) بِأَنَّ هَذَا مَجَازٌ عَنْ حَقَارَةِ قَدْرِهِ وَلَا يَلْزَمُ مِنْهُ عَدَمُ الْوَزْنِ. وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْكَافِرَ تُوزَنُ أَعْمَالُهُ إِلَّا أَنَّهُ عَلَى وَجْهَيْنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ كُفْرَهُ يُوضَعُ فِي كِفَّةٍ وَلَا يَجِدُ حَسَنَةً يَضَعُهَا فِي الْأُخْرَى لِبُطْلَانِ الْحَسَنَاتِ مَعَ الْكُفْرِ فَتَطِيشُ الَّتِي لَا شَيْءَ فِيهَا. قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَهَذَا لِظَاهِرِ قَوْله تَعَالَى: ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُم﴾ [الأعراف: الآية ٩] فَإِنَّهُ وَصَفَ الْمِيزَانَ بِالْخِفَّةِ. وَالثَّانِي: أَنَّهُ قَدْ يَقَعُ مِنْهُ الْعِتْقُ وَالْبِرُّ وَالصِّلَةُ وَسَائِرُ أَنْوَاعِ الْخَيْرِ الْمَالِيَّةِ مِمَّا لَوْ فَعَلَهَا الْمُسْلِمُ لَكَانَتْ لَهُ حَسَنَاتٌ، فَمَنْ كَانَتْ لَهُ جُمِعَتْ وَوُضِعَتْ فِي الْمِيزَانِ غَيْرَ أَنَّ الْكُفْرَ إذَا قَابَلَهَا رَجَحَ بِهَا. وَيُحْتَمَلُ أَنَّ هَذِهِ الْأَعْمَالَ تُوَازِنُ مَا يَقَعُ مِنْهُ مِنْ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ كَظُلْمِ غَيْرِهِ وَأَخْذِ مَالِهِ وَقَطْعِ الطَّرِيقِ، فَإِنْ سَاوَتْهَا عُذِّبَ بِالْكُفْرِ وَإِنْ زَادَتْ عُذِّبَ بِمَا كَانَ زَائِدًا عَلَى الْكُفْرِ مِنْهُ، وَإِنْ زَادَتْ أَعْمَالُ الْخَيْرِ مَعَهُ طَاحَ عِقَابُ سَائِرِ الْمَعَاصِي وَبَقِيَ عِقَابُ الْكُفْرِ كَمَا جَاءَ فِي حَدِيثِ أَبِي طَالِبٍ أَنَّهُ فِي ضَحْضَاحٍ مِنْ نَارٍ.

اللَّهُمَّ ثَقِّلْ مَوَازِينَ حَسَنَاتِنَا إذَا وُزِنَتْ، وَخَفِّفْ مَوَازِينَ سَيِّئَاتِنَا إذَا فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ وُضِعَتْ، وَاجْعَلْ سِجِلَّاتِ ذُنُوبِنَا عِنْدَ بِطَاقَةِ تَوْحِيدِنَا طَائِشَةً مِنْ كِفَّةِ الْمِيزَانِ، وَوَفِّقْنَا بِجَعْلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ عِنْدَ الْمَمَاتِ آخِرَ مَا يَنْطِقُ بِهِ اللِّسَانُ.

**وقال ابن عثيمين في «شرح لمعة الاعتقاد» (ص٤٢):** وَجمع بعض العلماء بين هذه النصوص بأن الجميع يوزن، أو أن الوزن حقيقة للصحائف، وحيث إنها تثقل وتخف بحسب الأعمال المكتوبة صار الوزن كأنه للأعمال، وأما وزن صاحب العمل فالمراد به قدره وحرمته. وهذا جمع حسن والله أعلم.

ساقيه، فقال رسول الله ﷺ: «**لهما أثقل في الميزان من أُحُد**»[١].

### الفائزون بالجنة الناجون من العذاب:

قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ ﴿١٠١﴾ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١، ١٠٢][٢].

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا مَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٢١﴾﴾ [القارعة: ٦، ٧].

### لا يقام لهم يوم القيامة وزن:

قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ﴿١٠٤﴾﴾ [الكهف: ١٠٣، ١٠٤][٣].

---

(١) **إسناده صحيح:** أخرجه البزار (٣٣٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٥٣٨٥) (٣/ ٣٥٨).

(٢) **قال يحيى بن سلام (١/ ٤١٦):** قوله: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨]: السعداء، وهم أهل الجنة.

**وقال ابن كثير (٨/ ٤٦٨):** ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾﴾ [القارعة: الآية ٨] أي: رجحت سيئاته على حسناته. وقوله: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾﴾ [القارعة: الآية ٩] قيل: معناه: فهو ساقط هاوٍ بأم رأسه في نار جهنم. وعبر عنه بأمه -يعني دماغه- رُوي نحو هذا عن ابن عباس.

**وقال القاسمي (٥/ ٦):** ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ﴾ [الأعراف: الآية ٨] أي: حسناته في الميزان ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٨] أي: الناجون من السخط والعذاب.

(٣) **قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٢٥):** يقول تعالى ذكره لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ﴾ يا محمد لهؤلاء الذين يبغون عنتك ويجادلونك بالباطل، ويحاورونك بالمسائل من أهل الكتابين: اليهود، والنصارى ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُم﴾ [الكهف: الآية ١٠٣] أيها القوم ﴿بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٣] يعني بالذين أتعبوا أنفسهم في عمل يبتغون به ربحًا =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= وفضلًا فنالوا به عَطَبًا وهلاكًا ولم يدركوا طلبًا، كالمشتري سلعة يرجو بها فضلًا وربحًا، فخاب رجاؤه وخسر بيعه، ووكس في الذي رجا فضله.

واختلف أهل التأويل في الذين عُنوا بذلك: فقال بعضهم: عُنِي به الرهبان والقسوس... وقال آخرون: بل هم جميع أهل الكتابين... وقال آخرون: بل هم الخوارج. والصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله ﷻ عنى بقوله ﴿هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٣] كلّ عامل عملًا يحسبه فيه مصيبًا، وأنه لله بفعله ذلك مطيع مُرْضٍ، وهو بفعله ذلك لله مسخط، وعن طريق أهل الإيمان به جائر كالرهابنة والشمامسة وأمثالهم من أهل الاجتهاد في ضلالتهم، وهم مع ذلك من فعلهم واجتهادهم بالله كفرة، من أهل أي دين كانوا.

وقد اختلف أهل العربية في وجه نصب قوله: ﴿أَعْمَالًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٣]: فكان بعض نحويي البصرة يقول: نُصب ذلك لأنه لما أدخل الألف واللام والنون في «الأخسرين» لم يوصل إلى الإضافة، وكانت الأعمال من الأخسرين فلذلك نصب.

وقال غيره: هذا باب الأفعل والفُعْلَى، مثل الأفضل والفُضْلَى، والأخسر والخُسْرَى، ولا تدخل فيه الواو، ولا يكون فيه مفسر؛ لأنه قد انفصل بمن هو كقوله الأفضل والفُضْلَى، وإذا جاء معه مفسر كان للأوّل والآخر، وقال: ألا ترى أنك تقول: (مررت برجل حَسَن وجهًا)، فيكون الحسن للرجل والوجه، وكذلك كبير عقلًا وما أشبهه. قال: وإنما جاز في «الأخسرين»، لأنه ردّه إلى الأفْعَل والأفْعَلة. قال: وسمعت العرب تقول: الأوّلات دخولًا والآخِرات خروجًا. فصار للأوّل والثاني كسائر الباب. قال: وعلى هذا يقاس.

وقوله: ﴿الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [الكهف: الآية ١٠٤] يقول: هم الذين لم يكن عملهم الذي عملوه في حياتهم الدنيا على هدى واستقامة، بل كان على جور وضلالة، وذلك أنهم عملوا بغير ما أمرهم الله به بل على كفر منهم به، ﴿وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾: يقول: وهم يظنون أنهم بفعلهم ذلك لله مطيعون، وفيما ندب عباده إليه مجتهدون.

وهذا من أدَل الدلائل على خطأ قول من زعم أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يقصد إلى الكفر بعد العلم بوحدانيته، وذلك أن الله تعالى ذكره أخبر عن هؤلاء =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= الذين وصف صفتهم في هذه الآية أن سعيهم الذي سعوا في الدنيا ذهب ضلالًا، وقد كانوا يحسبون أنهم محسنون في صنعهم ذلك، وأخبر عنهم أنهم هم الذين كفروا بآيات ربهم.

ولو كان القول كما قال الذين زعموا أنه لا يكفر بالله أحد إلا من حيث يعلم، لوجب أن يكون هؤلاء القوم في عملهم الذي أخبر الله عنهم أنهم كانوا يحسبون فيه أنهم يحسنون صنعه، كانوا مثابين مأجورين عليها، ولكن القول بخلاف ما قالوا، فأخبر جل ثناؤه عنهم أنهم بالله كفرة، وأن أعمالهم حابطة.

وعنى بقوله: ﴿أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٤] عملًا. والصُّنع والصَّنعة والصنيع واحد، يقال: فرس صنيع، بمعنى مصنوع.

**وقال الشنقيطي (٣/ ٣٤٩):** وقوله: ﴿ضَلَّ سَعْيُهُمْ﴾ [الكهف: الآية ١٠٤]، أي: بطل عملهم وحبط، فصار كالهباء وكالسراب وكالرماد! كما في قوله تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَـٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا﴾.

**وقال السعدي (ص٤٨٨):** أي: قل يا محمد للناس -على وجه التحذير والإنذار: هل أخبركم بأخسر الناس أعمالًا على الإطلاق؟ ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [الكهف: الآية ١٠٤] أي: بطل واضمحل كل ما عملوه من عمل، يحسبون أنهم محسنون في صنعه، فكيف بأعمالهم التي يعلمون أنها باطلة، وأنها محادة لله ورسله ومعاداة؟ فمن هم هؤلاء الذين خسرت أعمالهم، ف«فخسروا أنفسهم وأهليهم يوم القيامة؟ ألا ذلك هو الخسران المبين» «أولئك الذين كفروا بآيات ربهم ولقائه» أي: جحدوا الآيات القرآنية والآيات العِيانية، الدالة على وجوب الإيمان به، وملائكته، ورسله، وكتبه، واليوم الآخر. ﴿فَحَبِطَتْ﴾ [الكهف: الآية ١٠٥] بسبب ذلك ﴿أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥] لأن الوزن فائدته مقابلة الحسنات بالسيئات، والنظر في الراجح منها والمرجوح، وهؤلاء لا حسنات لهم لعدم شرطها وهو الإيمان، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: الآية ١١٢] لكن تُعد أعمالهم وتُحصى، ويقررون بها، ويخزون بها على رءوس الأشهاد، ثم يعذبون عليها؛ ولهذا قال: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم﴾ [الإسراء: الآية ٩٨] أي: حبوط أعمالهم، وأنه لا يقام لهم يوم القيامة وزن لحقارتهم وخستهم، بكفرهم بآيات الله، =

## القضاء العادل يوم القيامة:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧][1].

---

= واتخاذهم آياته ورسله، هزوًا يستهزئون بها، ويسخرون، منها، مع أن الواجب في آيات الله ورسله الإيمان التام بها، والتعظيم لها، والقيام بها أتم القيام، وهؤلاء عكسوا القضية، فانعكس أمرهم، وتعسوا، وانتكسوا في العذاب.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥١):** وقوله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] يقول: فلا يظلم الله نفسًا ممن ورد عليه منهم شيئًا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئًا إلا بإساءته.

**وقال ابن كثير (٥/ ٣٤٥):** وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] أي: ونضع الموازين العدل ليوم القيامة. الأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جُمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه.

**وقال القاسمي (٧/ ١٩٨):** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] بيان لما سيقع عند إتيان ما أُنذروه. أي: نقيم الموازين العادلة الحقيقية التي توزن بها صحائف الأعمال. وقيل: وضع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السويّ والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة، من غير أن يظلم مثقال ذرة. وإنما وُصفت الموازين بالقسط وهو مفرد؛ لأنه مصدر وُصف به للمبالغة، كأنها في نفسها قسط. أو على حذف المضاف؛ أي: ذوات القسط. وقيل: إنه مفعول له.

واللام في ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] للتعليل أو بمعنى (في) أي: لجزاء يوم القيامة أو لأهله أو فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] أي: من حقوقها. أي: شيئًا ما من الظلم. بل يوفى كل ذي حق حقه وَإِنْ كانَ العمل أو الظلم ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] أي: أحضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال =

وقال تعالى: ﴿وَٱلْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٨ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُم بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَظْلِمُونَ﴾ [الأعراف: ٨، ٩].

وعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرِو بْنِ العَاصِ، يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ سَيُخَلِّصُ رَجُلًا مِنْ أُمَّتِي عَلَى رُءُوسِ الخَلَائِقِ يَوْمَ القِيَامَةِ فَيَنْشُرُ عَلَيْهِ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ سِجِلًّا، كُلُّ سِجِلٍّ مِثْلُ مَدِّ البَصَرِ، ثُمَّ يَقُولُ: أَتُنْكِرُ مِنْ هَذَا شَيْئًا؟ أَظَلَمَكَ كَتَبَتِي الحَافِظُونَ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ. فَيَقُولُ: أَفَلَكَ عُذْرٌ؟ فَيَقُولُ: لَا يَا رَبِّ.**

**فَيَقُولُ: بَلَى، إِنَّ لَكَ عِنْدَنَا حَسَنَةً، فَإِنَّهُ لَا ظُلْمَ عَلَيْكَ اليَوْمَ. فَتَخْرُجُ بِطَاقَةٌ فِيهَا: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، فَيَقُولُ: احْضُرْ وَزْنَكَ. فَيَقُولُ: يَا رَبِّ مَا هَذِهِ البِطَاقَةُ مَعَ هَذِهِ السِّجِلَّاتِ؟! فَقَالَ: إِنَّكَ لَا تُظْلَمُ**».

قَالَ: «**فَتُوضَعُ السِّجِلَّاتُ فِي كَفَّةٍ وَالبِطَاقَةُ فِي كَفَّةٍ، فَطَاشَتِ السِّجِلَّاتُ وَثَقُلَتِ البِطَاقَةُ، فَلَا يَثْقُلُ مَعَ اسْمِ اللَّهِ شَيْءٌ**»[(١)].

---

= حبة الخردل. للوزن. وأنث لإضافته إلى الحبة ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ أي: وحَسْب مَن شَهِد ذلك الموقف بنا حاسبين. لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف في الدنيا من صالح أو سيء - منا.

**وقال البغوي (٥/ ٣٢١):** ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] أي: ذَوَاتِ الْقِسْطِ، وَالْقِسْطُ: الْعَدْلُ، ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] لَا يُنْقَصُ مِنْ ثَوَابِ حَسَنَاتِهِ وَلَا يُزَادُ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، وَفِي الْأَخْبَارِ: إِنَّ الْمِيزَانَ لَهُ لِسَانٌ وَكِفَّتَانِ، رُوِيَ أَنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ الْمِيزَانَ، فَأَرَاهُ كُلَّ كِفَّةٍ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، فَغُشِيَ عَلَيْهِ، ثُمَّ أَفَاقَ فَقَالَ: يَا إِلَهِي مَنِ الَّذِي يَقْدِرُ أَنْ يَمْلَأَ كِفَّتَهُ حَسَنَاتٍ؟ فَقَالَ: يَا دَاوُدُ إِنِّي إِذَا رَضِيتُ عَلَى عَبْدِي مَلَأْتُهَا بِتَمْرَةٍ.

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٣٩).

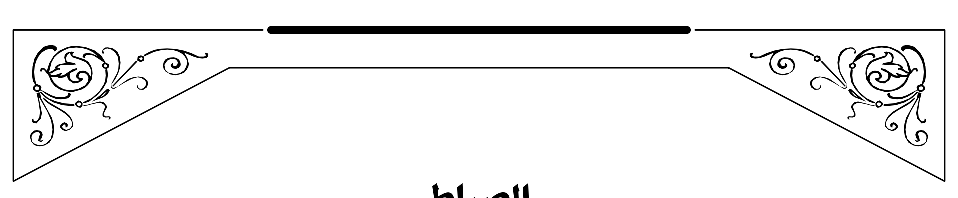
### شفاعته ﷺ عند الميزان:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ**». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المَوَاطِنَ**»(١).

---

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه».

**قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «شرح مشكاة المصابيح» (٨/ ٣٥٦٥):** أي: في أي موطن من المواطن التي أحتاج إلى شفاعتك أطلبك لتخلصني من تلك الورطة؟ فأجاب: على الصراط، وعند الميزان والحوض. أي: أفقر الأوقات إلى شفاعتي هذه المواطن، فإن قلت: كيف التوفيق بين هذا الحديث، وحديث عائشة في الفصل الثاني من باب الحساب: فهل تذكرون أهليكم يوم القيامة؟ فقال ﷺ: «أما في ثلاثة مواطن فلا يذكر أحد أحدًا» قلت: جوابه لعائشة بذلك لئلا تتكل على كونها حرم رسول الله ﷺ وجوابه لأنس كيلا ييأس. أقول: فيه أنه خادم رسول الله ﷺ فهو محل الاتكال أيضًا، مع أن اليأس غير ملائم لها أيضًا، فالأَوْجه أن يقال: إن الحديث الأول محمول على الغائبين، فلا أحد يذكر أحدًا من أهله الغُيب، والحديث الثاني محمول على من حضره من أمته، فيئول بأن ما بين عدم التذكر وبين وجود الشفاعة عند التحضر، كما يدل عليه قوله: فأين أطلبك؟ قال: «اطلبني أول ما تطلبني» أي: في أول طلبك إياي «على الصراط»: فـ«ما» مصدرية، و«أول» نصب على الظرفية. قال الطيبي رَحِمَهُ اللَّهُ: نصبه على المصدرية (قلت: فإن لم ألقك على الصراط؟ قال: «فاطلبني عند الميزان»: فيه إيذان بأن الميزان بعد الصراط، (قلت: فإن لم ألقك عند الميزان؟ قال: «فاطلبني عند الحوض، فإني لا أخطئ»: بضم همز وكسر الطاء بعدها همز، أي: لا أتجاوز «هذه الثلاث» أي: البقاع، وفي نسخة هذه الثلاثة (بالتاء) =



## الصراط

### أولًا: تعريف الصراط.

**الصراط لغة:** هو الطريق الواضح البين.

ومنه قول جرير:

**أميرُ المؤمنين على صِراطٍ إذا اعوجَّ الموارِدُ مستقيم**

**والصراط في الشرع:** جسر دقيق جدًّا يُضرب على متن جهنم بين الجنة والنار، يمر عليه جميع الخلق على قدر أعمالهم.

**قال النووي في «شرحه» على مسلم (٣/ ٢٠):** «(وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمٍ) هُوَ بِفَتْحِ الظَّاءِ وَسُكُونِ الْهَاءِ، وَمَعْنَاهُ يُمَدُّ الصِّرَاطُ عَلَيْهَا، وَفِي هَذَا إِثْبَاتُ الصِّرَاطِ، وَمَذْهَبُ أَهْلِ الْحَقِّ إِثْبَاتُهُ. وَقَدْ أَجْمَعَ السَّلَفُ عَلَى إِثْبَاتِهِ، وَهُوَ جِسْرٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمٍ يَمُرُّ عَلَيْهِ النَّاسُ كُلُّهُمْ، فَالْمُؤْمِنُونَ يَنْجُونَ عَلَى حَسَبِ حَالِهِمْ أي: مَنَازِلِهِمْ، وَالْآخَرُونَ يَسْقُطُونَ فِيهَا، أَعَاذَنَا اللَّهُ الْكَرِيمُ مِنْهَا. وَأَصْحَابُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ وَغَيْرُهُمْ مِنَ السَّلَفِ يَقُولُونَ: إِنَّ الصِّرَاطَ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرَةِ وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ كَمَا ذَكَرَهُ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ...».

**وقال السفاريني الحنبلي في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ١٩٢):** اتَّفَقَتِ الْكَلِمَةُ عَلَى إِثْبَاتِ الصِّرَاطِ فِي الْجُمْلَةِ، لَكِنَّ أَهْلَ الْحَقِّ يُثْبِتُونَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ مِنْ كَوْنِهِ

---

= أي: المواطن، والمعنى: لا أتجاوزهن، ولا أحد يفقدني فيهن جميعهن، فلا بد أن تلقاني في موضع منهن.

جِسْرًا مَمْدُودًا عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ أَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ وَأَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ.

وَأَنْكَرَ هَذَا الظَّاهِرَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبَّارِ الْمُعْتَزِلِيُّ وَكَثِيرٌ مِنْ أَتْبَاعِهِ زَعْمًا مِنْهُمْ أَنَّهُ لَا يُمْكِنُ عُبُورُهُ، وَإِنْ أَمْكَنَ فَفِيهِ تَعْذِيبٌ، وَلَا عَذَابَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالصُّلَحَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ طَرِيقُ الْجَنَّةِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ۝٥﴾ [محمَّد: الآية ٥]، وَطَرِيقُ النَّارِ الْمُشَارُ إِلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصَّافات: الآية ٢٣].

وَمِنْهُمْ مَنْ حَمَلَهُ عَلَى الْأَدِلَّةِ الْوَاضِحَةِ وَالْمُبَاحَاتِ وَالْأَعْمَالِ الرَّدِيئَةِ لِيُسْأَلَ عَنْهَا وَيُؤَاخَذَ بِهَا.

وَكُلُّ هَذَا بَاطِلٌ وَخُرَافَاتٌ؛ لِوُجُودِ رَدِّ النُّصُوصِ عَلَى حَقَائِقِهَا، وَلَيْسَ الْعُبُورُ عَلَى الصِّرَاطِ بِأَعْجَبَ مِنَ الْمَشْيِ عَلَى الْمَاءِ أَوِ الطَّيَرَانِ فِي الْهَوَاءِ، وَالْوُقُوفِ فِيهِ.

وَقَدْ أَجَابَ ﷺ عَنْ سُؤَالِ حَشْرِ الْكَافِرِ عَلَى وَجْهِهِ بِأَنَّ الْقُدْرَةَ صَالِحَةٌ لِذَلِكَ.

**وَأَنْكَرَ الْعَلَّامَةُ الْقَرَافِيُّ كَوْنَ الصِّرَاطِ أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ، وَسَبَقَهُ إِلَى ذَلِكَ شَيْخُهُ الْعِزُّ بْنُ عَبْدِ السَّلَامِ.**

وَالْحَقُّ أَنَّ الصِّرَاطَ وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى ظَاهِرِهِ بِغَيْرِ تَأْوِيلٍ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَالْمَسَانِيدِ وَالسُّنَنِ وَالصِّحَاحِ مِمَّا لَا يُحْصَى إِلَّا بِكُلْفَةٍ - مِنْ أَنَّهُ جِسْرٌ مَضْرُوبٌ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ يَمُرُّ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْخَلَائِقِ، وَهُمْ فِي جَوَازِهِ مُتَفَاوِتُونَ.

**وقال الْمُنْكِرُ لِكَوْنِ الصِّرَاطِ أَدَقَّ مِنَ الشِّعْرِ وَأَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ:** هَذَا إِنْ ثَبَتَ حُمِلَ عَلَى غَيْرِ ظَاهِرِهِ لِمُنَافَاتِهِ لِلْأَحَادِيثِ الْأُخَرِ مِنْ قِيَامِ الْمَلَائِكَةِ عَلَى جَنَبَتَيْهِ، وَكَوْنِ الْكَلَالِيبِ وَالْحَسَكِ فِيهِ، وَإِعْطَاءِ كُلٍّ مِنَ الْمَارِّينَ عَلَيْهِ مِنَ النُّورِ قَدْرَ

مَوْضِعِ قَدَمَيْهِ.

**قال الْقَرَافِي:** وَالصَّحِيحُ أَنَّهُ عَرِيضٌ، وَقِيلَ: طَرِيقَانِ يُمْنَى وَيُسْرَى، فَأَهْلُ السَّعَادَةِ يُسْلَكُ بِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ، وَأَهْلُ الشَّقَاوَةِ يُسْلَكُ بِهِمْ ذَاتَ الشِّمَالِ، وَفِيهِ طَاقَاتٌ كُلُّ طَاقَةٍ تُنْفِذُ إِلَى طَبَقَةٍ مِنْ طَبَقَاتِ جَهَنَّمَ، وَجَهَنَّمُ بَيْنَ الْخَلْقِ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ، وَالْجِسْرُ عَلَى ظَهْرِهَا مَنْصُوبٌ فَلَا يَدْخُلُ أَحَدٌ الْجَنَّةَ حَتَّى يَمُرَّ عَلَى جَهَنَّمَ، وَهُوَ مَعْنَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] **عَلَى أَحَدِ الْأَقْوَالِ.**

**ثُمَّ قَالَ الْقَرَافِي تبَعًا لِلْحَافِظِ الْبَيْهَقِيِّ:** كَوْنُ الصِّرَاطِ أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ وَأَحَدَّ مِنَ السَّيْفِ - لَمْ أَجِدْهُ فِي الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ، وَإِنَّمَا يُرْوَى عَنْ بَعْضِ الصَّحَابَةِ، فَيُؤَوَّلُ بِأَنَّ أَمْرَهُ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، فَإِنَّ يُسْرَ الْجَوَازِ عَلَيْهِ وَعُسْرَهُ عَلَى قَدْرِ الطَّاعَاتِ وَالْمَعَاصِي، وَلَا يَعْلَمُ حُدُودَ ذَلِكَ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَقَدْ جَرَتِ الْعَادَةُ بِضَرْبِ دِقَّةِ الشَّعْرِ مَثَلًا لِلْغَامِضِ الْخَفِيِّ، وَضَرْبِ حَدِّ السَّيْفِ لِإِسْرَاعِ الْمَلَائِكَةِ فِي الْمُضِيِّ لِامْتِثَالِ أَمْرِ اللَّهِ وَإِجَازَةِ النَّاسِ عَلَيْهِ.

وَرَدَّ هَذَا الْإِمَامُ الْقُرْطُبِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ أَئِمَّةِ الْآثَارِ، وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ تِلْكَ الزِّيَادَةَ فِي صَحِيحِهِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ بَلَاغًا، وَلَيْسَتْ مِمَّا لِلرَّأْيِ وَالِاجْتِهَادِ فِيهِ مَجَالٌ فَهِيَ مَرْفُوعَةٌ، وَقَدْ مَرَّ مِنَ الْأَخْبَارِ مَا يُوجِبُ الْإِيمَانَ بِذَلِكَ، ثُمَّ إِنَّ الْقَادِرَ عَلَى إِمْسَاكِ الطَّيْرِ فِي الْهَوَاءِ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمْسِكَ عَلَيْهِ الْمُؤْمِنَ وَيُجْرِيَهُ وَيُمْشِيَهُ، عَلَى أَنَّهُ أَخْرَجَ الْإِمَامُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الْمُبَارَكِ وَابْنُ أَبِي الدُّنْيَا عَنْ سَعِيدِ ابْنِ أَبِي هِلَالٍ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ الصِّرَاطَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكُونُ عَلَى بَعْضِ النَّاسِ أَدَقَّ مِنَ الشَّعْرِ، وَعَلَى بَعْضٍ مِثْلَ الْوَادِي الْوَاسِعِ. وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ سَهْلِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ التُّسْتَرِيِّ قَالَ: مَنْ دَقَّ الصِّرَاطُ عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا عَرُضَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرَةِ، وَمَنْ عَرُضَ عَلَيْهِ الصِّرَاطُ فِي الدُّنْيَا دَقَّ لَهُ فِي الْآخِرَةِ.

**الثَّانِي**: تَقَدَّمَ أَنَّ الصِّرَاطَ مَخْلُوقٌ الْآنَ، وَنُقِلَ فِي كَنْزِ الْأَسْرَارِ عَنْ بَعْضِ أَهْلِ الْعِلْمِ أَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَخْلُقَهُ اللَّهُ تَعَالَى حِينَ يَضْرِبُ عَلَى مَتْنِ جَهَنَّمَ، وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ خَلَقَهُ حِينَ خَلَقَ جَهَنَّمَ، وَنَحْوُهُ فِي كَلَامِ الْقَاضِي عِيَاضٍ، قَالَ الْحَلِيمِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ: لَمْ يَثْبُتْ أَنَّهُ يَبْقَى إِلَى خُرُوجِ عُصَاةِ الْمُوَحِّدِينَ مِنَ النَّارِ فَيَجُوزُونَهَا عَلَيْهِ إِلَى الْجَنَّةِ، وَيُحْتَمَلُ أَنَّهُ يُزَالُ ثُمَّ يُعَادُ لَهُمْ أَوْ لَا يُعَادُ، أَوْ تَصْعَدُ بِهِ الْمَلَائِكَةُ إِلَى السُّورِ الَّذِي فِي الْأَعْرَافِ.

**قال الْبَدْرُ الزَّرْكَشِيُّ**: وَمِنَ الْحِكْمَةِ فِي الصِّرَاطِ وَرَفْعِهِ أَنْ يَظْهَرَ لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ عَظِيمِ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى النَّجَاةُ مِنَ النَّارِ، وَلِتَصِيرَ الْجَنَّةُ أَسَرَّ لِقُلُوبِهِمْ بَعْدُ، وَلِيَتَحَسَّرَ الْكَافِرُ بِفَوْزِ الْمُؤْمِنِينَ بَعْدَ اشْتِرَاكِهِمْ فِي الْعُبُورِ.

**الثَّالِثُ**: مِنَ الْخُرَافَاتِ الْبَارِدَةِ زَعْمُ مَنْ زَعَمَ أَنَّ مَاهِيَّةَ الصِّرَاطِ شَعْرَةٌ مِنْ شَعْرِ جُفُونِ مَالِكٍ خَازِنِ النَّارِ، فَهُوَ كَلَامٌ تَنْبُو عَنْهُ الْمَسَامِعُ، وَيُكَذِّبُهُ كُلُّ سَامِعٍ، وَإِنْ نَقَلَهُ الْحَافِظُ بُرْهَانُ الدِّينِ الْحَلَبِيُّ فَلَا يَنْبَغِي أَنْ يُلْتَفَتَ إِلَيْهِ وَلَا يُعَوَّلَ عَلَيْهِ، وَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

**وقال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص٢٨٠):** وقوله: «وَالصِّرَاطِ»- أي: وَنُؤْمِنُ بِالصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ على جَهَنَّمَ، إِذَا انْتَهَى النَّاسُ بَعْدَ مُفَارَقَتِهِمْ مَكَانَ الْمَوْقِفِ إلى الظُّلْمَة التي دُونَ الصِّرَاطِ، كَمَا قَالَتْ عَائِشَة ﵂: «إِنَّ رَسُولَ الله ﷺ سُئِلَ: أَيْنَ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ: «**هُمْ في الظُّلْمَة دُونَ الْجِسْرِ**».

**وقال الطبري (١/ ١٧٠):** أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن «الصراط المستقيم» هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه. وكذلك ذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخَطَفي:

**أميرُ المؤمنين عَلَى صِرَاطٍ      إذا اعوَجَّ المَوَارِدُ مُسْتَقِيمِ**

يريد على طريق الحق. ومنه قول الهُذلي أبي ذُؤَيْب:

**صَبَحْنَا أَرْضَهُمْ بالخَيْلِ حَتّى  تركْناها أَدَقَّ مِنَ الصِّراطِ**

ومنه قول الراجز:

**فَصُدَّ عَنْ نَهْجِ الصِّراطِ القَاصدِ**

والشواهد على ذلك أكثرُ من أن تُحصى.

### ثانيًا: الأدلة على إثبات الصراط:

قال تعالى: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْ وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٧١، ٧٢][1].

---

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٩):** يقول تعالى ذكره: وإن منكم أيها الناس إلا وارد جهنم، كان على ربك يا محمد إيرادهموها قضاء مقضيًّا، قد قضى ذلك وأوجبه في أمّ الكتاب.

واختلف أهل العلم في معنى الورود الذي ذكره الله في هذا الموضع: فقال بعضهم: الدخول.

**وقال الزجاج (٣/ ٣٤٠):** ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَاۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾﴾ [مريم: الآية ٧١] هذه آية كثير اختلاف التفسير فيها في التفسير: فقال كثير من الناس: إنَّ الخلق جميعًا يَرِدُون النَّارَ فَيَنْجو المتَقِي وُيتْرَكُ الظالِمُ - وكلهم يَدْخُلُهَا، فقال بعضهم: قد علمنا الوُرودَ ولم نَعْلَمْ الصُّدُورَ.

**وقال السعدي (ص٤٩٨):** وهذا خطاب لسائر الخلائق، برهم وفاجرهم، مؤمنهم وكافرهم، أنه ما منهم من أحد إلا سيرد النار، حكمًا حتمه الله على نفسه، وأوعد به عباده، فلا بد من نفوذه، ولا محيد عن وقوعه.

واختلف في معنى الورود: فقيل: ورودها: حضورها للخلائق كلهم حتى يحصل الانزعاج من كل أحد، ثم بعد، ينجي الله المتقين. وقيل: ورودها: دخولها، فتكون على المؤمنين بردًا وسلامًا. وقيل: الورود: هو المرور على الصراط، =

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢- ١٥](١).

---

= الذي هو على متن جهنم، فيمر الناس على قدر أعمالهم، فمنهم من يمر كلمح البصر، وكالريح، وكأجاويد الخيل، وكأجاويد الركاب، ومنهم من يسعى، ومنهم من يمشي مشيًا، ومنهم من يزحف زحفًا، ومنهم من يُخطف فيلقى في النار، كل بحَسَب تقواه؛ ولهذا قال: ﴿ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟﴾ [مريم: الآية ٧٢] اللهَ تعالى بفعل المأمور، واجتناب المحظور ﴿وَّنَذَرُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [مريم: الآية ٧٢] أنفسهم بالكفر والمعاصي ﴿فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: الآية ٧٢] وهذا بسبب ظلمهم وكفرهم، وجب لهم الخلود، وحق عليهم العذاب، وتقطعت بهم الأسباب.

(١) **قال النووي في «شرحه» على مسلم (١٦/ ٥٨):** وَالصَّحِيحُ أَنَّ الْمُرَادَ بِالْوُرُودِ فِي الْآيَةِ الْمُرُورُ عَلَى الصِّرَاطِ، وَهُوَ جِسْرٌ مَنْصُوبٌ عَلَى جَهَنَّمَ فَيَقَعُ فِيهَا أَهْلُهَا وَيَنْجُو الْآخَرُونَ.

**وقال ابن كثير (٨/ ١٥):** يقول تعالى مخبرا عن المؤمنين المتصدقين: أنهم يوم القيامة يسعى نورهم بين أيديهم في عرصات القيامة، بحسب أعمالهم، كما قال عبد الله بن مسعود في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: الآية ١٢] قال: على قدر أعمالهم يمرون على الصراط، منهم من نوره مثل الجبل، ومنهم من نوره مثل النخلة، ومنهم من نوره مثل الرجل القائم، وأدناهم نورًا مَن نوره في إبهامه يتقد مرة ويُطفأ مرة. ورواه ابن أبي حاتم وابن جرير.

وقال قتادة: ذُكر لنا أن نبي الله ﷺ كان يقول: «**من المؤمنين من يضيء نوره من المدينة إلى عدن أبين وصنعاء فدون ذلك، حتى إن من المؤمنين من يضيء نوره موضع قدميه**». =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وقال سفيان الثوري، عن حصين، عن مجاهد عن جنادة بن أمية قال: إنكم مكتوبون عند الله بأسمائكم، وسيماكم وحلاكم، ونجواكم ومجالسكم، فإذا كان يوم القيامة قيل: يا فلان، هذا نورك. يا فلان، لا نور لك. وقرأ: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: الآية ١٢].

وقال الضحاك: ليس أحد إلا يُعطى نورًا يوم القيامة، فإذا انتهوا إلى الصراط طفئ نور المنافقين، فلما رأى ذلك المؤمنون أشفقوا أن يطفأ نورهم كما طفئ نور المنافقين، فقالوا: ربنا، أتمم لنا نورنا.

وقال الحسن في قوله: ﴿يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ﴾ [الحديد: الآية ١٢] يعني: على الصراط.

وقد قال ابن أبي حاتم، رَحِمَهُ ٱللَّهُ: حدثنا أبو عبيد الله ابن أخي ابن وهب، أخبرنا عمي عن يزيد بن أبي حبيب، عن سعيد بن مسعود: أنه سمع عبد الرحمن بن جبير يحدث أنه سمع أبا الدرداء وأبا ذر يخبران عن النبي ﷺ قال: «**أنا أول من يؤذن له يوم القيامة بالسجود، وأول من يؤذن له برفع رأسه، فَأَنْظُرُ من بين يدي ومن خلفي، وعن يميني وعن شمالي، فأعرف أمتي من بين الأمم**». فقال له رجل: يا نبي الله، كيف تعرف أمتك من بين الأمم، ما بين نوح إلى أمتك؟ قال: «**أعرفهم، محجلون من أثر الوضوء، ولا يكون لأحد من الأمم غيرهم، وأعرفهم يؤتون كتبهم بأيمانهم، وأعرفهم بسيماهم في وجوههم، وأعرفهم بنورهم يسعى بين أيديهم وذريتهم**».

وقوله ﴿وَبِأَيْمَـٰنِهِم﴾ [الحديد: الآية ١٢] قال الضحاك: أي: وبأيمانهم كتبهم، كما قال: ﴿فَمَنْ أُوتِيَ كِتَـٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الإسراء: الآية ٧١]. وقوله: ﴿بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّـٰتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ﴾ [الحديد: الآية ١٢] أي: يقال لهم: بشراكم اليوم جنات، أي: لكم البشارة بجنات تجري من تحتها الأنهار، ﴿خَـٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [البقرة: الآية ١٦٢] أي: ماكثين فيها أبدًا ﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ﴾ [التوبة: الآية ٧٢].

وقوله: ﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَـٰفِقُونَ وَٱلْمُنَـٰفِقَـٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٣] هذا إخبار منه تعالى عما يقع يوم القيامة في العرصات من الأهوال المزعجة، والزلازل العظيمة، والأمور الفظيعة، وإنه لا ينجو يومئذٍ إلا من آمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله به وترك ما عنه زجر.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا عبدة بن سليمان، حدثنا ابن المبارك، =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= حدثنا صفوان بن عمرو، حدثني سليم بن عامر قال: خرجنا إلى جنازة في باب دمشق، ومعنا أبو أمامة الباهلي، فلما صلى على الجنازة وأخذوا في دفنها، قال أبو أمامة: أيها الناس، إنكم قد أصبحتم وأمسيتم في منزل تقتسمون فيه الحسنات والسيئات، وتوشكون أن تظعنوا منه إلى منزل آخر، وهو هذا-يشير إلى القبر-بيت الوحدة، وبيت الظلمة، وبيت الدود، وبيت الضيق، إلا ما وَسَّع الله، تنتقلون منه إلى مواطن يوم القيامة، فإنكم في بعض تلك المواطن حتى يغشى الناس أمر من الله، فتبيض وجوه وتسود وجوه، ثم تنتقلون منه إلى منزل آخر فتغشى الناس ظلمة شديدة، ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورا ويترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا، وهو المَثَل الذي ضربه الله في كتابه، قال: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ﴾ إلى قوله: ﴿فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾، فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن كما لا يستضيء الأعمى بنور البصير، ويقول المنافقون للذين آمنوا: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: الآية ١٣] وهي خدعة الله التي خدع بها المنافقين حيث قال: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النِّساء: الآية ١٤٢]، فيرجعون إلى المكان الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئًا فينصرفون إليهم وقد ضُرب بينهم بسور له باب، ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣] الآية. يقول سليم بن عامر: فما يزال المنافق مغترًّا حتى يقسم النور، ويميز الله بين والمؤمن المنافق.

ثم قال: حدثنا أبي، حدثنا يحيى بن عثمان، حدثنا ابن حيوة، حدثنا أرطأة بن المنذر، حدثنا يوسف بن الحجاج، عن أبي أمامة قال: تُبعث ظلمة يوم القيامة فما من مؤمن ولا كافر يرى كفه، حتى يبعث الله بالنور إلى المؤمنين بقدر أعمالهم، فيتبعهم المنافقون فيقولون: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٣]. وقال العوفي، والضحاك، وغيرهما، عن ابن عباس: بينما الناس في ظلمة إذ بعث الله نورًا فلما رأى المؤمنون النور توجهوا نحوه، وكان النور دليلًا من الله إلى الجنة، فلما رأى المنافقون المؤمنين قد انطلقوا اتبعوهم، فأظلم الله على المنافقين، فقالوا حينئذٍ: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٣] فإنا كنا معكم في الدنيا. قال المؤمنون: ﴿ٱرْجِعُوا۟﴾ من حيث جئتم من الظلمة، فالتمِسوا هنالك النور.

وقال أبو القاسم الطبراني: حدثنا الحسن بن علويه القطان، حدثنا إسماعيل =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= ابن عيسى العطار، حدثنا إسحاق بن بشر أبو حذيفة، حدثنا ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله يدعو الناس يوم القيامة بأسمائهم سترًا منه على عباده، وأما عند الصراط فإن الله يعطي كل مؤمن نورًا، وكل منافق نورًا، فإذا استووا على الصراط سلب الله نور المنافقين والمنافقات فقال المنافقون:** ﴿ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: الآية ١٣] **وقال المؤمنون:** ﴿رَبَّنَآ أَتۡمِمۡ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: الآية ٨]. **فلا يذكر عند ذلك أحد أحدًا**». وقوله: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣] قال الحسن، وقتادة: هو حائط بين الجنة النار. وقال عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: هو الذي قال الله تعالى: ﴿وَبَيۡنَهُمَا حِجَابٞ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦].

وهكذا رُوي عن مجاهد رَحِمَهُ ٱللَّهُ، وغير واحد، وهو الصحيح. ﴿بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ [الحديد: الآية ١٣] أي: الجنة وما فيها ﴿وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣] أي: النار. قاله قتادة، وبن زيد، وغيرهما.

قال ابن جرير: وقد قيل: إن ذلك السور سور بيت المقدس عند وادي جهنم. ثم قال: حدثنا ابن البرقي، حدثنا عمرو بن أبي سلمة، عن سعيد بن عطية بن قيس، عن أبي العوام - مؤذن بيت المقدس- قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: إن السور الذي ذكر الله في القرآن: ﴿فَضُرِبَ بَيۡنَهُم بِسُورٖ لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلۡعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣] هو السور الشرقي، باطنه المسجد وما يليه، وظاهره وادي جهنم. ثم رُوي عن عبادة بن الصامت، وكعب الأحبار، وعلي بن الحسين زين العابدين - نحو ذلك.

وهذا محمول منهم على أنهم أرادوا بهذا تقريب المعنى ومثالًا لذلك، لا أن هذا هو الذي أريد من القرآن هذا الجدار المعين ونفس المسجد وما وراءه من الوادي المعروف بوادي جهنم؛ فإن الجنة في السموات في أعلى عليين، والنار في الدركات أسفل سافلين. وقول كعب الأحبار: إن الباب المذكور في القرآن هو باب الرحمة الذي هو أحد أبواب المسجد، فهذا من إسرائيلياته وترهاته.

وإنما المراد بذلك: سور يُضرب يوم القيامة ليحجز بين المؤمنين والمنافقين، فإذا انتهى إليه المؤمنون دخلوه من بابه، فإذا استكملوا دخولهم أُغلق الباب =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وبقي المنافقون من ورائه في الحيرة والظلمة والعذاب، كما كانوا في الدار الدنيا في كفر وجهل وشك وحيرة.

﴿يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٤] أي: ينادي المنافقون المؤمنين: أما كنا معكم في الدار الدنيا، نشهد معكم الجمعات، ونصلي معكم الجماعات، ونقف معكم بعرفات ونحضر معكم الغزوات، ونؤدي معكم سائر الواجبات؟ ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ﴾ [الأنعام: الآية ٣٠] أي: فأجاب المؤمنون المنافقين قائلين: بلى، قد كنتم معنا، ﴿وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ [الحديد: الآية ١٤] قال بعض السلف: أي: فتنتم أنفسكم باللذات والمعاصي والشهوات ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٤] أي: أخرتم التوبة من وقت إلى وقت. وقال قتادة: ﴿وَتَرَبَّصْتُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٤] بالحق وأهله ﴿وَٱرْتَبْتُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٤] أي: بالبعث بعد الموت ﴿وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ﴾ [الحديد: الآية ١٤] أي: قلتم: سيُغفر لنا. وقيل: غرتكم الدنيا ﴿حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: الآية ١٤] أي: ما زلتم في هذا حتى جاء الموت ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: الآية ١٤] أي: الشيطان. قال قتادة: كانوا على خدعة من الشيطان، والله ما زالوا عليها حتى قذفهم الله في النار.

ومعنى هذا الكلام من المؤمنين للمنافقين: إنكم كنتم معنا، أي بأبدان لا نية لها ولا قلوب معها، وإنما كنتم في حيرة وشك فكنتم تراؤون الناس ولا تذكرون الله إلا قليلًا.

قال مجاهد: كان المنافقون مع المؤمنين أحياء يناكحونهم ويغشونهم ويعاشرونهم، وكانوا معهم أمواتًا، ويُعطَون النور جميعًا يوم القيامة، ويُطفأ النور من المنافقين إذا بلغوا السور، ويماز بينهم حينئذٍ. وهذا القول من المؤمنين لا ينافي قولهم الذي أخبر الله به عنهم، حيث يقول-وهو أصدق القائلين-: ﴿كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ﴿٣٨﴾ إِلَّآ أَصْحَٰبَ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٩﴾ فِى جَنَّٰتٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٤٠﴾ عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤١﴾ مَا سَلَكَكُمْ فِى سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا۟ لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ ٱلْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ ٱلْخَآئِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤٦﴾ حَتَّىٰٓ أَتَىٰنَا ٱلْيَقِينُ﴾ [المدثر: ٣٨-٤٧] فهذا إنما خرج منهم على وجه التقريع لهم والتوبيخ. ثم قال تعالى: ﴿فَمَا تَنفَعُهُمْ شَفَٰعَةُ ٱلشَّٰفِعِينَ ﴿٤٨﴾﴾ [المدَّثِّر: الآية ٤٨]، كما قال تعالى هاهنا: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [الحديد: الآية ١٥] أي: لو جاء أحدكم اليوم بملء الأرض ذهبًا ومثله معه ليفتدي به من عذاب الله، ما قُبل منه. =

وعَنْ حُذَيْفَةَ، في - حَدِيثٍ طَوِيلٍ - قَال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُم كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أي: شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»، قَالَ: «**وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ اُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**»[1].

وعن أَبَي هُرَيْرَةَ، أَخْبَرَهُمَا: أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ القِيَامَةِ؟ قَالَ: «**هَلْ تُمَارُونَ فِي القَمَرِ لَيْلَةَ البَدْرِ لَيْسَ دُونَهُ سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَهَلْ تُمَارُونَ فِي الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لاَ. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ القِيَامَةِ. فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْ. فَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الشَّمْسَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ القَمَرَ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَتَّبِعُ الطَّوَاغِيتَ.

وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا مُنَافِقُوهَا، فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ، فَيَقُولُونَ هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا، فَإِذَا جَاءَ رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَدْعُوهُمْ فَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ مِنَ الرُّسُلِ بِأُمَّتِهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ إِلَّا الرُّسُلُ، وَكَلاَمُ الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ. وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، هَلْ رَأَيْتُمْ شَوْكَ السَّعْدَانِ؟**». قَالُوا: نَعَمْ. قَالَ: «**فَإِنَّهَا مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلَّا اللَّهُ، تَخْطَفُ النَّاسَ**

---

= وقوله: ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ﴾ [الحديد: الآية ١٥] أي: هي مصيركم وإليها منقلبكم. وقوله: ﴿هِيَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ أي: هي أَوْلى بكم من كل منزل على كفركم وارتيابكم، وبئس المصير.

(١) أخرجه مسلم (١٩٥).

بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو.

حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةَ مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ النَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ المَلاَئِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُونَهُمْ وَيَعْرِفُونَهُمْ بِآثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ ابْنِ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَثَرَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ قَدْ امْتَحَشُوا فَيُصَبُّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ كَمَا تَنْبُتُ الحِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ.

ثُمَّ يَفْرُغُ اللَّهُ مِنَ القَضَاءِ بَيْنَ العِبَادِ وَيَبْقَى رَجُلٌ بَيْنَ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَهُوَ آخِرُ أَهْلِ النَّارِ دُخُولًا الجَنَّةَ مُقْبِلٌ بِوَجْهِهِ قِبَلَ النَّارِ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ اصْرِفْ وَجْهِي عَنِ النَّارِ، قَدْ قَشَبَنِي رِيحُهَا وَأَحْرَقَنِي ذَكَاؤُهَا، فَيَقُولُ: هَلْ عَسَيْتَ إِنْ فُعِلَ ذَلِكَ بِكَ أَنْ تَسْأَلَ غَيْرَ ذَلِكَ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ. فَيُعْطِي اللَّهَ مَا يَشَاءُ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيَصْرِفُ اللَّهُ وَجْهَهُ عَنِ النَّارِ، فَإِذَا أَقْبَلَ بِهِ عَلَى الجَنَّةِ، وَرَأَى بَهْجَتَهَا سَكَتَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، ثُمَّ قَالَ: يَا رَبِّ قَدِّمْنِي عِنْدَ بَابِ الجَنَّةِ. فَيَقُولُ اللَّهُ لَهُ: أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي كُنْتَ سَأَلْتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ أَكُونُ أَشْقَى خَلْقِكَ. فَيَقُولُ: فَمَا عَسَيْتَ إِنْ أُعْطِيتَ ذَلِكَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَهُ؟ فَيَقُولُ: لاَ وَعِزَّتِكَ، لاَ أَسْأَلُ غَيْرَ ذَلِكَ. فَيُعْطِي رَبَّهُ مَا شَاءَ مِنْ عَهْدٍ وَمِيثَاقٍ، فَيُقَدِّمُهُ إِلَى بَابِ الجَنَّةِ، فَإِذَا بَلَغَ بَابَهَا، فَرَأَى زَهْرَتَهَا وَمَا فِيهَا مِنَ النَّضْرَةِ وَالسُّرُورِ، فَيَسْكُتُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسْكُتَ، فَيَقُولُ: يَا رَبِّ أَدْخِلْنِي الجَنَّةَ. فَيَقُولُ اللَّهُ: وَيْحَكَ يَا ابْنَ آدَمَ، مَا أَغْدَرَكَ؟! أَلَيْسَ قَدْ أَعْطَيْتَ العُهُودَ وَالمِيثَاقَ أَنْ لاَ تَسْأَلَ غَيْرَ الَّذِي أُعْطِيتَ؟ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ لاَ تَجْعَلْنِي أَشْقَى خَلْقِكَ!! فَيَضْحَكُ اللَّهُ ﷻ مِنْهُ، ثُمَّ يَأْذَنُ لَهُ فِي دُخُولِ الجَنَّةِ، فَيَقُولُ: تَمَنَّ. فَيَتَمَنَّى حَتَّى إِذَا انْقَطَعَ أُمْنِيَّتُهُ، قَالَ اللَّهُ ﷻ: مِنْ كَذَا وَكَذَا، أَقْبَلَ يُذَكِّرُهُ رَبُّهُ، حَتَّى إِذَا انْتَهَتْ بِهِ الأَمَانِيُّ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ الخُدْرِيُّ لِأَبِي هُرَيْرَةَ ﵄: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «**قَالَ اللَّهُ: لَكَ ذَلِكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**»، قَالَ

أَبُو هُرَيْرَةَ: لَمْ أَحْفَظْ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلَّا قَوْلَهُ: «**لَكَ ذَلِكَ وَمِثْلُهُ مَعَهُ**» قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: إِنِّي سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «**ذَلِكَ لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ**»[1].

وعَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، هَلْ يَذْكُرُ الْحَبِيبُ حَبِيبَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ، أَمَّا عِنْدَ ثَلَاثٍ فَلَا: أَمَّا عِنْدَ الْمِيزَانِ حَتَّى يَثْقُلَ أَوْ يَخِفَّ فَلَا، وَأَمَّا عِنْدَ تَطَايُرِ الْكُتُبِ، فَإِمَّا أَنْ يُعْطَى بِيَمِينِهِ أَوْ يُعْطَى بِشِمَالِهِ فَلَا، وَحِينَ يَخْرُجُ عُنُقٌ مِنَ النَّارِ فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ، وَيَتَغَيَّظُ عَلَيْهِمْ، وَيَقُولُ ذَلِكَ الْعُنُقُ: وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ، وُكِّلْتُ بِثَلَاثَةٍ: وُكِّلْتُ بِمَنْ ادَّعَى مَعَ اللهِ إِلَهًا آخَرَ، وَوُكِّلْتُ بِمَنْ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، وَوُكِّلْتُ بِكُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ**» قَالَ: «**فَيَنْطَوِي عَلَيْهِمْ وَيَرْمِي بِهِمْ فِي غَمَرَاتٍ، وَلِجَهَنَّمَ جِسْرٌ أَدَقُّ مِنَ الشَّعْرِ، وَأَحَدُّ مِنَ السَّيْفِ، عَلَيْهِ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ يَأْخُذُونَ مَنْ شَاءَ اللهُ، وَالنَّاسُ عَلَيْهِ كَالطَّرْفِ، وَكَالْبَرْقِ، وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ، وَالرِّكَابِ، وَالْمَلَائِكَةُ يَقُولُونَ: رَبِّ سَلِّمْ، رَبِّ سَلِّمْ. فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَمَخْدُوشٌ مُسَلَّمٌ، وَمُكَوَّرٌ فِي النَّارِ عَلَى وَجْهِهِ**»[2].

**قال الشيخ الطيار في «مباحث في العقيدة» (٢٠/ ١١٨):** ويتضح من تلك النصوص أنه ممر رهيب، وعقبة خطيرة، عليه من أنواع التعذيب ما لا يعلمه إلا الله، عليه كلاليب مثل شوك السعدان، تخطف من أُمرت بخطفه، لا يعلم قدر عظمتها إلا الله. لا يتكلم عليه أحد غير الرسل، ودعاؤهم عليه: اللهم سلِّم سلِّم، وهو دحض مزلة، ينزلق فيه المارة بسرعة، وأول من يجوزه الرسول ﷺ وأمته إكرامًا وتشريفًا لهم، وثبت كذلك أن الناس يختلفون في سرعة المرور عليه، ويختلفون في أخذهم لأنوارهم، كل ذلك حَسَب العمل، وهم يَدْعون: اللهم سلِّم سلِّم. وهذا إشارة إلى خطورة

(١) أخرجه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٢) **إسناده ضعيف بهذه السياقة:** عند أحمد في «المسند» (٢٤٧٩٣).

الصراط والمرور عليه؛ إذ هو مظنة الهلكة إن لم يكتب الله السلامة؛ فهذا يسقط، وهذا يزحف، وذلك يمر مسرعًا، وهذا تصيب جوانبه النار، وهذا تخطفه الكلاليب، وحقًّا إنه من المسالك الخطيرة الرهيبة.

### ثالثًا: صفات الصراط:

وردت في السنة أحاديث صحيحة في صفة الصراط، ووصفته وصفًا جليًّا، فينبغي للمسلم أن يعرف هذه الصفات ويستشعرها في فؤاده حتى ينجو من عذاب الجبار ﷻ وذلك بالوقوف عند أوامره، واجتناب سخطه وغضبه.

**وهذه الصفات هي:**

**١- الصراط زلق:** وذلك من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قلنا: ما الجسر يا رسول الله قال: «**مدحضة مزلة**»[١].

**قال أبو إسحاق الحربي:** الجِسَر والجِسر: ما عُبر عليه من قنطرة ونحوها.

**وقال العيني:** (مدحضة: من دحضَتْ رجله دحضًا: زلقت. ودحضت الشمس عند كبد السماء: زالت. ودحضت حجته: بطلت. ومزلة: من زلت الأقدام، أي سقطت، وقال الكرماني: بكسر الزاي وفتحها، وقال ابن الجوزي، دحض: زلق، وقال الفيومي: دحض الرجل: زلق[٢].

**وقال الشيخ الغنيمان في «شرح كتاب التوحيد» (٢/ ١٢٥):** قوله: «**ثم يؤتى بالجسر، فيجعل بين ظهري جهنم**»، قلنا: يا رسول الله وما الجسر؟ قال:

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم (١٨٣).

(٢) وانظر: «فتح الباري» (١٣/ ٤٢١)، و«عمدة القاري شرح صحيح البخاري لبدر الدين العيني (٢٠/ ٣٢٠)، و«غريب الحديث لابن الجوزي» (١/ ٣٢٦)، و«المصباح المنير» (١٩٠).

«**مدحضة، مزلة**» المدحضة: الذي لا تستمسك فيه الأقدام. ومزلة: صفة لمدحضة، يعني: أن القدم إذا وطئ عليه لا يثبت، بل يزل. والدحض: هو الموضع الذي فيه طين وأصابه الماء، فأصبح يدحض من وطئ عليه، أي: يزله، ولا يثبت عليه قدم.

**٢- له جنبتان أو حافتان:** كما في حديث أبي بكرة أن رسول الله ﷺ قال: «**يُحمل الناس على الصراط يوم القيامة فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار**»[1].

**قال ابن الأثير في «النهاية» (٤/ ٢٤):** قوله: «**فتتقادع بهم جنبتا الصراط تقادع الفراش في النار**» أي: تسقطهم فيها بعضهم فوق بعض. وتقادع القوم: إذا مات بعضهم إثر بعض. اهـ.

**٣- كلاليب على الجسر:** وذلك من حديث أبي هريرة وحذيفة رضي الله عنهما عند مسلم عن النبي ﷺ: «**وفي حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت به**»[2].

ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه: قلنا: يا رسول الله ما الجسر؟ قال: «**مدحضة مزلة، عليه خطاطيف، وكلاليب، وحسكة مفلطحة لها شوكة عقيفاء تكون بنجد يقال لها السعدان**»[3].

وعن جَابِرَ بْنَ عَبْدِ اللهِ، يُسْأَلُ عَنِ الْوُرُودِ، فَقَالَ: نَجِيءُ نَحْنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

---

(١) **إسناده حسن أو محتمل للتحسين** كما قال الشيخ الألباني، وقد رواه أحمد (٥/ ٤٣)، والطبراني في «المعجم الصغير» (٢/ ١٤٢) (٩٢٩)، وابن أبي عاصم في «السنة» (٨٣٧).

(٢) رواه مسلم (١٩٥).

(٣) رواه البخاري (٧٤٣٩)، واللفظ له، ومسلم (١٨٣).

عَنْ كَذَا وَكَذَا، انْظُرْ أي: ذَلِك فَوْقَ النَّاسِ؟ قَالَ: فَتُدْعَى الْأُمَمُ بِأَوْثَانِهَا، وَمَا كَانَتْ تَعْبُدُ، الْأَوَّلُ فَالْأَوَّلُ، ثُمَّ يَأْتِينا رَبُّنَا بَعْدَ ذَلِك، فَيَقُولُ: مَنْ تَنْظُرُونَ؟ فَيَقُولُونَ: نَنْظُرُ رَبَّنَا. فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: حَتَّى نَنْظُرَ إِلَيْك. فَيَتَجَلَّى لَهُمْ يَضْحَكُ. قَالَ: فَيَنْطَلِقُ بِهِمْ وَيَتَّبِعُونَهُ، وَيُعْطَى كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ مُنَافِقًا. أَوْ مُؤْمِنًا نُورًا، ثُمَّ يَتَّبِعُونَهُ وَعَلَى جِسْرِ جَهَنَّمَ كَلَالِيبُ وَحَسَكٌ، تَأْخُذُ مَنْ شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يُطْفَأُ نُورُ الْمُنَافِقِينَ، ثُمَّ يَنْجُو الْمُؤْمِنُونَ، فَتَنْجُو أَوَّلُ زُمْرَةٍ وُجُوهُهُمْ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ سَبْعُونَ أَلْفًا لَا يُحَاسَبُونَ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ كَأَضْوَإِ نَجْمٍ فِي السَّمَاءِ، ثُمَّ كَذَلِك، ثُمَّ تَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَشْفَعُونَ حَتَّى يَخْرُجَ مِنَ النَّارِ مِنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَكَانَ فِي قَلْبِهِ مِنَ الْخَيْرِ مَا يَزِنُ شَعِيرَةً، فَيُجْعَلُونَ بِفِنَاءِ الْجَنَّةِ، وَيَجْعَلُ أَهْلُ الْجَنَّةِ يَرُشُّونَ عَلَيْهِمُ الْمَاءَ حَتَّى يَنْبُتُوا نَبَاتَ الشَّيْءِ فِي السَّيْلِ، وَيَذْهَبُ حُرَاقُهُ، ثُمَّ يَسْأَلُ حَتَّى تُجْعَلَ لَهُ الدُّنْيَا وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهَا مَعَهَا»[١].

ومن حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن رسول الله ﷺ: «**وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: بلى يا رسول الله. قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أن لا يعلم قدر عظمها إلا الله**»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٣١٦) (١٩١).

(٢) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

**قال العيني في «عمدة القاري» (٢٠/ ٣١٦):** (كلاليب جمع كَلوب بفتح الكاف، وهو حديدة معطوفة الرأس يعلق عليها اللحم. وقيل: الكلوب: الذي يتناول به الحداد الحديد من النار. كذا في كتاب ابن بطال). اهـ.

**وقال أيضًا** رَحِمَهُ اللَّهُ: (خطاطيف: جمع خُطاف (بالضم) وهو الحديدة المعوجة كالكلوب يختطف بها الشيء.

وقوله: حسكة: (بفتحات) وهي شوكة صلبة معروفة. وقال صاحب =

**٤- الصراط مثل حد الموسى أو حد السيف:**

قلت: كما في حديث سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ.

وفي حديث ابن مسعود الطويل الذي فيه يقول النبي ﷺ: «**والصراط كحد السيف، دحض مزلة**»[(1)][(2)].

**رابعًا: أحوال الناس على الصراط:**

يتفاوت الناس في المرور على الصراط تفاوتًا عظيمًا؛ وذلك لأن المرور عليه إنما يكون بقدر الأعمال الصالحة.

فعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الخُدْرِيِّ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: «**ثُمَّ يُؤْتَى بِالْجَسْرِ فَيُجْعَلُ بَيْنَ**

---

= «التهذيب». الحسك: نبات له ثمر خشن يتعلق بأصواف الغنم، وربما اتخذ مثله من حديد، وهو من آلات الحرب. مفلطحة: أي: عريضة. عقيفاء: معوجة).

وقوله شوك السعدان: قال الحافظ في «فتح الباري» (١١/ ٤٥٣): (جمع سعدانة وهو نبات ذو شوك يُضرب به المثل في طيب مرعاه، قالوا: مرعى ولا كالسعدان. وقوله: أما رأيتم شوك السعدان: هو استفهام تقرير لاستحضار الصورة المذكورة). قال الزين بن المنير: (تشبيه الكلاليب بشوك السعدان خاص بسرعة اختطافها وكثرة الانتشاب فيها مع التحرز والتصون تمثيلًا لهم بما عرفوه في الدنيا وألفوه بالمباشرة). اهـ.

وقوله: «لا يعلم قدر عظمها إلا الله» في رواية مسلم: «لا يعلم ما قدر عظمها إلا الله». قال الجوهري: عَظُم الشيء عظمًا: أي: كبر، فتقديره لا يعلم قدر كبرها إلا الله. وعِظَم الشيء: أكثره «عمدة القاري» (١٩/ ٩٨).

(١) رواه الحاكم (٢/ ٤٠٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ. ووافقه الذهبي، وقال السيوطي في «البدور السافرة» (١٥٨): طريقه صحيحة متصلة رجالها ثقات، وصححه الألباني في «صحيح الترغيب والترهيب» (٣٦٢٩).

(٢) انظر: «الموسوعة العقدية» (٥/ ٥)، و«صفة الصراط» لحاي الحاي (ص١٤).

**ظَهْرَيْ جهَنَّمَ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الجَسْرُ؟ قَالَ: «**مَدْحَضَةٌ مَزِلَّةٌ، عَلَيْهِ خَطَاطِيفُ وَكَلالِيبُ، وَحَسَكَةٌ مُفَلْطَحَةٌ لَهَا شَوْكَةٌ عُقَيْفَاءُ، تَكُونُ بِنَجْدٍ، يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، المُؤْمِنُ عَلَيْهَا كَالطَّرْفِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرِّيحِ، وَكَأَجَاوِيدِ الخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجٍ مُسَلَّمٌ، وَنَاجٍ مَخْدُوشٌ، وَمَكْدُوسٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى يَمُرَّ آخِرُهُمْ يُسْحَبُ سَحْبًا، فَمَا أَنْتُمْ بِأَشَدَّ لِي مُنَاشَدَةً فِي الحَقِّ**»(١).

وعَنْ حُذَيْفَةَ، وأَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**...وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالًا، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي أي: شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»، قَالَ: «**وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**»(٢).

وعند الترمذي (٣١٥٩) عَنْ السُّدِّيِّ، قَالَ: سَأَلْتُ مُرَّةَ الهَمْدَانِيَّ عَنْ قَوْلِ اللَّهِ ﷻ: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] فَحَدَّثَنِي أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ مَسْعُودٍ حَدَّثَهُمْ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَرِدُ النَّاسُ النَّارَ ثُمَّ يَصْدُرُونَ مِنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ، فَأَوَّلُهُمْ كَلَمْحِ البَرْقِ، ثُمَّ كَالرِّيحِ، ثُمَّ كَحُضْرِ الفَرَسِ، ثُمَّ كَالرَّاكِبِ فِي رَحْلِهِ، ثُمَّ كَشَدِّ الرَّجُلِ، ثُمَّ كَمَشْيِهِ**». وقال الترمذي: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ، وَرَوَاهُ شُعْبَةُ

---

(١) أخرجه البخاري (٧٤٣٩)، ومسلم (١٨٣).

**قال القرطبي في «المفهم» (١/ ٣٩٣):** وقوله: «كأجاويد الخيل» والركاب هي سراعها، وهو جمع جياد، فهو جمع الجمع. و«الركاب»: الإبل، و« مخدوش»: مرسل، يعني تأخذ منه الخطاطيف حتى تقطع لحمه ثم يُخلّى، وبعد ذلك ينجو.

(٢) أخرجه مسلم (١٩٥).

عَنِ السُّدِّيِّ فَلَمْ يَرْفَعْهُ».

**خامسًا: أول الناس عبورًا على الصراط:**

**النبي محمد ﷺ ثم أمته أول من يعبر الصراط:**

**وقد ورد في ذلك عدة أدلة منها:**

١- حديث أبي هريرة رضي الله عنه المتفق عليه الذي فيه يقول النبي ﷺ: «**وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا**»(١)(٢).

٢- وعن ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ اسْمِي مُحَمَّدٌ الَّذِي سَمَّانِي بِهِ أَهْلِي**»، فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ. فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**أَيَنْفَعُكَ شَيْءٌ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟**» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. فَنَكَتَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِعُودٍ مَعَهُ، فَقَالَ: «**سَلْ**» فَقَالَ الْيَهُودِيُّ: أَيْنَ يَكُونُ النَّاسُ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هُمْ فِي الظُّلْمَةِ دُونَ الْجِسْرِ**» قَالَ: فَمَنْ أَوَّلُ النَّاسِ إِجَازَةً؟ قَالَ: «**فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ**» قَالَ الْيَهُودِيُّ: فَمَا تُحْفَتُهُمْ حِينَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ؟ قَالَ: «**زِيَادَةُ كَبِدِ النُّونِ**»، قَالَ: فَمَا غِذَاؤُهُمْ عَلَى إِثْرِهَا؟ قَالَ: «**يُنْحَرُ لَهُمْ ثَوْرُ الْجَنَّةِ الَّذِي كَانَ يَأْكُلُ مِنْ أَطْرَافِهَا**» قَالَ: فَمَا شَرَابُهُمْ عَلَيْهِ؟ قَالَ: «**مِنْ عَيْنٍ فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا**» قَالَ: صَدَقْتَ. قَالَ: وَجِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنْ شَيْءٍ لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الْأَرْضِ إِلَّا نَبِيٌّ أَوْ رَجُلٌ

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (٢٩٩).

(٢) **قال ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٧٩):** أي: أَوَّلَ مَنْ يَقْطَعُ مَسَافَةَ الصِّرَاطِ. وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الْمَعْنَى أَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَمْضِي عَلَى الصِّرَاطِ وَيَقْطَعُهُ. يَقَالُ: جَازَ الْوَادِيَ وَأَجَازَهُ؛ إِذَا قَطَعَهُ وَخَلَّفَهُ، **وقال الْقُرْطُبِيُّ:** يَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ الْهَمْزَةُ هُنَا لِلتَّعْدِيَةِ لِأَنَّهُ لَمَّا كَانَ هُوَ وَأُمَّتُهُ أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ عَلَى الصِّرَاطِ لَزِمَ تَأْخِيرُ غَيْرِهِمْ عَنْهُمْ حَتَّى يَجُوزَ، فَإِذَا جَازَ هُوَ وَأُمَّتُهُ فَكَأَنَّهُ أَجَازَ بَقِيَّةَ النَّاسِ. انْتَهَى «فتح الباري» (١١/ ٤٥٢).

أَوْ رَجُلَانِ. قَالَ: «**يَنْفَعُكَ إِنْ حَدَّثْتُكَ؟**» قَالَ: أَسْمَعُ بِأُذُنَيَّ. قَالَ: جِئْتُ أَسْأَلُكَ عَنِ الْوَلَدِ؟ قَالَ: «**مَاءُ الرَّجُلِ أَبْيَضُ، وَمَاءُ الْمَرْأَةِ أَصْفَرُ، فَإِذَا اجْتَمَعَا فَعَلَا مَنِيُّ الرَّجُلِ مَنِيَّ الْمَرْأَةِ أَذْكَرَا بِإِذْنِ اللهِ، وَإِذَا عَلَا مَنِيُّ الْمَرْأَةِ مَنِيَّ الرَّجُلِ آنَثَا بِإِذْنِ اللهِ**». قَالَ الْيَهُودِيُّ: لَقَدْ صَدَقْتَ، وَإِنَّكَ لَنَبِيٌّ. ثُمَّ انْصَرَفَ فَذَهَبَ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**لَقَدْ سَأَلَنِي هَذَا عَنِ الَّذِي سَأَلَنِي عَنْهُ، وَمَا لِي عِلْمٌ بِشَيْءٍ مِنْهُ حَتَّى أَتَانِيَ اللهُ بِهِ**»[(١)].

**قال النووي في «شرحه» على مسلم (٣/ ٢٢٧):** «هم في الظلمة دون الجسر» هو بفتح الجيم وكسرها لغتان مشهورتان، والمراد به هنا الصراط.

قوله: (فمن أول الناس إجازة) هو بكسر الهمزة وبالزاي، ومعناه جوازًا وعبورًا.

قوله: (فما تحفتهم) هي بإسكان الحاء وفتحها لغتان، وهي ما يهدى إلى الرجل ويُخص به ويلاطف، وقال إبراهيم الحلبي: هي طرف الفاكهة. والله أعلم.

قوله ﷺ: «زيادة كبد النون» هو النون بنونين الأولى مضمومة، وهو الحوت وجمعه نينان. وفي الرواية الأخرى «زائدة كبد النون» والزيادة والزائدة شيء واحد وهو طرف الكبد وهو أطيبها.

قوله: (فما غذاؤهم) رُوي على وجهين: أحدهما: بكسر الغين وبالذال المعجمة. والثاني: بفتح الغين وبالدال المهملة. قال القاضي عياض: هذا الثاني هو الصحيح وهو رواية الأكثرين. قال: والأول ليس بشيء قلت: وله وجه وتقديره ما غذاؤهم في ذلك الوقت، وليس المراد السؤال عن غذائهم دائمًا والله أعلم.

---

(١) أخرجه مسلم (٣٤) (٣١٥).

قوله: (على إثرها) بكسر الهمزة مع إسكان الثاء وبفتحهما جميعًا، لغتان مشهورتان، قوله ﷺ: «من عين فيها تسمى سلسبيلًا» قال جماعة من أهل اللغة والمفسرين: السلسبيل اسم للعين. وقال مجاهد وغيره: هي شديدة الجري. وقيل: هي السلسة اللينة.

قوله ﷺ: «أذكرا بإذن الله وآنثا بإذن الله» معنى الأول كان الولد ذكرًا ومعنى الثاني كان أنثى. وقوله: «آنثا» بالمد في أوله وتخفيف النون وقد رُوي بالقصر وتشديد النون والله أعلم.

وعندما يُذهب بالكفرة الملحدين، والمشركين الضالين إلى دار البوار - جهنم يصلونها، وبئس القرار - يبقى في عرصات القيامة أتباع الرسل الموحدون، وفيهم أهل الذنوب والمعاصي، وفيهم أهل النفاق، وتُلقى عليهم الظلمة قبل الجسر كما في الحديث الذي يرويه مسلم في «صحيحه» عن عائشة قالت: سئل الرسول ﷺ: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: «**هم في الظلمة دون الجسر**»[1].

**يقول شارح «الطحاوية»**: وفي هذا الموضع يفترق المنافقون عن المؤمنين، ويتخلفون عنهم، ويسبقهم المؤمنون، ويحال بينهم بسور يمنعهم من الوصول إليهم. روى البيهقي بسنده عن مسروق، عن عبد الله، قال: يجمع الله الناس يوم القيامة . . . إلى أن قال: فمنهم من يعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطى نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطى دون ذلك بيمينه، حتى يكون آخر من يعطى نوره في إبهام قدمه، يضيء مرة ويُطفأ أخرى، إذا أضاء قدم قدمه وإذا أطفأ

---

(١) رواه مسلم (٣١٥) من حديث ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قام. قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض مزلة، ويقال لهم: امضوا على قدر نوركم. فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل، يرمل رملًا على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخر يد وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون فإذا خلصوا، قالوا: الحمد لله الذي نجانا منكِ، بعد أن أراناك، لقد أعطانا ما لم يُعط أحدًا[1].

**وقد حدثنا تبارك وتعالى عن مشهد مرور المؤمنين على الصراط، فقال:** ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ ۖ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: ١٢ - ١٥].

فالحق يخبر أن المؤمنين والمؤمنات الذين استناروا بهذا الدين العظيم في الدنيا، وعاشوا في ضوئه - يُعطَون في يوم القيامة نورًا يكشف لهم الطريق الموصلة إلى جنات النعيم، ويجنبهم العثرات والمزالق في طريق دحض مزلة، وهناك يبشرون بجنات النعيم، ويحرم المنافقون الذين كانوا

---

(١) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (٤١٩)، والحديث رواه الطبراني (٩/ ٣٥٧)، والحاكم (٢/ ٤٠٨)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ. وقال الألباني في «شرح العقيدة الطحاوية» (ص٤٦٩): صحيح.

يزعمون في الدنيا أنهم مع المؤمنين وأنهم منهم، لكنهم في الحقيقة مفارقون لهم لا يهتدون بهداهم، ولا يسلكون سبيلهم من النور، كما حرموا أنفسهم في الدنيا من نور القرآن العظيم، فيطلب المنافقون من أهل الإيمان أن ينتظروهم ليستضيئوا بنورهم، وهناك يُخدعون، كما كانوا يخدعون المؤمنين في الدنيا، ويقال لهم: ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُواْ نُورًا﴾، وبذلك يعود المنافقون إلى الوراء، ويتقدم المؤمنون إلى الأمام، فإذا تمايز الفريقان، ضرب الله بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة وظاهره من قبله العذاب، ويكون مصير المؤمنين والمؤمنات الجنة، ومصير المنافقين والمنافقات النار.

وقد أخبر الحق أن دعاء المؤمنين عندما يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم هو: ﴿رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾.

قال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ ۖ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التحريم: الآية ٨]. قال مجاهد والضحاك والحسن البصري وغيرهم: هذا يقوله المؤمنون حين يرون يوم القيامة نور المنافقين قد طُفئ[(١)].

### سادسًا: أخر من يمر على الصراط:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قال: «**آخِرُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ رَجُلٌ، فَهْوَ يَمْشِي مَرَّةً، وَيَكْبُو مَرَّةً، وَتَسْفَعُهُ النَّارُ مَرَّةً، فَإِذَا مَا جَاوَزَهَا الْتَفَتَ إِلَيْهَا فَقَالَ: تَبَارَكَ الَّذِي نَجَّانِي مِنْكِ، لَقَدْ أَعْطَانِي اللهُ شَيْئًا مَا أَعْطَاهُ أَحَدًا مِنَ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ!! فَتُرْفَعُ**

(١) نقل من «الموسوعة العقدية» (٥/ ٨)، و«القيامة الكبرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٧٢).

لَهُ شَجَرَةٌ، فَيَقُولُ: أي رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ فَلأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا!! فَيَقُولُ اللهُ ﷻ: يَا ابْنَ آدَمَ، لَعَلِّي إِنَّ أَعْطَيْتُكَهَا سَأَلْتَنِي غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: لَا، يَا رَبِّ. وَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَى، فَيَقُولُ: أي رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، وَأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟! فَيَقُولُ: لَعَلِّي إِنْ أَدْنَيْتُكَ مِنْهَا تَسْأَلُنِي غَيْرَهَا، فَيُعَاهِدُهُ أَنْ لَا يَسْأَلَهُ غَيْرَهَا، وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهِ، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا فَيَسْتَظِلُّ بِظِلِّهَا، وَيَشْرَبُ مِنْ مَائِهَا، ثُمَّ تُرْفَعُ لَهُ شَجَرَةٌ عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ هِيَ أَحْسَنُ مِنَ الْأُولَيَيْنِ، فَيَقُولُ: أي رَبِّ، أَدْنِنِي مِنْ هَذِهِ لِأَسْتَظِلَّ بِظِلِّهَا، وَأَشْرَبَ مِنْ مَائِهَا، لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ، أَلَمْ تُعَاهِدْنِي أَنْ لَا تَسْأَلَنِي غَيْرَهَا؟ قَالَ: بَلَى يَا رَبِّ، هَذِهِ لَا أَسْأَلُكَ غَيْرَهَا. وَرَبُّهُ يَعْذِرُهُ لِأَنَّهُ يَرَى مَا لَا صَبْرَ لَهُ عَلَيْهَا، فَيُدْنِيهِ مِنْهَا، فَإِذَا أَدْنَاهُ مِنْهَا فَيَسْمَعُ أَصْوَاتَ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَيَقُولُ: أي رَبِّ، أَدْخِلْنِيهَا. فَيَقُولُ: يَا ابْنَ آدَمَ مَا يَصْرِينِي مِنْكَ؟ أَيُرْضِيكَ أَنْ أُعْطِيَكَ الدُّنْيَا وَمِثْلَهَا مَعَهَا؟ قَالَ: يَا رَبِّ، أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟».

فَضَحِكَ ابْنُ مَسْعُودٍ، فَقَالَ: أَلَا تَسْأَلُونِي مِمَّ أَضْحَكُ؟ فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ؟ قَالَ: هَكَذَا ضَحِكَ رَسُولُ اللهِ ﷺ، فَقَالُوا: مِمَّ تَضْحَكُ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: «**مِنْ ضَحِكِ رَبِّ الْعَالَمِينَ حِينَ قَالَ: أَتَسْتَهْزِئُ مِنِّي وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ؟ فَيَقُولُ: إِنِّي لَا أَسْتَهْزِئُ مِنْكَ، وَلَكِنِّي عَلَى مَا أَشَاءُ قَادِرٌ**»[1].

### سابعًا: المرور على الصراط للمؤمنين دون المشركين:

دلت الأحاديث على أن الأمم الكافرة تتبع ما كانت تعبد من آلهة باطلة،

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (١٨٧).

فتسير تلك الآلهة بالعابدين حتى تهوي بهم في النار، ثم يبقى بعد ذلك المؤمنون وفيهم المنافقون وعصاة المؤمنين، وهؤلاء هم الذين يُنصب لهم الصراط، والمسألة فيها خلاف بين أهل العلم.

**قال ابن رجب الحنبلي:** «واعلم أن الناس منقسمون إلى مؤمن يعبد الله وحده لا يشرك به شيئًا، ومشرك يعبد مع الله غيره، فأما المشركون فإنهم لا يمرون على الصراط، وإنما يقعون في النار قبل وضع الصراط، ويدلُّ على ذلك ما في الصحيحين، فعَنْ أَبِى هُرَيْرَةَ أَنَّ النَّاسَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِى الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ؟**». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَهَلْ تُضَارُّونَ فِى الشَّمْسِ لَيْسَ دُونَهَا سَحَابٌ؟**». قَالُوا: لاَ يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: «**فَإِنَّكُمْ تَرَوْنَهُ كَذَلِكَ، يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيَقُولُ: مَنْ كَانَ يَعْبُدُ شَيْئًا فَلْيَتَّبِعْهُ. فَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الشَّمْسَ الشَّمْسَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الْقَمَرَ الْقَمَرَ، وَيَتْبَعُ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ الطَّوَاغِيتَ الطَّوَاغِيتَ.**

**وَتَبْقَى هَذِهِ الأُمَّةُ فِيهَا شَافِعُوهَا – أَوْ مُنَافِقُوهَا. شَكَّ إِبْرَاهِيمُ – فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: هَذَا مَكَانُنَا حَتَّى يَأْتِيَنَا رَبُّنَا فَإِذَا جَاءَنَا رَبُّنَا عَرَفْنَاهُ. فَيَأْتِيهِمُ اللَّهُ فِى صُورَتِهِ الَّتِى يَعْرِفُونَ فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ. فَيَقُولُونَ: أَنْتَ رَبُّنَا. فَيَتْبَعُونَهُ وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يُجِيزُهَا...**»[(١)].

وفيهما أيضًا عَنْ أَبِى سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ أَنَّ نَاسًا فِى زَمَنِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ هَلْ نَرَى رَبَّنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ؟ قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**نَعَمْ**». قَالَ: «**هَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الشَّمْسِ بِالظَّهِيرَةِ صَحْوًا لَيْسَ مَعَهَا سَحَابٌ، وَهَلْ تُضَارُّونَ فِى رُؤْيَةِ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ صَحْوًا لَيْسَ فِيهَا سَحَابٌ؟**» قَالُوا: لاَ، يَا رَسُولَ

---

(١) رواه البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (٤٦٩)

اللهِ. قَالَ: «**مَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ اللهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ كَمَا تُضَارُّونَ فِي رُؤْيَةِ أَحَدِهِمَا.**

**إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ: لِيَتَّبِعْ كُلُّ أُمَّةٍ مَا كَانَتْ تَعْبُدُ. فَلاَ يَبْقَى أَحَدٌ كَانَ يَعْبُدُ غَيْرَ اللهِ سُبْحَانَهُ مِنَ الأَصْنَامِ وَالأَنْصَابِ إِلاَّ يَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ.**

**حَتَّى إِذَا لَمْ يَبْقَ إِلاَّ مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللهَ مِنْ بَرٍّ وَفَاجِرٍ وَغُبَّرِ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَيُدْعَى الْيَهُودُ، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ عُزَيْرَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ، فَمَاذَا تَبْغُونَ؟ قَالُوا: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا، فَاسْقِنَا. فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ؛ أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى النَّارِ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ. ثُمَّ يُدْعَى النَّصَارَى، فَيُقَالُ لَهُمْ: مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ؟ قَالُوا: كُنَّا نَعْبُدُ الْمَسِيحَ ابْنَ اللهِ. فَيُقَالُ لَهُمْ: كَذَبْتُمْ، مَا اتَّخَذَ اللهُ مِنْ صَاحِبَةٍ وَلاَ وَلَدٍ. فَيُقَالُ لَهُمْ: مَاذَا تَبْغُونَ؟ فَيَقُولُونَ: عَطِشْنَا يَا رَبَّنَا فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُشَارُ إِلَيْهِمْ، أَلاَ تَرِدُونَ؟ فَيُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ، كَأَنَّهَا سَرَابٌ، يَحْطِمُ بَعْضُهَا بَعْضًا، فَيَتَسَاقَطُونَ فِي النَّارِ...**»[(١)].

فهذا الحديث صريح في أن كل من أظهر عبادة شيء سوى الله كالمسيح والعزير من أهل الكتاب - فإنه يلحق بالمشركين في الوقوع في النار قبل نصب الصراط، إلا أن عباد الأصنام والشمس والقمر وغير ذلك من المشركين تتبع كل فرقة منهم ما كانت تعبد في الدنيا فترد النار مع معبودها أولًا، وقد دلَّ القرآن على هذا المعنى في قوله تعالى في شأن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هود: الآية ٩٨] وأما من عبد المسيح والعزير من أهل الكتاب فإنهم يتخلفون مع أهل الملل

---

(١) رواه البُخَارِي (٦/ ٥٦) (٤٥٨١)، وفي (٦/ ١٩٨) (٤٩١٩)، وفي (٩/ ١٥٨) (٧٤٣٩)، ومسلم (٤٧٢).

المنتسبين إلى الأنبياء ثم يردون في النار بعد ذلك، وقد ورد في حديث عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: «**يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» قَالَ: «**فَيُنَادِي مُنَادٍ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَمْ تَرْضَوْا مِنْ رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَرَزَقَكُمْ وَصَوَّرَكُمْ، أَنْ يُوَلِّيَ كُلَّ إِنْسَانٍ مِنْكُمْ إِلَى مَنْ كَانَ يَتَوَلَّى فِي الدُّنْيَا؟**» قَالَ: «**وَيُمَثَّلُ لِمَنْ كَانَ يَعْبُدُ عُزَيْرًا شَيْطَانُ عُزَيْرٍ حَتَّى يُمَثِّلَ لَهُمُ الشَّجَرَةَ وَالْعَوْدَ وَالْحَجَرَ...**»[(١)].

ولا يبقى بعد ذلك إلا من كان يعبد الله وحده في الظاهر، سواء كان صادقًا أو منافقًا من هذه الأمة وغيرها، ثم يتميز المنافقون عن المؤمنين بامتناعهم من السجود وكذلك يمتازون عنهم بالنور الذي يقسم للمؤمنين[(٢)].

**وقد اختلف السلف هل يقسم للمنافقين نور مع المؤمنين ثم يطفأ أو لا يقسم لهم نور بالكلية على قولين:**

**أحدهما:** إنهم لا يقسم لهم نور بالكلية، قال صفوان بن عمرو: حدثني سليم بن عامر سمع أبا أمامة يقول: يغشى الناس ظلمة شديدة - يعني يوم القيامة - ثم يقسم النور فيعطى المؤمن نورًا ويُترك الكافر والمنافق فلا يعطيان شيئًا، وهو المَثَل الذي ضربه الله في كتابه، قال تعالى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾ [النُّور: الآية ٤٠]

فلا يستضيء الكافر والمنافق بنور المؤمن، كما لا يستضيء الأعمى ببصر

---

(١) أخرجه الحاكم (٣٤٢٤)، وقال: «هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بهذا اللفظ» وقال الذهبي في «تلخيصه»: على شرط البخاري ومسلم.

(٢) نقل من «الإيمان بيوم القيامة وأهواله» لعلي بن نايف الشحود (ص٨٨).

البصير و﴿يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا﴾ [الحديد: الآية ١٣].

قال: وهي خدعة الله خدع بها المنافقين، قال عز جلاله: ﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ﴾ [النساء: الآية ١٤٢] فيرجعون إلى الموضع الذي قسم فيه النور فلا يجدون شيئًا فينصرفون إليهم ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣] إلى قوله: ﴿وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾ [الحديد: الآية ١٥].

قال سليم: فلا يزال المنافق مغترًّا حتى يقسم النور ويميز الله بين سبيل المؤمن والمنافق.

خرجه ابن أبي حاتم، وخرج أيضًا من رواية مقاتل بن حيان والضحاك عن ابن عباس ما يدل على مثل هذا القول أيضًا ولكنه منقطع.

**والقول الثاني:** إنه يقسم للمنافقين النور مع المؤمنين كما كانوا مع المؤمنين في الدنيا ثم يطفأ نور المنافقين إذ بلغ السور. قاله مجاهد وروى عتبة بن يقظان عن عكرمة عن ابن عباس قال: ليس أحد من أهل التوحيد إلا يعطى نورًا يوم القيامة، فأما المنافقون فيطفأ نورهم، وأما فالمؤمنون فيشفقون من إطفاء نور المنافقين فهم: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا﴾ [التحريم: الآية ٨][(١)].

### ثامنًا: شهوده ﷺ المارين على الصراط:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي**

(١) «التخويف من النار» (ص٢٣٣).

**عِنْدَ الْمِيزَانِ**». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لاَ أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلاَثَ الْمَوَاطِنَ**»(١).

وعنه أيضًا قال: حدثني نبي الله ﷺ: «**إني لقائم أنتظر أمتي تعبر الصراط، إذ جاءني عيسى فقال: هذه الأنبياء قد جاءتك يا محمد يسألون - أو قال: يجتمعون إليك - ويدعون الله أن يفرق بين جمع الأمم إلى حيث يشاء الله، لغم ما هم فيه فالخلق ملجمون في العرق. فأما المؤمن، فهو عليه كالزكمة، وأما الكافر فيتغشاه الموت**». **قال**: «**قال عيسى: انتظر حتى أرجع إليك**» قال: «**فذهب نبي الله ﷺ حتى قام تحت العرش، فلقي ما لم يَلْقَ ملك مصطفى ولا نبي مرسل، فأوحى الله إلى جبريل: أن اذهب إلى محمد فقل له: ارفع رأسك، سل تعط، واشفع تشفع**».

قال: «**فشفعت في أمتي، أن أُخرج من كل تسعة وتسعين إنسانًا واحدًا**».

قال: «**فما زلت أتردد على ربي، فلا أقوم مقامًا إلا شفعت، حتى أعطاني الله من ذلك. أن قال: يا محمد أدخِل من أمتك من خلق الله من شهد أنه لا إله إلا الله يومًا واحدًا مخلصًا، ومات على ذلك**»(٢).

**قال السندي:** قوله: «تعبر الصراط» الظاهر أن المراد بهذه الأمة من لا حساب عليهم، فأُذن لهم في الدخول إلى الجنة.

### تاسعًا: الأمانة والرحم على جانبي الصراط:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «...**وَتُرْسَلُ الْأَمَانَةُ وَالرَّحِمُ، فَتَقُومَانِ جَنَبَتَيِ الصِّرَاطِ يَمِينًا وَشِمَالاً، فَيَمُرُّ أَوَّلُكُمْ كَالْبَرْقِ**» قَالَ: قُلْتُ: بِأَبِي أَنْتَ

---

(١) **حديث حسن:** أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه.

(٢) أخرجه أحمد في «المسند» (١٢٨٢٤).

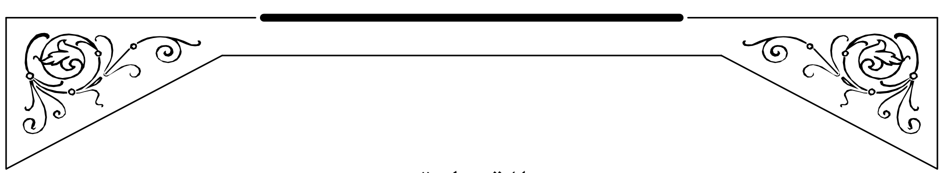
وَأُمِّي، أي شَيْءٍ كَمَرِّ الْبَرْقِ؟ قَالَ: «**أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الْبَرْقِ كَيْفَ يَمُرُّ وَيَرْجِعُ فِي طَرْفَةِ عَيْنٍ؟ ثُمَّ كَمَرِّ الرِّيحِ، ثُمَّ كَمَرِّ الطَّيْرِ، وَشَدِّ الرِّجَالِ، تَجْرِي بِهِمْ أَعْمَالُهُمْ، وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، حَتَّى تَعْجِزَ أَعْمَالُ الْعِبَادِ، حَتَّى يَجِيءَ الرَّجُلُ فَلَا يَسْتَطِيعُ السَّيْرَ إِلَّا زَحْفًا**»، قَالَ: «**وَفِي حَافَتَيِ الصِّرَاطِ كَلَالِيبُ مُعَلَّقَةٌ مَأْمُورَةٌ بِأَخْذِ مَنِ أُمِرَتْ بِهِ، فَمَخْدُوشٌ نَاجٍ، وَمَكْدُوسٌ فِي النَّارِ**» وَالَّذِي نَفْسُ أَبِي هُرَيْرَةَ بِيَدِهِ، إِنَّ قَعْرَ جَهَنَّمَ لَسَبْعُونَ خَرِيفًا(١).

**وقال النووي في** «**شرح مسلم**» **(٣/ ٧٢)**: وأما إرسال الأمانة والرحم فهو لعِظَم أمرهما وكِبَر موقعهما.

❊ ❊ ❊

---

(١) أخرجه مسلم (١٩٥).



# القنطرة

**تمهيد**[1]:

هذه القنطرة ثبتت في السنة النبوية، وهي خاصة لمسلك المؤمنين إلى الجنة، حيث يقفون عليها ليقتص بعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونُقوا؛ أُذن لهم بدخول الجنة، كما ورد بذلك الحديث، وهي أشبه ماتكون بتصفية الذهب لجعله نقيًّا خالصًا من كل شائبة مهما دقت.

وقد اختلف العلماء فيها: هل هي صراط مستقل وله ميزات خاصة به؟ أم إنها من تتمة الصراط العظيم المنصوب على متن جهنم؟ والخلاف المشار إليه إنما هو في موضعها لا في ثبوتها، فهي ثابتة لا شك فيه . . .[2].

## المطلب الأول: أدلة إثبات القنطرة

**حديث القنطرة:** وهو حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونُقوا أُذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة بمنزله كان في**

---

(١) نقل من «الموسوعة العقدية» (٥/ ١٦).

(٢) «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (٢/ ١٣٢١).

**الدنيا»**.

**قلت:** وعند البخاري في (المظالم) (٥/ ٩٦): «إذا خلص المؤمنون من النار حُبسوا بقنطرة بين الجنة والنار».

قال الحافظ: «واختلف في القنطرة المذكورة: فقيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة. وقيل: إنهما صراطان. وبهذا الثاني جزم القرطبي».

**قلت:** في كتاب (المظالم) رجح الحافظ الأول فقال: (الذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة، ويحتمل أن تكون من غيره بين الصراط والجنة).

**قلت:** ذكر القرطبي أن الصراط صراطان في كتابه «التذكرة» فقال: (اعلم رحمك الله أن في الآخرة صراطين: أحدهما مجاز لأهل المحشر كلهم ثقيلهم وخفيفهم إلا من دخل الجنة بغير حساب، أو من يلتقطه عنق النار. فإذا خلص من هذا الصراط الأكبر الذي ذكرناه ولا يخلص منه إلا المؤمنون الذين علم الله منهم أن القصاص لا يستنفد حسناتهم، حُبسوا على صراط آخر خاص لهم، ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد إن شاء الله لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه).

**قلت:** ذكر العيني نحو ذلك فقال عند ذكر القنطرة: (قيل: هذا يُشعر بأن في القيامة جسرين، هذا والذي على متن جهنم المشهور بالصراط. واجب بأنه لا محذور فيه، ولئن ثبت بالدليل أنه واحد فتأويله أن هذه القنطرة من تتمة الأول).

**قلت:** الذي ثبت عن النبي ﷺ أن الصراط واحد، ولم يذكر ﷺ أن

الصراط صراطان (مجاز أو خاص) كما ذكر القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ.

والذي يقتضي الدليل رجحانه أن القنطرة جسر بين الجنة والنار، لا علاقة له بالصراط كما هو ظاهر حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وظاهره يدل أيضًا على أن المؤمنين خلصوا، أي: فرغوا وانتهوا من المرور على الصراط كما قال الحافظ: (قوله: «إذا خلص المؤمنون من النار»: أي: نجوا من السقوط فيها بعدما جازوا على الصراط) اهـ. وكما قال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: (معنى يخلص المؤمنون من النار: أن يخلصوا من الصراط المضروب على النار).

**قلت:** ويشهد لذلك حديث ابن مسعود الطويل الذي تقدم والذي يصف فيه النبي ﷺ مرور الناس على الصراط حتى قال فيه: «**حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه تخر يد وتعلق يد وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون، فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أراناك لقد أعطانا الله ما لم يعط أحدًا**».

**قلت:** فهذا الحديث نص صريح في أن معنى «خلصوا» هو انتهاء الناس من المرور على الصراط، وبذلك نعلم أن القنطرة ليست تتمة للصراط، والعلم عند الله تعالى[1].



(١) «صفة الصراط» لحاي الحاي (ص ٣٢).

## المطلب الثاني: موضع تلك القنطرة

**أما موضع تلك القنطرة؛ فقد اختلف العلماء كما أشرنا سابقًا - في موضعها، وحاصل الخلاف يرجع إلى أمرين:**

**الأمر الأول:** أن تلك القنطرة هي جزء من الصراط وتتمة له.

**الأمر الثاني:** أنها صراط مستقل بين الصراط الأول والجنة، خاصة بمن كُتبت لهم السعادة.

وبعض العلماء لم يترجح لديه أحد الأمرين.

**قال ابن حجر:** واختلف في القنطرة المذكورة: فقيل: هي من تتمة الصراط، وهي طرفه الذي يلي الجنة، وقيل: إنهما صراطان. وذهب القرطبي إلى القول بأن القنطرة ليست من الصراط الأول العظيم المنصوب على متن جهنم، وإنما هي صراط ثانٍ، وقد بوب على هذا بقوله: باب: ذكر الصراط الثاني، وهو القنطرة التي بين الجنة والنار وذكر أن المؤمنين إذا خلصوا من صراط جهنم حُبسوا على صراط آخر خاص لهم. قال: ولا يرجع إلى النار من هؤلاء أحد _ إن شاء الله _ لأنهم قد عبروا الصراط الأول المضروب على متن جهنم، الذي يسقط فيها من أوبقه ذنبه وأربى على الحسنات بالقصاص جرمه.

ونقل القرطبي - عن مقاتل أيضًا - ما يفيد أنه يرى أن القنطرة صراط آخر، وذلك في قوله: قال مقاتل: إذا قطعوا جسر جهنم؛ حُبسوا على قنطرة بين الجنة والنار؛ فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا وطُيبوا؛ قال لهم رضوان وأصحابه: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ [الأنعام: الآية ٥٤] بمعنى التحية ﴿طِبۡتُمۡ فَٱدۡخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٣].

ونقل السفاريني عن السيوطي ترجيحه لكون القنطرة طرفًا من الصراط الذي يلي الجنة؛ أي: أنه يرى أنها جزء من الصراط وتتمة له؛ حَسَب نقل السفاريني الآتي: قال الحافظ جلال الدين السيوطي في كتابه (البدور السافرة في علوم الآخرة): والأول - يعني أنه طرف الصراط الذي يلي الجنة - هو المختار الذي دلت عليه أحاديث القناطر والحساب على الصراط.

أما الإمام ابن كثير فإنه يجعلها بعد نهاية النار، وكأنه يجعلها صراطًا مستقلًّا منصوبًا على هول لا نعلمه، فهو بعد ذكر كلام القرطبي ورأيه في هذه القنطرة من أنها صراط ثانٍ؛ قال معلقًا عليه: قلت: هذه بعد مجاوزة النار فقد تكون القنطرة منصوبة على هول آخر مما يعلمه الله ولا نعلمه نحن، وهو أعلم.

فهو لم يترجح لديه - حسبما يظهر من كلامه - هل هي صراط آخر أو هي متصلة بالصراط العظيم الذي هو على متن جهنم؟

وكذلك ابن حجر، فإنه لم يرجح أيًّا من القولين حيث قال: والذي يظهر أنها طرف الصراط مما يلي الجنة، ويحتمل أن يكون من غيره بين الصراط والجنة[1].



---

(١) «الحياة الآخرة» لغالب عواجي (٢/ ١٣٢٩).



# الحشر الى دار القرار

## المبحث الأول: كل أمة تتبع الإله الذي كانت تعبده

في ختام هذا اليوم يُحشر العباد إما إلى الجنة وإما إلى النار، وهما المقر الأخير الذي يصير إليه العباد جميعًا.

وقد أخبرنا الرسول ﷺ أنه يُطلب من كل أمة في آخر ذلك اليوم أن تتبع الإله الذي كانت تعبده، فالذي كان يعبد الشمس يتبع الشمس، والذي كان يعبد القمر يتبع القمر، والذي كان يعبد الأصنام تصور لهم آلهتهم ثم تسير أمامهم ويتبعونها، والذين كانوا يعبدون فرعون يتبعونه، ثم إن هذه الآلهة الباطلة تتساقط في النار، ويتساقط عُبادها وراءها في السعير، كما قال تعالى في فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ ٱلنَّارَ ۖ وَبِئْسَ ٱلْوِرْدُ ٱلْمَوْرُودُ ﴿٩٨﴾﴾ [هُود: الآية ٩٨].

ولا يبقى بعد ذلك إلا المؤمنون وبقايا أهل الكتاب، وفي المؤمنين المنافقون الذين كانوا معهم في الدنيا، فيأتيهم ربهم، فيقول لهم: ما تنتظرون؟ فيقولون: ننتظر ربنا. فيعرفونه بساقه عندما يكشفها لهم، وعند ذلك يخرون له سجودًا، إلا المنافقين فلا يستطيعون ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [القَلَم: الآية ٤٢]، ثم يتبع المؤمنون ربهم، ويُنصب الصراط ويعطى المؤمنون أنوارهم، ويسيرون على الصراط، ويطفأ

نور المنافقين، ويقال لهم: ﴿ٱرۡجِعُواْ وَرَآءَكُمۡ فَٱلۡتَمِسُواْ نُورٗا﴾ [الحديد: الآية ١٣]، ثم يُضرب بينهم بسور له باب باطنه فيه الرحمة، وظاهره من قِبله العذاب، ويمر العباد على الصراط مسرعين بقدر إيمانهم وأعمالهم الصالحة.

روى مسلم في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري، عن النبي ﷺ قال: «**إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد. فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يَبْقَ إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، وغبر أهل الكتاب.**

**فيدعى اليهود، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله. فيقال: كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد. فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا، فاسقنا. فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيُحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار.**

**ثم يدعى النصارى، فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله. فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ما تبغون؟ فيقولون: عطشنا يا ربنا فاسقنا. قال: فيشار إليهم: ألا تردون؟ فيُحشرون إلى جهنم كأنهم سراب، يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار.**

**حتى إذا لم يَبْقَ إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر، أتاهم رب العالمين ﷻ في أدنى صورة من التي رأوه فيها، قال: فماذا تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد. قالوا: يا ربنا، فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، لا نشرك بالله شيئًا** - مرتين أو ثلاثًا - **حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب. فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها؟ فيقولون: نعم. فيكشف عن ساق، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أذن الله له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة،**

**كلما أراد أن يسجد خر على قفاه، ثم يرفعون رؤوسهم، وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. ثم يُضرب الجسر على جهنم، وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سَلِّم سَلِّم.**

قيل: يا رسول الله، وما الجسر؟ قال: **دحض مزلة، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك، تكون بنجد فيها شويكة يقال لها: السعدان، فيمر المؤمنون كطرف العين، وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد الخيل والركاب، فناجٍ مُسلَّم، ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم»**[١].

وروى مسلم أيضًا عن أبي هريرة في وصف المرور على الصراط، قال: قال رسول الله ﷺ: «**وتُرسل الأمانة والرحم، فتقومان على جنبتي الصراط يمينًا وشمالاً، فيمر أولكم كالبرق**» قال: قلت: بأبي أنت وأمي، أي شيء كالبرق؟ قال: «**ألم تروا إلى البرق كيف يمر ويرجع في طرفة عين؟ ثم كمر الريح، ثم كمر الطير وشد الرجال، تجري بهم أعمالهم، ونبيكم قائم على الصراط يقول: رب، سَلِّم سَلِّم. حتى تعجز أعمال العباد، حتى يجيء الرجل فلا يستطيع السير إلا زحفًا**»، قال: «**وعلى حافتي الصراط كلاليب معلقة مأمورة بأخذ من أُمرت به. فمخدوش ناجٍ، ومكدوس في النار**»[٢].

وروى مسلم أيضًا عن أبي الزبير، أنه سمع جابر بن عبد الله يسأل عن الورود، فقال: نجيء نحن يوم القيامة عن كذا وكذا انظر إلى ذلك فوق الناس. قال: فتدعى الأمم بأوثانها، وما كانت تعبد، الأول فالأول، ثم يأتينا ربنا بعد ذلك فيقول: من تنظرون؟ فيقولون: ننظر ربنا. فيقول: أنا ربكم. فيقولون: حتى ننظر إليك. فيتجلى لهم يضحك. قال: فينطلق بهم

---

(١) رواه مسلم (١٨٣).

(٢) رواه مسلم (١٩٥).

ويتبعونه، ويعطى كل إنسان منهم، منافق أو مؤمن نورًا، ثم يتبعونه، وعلى جسر جهنم كلاليب وحسك، تأخذ من شاء الله ثم يُطفأ نور المنافقين، ثم ينجو المؤمنون، أول زمرة وجوههم كالقمر ليلة البدر، سبعون ألفًا لا يحاسبون، ثم الذين يلونهم كأضوأ نجم في السماء..[1].

وروى البخاري ومسلم في «صحيحيهما» عن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال في إجابته للصحابة عندما سألوه عن رؤيتهم الله: «**هل تضارون في القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فإنكم ترونه يوم القيامة كذلك، يجمع الله الناس فيقول: مَن كان يعبد شيئًا فليتبعه. فيتبع من كان يعبد الشمس، ويتبع من كان يعبد القمر، ويتبع من كان يعبد الطواغيت.**

**وتبقى هذه الأمة فيها منافقوها، فيأتيهم الله في غير الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: نعوذ بالله منك، هذا مكاننا حتى يأتينا ربنا، فإذا أتانا ربنا عرفناه. فيأتيهم الله في الصورة التي يعرفون، فيقول: أنا ربكم. فيقولون: أنت ربنا. فيتبعونه، ويُضرب جسر جهنم**»، قال رسول الله ﷺ: «**فأكون أول من يجيز، ودعاء الرسل يومئذٍ: اللهم سَلِّم سَلِّم، وبه كلاليب مثل شوك السعدان، أما رأيتم شوك السعدان؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**فإنها مثل شوك السعدان، غير أنها لا يعلم قدر عظمها إلا الله، فتخطف الناس بأعمالهم، منهم الموبق بعمله، ومنهم المخردل، ثم ينجو**»[2].

وقد دلت هذه النصوص الصحيحة الصريحة الواضحة على عدة أمور مهمة، فقد ذكرت حشر الكفار إلى النار، ومسير المؤمنين إلى الجنة على الصراط، وخلاص المؤمنين من المنافقين، كما أشارت في جملتها إلى

(١) رواه مسلم (١٩١).

(٢) البخاري (٧٤٣٧)، ومسلم (١٨٢).

معنى الورود على النار الذي نص الله عليه في قوله: ﴿وَإِن مِّنكُمۡ إِلَّا وَارِدُهَاۚ﴾ [مريم: الآية ٧١].

## المبحث الثاني: حشر الكفار إلى النار هم وآلهتهم

جاءت نصوص كثيرة تصور لنا كيف يكون حشر الكفار إلى النار هم وآلهتهم التي كانوا يعبدونها:

١ - فمن ذلك أنهم يُحشرون كقطعان الماشية جماعات جماعات، يُنهرون نهرًا غليظًا، ويصاح بهم من هنا وهناك، كما يفعل الراعي ببقره أو غنمه ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ﴾ [الزُّمَر: الآية ٧١]، ﴿يَوۡمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ١٣﴾ [الطُّور: الآية ١٣]، ﴿وَيَوۡمَ يُحۡشَرُ أَعۡدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمۡ يُوزَعُونَ ١٩﴾ [فُصِّلَت: الآية ١٩]. ومعنى يوزعون أي: يُجمعون، تجمعهم الزبانية على آخرهم، كما يفعل البشر بالبهائم.

٢ - وأفادت النصوص أنهم يُحشرون إلى النار على وجوههم، لا كما كانوا يمشون في الدنيا على أرجلهم، قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُحۡشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ٣٤﴾ [الفُرقان: الآية ٣٤].

روى البخاري ومسلم عن أنس بن مالك: أن رجلًا قال: يا رسول الله، كيف يُحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟! قال: «**أليس الذي أمشاه على رجليه في الدنيا قادرًا أن يمشيه على وجهه يوم القيامة**» قال قتادة: بلى وعزة ربنا[1].

٣ - ومع حشرهم على هذه الصورة المنكرة على وجوههم فإنهم

---

(١) رواه البخاري (٤٧٦٠)، ومسلم (٢٨٠٦).

يُحشرون عميًا لا يرون، وبكمًا لا يتكلمون، وصمًّا لا يسمعون ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: الآية ٩٧].

٤ - ويزيد بلاءهم أنهم يُحشرون مع آلهتهم الباطلة وأعوانهم وأتباعهم ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات: ٢٢ - ٢٣].

٥ - وهم في هذا مغلوبون مقهورون أذلاء صاغرون ﴿قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ سَتُغْلَبُونَ وَتُحْشَرُونَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴿١٢﴾﴾ [آل عِمران: الآية ١٢].

٦ - وقبل أن يصلوا إلى النار تصك مسامعهم أصواتها التي تملأ قلوبهم رعبًا وهلعًا ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفُرقان: الآية ١٢].

٧ - وعندما يبلغون النار ويعاينون أهوالها يندمون ويتمنون العودة إلى الدنيا كي يؤمنوا ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا۟ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُوا۟ يَـٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾، ولكنهم لا يجدون من النار مفرًّا: ﴿وَرَءَا ٱلْمُجْرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا۟ عَنْهَا مَصْرِفًا ﴿٥٣﴾﴾ [الكهف: الآية ٥٣].

٨ - وعند ذلك يؤمرون بالدخول في النار وغضب الجبار أذلاء خاسرين ﴿فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [النّحل: الآية ٢٩].

ولا ينجو من النار من الجن والإنس إلا الأتقياء الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين، واتبعوا ما أنزل إليهم من ربهم ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَٱلشَّيَـٰطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا ﴿٦٨﴾ ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَـٰنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا ۚ كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نُنَجِّى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّنَذَرُ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨ - ٧٢].

**يقول سيد قطب** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **في تفسير هذه الآيات:** يقسم الله بنفسه وهو أعظم

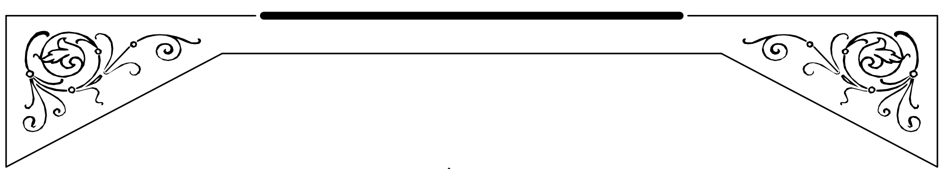
قسم وأَجَلّه أنهم سيُحشرون بعد الموت، فهذا أمر مفروغ منه ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ﴾ [مريم: الآية ٦٨]، ولن يكونوا وحدهم لنحشرنهم ﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ [مريم: الآية ٦٨] فهم والشياطين سواء، والشياطين هم الذين يوسوسون بالإنكار، وبينهما صلة التابع والمتبوع، والقائد والمقود.

وهنا يرسم صورة حسية وهم جاثون حول جهنم جثو الخزي والمهانة، ﴿ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: الآية ٦٨]، وهي صورة رهيبة، وهذه الجموع التي لا يحصيها العد محشورة محضرة إلى جهنم جاثية حولها، تشهد هولها، ويلفحها حرها، وتنتظر في كل لحظة أن تؤخذ فتلقى فيها، وهم جاثون على رُكبهم في ذلة وفزع، وهو مشهد ذليل للمتجبرين المتكبرين، يليه مشهد النزع والجذب لمن كانوا أشد عتوًّا وتجبرًا: ﴿ثُمَّ لَنَنزِعَنَّ مِن كُلِّ شِيعَةٍ أَيُّهُمْ أَشَدُّ عَلَى ٱلرَّحْمَٰنِ عِتِيًّا﴾ [مريم: الآية ٦٩]، وفي اللفظ تشديد، ليرسم بظله وجرسه صورة لهذا الانتزاع، تتبعها صورة القذف في النار، وهي الحركة التي يكملها الخيال. وإن الله ليعلم من هم أَوْلى بأن يَصْلَوْها، فلا يؤخذ أحد جزافًا من هذه الجموع التي لا تحصى، والتي أحصاها الله فردًا فردًا: ﴿ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِٱلَّذِينَ هُمْ أَوْلَىٰ بِهَا صِلِيًّا ۝٧٠﴾ [مريم: الآية ٧٠]، فهم المختارون ليكونوا طليعة المقذوفين.

وقد غيرت هذه الآية: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [مريم: الآية ٧١] أحوال الصالحين، فأسهرت ليلهم، وعكرت عليهم صفو العيش، وحرمتهم الضحك، والتمتع بالشهوات[1].

* * *

(١) «القيامة الكبرى» لعمر بن سليمان الأشقر (ص٢٦٣).



## باب ما جاء في الحوض

**تعريف الحوض لغة:** هو الجَمْع، حاض الماء يحوضه؛ إذا جمعه.

**تعريف الحوض شرعًا:** هو حوض الماء النازل من نهر الكوثر.

**وقد اتفق أهل السة والجماعة على الإيمان بالحوض:**

**قال الإمام أحمد بن حنبل رَحِمَهُ اللَّهُ كما في «مجمل اعتقاد أئمة السلف» (ص٥٣):** والإيمان بالحوض، وأن لرسول الله ﷺ حوضًا يوم القيامة ترد عليه أُمته، عَرْضه مثل طوله مَسيرة شهر، آنيته كعدد نجوم السماء على ما صحت به الأخبار من غير وجه.

**وقال الآجري في «الشريعة» (٣/ ١٢٦٨):** قال محمد بن الحسين رحمه الله تعالى: ألا ترون إلى أنس بن مالك رَحِمَهُ اللَّهُ يتعجب ممن يشك في الحوض إذ كان عنده أن الحوض مما يؤمن به الخاصة والعامة، حتى إن العجائز يسألن الله عَزَّ وَجَلَّ أن يسقيهن من حوضه ﷺ، فنعوذ بالله ممن لا يؤمن بالحوض ويُكذب به.

**وقال النووي في «شرحه» على مسلم (١٥/ ٥٣):** قال القاضي عياض رَحِمَهُ اللَّهُ: أحاديث الحوض صحيحة، والإيمان به فرض والتصديق به من الإيمان، وهو على ظاهره عند أهل السنة والجماعة لا يُتأول ولا يُختلف فيه. قال القاضي: وحديثه متواتر النقل رواه خلائق من الصحابة.

## إثبات الحوض:

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية ١](١).

---

(١) **وقال الطبري في «تفسيره» (٢٤/ ٦٤٥)**: يقول تعالى ذكره: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ﴾ يا محمد ﴿ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: الآية ١].

واختلف أهل التأويل في معنى الكوثر: فقال بعضهم: هو نهر في الجنة أعطاه الله نبيه محمدًا ﷺ. حدثني يعقوب، قال: ثنا هشيم، قال: أخبرنا عطاء بن السائب، عن محارب بن دثار، عن ابن عمر، أنه قال: الكوثر: نهر في الجنة، حافتاه من ذهب وفضة، يجري على الدرّ والياقوت، ماؤه أشدّ بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل.

حدثنا ابن حميد، قال: ثنا جرير، عن عطاء، عن محارب بن دثار الباهلي، عن ابن عمر، في قوله: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية ١] قال: «نهر في الجنة، حافتاه الذهب، ومجراه على الدرّ والياقوت، وماؤه أشدّ بياضًا من الثلج، وأشدّ حلاوة من العسل، وتربته أطيب من ريح المسك».

**وقال الزجاج (٥/ ٣٦٩)**: جاء في التفسير أن الكوثر نهر في الجنة أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل، حافَّتَاه قباب الدر، مجوف. وجاء في التفسير أيضًا أن الكوثر الإسلام والنبوةُ. وقال أهل اللغة: الكوثر فوعل من الكثرة، ومعناه الخير الكثير. وجميع ما جاء في تفسير هذا قد أعطيه النبي ﵇، قد أعطي الإسلام والنبوة وإظهار الدين الذي أتى به على كل دين والنصر على عدوه والشفاعة وما لا يحصى مما أعطيه، وقد أُعطي من الجنة على قدر فضله على أهل الجنة.

**وقال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٩٨)**: قَالَ الْإِمَامُ أَحْمَدُ: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ فُضَيْلٍ، عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: أَغْفَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِغْفَاءَةً، فَرَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، إِمَّا قَالَ لَهُمْ وَإِمَّا قَالُوا لَهُ: لِمَ ضَحِكْتَ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّهُ أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**». فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: الآية ١] حَتَّى خَتَمَهَا، قَالَ: «**هَلْ تَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**»، قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ رَبِّي،** ﷻ، **فِي الْجَنَّةِ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ** =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= عَدَدَ الْكَوَاكِبِ، **يُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: يَا رَبِّ، إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيُقَالُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ»**. هَكَذَا رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ بِهَذَا الْإِسْنَادِ الثُّلَاثِيِّ، وَهَذَا السِّيَاقِ.

وَقَدْ وَرَدَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يَشْخَب فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ السَّمَاءِ عَنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ آنِيَةً عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ.

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، وَعَلِيِّ ابْنِ مُسْهِرٍ، كِلَاهُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسٍ. وَلَفظُ مُسْلِمٍ قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، قُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**»، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدنيه رَبِّي ﷻ، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النُّجُومِ فَيختلجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ**».

وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ مِنَ السُّورَةِ، وَأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ مَعَهَا.

فَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية ١] فَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هَذَا الْحَدِيثِ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ.

وَقَدْ رَوَاهُ الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٢/ ٢٤٧) مِنْ طَرِيقٍ أُخْرَى، عَنْ أَنَسٍ فَقَالَ: حدثنا عفان، حدث عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ قَرَأَ هَذِهِ الْآيَةَ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية ١] قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ، فَإِذَا هُوَ نَهَرٌ يَجْرِي، وَلَمْ يُشق شَقًّا، وَإِذَا حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي فِي تُرْبَتِهِ، فَإِذَا مِسْكُهُ ذَفِرَة، وَإِذَا حَصَاهُ اللُّؤْلُؤُ**».

وقال الْإِمَامُ أَحْمَدُ (٣/ ١٠٣) أَيْضًا: حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي عَدِيٍّ، عَنْ حُمَيْدٍ، عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَإِذَا أَنَا بِنَهْرٍ، حَافَّتَاهُ خِيَامُ اللُّؤْلُؤِ، فَضَرَبْتُ بِيَدِي إِلَى مَا يَجْرِي فِيهِ الْمَاءُ، فَإِذَا مِسكٌ أَذْفَرُ. قُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَهُ اللَّهُ ﷻ**».

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ (٤٩٤٦)، وَمُسْلِمٌ (٢٣٠٣)، مِنْ حَدِيثِ شَيْبَانَ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= قَالَ: «**أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ فَقُلْتُ: مَا هَذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الْكَوْثَرُ**».
وَهَذَا لَفْظُ الْبُخَارِيِّ رَحِمَهُ اللهُ.

**وقال ابْنُ جَرِيرٍ (٢٠٧/٣٠)**: حَدَّثَنَا الرَّبِيعُ، أَخْبَرَنَا ابْنُ وَهْبٍ، عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ هِلَالٍ، عَنْ شَرِيكِ بْنِ أَبِي نَمِرٍ، قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يُحَدِّثُنَا قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، مَضَى بِهِ جِبْرِيلُ فِي السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَذَهَبَ يُشَمّ تُرَابَهُ، فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ. قَالَ: «**يَا جِبْرِيلُ، مَا هَذَا النَّهْرُ؟ قَالَ: هُوَ الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ**».

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي حَدِيثِ الْإِسْرَاءِ فِي سُورَةِ «سُبْحَانَ»، مِنْ طَرِيقِ شَرِيكٍ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُخَرَّجٌ فِي الصَّحِيحَيْنِ.

وقال سَعِيدٌ، عَنْ قَتَادَةَ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذْ عَرَضَ لِي نَهْرٌ، حَافَّتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ مُجَوَّفٌ، فَقَالَ الْمَلَكُ الَّذِي مَعَهُ: أَتَدْرِي مَا هَذَا؟ هَذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ اللَّهُ. وَضَرَبَ بِيَدِهِ إِلَى أَرْضِهِ، فَأَخْرَجَ مِنْ طِينِهِ الْمِسْكَ**» وَكَذَا رَوَاهُ سُلَيْمَانُ بْنُ طِرْخَانَ، وَمَعْمَرٌ وهَمَّامٌ وَغَيْرُهُمْ، عَنْ قَتَادَةَ، بِهِ.

**وقال ابْنُ جَرِيرٍ(٢٠٩/٣٠)**: حَدَّثَنَا أَحْمَدُ بْنُ أَبِي سُرَيجٍ حَدَّثَنَا أَبُو أَيُّوبَ الْعَبَّاسِيُّ، حَدَّثَنَا إِبْرَاهِيمُ بْنُ سَعْدٍ، حَدَّثَنِي مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ - ابْنُ أَخِي ابْنِ شِهَابٍ - عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَنَسٍ قال: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْكَوْثَرِ، فَقَالَ: «**هُوَ نَهْرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ فِي الْجَنَّةِ، تُرَابُهُ مِسْكٌ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، تَرِدُهُ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا مِثْلُ أَعْنَاقِ الْجُزُرِ**». فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ؟ قَالَ: «**أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**».

**وقال أَحْمَدُ (٢٢٠/٣)**: حَدَّثَنَا أَبُو سَلَمَةَ الْخُزَاعِيُّ، حَدَّثَنَا اللَّيْثُ، عَنْ يَزِيدَ بْنِ الْهَادِ، عَنْ عَبْدِ الْوَهَّابِ، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُسْلِمِ بْنِ شِهَابٍ، عَنْ أَنَسٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: «**نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طُيُورٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْجُزُرِ**». قَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ؟ قَالَ: «**أَكْلُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا يَا عُمَرُ**».

رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ (٣٠/ ٢٠٩)، مِنْ حَدِيثِ الزُّهْرِيِّ، عَنْ أَخِيهِ عَبْدِ اللَّهِ، عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ سَأَلَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عن الْكَوْثَرِ، فَذَكَرَ مِثْلَهُ سَوَاءً.

**وقال الْبُخَارِي (٤٩٦٥)**: حَدَّثَنَا خَالِدُ بْنُ يَزِيدَ الْكَاهِلِيُّ، حَدَّثَنَا إِسْرَائِيلُ، عَنْ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية ١] قَالَتْ: نَهْرٌ عَظِيمٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ ﷺ، شَاطِئَاهُ عَلَيْهِ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ.
ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ: رَوَاهُ زَكَرِيَّا وَأَبُو الْأَحْوَصِ وَمُطَرِّفٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ.
وَرَوَاهُ أَحْمَدُ (٦/ ٨١)، والنَّسَائِي «الكبرى» (١١٧٠٥)، مِنْ طَرِيقِ مُطَرِّفٍ، بِهِ. وَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ سُفْيَانَ، وَإِسْرَائِيلَ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، شَاطِئَاهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ. وَقَالَ إِسْرَائِيلُ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ عَلَيْهِ مِنَ الْآنِيَةِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ.
وَحَدَّثَنَا ابْنُ حُمَيْدٍ، حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ الْقُمِّيُّ عَنْ حَفْصِ بْنِ حُمَيْدٍ، عَنْ شَمِرِ بْنِ عَطِيَّةَ، عَنْ شَقِيقٍ أَوْ مَسْرُوقٍ قَالَ: قُلْتُ لِعَائِشَةَ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ، حَدِّثِينِي عَنِ الْكَوْثَرِ. قَالَتْ: نَهْرٌ فِي بُطْنَانِ الْجَنَّةِ. قلتُ: وَمَا بُطْنَانُ الْجَنَّةِ؟ قَالَتْ: وَسَطُهَا، حَافَّتَاهُ قُصُورُ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ، تُرَابُهُ الْمِسْكُ، وَحَصَاؤُهُ اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتُ.
وَحَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا وَكِيعٌ، عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الرَّازِيِّ، عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ، عَنْ عَائِشَةَ قَالَتْ: مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَسْمَعَ خَرِيرَ الْكَوْثَرِ، فَلْيَجعل أُصْبُعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ. وَهَذَا مُنْقَطِعٌ بَيْنَ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ وَعَائِشَةَ، وَفِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ: «عَنْ رَجُلٍ، عَنْهَا». وَمَعْنَى هَذَا أَنَّهُ يَسْمَعُ نَظِيرَ ذَلِكَ، لَا أَنَّهُ يَسْمَعُهُ نَفْسَهُ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
**قال السُّهَيْلِيُّ:** وَرَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ مَرْفُوعًا، مِنْ طَرِيقِ مَالِكِ بْنِ مِغْوَلٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ، عَنْ مَسْرُوقٍ، عَنْ عَائِشَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ.
**ثُمَّ قَالَ الْبُخَارِيُّ (٤٩٦٦):** حَدَّثَنَا يَعْقُوبُ بْنُ إِبْرَاهِيمَ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا أَبُو بِشْرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ فِي الْكَوْثَرِ: هُوَ الْخَيْرُ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ. قَالَ أَبُو بِشْرٍ: قُلْتُ لِسَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ: فَإِنَّ نَاسًا يَزْعُمُونَ أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ؟ فَقَالَ سَعِيدٌ: النَّهْرُ الَّذِي فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْخَيْرِ الَّذِي أَعْطَاهُ اللَّهُ إِيَّاهُ.
وَرَوَاهُ (٦٥٧٨) أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ هُشَيْمٍ، عَنْ أَبِي بِشْرٍ وَعَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ.
وَقَالَ الثَّوْرِيُّ، عَنْ عَطَاءِ بْنِ السَّائِبِ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: الْخَيْرُ الْكَثِيرُ.

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

وَهَذَا التَّفْسِيرُ يَعُمُّ النَّهْرَ وَغَيْرَهُ؛ لِأَنَّ الْكَوْثَرَ مِنَ الْكَثْرَةِ، وَهُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَمِنْ ذَلِكَ النَّهْرُ كَمَا قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ، وَعِكْرِمَةُ، وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ، وَمُجَاهِدٌ، وَمُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ، وَالْحَسَنُ بْنُ أَبِي الْحَسَنِ الْبَصْرِيُّ. حَتَّى قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ.

وقال عِكْرِمَةُ: هُوَ النُّبُوَّةُ وَالْقُرْآنُ، وَثَوَابُ الْآخِرَةِ.

وَقَدْ صَحَّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ فَسَّرَهُ بِالنَّهْرِ أَيْضًا، فَقَالَ ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنَا أَبُو كُرَيْبٍ، حَدَّثَنَا عُمَرُ بْنُ عُبَيْدٍ، عَنْ عَطَاءٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: الْكَوْثَرُ: نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ ذَهَبٌ وَفِضَّةٌ، يَجْرِي عَلَى الْيَاقُوتِ وَالدُّرِّ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ.

وَرَوَى الْعَوْفِيُّ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ نَحْوَ ذَلِكَ.

وقال ابْنُ جَرِيرٍ: حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، أَخْبَرَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ، عَنْ مُحَارِبِ بْنِ دِثَارٍ، عَنِ ابْنِ عُمَرَ أَنَّهُ قَالَ: الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ ذَهَبٌ وفِضَّةٌ، يَجْرِي عَلَى الدُّرِّ.

**وقال ابْنُ جَرِيرٍ:** حَدَّثَنِي يَعْقُوبُ، حَدَّثَنَا ابْنُ عُلَيَّةَ، أَخْبَرَنَا عَطَاءُ بْنُ السَّائِبِ قَالَ: قَالَ لِي مُحَارِبُ بْنُ دِثَارٍ مَا قَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيْرٍ فِي الْكَوْثَرِ، قلتُ: حَدَّثَنَا عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ. فَقَالَ: صَدَقَ، وَاللَّهِ إِنَّهُ لَلْخَيْرُ الْكَثِيرُ. وَلَكِنْ حَدَّثَنَا ابْنُ عُمَرَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْكَوْثَرُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَّتَاهُ مِنْ ذَهَبٍ، يَجْرِي عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ**».

**وقال ابْنُ جرِيرٍ:** حَدَّثَنِي ابْنُ الْبَرْقِيِّ، حَدَّثَنَا ابْنُ أَبِي مَرْيَمَ، حَدَّثَنَا مُحَمَّدُ بْنُ جَعْفَرِ بْنِ أَبِي كَثِيرٍ، أَخْبَرَنِي حَرَامُ بْنُ عُثْمَانَ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ الْأَعْرَجِ، عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَتَى حَمْزَةَ بْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ يَوْمًا فَلَمْ يَجِدْهُ، فَسَأَلَ امْرَأَتَهُ عَنْهُ – وَكَانَتْ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ–فَقَالَتْ: خَرَجَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ آنِفًا عَامِدًا نَحْوَكَ، فَأَظُنُّهُ أَخْطَأَكَ فِي بَعْضِ أَزِقَّةِ بَنِي النَّجَّارِ، أَوَلَا تدخلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ فَدَخَلَ، فَقَدَّمَتْ إِلَيْهِ حَيْسًا، فَأَكَلَ مِنْهُ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَنِيئًا لَكَ وَمَرِيئًا، لَقَدْ جِئْتَ وَأَنَا أُرِيدُ أَنْ آتِيَكَ فَأُهَنِيكَ وَأُمْرِيكَ؛ أَخْبَرَنِي أَبُو عُمَارَةَ أَنَّكَ أُعْطِيتَ نَهْرًا فِي الْجَنَّةِ يُدْعَى الْكَوْثَرَ. فَقَالَ: «**أَجَلْ، وَعَرَضُهُ – يَعْنِي أَرْضَهُ – يَاقُوتٌ وَمَرْجَانٌ، وَزَبَرْجَدٌ وَلُؤْلُؤٌ**». =

وعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قال: لما عُرج بالنبي ﷺ إلى السماء، قال: «**أتيت على نهر، حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفًا، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر**»[١].

وعنه أيضًا، عن النبي ﷺ قال: «**بينما أنا أسير في الجنة، إذا أنا بنهر حافتاه قباب الدر المجوف، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك، فإذا طينه - أو طِيبه - مسك أذفر**»[٢].

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند البخاري (٦٥٨٢) عن النبي ﷺ قال: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ ناس من أصحابي الحوضَ، حتى عرفتهم، اختلجوا دوني، فأقول: أصحابي. فيقول: لا تدري ما أحدثوا بعدك**».

وعنه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عند البخاري (٦٥٨٠) بلفظ أن رسول الله ﷺ قال: «**إن قدر حوضي كما بين أيلة وصنعاء من اليمن، وإن فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء**» وعند مسلم (٢٣٠٣): «**مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالْمَدِينَةِ**».

وعن ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنَّ أَمَامَكُمْ حَوْضًا، مَا بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ**»[٣].

---

= حَرَامُ بْنُ عُثْمَانَ ضَعِيفٌ. وَلَكِنَّ هَذَا سِيَاقٌ حَسَنٌ، وَقَدْ صَحَّ أَصْلُ هَذَا، بَلْ قَدْ تَوَاتَرَ مِنْ طَرِيقٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَكَذَلِكَ أَحَادِيثُ الْحَوْضِ وَلْنَذْكُرْهَا هَاهُنَا. وَهَكَذَا رُوِيَ عَنْ أَنَسٍ، وَأَبِي الْعَالِيَةِ، وَمُجَاهِدٍ، وَغَيْرِ واحدٍ مِنَ السَّلَفِ: أَنَّ الْكَوْثَرَ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ. وَقَالَ عَطَاءٌ: هُوَ حَوْضٌ فِي الْجَنَّةِ.

**وقال السعدي (ص٩٣٥):** أي: الخير الكثير، والفضل الغزير، الذي من جملته ما يعطيه الله لنبيه ﷺ يوم القيامة، من النهر الذي يقال له الكوثر ومن الحوض. طوله شهر، وعرضه شهر، ماؤه أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل، آنيته كنجوم السماء في كثرتها واستنارتها، مَن شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا.

(١) أخرجه البخاري (٤٩٦٤).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨١).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩).

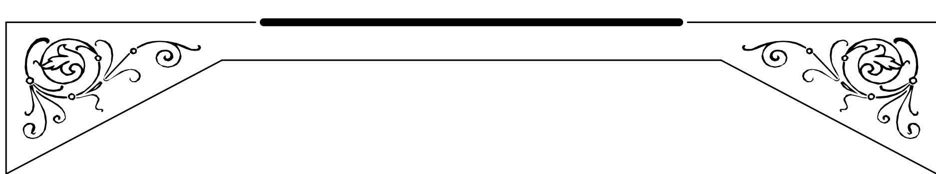
وعن جُنْدَبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، يَقُولُ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ**»(١).

وعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ: أن النبي ﷺ خرج يومًا، فصلى على أهل أُحُد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «**إني فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإني والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإني أُعطيت مفاتيح خزائن الأرض - أو مفاتيح الأرض - وإني والله ما أخاف عليكم أن تشركوا بعدي، ولكن أخاف عليكم أن تنافسوا فيها**»(٢).



(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٩)، ومسلم (٢٢٨٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٣٤٤)، ومسلم (٢٢٩٦).



## صفة الحوض

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**»(١).

وعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «**أَلَا إِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ بُعْدَ مَا بَيْنَ طَرَفَيْهِ كَمَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَأَيْلَةَ، كَأَنَّ الْأَبَارِيقَ فِيهِ النُّجُومُ**»(٢).

**قال ابن كثير في «تفسيره» (٨/ ٤٩٨):** وَقَدْ وَرَدَ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَنَّهُ يَشْخَب فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ السَّمَاءِ عَنْ نَهْرِ الْكَوْثَرِ، وَأَنَّ عَلَيْهِ آنِيَةً عَدَدَ نُجُومِ السَّمَاءِ.

وَقَدْ رَوَى هَذَا الْحَدِيثَ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ، مِنْ طَرِيقِ مُحَمَّدِ بْنِ فُضَيْلٍ، وَعَلِيِّ بْنِ مُسْهِرٍ، كِلَاهُمَا عَنِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ، عَنْ أَنَسٍ. وَلَفَظُ مُسْلِمٍ قَالَ: «بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ، إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُبْتَسِمًا، قُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أُنزلَتْ عَلَيَّ آنِفًا سُورَةٌ**»، فَقَرَأَ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ ثُمَّ قَالَ: «**أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟**» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: «**فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدنيه رَبِّي ﷻ عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد النُّجُومِ فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ، فَأَقُولُ: رَبِّ**

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٣).

(٢) أخرجه مسلم (٢٣٠٥).

**إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ»**.

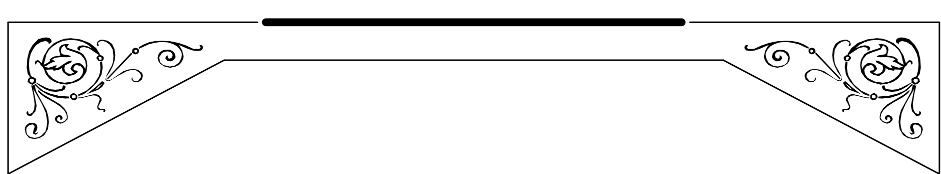
وَقَدِ اسْتَدَلَّ بِهِ كَثِيرٌ مِنَ الْقُرَّاءِ عَلَى أَنَّ هَذِهِ السُّورَةَ مَدَنِيَّةٌ، وَكَثِيرٌ مِنَ الْفُقَهَاءِ عَلَى أَنَّ الْبَسْمَلَةَ مِنَ السُّورَةِ، وَأَنَّهَا مُنَزَّلَةٌ مَعَهَا.

**وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٧١):** وقد جمع العلماء بين هذا الاختلاف:

فقال عياض: هذا من اختلاف التقدير لأن ذلك لم يقع في حديث واحد فيُعد اضطرابًا من الرواة، وإنما جاء في أحاديث مختلفة عن غير واحد من الصحابة سمعوه في مواطن مختلفة، وكان النبي ﷺ يضرب في كل منها مثلًا لبُعد أقطار الحوض وسعته بما يسنح له من العبارة ويقرب ذلك للعلم ببعد ما بين البلاد النائية بعضها من بعض، لا على إرادة المسافة المحققة. قال فبهذا يُجمع بين الألفاظ المختلفة من جهة المعنى. انتهى ملخصًا.

وفيه نظر من جهة أن ضرب المثل والتقدير إنما يكون فيما يتقارب، وأما هذا الاختلاف المتباعد الذي يزيد تارة على ثلاثين يومًا وينقص إلى ثلاثة أيام فلا.

وقال القرطبي: ظن بعض القاصرين أن الاختلاف في قدر الحوض اضطراب، وليس كذلك، ثم نقل كلام عياض وزاد: وليس اختلافًا بل كلها تفيد أنه كبير متسع متباعد الجوانب. ثم قال: ولعل ذِكره للجهات المختلفة بحسب مَن حضره ممن يعرف تلك الجهة، فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها. وأجاب النووي بأنه ليس في ذكر المسافة القليلة ما يدفع المسافة الكثيرة؛ فالأكثر ثابت بالحديث الصحيح فلا معارضة، وحاصله أنه يشير إلى أنه أخبر أولًا بالمسافة اليسيرة، ثم أعلم بالمسافة الطويلة فأخبره بها، كأن الله تفضل عليه باتساعه شيئًا بعد شيء، فيكون الاعتماد على ما يدل على أطولها مسافة.



## سعة الحوض

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، حَدَّثَهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**»(١).

وعَنْ حَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ ذَكَرَ الحَوْضَ فَقَالَ: «**كَمَا بَيْنَ المَدِينَةِ وَصَنْعَاءَ**»(٢).

وعَنْه بلفظ: «**حَوْضُهُ مَا بَيْنَ صَنْعَاءَ وَالمَدِينَةِ**»(٣).

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ رضي الله عنهما، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**أَمَامَكُمْ حَوْضٌ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ**»(٤).

---

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٣).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٩١)، ومسلم (٢٢٩٨).

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩٢)، ومسلم (٢٢٩٨).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٧٧)، ومسلم (٢٢٩٩).

**قال النووي (١٥/ ٥٨):** قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَهَذَا الِاخْتِلَافُ فِي قَدْرِ عَرْضِ الْحَوْضِ لَيْسَ مُوجِبًا لِلِاضْطِرَابِ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْتِ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ بَلْ فِي أَحَادِيثَ مُخْتَلِفَةِ الرُّوَاةِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ سَمِعُوهَا فِي مَوَاطِنَ مُخْتَلِفَةٍ، ضَرَبَهَا النَّبِيّ ﷺ فِي كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا مَثَلًا لِبُعْدِ أَقْطَارِ الْحَوْضِ وَسَعَتِهِ، وَقَرَّبَ ذَلِكَ مِنَ الْأَفْهَامِ لِبُعْدِ مَا بَيْنَ الْبِلَادِ الْمَذْكُورَةِ، لَا عَلَى التَّقْدِيرِ الْمَوْضُوعِ لِلتَّحْدِيدِ، بَلْ لِلْإِعْلَامِ بِعِظَمِ هَذِهِ الْمَسَافَةِ، فَبِهَذَا تُجْمَعُ الرِّوَايَاتُ.

هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي. قُلْتُ: وَلَيْسَ فِي الْقَلِيلِ مِنْ هَذِهِ مَنْعُ الْكَثِيرِ، وَالْكَثِيرُ ثَابِتٌ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= عَلَى ظَاهِرِ الْحَدِيثِ وَلَا مُعَارَضَةَ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.
**وقال القاري في «شرح صحيح البخاري» (٢٣/ ١٣٧):** وَهَذَا الْموضع يحْتَاج إِلَى بسط كَلَام لوُقُوع الِاخْتِلَاف الْكثير فِي طول الْحَوْض وَعرضه:
وَهنا قَالَ: «**مَا بَين جرباء وأذرح**»، وَلم بَين قدر الْمسَافَة بَينهمَا، وَفِي حَدِيث عبد الله بن عَمْرو على مَا يَجِيء: «**حَوْضِي مسيرَة شهر**،» وَفِي حَدِيث أنس عِنْده أَيْضًا: «**قدر حَوْضِي كَمَا بَين أَيْلَة وَصَنْعَاء من الْيمن**»، وَفِي حَدِيث حَارِثَة بن وهب عِنْده أَيْضًا: «**كَمَا يبين الْمَدِينَة وَصَنْعَاء**»، وَفِي حَدِيث جَابر بن سَمُرَة عِنْد مُسلم: «**بُعْد مَا بَين طَرفَيْهِ كَمَا بَين صنعاء وأيلة**»، وَفِي حَيْثُ عقبَة بن عَامر عِنْده أَيْضًا: «**وَإِن عرضه كَمَا بَين أَيْلَة إِلَى الْجُحْفَة**». وَفِي حَدِيث حُذَيْفَة رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ: «**مَا بَين عدن وأيلة**»، وَفِي حَدِيث أبي ذَر: «**مَا بَين عمان إِلَى أَيْلَة**». وَفِي حَدِيث أبي بردة عِنْد ابْن حبَان: «**مَا يبن ناحيتي حَوْضِي كَمَا يبين أَيْلَة وَصَنْعَاء مسيرَة شهر**». وَفِي حَدِيث جَابر رَضِي الله تَعَالَى عَنهُ: «**كَمَا يبين صنعاء إِلَى الْمَدِينَة**»، وَفِي حَدِيث ثَوْبَان: «**مَا بَين عدن وعمان البلقاء**»، وَعند عبد الرَّزَّاق فِي حَدِيث ثَوْبَان: «**مَا بَين مَكَّة وأيلة**»، وَفِي لفظ: «**مَا بَين مَكَّة وعمان**». وَفِي حَدِيث عبد الله بن عمر وَعند أَحْمد: «**بعْدهَا بَين مَكَّة وأيلة**»، وَفِي لفظ: «**مَا بَين مَكَّة وعمان**»، وَفِي حَدِيث حُذَيْفَة بن أسيد: «**مَا بَين صنعاء إِلَى بَصرِي**»، وَفِي حَدِيث أنس عِنْد أَحْمد: «**كَمَا بَين مَكَّة وأيلة، أَو: بَين صنعاء وَمَكَّة**»، وَفِي حَدِيث أبي سعيد عِنْد ابْن أبي شيبَة وَابْن مَاجَه: «**مَا بَين الكعبة إِلَى الْقُدس**»، وَفِي حَدِيث عتبَة بن عمر وَعند الطَّبَرَانِيّ: «**كَمَا بَين الْبَيْضَاء إِلَى بَصرِي**».
**وَقد جمع الْعلمَاء بَين هَذَا الِاخْتِلَاف:**
**فَقَالَ القَاضِي عِيَاض:** هَذَا من اخْتِلَاف التقادير لِأَن ذَلِك لم يَقع فِي حَدِيث وَاحِد فيعد اضطرابًا من الروَاة، وَإِنَّمَا جَاءَ من أَحَادِيث مُخْتَلفَة عَن غير وَاحِد من الصَّحَابَة سَمِعُوهُ فِي مَوَاطِن مُخْتَلفَة، وَكَانَ النَّبِي ﷺ يضْرب فِي كل مِنْهَا مثلًا لبعد أقطار الْحَوْض وسعته بِمَا سنح لَهُ من الْعبارَة، وَيقرب ذَلِك ببعد مَا بَين الْبِلَاد النائية بَعْضهَا من بعض، لَا على إِرَادَة الْمسَافَة المتحققة.
**قَالَ:** فَبِهَذَا يُجمع بَين الْأَلْفَاظ الْمُخْتَلفَة من جِهَة الْمَعْنى. انْتهى.
**وَقَالَ بَعضهم:** وَفِيه نظر من جِهَة أَن ضرب الْمثل وَالتَّقْدِير إِنَّمَا يكون فِيمَا يتقارب، =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وَأَمَّا هَذَا الِاخْتِلَاف المتباعد الَّذِي يزِيد تَارَة إِلَى ثَلَاثِينَ يَوْمًا، وَينْقص إِلَى ثَلَاثَة أَيَّام فَلَا. انْتهى.

**قلت:** فِي نظره نظر لِأَنَّهُ يحْتَمل أَنه ﷺ لما أخبر بِثَلَاثَة أَيَّام كَانَ هَذَا الْمِقْدَار، ثمَّ إِن الله تَعَالَى تفضل عَلَيْهِ باتساعه شَيْئًا بعد شَيْء، وَكلما اتَّسع أخبرهُ بِقدر مَا اتَّسع، وكل من روى بِمِقْدَار خلاف مَا رَوَاهُ غَيره بِحَسب ذَلِك.

**وَبِهَذَا الْوَجْه يحصل الْجَواب الشافي عَن الِاخْتِلَاف الْمَذْكُور، فَلَا يُحْتَاج بعد ذَلِك إِلَى كَلَام طَوِيل غير طائل، كَمَا صدر ذَلِك عَن بَعضهم.**

**وَأما تَفْسِير الْمَوَاضِع الْمَذْكُورَة فَنَقُول:** الأيلة مَدِينَة كَانَت عامرة وَهِي بِطرف بَحر القلزم من طرف الشَّام، وَهِي الْآن خراب يمر بهَا الْحَاج من مصر وغزة، وإليها تنْسب الْعقبَة الْمَشْهُورَة عِنْد أهل مصر، بَينهَا وَبَين الْمَدِينَة النَّبَوِيَّة نَحْو شهر بسير الأثقال كل يَوْم مرحلة. وإلاَّ فدون ذَلِك. وَصَنْعَاء: ثِنْتَانِ:

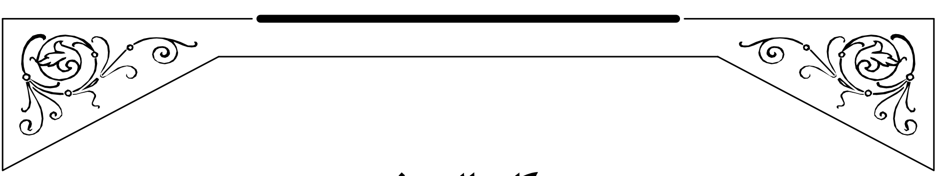
إِحْدَاهمَا: صنعاء الْيمن أعظم مدنها.

وَالْأُخْرَى: صنعاء قَرْيَة على بَاب دمشق من نَاحيَة بَاب الفراديس، قَالَه ياقوت، وَالْأولَى هِيَ المرادة فِي الحَدِيث، فَلذَلِك قَيَّد فِي الحَدِيث: وَصَنْعَاء من الْيمن. والجحفة بِضَم الْجِيم وَسُكُون الْحَاء وَهُوَ مَوضِع بِالْقربِ من رابغ وَهِي من مِيقَات أهل الشَّام ومصر، وَالْيَوْم أهل الشَّام يحرمُونَ من ذِي الحليفة مِيقَات أهل الْمَدِينَة. وعدن مَدِينَة فِي أقْصَى الْيمن على سَاحل بَحر الْهِنْد. وعمان ثِنْتَانِ:

الأولى بِفَتْح الْعين وَتَشْديد الْمِيم وبتخفيفها بلد قريب من البلقاء فلذك قيل عمان البلقاء.

وَالْأُخْرَى بِضَم الْعين وَتَخْفِيف الْمِيم بلد على شاطئ الْبَحْر بَين الْبَصْرَة وعدن. والبلقاء: بِفَتْح الْبَاء الْمُوَحدَة وَسُكُون اللَّام بعْدهَا قَاف وبالمد: بَلْدَة مَعْرُوفَة من فلسطين، قَالَه بَعضهم.

**قلت:** البلقاء تمد وتقصر، وَقَالَ الرشاطي: البلقاء من عمل دمشق. وبُصرى: بِضَم الْبَاء الْمُوَحدَة وَسُكُون الصَّاد الْمُهْملَة، قَالَ ياقوت: بلد بِالشَّام وَهِي قَصَبَة حوران من أَعمال دمشق. والبيضاء: بِالْقربِ من الربذة الْبَلَد الْمَعْرُوف بَين مَكَّة وَالْمَدينَة، وَقَالَ الرشاطي: الْبَيْضَاء تَأْنِيث الْأَبْيَض، مَوضِع تِلْقَاء حمى الربذة.



## مكان الحوض

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قال: «**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ. فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ. قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ، قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ**»[1].

**قال القرطبي في «التذكرة» (ص٣٤٧):** فهذا الحديث مع صحته أدل دليل على أن الحوض يكون في الموقف قبل الصراط.



(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).



## زوايا الحوض

عن عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»(١).

**قال بدر الدين العيني في «شرح صحيح البخاري» (٢٣/ ١٣٩):** قَوْله: (وكيزانه) جمع كوز. قَوْله: (كنجوم السَّمَاء) الظَّاهِر أَن التَّشْبِيه فِي الْعدَد وَيحْتَمل أَن يكون فِي الضياء. وَعند مُسلم من حَدِيث ابْن عمر: «فِيهِ أَبَارِيق كنجوم السَّمَاء». قَوْله: (من شرب مِنْهَا) أَي: من الكيزان. وَفِي رِوَايَة الْكشميهني: «من شرب مِنْهُ»، أَي: من شرب من الْحَوْض. قَوْله: (فَلَا يظمأ أبدًا) أَي: فَلَا يعطش أبدًا، وَزَاد ابْن أبي عَاصِم فِي حَدِيث أُبي بْن كَعْب: «وَمتى صُرف عَنهُ لم يرو أبدًا».

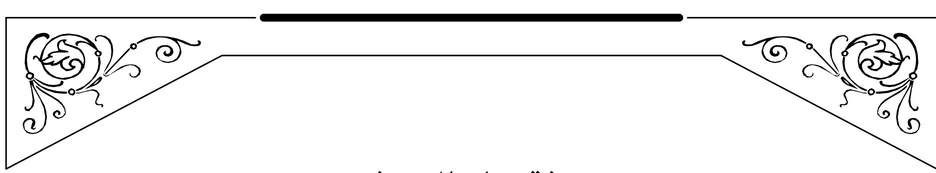
**وقال القاري في«مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣٥٣٦):** قوله: (حوضي) أي: مقداره (مسيرة شهر، وزواياه): جمع زاوية، وهي الجانب والناحية، أي: أطراف حوضي (سواء) أي: مربع مستوٍ لا يزيد طوله على عرضه، وقيل: عمقه أيضًا (ماؤه): استئناف بيان (أبيض من اللبن)، قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ: النحويون يقولون: لا يُبنى فعل التعجب وأفعل التفضيل من الألوان والعيوب، بل يُتوصل إليه بنحو أشد وأبلغ، فلا يقال: ما أبيضَ زيدًا! ولا: زيد أبيض من

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩٢).

عمرو. وهذا الحديث يدل على صحة ذلك وحجة على من منعوه، وهي لغة وإن كانت قليلة الاستعمال. (وريحه أطيب من المسك، وكيزانه): جمع كوز (كنجوم السماء) أي: في الكثرة والنورانية (مَن يشرب): بالرفع، وفي نسخة بالجزم. قال الطيبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: يجوز أن يكون مرفوعًا على أن (مَن) موصولة، ومجزومًا على أنها شرطية، وقوله: (منها) أي: من كيزانه، وفي رواية (منه)، أي: من الحوض، أو من مائه (فلا يظمأ): برفع الهمزة وقيل بالجزم، أي: فلا يعطش (أبدًا)، فيكون شربه في الجنة تلذذًا كأكله تنعمًا؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ﴾ [طه: ١١٧ - ١١٩].

**وقال النووي في «شرحه» على مسلم (١٥/ ٥٥):** (حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ) قَالَ الْعُلَمَاءُ: مَعْنَاهُ طُولُهُ كَعَرْضِهِ كَمَا قَالَ فِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ الْمَذْكُورِ فِي الْكِتَابِ: (عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ).

**وقال القرطبي في «المفهم» (٦/ ٧٣):** وقوله ﷺ: «**حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء**»؛ أي: أركانه معتدلة؛ يعني أن ما بين الأركان متساوٍ، فهو معتدل التربيع، وقد اختلفت الألفاظ الدالة على مقدار الحوض، كما هو مبيَّن في الروايات المذكورة في الأصل. وقد ظن بعض القاصرين أن ذلك اضطراب، وليس كذلك وإنما تحدَّث النبي ﷺ بحديث الحوض مرات عديدة، وذكر فيها تلك الألفاظ المختلفة إشعارًا بأن ذلك تقدير لا تحقيق، وكلها تفيد أنه كبير متسع، متباعد الجوانب والزوايا، ولعل سبب ذكره للجهات المختلفة في تقدير الحوض - أن ذلك إنما كان بحسب مَن حضره ممن يعرف تلك الجهات، فيخاطب كل قوم بالجهة التي يعرفونها، والله تعالى أعلم.



## صفة ماء الحوض

وَعنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ، وَمَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ الْوَرِقِ، وَرِيحُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ كَنُجُومِ السَّمَاءِ، فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَا يَظْمَأُ بَعْدَهُ أَبَدًا**»[(١)].

### ماؤه أحلى من العسل

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ حَوْضِي أَبْعَدُ مِنْ أَيْلَةَ مِنْ عَدَنٍ، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ الثَّلْجِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ بِاللَّبَنِ، وَلَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ النُّجُومِ، وَإِنِّي لَأَصُدُّ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَصُدُّ الرَّجُلُ إِبِلَ النَّاسِ عَنْ حَوْضِهِ**» قَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ أَتَعْرِفُنَا يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا لَيْسَتْ لِأَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الْوُضُوءِ**»[(٢)].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٧) (٢٢٩٢).

**قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٧٢):** قَالَ الْمَازِرِيُّ مُقْتَضَى كَلَامِ النُّحَاةِ أَنْ يُقَالَ: (أَشَدُّ بَيَاضًا) وَلَا يُقَالَ: (أَبْيَضُ مِنْ كَذَا) وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَهُ فِي الشِّعْرِ وَمِنْهُمْ مَنْ أَجَازَهُ بِقِلَّةٍ وَيَشْهَدُ لَهُ هَذَا الْحَدِيثُ وَغَيْرُهُ. قُلْتُ: وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ ذَلِكَ مِنْ تَصَرُّفِ الرُّوَاةِ فَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ مُسْلِمٍ بِلَفْظِ: «أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ».

(٢) أخرجه مسلم (٢٤٧).

**وقال القاري في «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣٥٣٦):** أي: بُعْد ما بين طرفي حوضي (أبعد من أيلة): بفتح فسكون تحتية، أي: أزيد من بُعْد أيلة، وهي بلدة على الساحل من آخر بلاد الشام مما يلي بحر اليمن (من عدن): بفتحتين يُصرف ولا يُصرف، وهو =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= آخر بلاد اليمن مما يلي بحر الهند. قال الطيبي رَحِمَهُ اللهُ: (مِن) الأولى متعلقة بأبعد، والثانية متعلقة ببعد مقدر.

ثم التوفيق بين هذا الحديث وبين الخبر الآتي: «ما بين عدن وعمان»، وهو بفتح المهملة وتشديد الميم، اسم بلد بالشام «وما بين صنعاء والمدينة»، ونحو ذلك بأن ذلك الإخبار على طريق التقريب لا على سبيل التحديد والتفاوت بين اختلاف أحوال السامعين في الإحاطة به علمًا.

قال القاضي رَحِمَهُ اللهُ: اختلاف الأحاديث في مقدار الحوض لأنه - صلى الله تعالى عليه وسلم - قَدَّره على سبيل التمثيل والتخمين لكل أحد على حسب ما رواه وعرفه. (لهو): بضم الهاء ويسكن، واللام للابتداء، أي: لحوضي (أشد بياضًا من الثلج)، ولعله - صلى الله تعالى عليه وسلم - رأى الثلج في أرض الشام (وأحلى) أي: ألذ (من العسل باللبن) أي: المخلوط به (ولآنيته): جمع إناء، أي: ولظروفه من كيزانه وغيرها (أكثر من عدد النجوم، وإني لأصد) أي: أدفع وأمنع (الناس) أي: المنافقين والمرتدين (عنه) أي: الحوض (كما يصد الرجل) أي: الراعي (إبل الناس) أي: الأجانب (عن حوضه) أي: صيانة عن المشاركة والمحافظة (قالوا) أي: بعض الصحابة (أتعرفنا) أي: تميزنا من غيرنا (يومئذٍ؟ قال: نعم، لكم سيما): بالقصر وقد يُمد وهو العلامة، قال تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ﴾، (ليست) أي: تلك السيما (لأحد من الأمم)؛ إذ المقصود التمييز بمنزلة العلم (تردون): بكسر الراء من الورود، أي: تمرون (عليَّ غرًّا): جمع الأغر، وهو مَن في جبهته بياض (محجلين): بتشديد الجيم المفتوحة جمع محجل، وهو الذي في يديه ورجليه بياض (من أثر الوضوء): بضم الواو، أي: استعماله، وفي نسخة بالفتح، أي: ماء الوضوء، ونصبهما على الحال، والظاهر أن المراد بالسيما ما ذُكر من الوصفين؛ فهما من مختصات هذه الأمة، وإن كان الخلاف موجودا في كون الوضوء هل كان لسائر الأنبياء وأممهم أو لا؟ وإنما كان لهذه الأمة.

وقال بعضهم: وكان أيضًا للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - دون أممهم، وفي هذا فضيلة عظمى ومرتبة كبرى للأمة المرحومة. (رواه مسلم). أي: عن أبي هريرة.

### ماؤه أطيب من رائحة المسك:

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ اللهَ وَعَدَنِي أَنْ يُدْخِلَ مِنْ أُمَّتِي الْجَنَّةَ سَبْعِينَ أَلْفًا بِغَيْرِ حِسَابٍ**». فَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الْأَخْنَسِ السُّلَمِيُّ: وَاللهِ مَا أُولَئِكَ فِي أُمَّتِكَ إِلَّا كَالذُّبَابِ الْأَصْهَبِ فِي الذِّبَّانِ. فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**فَإِنَّ رَبِّي قَدْ وَعَدَنِي سَبْعِينَ أَلْفًا مَعَ كُلِّ أَلْفٍ سَبْعُونَ أَلْفًا، وَزَادَنِي ثَلَاثَ حَثَيَاتٍ**». قَالَ: فَمَا سِعَةُ حَوْضِكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**كَمَا بَيْنَ عَدَنَ إِلَى عُمَانَ وَأَوْسَعَ وَأَوْسَعَ**». يُشِيرُ بِيَدِهِ. قَالَ: «**فِيهِ مَثْعَبَانِ مِنْ ذَهَبٍ وَفِضَّةٍ**». قَالَ: فَمَا حَوْضُكَ يَا نَبِيَّ اللهِ؟ قَالَ: «**مَاءٌ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مَذَاقَةً مِنَ الْعَسَلِ وَأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ بَعْدَهَا وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَدًا**»(١).

### مَن شرب من حوضي لا يظمأ أبدًا:

عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، قال: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، مَنْ وَرَدَ شَرِبَ، وَمَنْ شَرِبَ لَمْ يَظْمَأْ أَبَدًا، وَلَيَرِدَنَّ عَلَيَّ أَقْوَامٌ أَعْرِفُهُمْ وَيَعْرِفُونِي، ثُمَّ يُحَالُ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ**»(٢).

---

(١) **حديث صحيح لشواهده:** أخرجه أحمد في «المسند» (٢٢١٥٦)، وابن حبان (٦٤٥٧) (٧٢٤٦).

(٢) أخرجه البخاري (٧٠٥٠) (٧٠٥١)، ومسلم (٢٢٩٠).

**قال القاضي عياض في «شرحه على مسلم» (٧/ ٢٥٧):** وقوله: (من شرب منه لم يظمأ أبدًا)، قال الإمام: أي: لم يعطش. قال ابن ولاد: الظمأ، بالهمز والقصر: العطش، يقال: ظمأ يظمأ ظمأ، وظمأه فهو ظمآن، والجمع ظمأ.

قال القاضي: ظاهره يدل أن الشرب منه بعد الحساب والنجاة من النار، فذلك للذى لا، يظمأ، لقوله: لم يظمأ أبدًا. وقيل: بل لا نشرب منه إلا من لم يقدر عليه بالنار. وقد يحتمل أن من شرب منه من هذه الآمة ثم قدر الله عليه العقوبة بالنار على =

## أباريق الحوض:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللهِ ﷺ: «**تُرَى فِيهِ أَبَارِيقُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**»(١).

---

= ذنوبه أنه لا يعذب فيها بالظمأ بل يكون عذابه بغير ذلك؛ إذ ظاهر حديث الحوض أنه تشرب منه الأمة كلها، إلا من ارتد على عقبه وغدر وبدل. وقد قيل: إن جميع الأمم المؤمنين يأخذ كتبها بأيمانها، ثم يعاقب الله من يشاء من مذنبيهم، وقيل: إنما يختص بآخذ كتابه بيمجنه الناجون، فهذا مثله.

**وقال القاري في «شرح صحيح البخاري» (٢٤/ ١٧٧):** قَوْله: (من ورده شرب) وَفِي رِوَايَة الْكشميهني: (من ورده يشرب) قَوْله: (لم يظمأ) قيل: هُوَ كِنَايَة عَن أَنه يدْخل الْجنَّة لِأَنَّهُ صفة مَن يدخلهَا. وَقَالَ الْكرْمَانِي: فَإِن قلت: قَالَ أَولًا: (من ورده شرب)، وآخرًا: (ليردن عَلَيَّ أَقوام. ثمَّ يُحَال)؟ قلت: الْوُرُود فِي الأول إِنَّمَا هُوَ على الْحَوْض، وَفِي الثَّانِي عَلَيْهِ. قلت: فِيهِ نظر لَا يخفى. قَوْله: (مَا بدلُوا) وَفِي رِوَايَة الْكشميهني: (مَا أَحْدَثُوا).

وَاعْلَم أَن حَال هَؤُلَاءِ الْمَذْكُورين إِن كَانُوا من ارْتَدُّوا عَن الْإِسْلَام فَلَا إِشْكَال فِي تبري النَّبِي مِنْهُم وإبعادهم، وَإِن كَانُوا مِمَّن لم يرتدوا وَلَكِن أَحْدَثُوا مَعْصِيّة كَبِيرَة من أَعمال الْبدن أَو بِدعَة من أَعمال الْقلب فقد أجابوا بِأَنَّهُ يحْتَمل أَنه أعرض عَنْهُم وَلم يسمع لَهُم اتبَاعًا لأمر الله فيهم حَتَّى يعاقبهم على جناياتهم، ثمَّ لَا مَانع من دُخُولهمْ فِي عُمُوم شَفَاعَته لأهل الْكَبَائِر من أمته فَيخْرجُونَ عِنْد إِخْرَاج الْمُوَحِّدين من النَّار.

قَوْله: (سحقًا) أَي: بُعدًا، وَكرر لفظ سحقًا من سَحُق الشَّيْء بِالضَّمِّ فَهُوَ سحيق، أَي: بعيد، وأسحقه الله أي: أبعده.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٣).

**وقال النووي في «شرحه» على مسلم (١٥/ ٥٦):** (والَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عدد نُجُومِ السَّمَاءِ) وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: هَذَا إِشَارَةٌ إِلَى كَثْرَةِ العَدَدِ وَغَايَتِهِ الكَثِيرَةِ مِنْ بَابِ قَوْلِهِ ﷺ: «لَا يَضَعُ الْعَصَا عَنْ عَاتِقِهِ» وَهُوَ بَابٌ مِنَ الْمُبَالَغَةِ مَعْرُوفٌ فِي الشَّرْعِ وَاللُّغَةِ، وَلَا يُعَدُّ كَذِبًا إِذَا كَانَ الْمُخْبَرُ عَنْهُ فِي حَيِّزِ الكَثْرَةِ وَالْعِظَمِ وَمَبْلَغِ الْغَايَةِ فِي بَابِهِ، بِخِلَافِ مَا إِذَا لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ. قَالَ: وَمِثْلُهُ كَلَّمْتُهُ أَلْفَ مَرَّةٍ وَلَقِيتُهُ مِائَةَ =

### آنية الحوض أكثر من عدد النجوم:

عَنْ أَبِي ذَرٍّ، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ مَا آنِيَةُ الْحَوْضِ؟ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ يَظْمَأْ، عَرْضُهُ مِثْلُ طُولِهِ، مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**»(١).

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: «**قَدْرُ حَوْضِي كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ وَصَنْعَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَإِنَّ فِيهِ مِنَ الْأَبَارِيقِ كَعَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ**»(٢).

---

= كَرَّةٍ. فَهَذَا جَائِزٌ إِذَا كَانَ كَثِيرًا وَإِلَّا فَلَا. هَذَا كَلَامُ الْقَاضِي وَالصَّوَابُ الْأَوَّلُ.
قَوْلُهُ ﷺ فِي الْحَوْضِ (وَإِنَّ عَرْضَهُ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الجُحْفَةِ)، وفي رواية: (بَيْنَ نَاحِيَتَيْهِ كَمَا بَيْنَ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ) قَالَ الرَّاوِي: هُمَا قَرْيَتَانِ بِالشَّامِ بَيْنَهُمَا مَسِيرَةُ ثَلَاثِ لَيَالٍ وَفِي رِوَايَةٍ: (عَرْضُه مثل طوله مَا بَيْنَ عَمَّانَ إِلَى أَيْلَةَ) وَفِي رِوَايَةٍ: (مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ).

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠٠).

(٢) أخرجه البخاري (٦٥٨٠)، ومسلم (٢٣٠٣).

**وقال النووي في «شرحه» على مسلم (١٥/ ٦٠):** قَوْلُهُ ﷺ: «**لَآنِيَتُهُ أَكْثَرُ مِنْ عَدَدِ نُجُومِ السَّمَاءِ وَكَوَاكِبِهَا، أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ الْمُصْحِيَةِ، آنِيَةُ الْجَنَّةِ مَنْ شَرِبَ مِنْهَا لَمْ يَظْمَأْ آخِرَ مَا عَلَيْهِ، يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ**».

أَمَّا قَوْلُهُ ﷺ: (أَلَا فِي اللَّيْلَةِ الْمُظْلِمَةِ) فَهُوَ بِتَخْفِيفِ (أَلَا) وَهِيَ الَّتِي لِلِاسْتِفْتَاحِ وَخَصَّ اللَّيْلَةَ الْمُظْلِمَةَ الْمُصْحِيَةَ لِأَنَّ النُّجُومَ تُرَى فِيهَا أَكْثَرَ، وَالْمُرَادُ بِالْمُظْلِمَةِ الَّتِي لَا قَمَرَ فِيهَا مَعَ أَنَّ النُّجُومَ طَالِعَةٌ فَإِنَّ وُجُودَ الْقَمَرِ يَسْتُرُ كَثِيرًا مِنَ النُّجُومِ.

وأما قَوْلُهُ ﷺ: (آنِيَةُ الْجَنَّةِ) فَضَبَطَهُ بَعْضُهُمْ بِرَفْعِ (آنِيَةُ) وَبَعْضُهُمْ بِنَصْبِهَا وَهُمَا صَحِيحَانِ، فَمَنْ رَفَعَ فَخَبَرُ مُبْتَدَأٍ مَحْذُوفٍ، أَيْ: هِيَ آنِيَةُ الْجَنَّةِ. وَمَنْ نَصَبَ فَبِإِضْمَارِ (أَعْنِي) أَوْ نَحْوِهِ. وَأَمَّا (آخِرَ مَا عَلَيْهِ) فَمَنْصُوبٌ وَسَبَقَ نَظِيرُهُ فِي كِتَابِ الْإِيمَانِ.

وَأَمَّا (يَشْخُبُ) فَبِالشِّينِ وَالْخَاءِ الْمُعْجَمَتَيْنِ وَالْيَاءُ مَفْتُوحَةٌ وَالْخَاءُ مَضْمُومَةٌ =

### للحوض ميزابان يزودانه من الجنة:

عَنْ ثَوْبَانَ، أَنَّ نَبِيَّ اللهِ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي لَبِعُقْرِ حَوْضِي أَذُودُ النَّاسَ لِأَهْلِ الْيَمَنِ أَضْرِبُ بِعَصَايَ حَتَّى يَرْفَضَّ عَلَيْهِمْ**». فَسُئِلَ عَنْ عَرْضِهِ فَقَالَ: «**مِنْ مَقَامِي إِلَى عَمَّانَ**» وَسُئِلَ عَنْ شَرَابِهِ فَقَالَ: «**أَشَدُّ بَيَاضًا مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، يَغُتُّ فِيهِ مِيزَابَانِ يَمُدَّانِهِ مِنَ الْجَنَّةِ، أَحَدُهُمَا مِنْ ذَهَبٍ، وَالْآخَرُ مِنْ وَرِقٍ**»(١).

---

= وَمَفْتُوحَةٌ، وَالشَّخْبُ السَّيَلَانُ، وَأَصْلُهُ مَا خَرَجَ مِنْ تَحْتِ يَدِ الحَالِبِ عِنْدَ كُلِّ عَمْرَةٍ وَعَصْرَةٍ لِضَرْعِ الشَّاةِ. وَأَمَّا الْمِيزَابَانِ فَبِالْهَمْزِ وَيَجُوزُ قَلْبُ الْهَمْزَةِ يَاءً.

(١) أخرجه مسلم (٢٣٠١)، وأحمد (٥/ ٢٨١).

**قال القاري في «مرقاة المفاتيح» (٨/ ٣٥٣٧):** (عن شرابه) أي: صفة مشروبه (فقال: أشد بياضًا من اللبن، وأحلى من العسل) (يغت): بضم الغين المعجمة وتكسر وبتشديد الفوقية، أي: يصب ويسيل (فيه) أي: في الحوض (ميزابان)، قال القاضي رَحِمَهُ اللهُ: أي: يدفق دفقًا متتابعًا دائمًا بقوة، فكأنه من ضغط الماء لكثرته عند خروجه، وأصل الغت الضغط، والميزاب بكسر الميم. وقال الحافظ أبو موسى: بفتحها أيضًا، من وزب الماء. أي: سال، فأصل ميزاب موزاب، قلبت الواو ياء لسكونها وانكسار ما قبلها، ولا يظهر وجه فتح الميم، ففي القاموس: أزب الماء كضرب: جرى، ومنه الميزاب، أو هو فارسي معرب، أي: بل الماء، فعلى هذا يجوز أن يهمز الميزاب وأن يبدل همزه ياء. وقال أيضًا: وزب الماء سال، ومنه الميزاب، أو هو فارسي معرب، ومعناه بل الماء، فعربوه بالهمز؛ ولهذا جمعوه مآزيب.

(يمدانه): بضم الميم، وفي نسخة بضم الياء وكسر الميم، أي: يزيدان الحوض في مائه (من الجنة) أي: من أنهارها، أو من الحوض الذي له في الجنة المعبر عنه بالنهر الكوثر (أحدهما من ذهب والآخر من ورق): بكسر الراء ويسكن، أي: من فضة، والقصد بهما الزينة باختلاف لون الأصفر والأبيض، لا لكون الذهب عزيز الوجود هناك قياسًا على ما في الدنيا، ويمكن أن يكون ميزاب الذهب من نهر العسل، وميزاب الفضة من نهر اللبن، أو أحدهما من الماء، والآخر من العسل، أو =

### لقاء الله ورسوله على الحوض:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ وَقَالَ لَهُمْ: «**اصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ؛ فَإِنِّي عَلَى الحَوْضِ**»[(١)].

وعنه، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ نَاسًا مِنَ الأَنْصَارِ قَالُوا لِ، حِينَ أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ مِنْ أَمْوَالِ هَوَازِنَ مَا أَفَاءَ، فَطَفِقَ يُعْطِي رِجَالًا مِنْ قُرَيْشٍ المِائَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُعْطِي قُرَيْشًا وَيَدَعُنَا، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ.

قَالَ أَنَسٌ: فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ، وَلَمْ يَدْعُ مَعَهُمْ أَحَدًا غَيْرَهُمْ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا جَاءَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا كَانَ حَدِيثٌ بَلَغَنِي عَنْكُمْ؟**». قَالَ لَهُ فُقَهَاؤُهُمْ: أَمَّا ذَوُو آرَائِنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ فَلَمْ يَقُولُوا شَيْئًا، وَأَمَّا أُنَاسٌ مِنَّا حَدِيثَةٌ أَسْنَانُهُمْ فَقَالُوا: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يُعْطِي قُرَيْشًا، وَيَتْرُكُ الأَنْصَارَ، وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ.

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي أُعْطِي رِجَالًا حَدِيثٌ عَهْدُهُمْ بِكُفْرٍ، أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَرْجِعُوا إِلَى رِحَالِكُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟! فَوَاللَّهِ مَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ**»، قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ رَضِينَا. فَقَالَ لَهُمْ: «**إِنَّكُمْ**

---

= اللبن يخلط به في الحوض، والله تعالى أعلم.

(١) أخرجه البخاري (٧٤٤١).

**وقال ابن حجر في «فتح الباري» (١٣/ ٤٣٠)**: قَالَ الرَّاغِبُ: اللِّقَاءُ: مُقَابَلَةُ الشَّيْءِ وَمُصَادَفَتُهُ، لَقِيَهُ يَلْقَاهُ وَيُقَالُ أَيْضًا فِي الْإِدْرَاكِ بِالْحِسِّ وَبِالْبَصِيرَةِ وَمِنْهُ: ﴿وَلَقَدْ كُنتُمْ تَمَنَّوْنَ ٱلْمَوْتَ مِن قَبْلِ أَن تَلْقَوْهُ﴾ وَمُلَاقَاةُ اللَّهِ يُعَبَّرُ بِهَا عَنِ الْمَوْتِ وَعَنْ يَوْمِ الْقِيَامَة، وَقِيلَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ يَوْمُ التَّلَاقِ لِالْتِقَاءِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ فِيهِ.

**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً شَدِيدَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوُا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى الحَوْضِ»**[١].

وعنه رضي الله عنه، قَالَ: أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقْطِعَ مِنَ البَحْرَيْنِ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: حَتَّى تُقْطِعَ لِإِخْوَانِنَا مِنَ المُهَاجِرِينَ مِثْلَ الَّذِي تُقْطِعُ لَنَا. قَالَ: «**سَتَرَوْنَ بَعْدِي أَثَرَةً، فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي**»[٢]. وفي رواية: «**فَاصْبِرُوا حَتَّى تَلْقَوْنِي، وَمَوْعِدُكُمُ الحَوْضُ**»[٣].

## اطلبوني عند الحوض:

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: سَأَلْتُ النَّبِيَّ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ القِيَامَةِ، فَقَالَ: «**أَنَا فَاعِلٌ**» قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «**اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ**». قَالَ: قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ المِيزَانِ**». قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ المِيزَانِ؟ قَالَ: «**فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الحَوْضِ فَإِنِّي لَا أُخْطِئُ هَذِهِ الثَّلَاثَ المَوَاطِنَ**»[٤].

---

(١) أخرجه البخاري (٣١٤٧)، ومسلم (٢٢٩٢).

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٧٦).

(٣) أخرجه البخاري (٣٧٩٣).

**وقال ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٤٨):** أَرَادَ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُقْطِعَ مِنَ الْبَحْرَيْنِ، يَعْنِي لِلْأَنْصَارِ. وَفِي رِوَايَةِ الْبَيْهَقِيِّ: (دَعَا الْأَنْصَارَ لِيُقْطِعَ لَهُمْ الْبَحْرَيْنَ) وَلِلْإِسْمَاعِيلِيِّ: (لِيُقْطِعَ لَهُمُ الْبَحْرَيْنَ أَوْ طَائِفَةً مِنْهَا) وَكَأَنَّ الشَّكَّ فِيهِ مِنْ حَمَّادٍ.

**وقال المباركفورى في «تحفة الأحوذي» (٦/ ٤٢٧):** «فاصبروا حتى تلقوني على الحوض» أي: يوم القيامة، أي: اصبروا حتى تموتوا فإنكم ستجدونني عند الحوض فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم والثواب الجزيل على الصبر.

(٤) **إسناده حسن:** أخرجه الترمذي (٢٤٣٣)، وقال: «هذا حديث حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه». وأحمد في «المسند» (١٢٨٢٥).

**قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٦٦):** وَإِيرَادُ الْبُخَارِيِّ لِأَحَادِيثِ الْحَوْضِ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= بَعْدَ أَحَادِيثِ الشَّفَاعَةِ وَبَعْدَ نَصْبِ الصِّرَاطِ - إِشَارَةٌ مِنْهُ إِلَى أَنَّ الْوُرُودَ عَلَى الْحَوْضِ يَكُونُ بَعْدَ نَصْبِ الصِّرَاطِ وَالْمُرُورِ عَلَيْهِ، وَقَدْ أَخْرَجَ أَحْمَدُ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي فَقَالَ: «أَنَا فَاعِلٌ» فَقُلْتُ: أَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: «اطْلُبْنِي أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ؟ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ الْمِيزَانِ» قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ؟ قَالَ: «أَنَا عِنْدَ الْحَوْضِ».

وَقَدِ اسْتُشْكِلَ كَوْنُ الْحَوْضِ بَعْدَ الصِّرَاطِ بِمَا سَيَأْتِي فِي بَعْضِ أَحَادِيثِ هَذَا الْبَابِ - أَنَّ جَمَاعَةً يُدْفَعُونَ عَنِ الْحَوْضِ بَعْدَ أَنْ يَكَادُوا يَرِدُونَ وَيُذْهَبُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ. وَوَجْهُ الْإِشْكَالِ أَنَّ الَّذِي يَمُرُّ عَلَى الصِّرَاطِ إِلَى أَنْ يَصِلَ إِلَى الْحَوْضِ يَكُونُ قَدْ نَجَا مِنَ النَّارِ. فَكَيْفَ يُرَدُّ إِلَيْهَا؟ وَيُمْكِنُ أَنْ يُحْمَلَ عَلَى أَنَّهُمْ يُقَرَّبُونَ مِنَ الْحَوْضِ بِحَيْثُ يَرَوْنَهُ وَيَرَوْنَ النَّارَ فَيُدْفَعُونَ إِلَى النَّارِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُصُوا مِنْ بَقِيَّةِ الصِّرَاطِ.

وَقَالَ أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْقُرْطُبِيُّ فِي «التَّذْكِرَةِ»: ذَهَبَ صَاحِبُ الْقُوتِ وَغَيْرُهُ إِلَى أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ بَعْدَ الصِّرَاطِ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى الْعَكْسِ، وَالصَّحِيحُ أَنَّ لِلنَّبِيِّ ﷺ حَوْضَيْنِ: أَحَدُهُمَا فِي الْمَوْقِفِ قَبْلَ الصِّرَاطِ، وَالْآخَرُ دَاخِلَ الْجَنَّةِ، وَكُلٌّ مِنْهُمَا يُسَمَّى كَوْثَرًا.

قُلْتُ: وَفِيهِ نَظَرٌ لِأَنَّ الْكَوْثَرَ نَهَرٌ دَاخِلَ الْجَنَّةِ كَمَا تَقَدَّمَ وَيَأْتِي، وَمَاؤُهُ يُصَبُّ فِي الْحَوْضِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الْحَوْضِ كَوْثَرٌ لِكَوْنِهِ يُمَدُّ مِنْهُ، فَغَايَةُ مَا يُؤْخَذُ مِنْ كَلَامِ الْقُرْطُبِيِّ أَنَّ الْحَوْضَ يَكُونُ قَبْلَ الصِّرَاطِ فَإِنَّ النَّاسَ يَرِدُونَ الْمَوْقِفَ عِطَاشَى، فَيَرِدُ الْمُؤْمِنُونَ الْحَوْضَ وَتَتَسَاقَطُ الْكُفَّارُ فِي النَّارِ بَعْدَ أَنْ يَقُولُوا: (رَبَّنَا عَطِشْنَا) فَتُرْفَعُ لَهُمْ جَهَنَّمُ كَأَنَّهَا سَرَابٌ فَيُقَالُ: (أَلَا تَرِدُونَ؟) فَيَظُنُّونَهَا مَاءً فَيَتَسَاقَطُونَ فِيهَا. وَقَدْ أَخْرَجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ أَنَّ الْحَوْضَ يَشْخَبُ فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ. وَلَهُ شَاهِدٌ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ، وَهُوَ حُجَّةٌ عَلَى الْقُرْطُبِيِّ لَا لَهُ لِأَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ أَنَّ الصِّرَاطَ جِسْرُ جَهَنَّمَ وَأَنَّهُ بَيْنَ الْمَوْقِفِ وَالْجَنَّةِ وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَمُرُّونَ عَلَيْهِ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَلَوْ كَانَ الْحَوْضُ دُونَهُ لَحَالَتِ النَّارُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَاءِ الَّذِي يُصَبُّ مِنَ الْكَوْثَرِ فِي الْحَوْضِ.

وَظَاهِرُ الْحَدِيثِ أَنَّ الْحَوْضَ بِجَانِبِ الْجَنَّةِ لِيَنْصَبَّ فِيهِ الْمَاءُ مِنَ النَّهَرِ الَّذِي دَاخِلَهَا.

وَفِي حَدِيث ابْنِ مَسْعُودٍ عِنْدَ أَحْمَدَ: «وَيُفْتَحُ نَهَرُ الْكَوْثَرِ إِلَى الْحَوْضِ».

وَقَدْ قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: ظَاهِرُ قَوْلِهِ ﷺ فِي حَدِيثِ الْحَوْضِ: «مَنْ شَرِبَ مِنْهُ لَمْ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= يَظْمَأْ بَعْدَهَا أَبَدًا» يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الشُّرْبَ مِنْهُ يَقَعُ بَعْدَ الْحِسَابِ وَالنَّجَاةِ مِنَ النَّارِ لِأَنَّ ظَاهِرَ حَالِ مَنْ لَا يَظْمَأُ أَنْ لَا يُعَذَّبَ بِالنَّارِ، وَلَكِنْ يَحْتَمِلُ أَنَّ مَنْ قُدِّرَ عَلَيْهِ التَّعْذِيبُ مِنْهُمْ أَنْ لَا يُعَذَّبَ فِيهَا بِالظَّمَأِ بَلْ بِغَيْرِهِ.

قُلْتُ: وَيَدْفَعُ هَذَا الِاحْتِمَالَ أَنَّهُ وَقَعَ فِي حَدِيثِ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ عِنْدَ ابْنِ أَبِي عَاصِمٍ فِي ذِكْرِ الْحَوْضِ: «وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَمْ يُرْوَ أَبَدًا» وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَحْمَدَ فِي زِيَادَاتِ الْمُسْنَدِ فِي الْحَدِيثِ الطَّوِيلِ عَنْ لَقِيطِ بْنِ عَامِرٍ أَنَّهُ وَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هُوَ وَنَهِيكُ ابْنُ عَاصِمٍ، قَالَ: فَقَدِمْنَا الْمَدِينَةَ عِنْدَ انْسِلَاخِ رَجَبٍ فَلَقِينَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ صَلَاةِ الْغَدَاةِ . . . الْحَدِيثَ بِطُولِهِ فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ وَالْبَعْثِ وَفِيهِ: «تُعْرَضُونَ عَلَيْهِ بَادِيَةً لَهُ صِفَاحُكُمْ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ مِنْكُمْ خَافِيَةٌ، فَيَأْخُذُ غَرْفَةً مِنْ مَاءٍ فَيَنْضَحُ بِهَا قِبَلَكُمْ فَلَعَمْرُ إِلَهِكَ مَا يُخْطِئُ وَجْهَ أَحَدِكُمْ قَطْرَةٌ، فَأَمَّا الْمُسْلِمُ فَتَدَعُ وَجْهَهُ مِثْلَ الرَّيْطَةِ الْبَيْضَاءِ، وَأَمَّا الْكَافِرُ فَتَخْطِمُهُ مِثْلَ الْخِطَامِ الْأَسْوَدِ، ثُمَّ يَنْصَرِفُ نَبِيُّكُمْ وَيَنْصَرِفُ عَلَى أَثَرِهِ الصَّالِحُونَ فَيَسْلُكُونَ جِسْرًا مِنَ النَّارِ يَطَأُ أَحَدُكُمُ الْجَمْرَةَ فَيَقُولُ: حَسِّ فَيَقُولُ رَبُّكَ أَوَانُهُ إِلا فَيَطَّلِعُونَ عَلَى حَوْضِ الرَّسُولِ عَلَى إِظْمَاءٍ وَاللهِ نَاهِلَةً رَأَيْتهَا أَبَدًا مَا يَبْسُطُ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَدَهُ إِلَّا وَقَعَ عَلَى قَدَحٍ» الحَدِيثَ وَأَخْرَجَهُ ابنُ أَبِي عَاصِمٍ فِي السُّنَّةِ وَالطَّبَرَانِيُّ وَالْحَاكِمُ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّ الْحَوْضَ قَبْلَ الصِّرَاطِ.

قَوْلُهُ: وَقَول الله تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ أَشَارَ إِلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَوْثَرِ النَّهَرُ الَّذِي يَصُبُّ فِي الْحَوْضِ، فَهُوَ مَادَّةُ الْحَوْضِ كَمَا جَاءَ صَرِيحًا فِي سَابِعِ أَحَادِيثِ الْبَابِ وَمَضَى فِي تَفْسِيرِ سُورَةِ الْكَوْثَرِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ نَحْوُهُ مَعَ زِيَادَةِ بَيَانٍ فِيهِ، وَتَقَدَّمَ الْكَلَامُ عَلَى حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ الْكَوْثَرَ هُوَ الْخَيْرُ الْكَثِيرُ، وَجَاءَ إِطْلَاقُ الْكَوْثَرِ عَلَى الْحَوْضِ فِي حَدِيثِ الْمُخْتَارِ بْنِ فُلْفُلٍ عَنْ أَنَسٍ فِي ذِكْرِ الْكَوْثَرِ: «هُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي» وَقَدِ اشْتُهِرَ اخْتِصَاصُ نَبِيِّنَا ﷺ بِالْحَوْضِ، لَكِنْ أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ سَمُرَةَ رَفَعَهُ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا» وَأَشَارَ إِلَى أَنَّهُ اخْتُلِفَ فِي وَصْلِهِ وَإِرْسَالِهِ وَأَنَّ الْمُرْسَلَ أَصَحُّ. قُلْتُ: وَالْمُرْسَلُ أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ لِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضًا وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حَوْضِهِ بِيَدِهِ عَصًا يَدْعُو مَنْ عَرَفَ مِنْ أُمَّتِهِ إِلَّا أَنَّهُمْ يَتَبَاهَوْنَ أَيُّهُمْ أَكْثَرُ تَبَعًا وَإِنِّي لَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَكْثَرَهُمْ تَبَعًا» وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ وَجْهٍ آخَرَ عَنْ سَمُرَةَ مَوْصُولًا مَرْفُوعًا مِثْلَهُ وَفِي سَنَدِهِ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= لِينٌ. وَأَخْرَجَ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا أَيْضًا مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ رَفَعَهُ: «وَكُلُّ نَبِيٍّ يَدْعُو أُمَّتَهُ وَلِكُلِّ نَبِيٍّ حَوْضٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْفِئَامُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْعُصْبَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الْوَاحِدُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَأْتِيهِ الِاثْنَانِ وَمِنْهُمْ مَنْ لَا يَأْتِيهِ أَحَدٌ، وَإِنِّي لَأَكْثَرُ الْأَنْبِيَاءِ تَبَعًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ» وَفِي إِسْنَادِهِ لِينٌ. وَإِنْ ثَبَتَ فَالْمُخْتَصُّ بِنَبِيِّنَا ﷺ الْكَوْثَرُ الَّذِي يُصَبُّ مِنْ مَائِهِ فِي حَوْضِهِ فَإِنَّهُ لَمْ يُنْقَلْ نَظِيرُهُ لِغَيْرِهِ وَوَقَعَ الِامْتِنَانُ عَلَيْهِ بِهِ فِي السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ.
قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ تَبَعًا لِلْقَاضِي عِيَاضٍ فِي غَالِبِهِ: مِمَّا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيُصَدِّقَ بِهِ - أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّهُ مُحَمَّدًا ﷺ بِالْحَوْضِ الْمُصَرَّحِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ وَشَرَابِهِ فِي الْأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِمَجْمُوعِهَا الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ؛ إِذْ رَوَى ذَلِكَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ نَيِّفٌ عَلَى الثَّلَاثِينَ، مِنْهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ مَا يُنِيفُ عَلَى الْعِشْرِينَ وَفِي غَيْرِهِمَا بَقِيَّةُ ذَلِكَ مِمَّا صَحَّ نَقْلُهُ وَاشْتُهِرَتْ رُوَاتُهُ، ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ أَمْثَالُهُمْ وَمَنْ بَعْدَهُمْ أَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ وَهَلُمَّ جَرًّا، وَأَجْمَعَ عَلَى إِثْبَاتِهِ السَّلَفُ وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْخَلَفِ، وَأَنْكَرَتْ ذَلِكَ طَائِفَةٌ مِنَ الْمُبْتَدِعَةِ وَأَحَالُوهُ عَلَى ظَاهِرِهِ وَغَلَوْا فِي تَأْوِيلِهِ مِنْ غَيْرِ اسْتِحَالَةٍ عَقْلِيَّةٍ وَلَا عَادِيَّةٍ تَلْزَمُ مِنْ حَمْلِهِ عَلَى ظَاهِرِهِ وَحَقِيقَتِهِ، وَلَا حَاجَةَ تَدْعُو إِلَى تَأْوِيلِهِ فَخَرَقَ مَنْ حَرَّفَهُ إِجْمَاعَ السَّلَفِ وَفَارَقَ مَذْهَبَ أَئِمَّةِ الْخَلَفِ.
قُلْتُ: أَنْكَرَهُ الْخَوَارِجُ وَبَعْضُ الْمُعْتَزِلَةِ. وَمِمَّنْ كَانَ يُنْكِرُهُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ أَحَدُ أُمَرَاءِ الْعِرَاقِ لِمُعَاوِيَةَ وَوَلَدِهِ، فَعِنْدَ أَبِي دَاوُدَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ السَّلَامِ بْنِ أَبِي حَازِمٍ قَالَ: شَهِدْتُ أَبَا بَرْزَةَ الْأَسْلَمِيَّ دَخَلَ عَلَى عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ زِيَادٍ فَحَدَّثَنِي فُلَانٌ وَكَانَ فِي السِّمَاطِ . . . فَذَكَرَ قِصَّةً فِيهَا أَنَّ ابْنَ زِيَادٍ ذَكَرَ الْحَوْضَ فَقَالَ: هَلْ سَمِعْتَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا؟ فَقَالَ أَبُو بَرْزَةَ: نَعَمْ لَا مَرَّةً وَلَا مَرَّتَيْنِ وَلَا ثَلَاثًا وَلَا أَرْبَعًا وَلَا خَمْسًا، فَمَنْ كَذَّبَ بِهِ فَلَا سَقَاهُ اللَّهُ مِنْهُ. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ مِنْ طَرِيقِ أَبِي حَمْزَةَ عَنْ أَبِي بَرْزَةَ نَحْوَهُ، وَمِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ حَيَّانَ التَّيْمِيِّ: شَهِدْتُ زَيْدَ بْنَ أَرْقَمَ وَبعث إِلَيْهِ ابْنُ زِيَادٍ فَقَالَ: مَا أَحَادِيثُ تَبْلُغُنِي أَنَّكَ تَزْعُمُ أَنَّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَوْضًا فِي الْجَنَّةِ؟ قَالَ: حَدَّثَنَا بِذَلِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ. وَعِنْدَ أَحْمَدَ مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِي سَبْرَةَ - بِفَتْحِ الْمُهْمَلَةِ وَسُكُونِ الْمُوَحَّدَةِ - الْهُذَلِيِّ قَالَ: قَالَ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ: مَا أُصَدِّقُ بِالْحَوْضِ. وَذَلِكَ بَعْدَ أَنْ حَدَّثَهُ أَبُو بَرْزَةَ وَالْبَرَاءُ وَعَائِذُ بْنُ عَمْرٍو، فَقَالَ لَهُ أَبُو سَبْرَةَ: =

## أنتظركم على الحوض:

عن عَائِشَةَ، تَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ وَهُوَ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَصْحَابِهِ: «**إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ أَنْتَظِرُ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، فَوَاللهِ لَيُقْتَطَعَنَّ دُونِي رِجَالٌ، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ، مَا زَالُوا**

---

= بَعَثَنِي أَبُوكَ فِي مَالٍ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَلَقِيَنِي عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو فَحَدَّثَنِي وَكَتَبْتُهُ بِيَدِي مِنْ فِيهِ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَوْعِدُكُمْ حَوْضِي» الحَدِيث فَقَالَ ابْنُ زِيَادٍ حِينَئِذٍ: أَشْهَدُ أَنَّ الْحَوْضَ حَقٌّ. وَعِنْدَ أَبِي يَعْلَى مِنْ طَرِيقِ سُلَيْمَانَ بْنِ الْمُغِيرَةِ عَنْ ثَابِتٍ عَنْ أَنَسٍ: دَخَلْتُ عَلَى بْنِ زِيَادٍ وَهُمْ يَذْكُرُونَ الْحَوْضَ فَقَالَ: هَذَا أَنَسٌ. فَقُلْتُ: لَقَدْ كَانَتْ عَجَائِزُ بِالْمَدِينَةِ كَثِيرًا مَا يَسْأَلْنَ رَبَّهُنَّ أَنْ يَسْقِيَهُنَّ مِنْ حَوْضِ نَبِيِّهِنَّ. وَسَنَدُهُ صَحِيحٌ. وَرُوِّينَا فِي فَوَائِدِ الْعِيسَوِيِّ وَهُوَ فِي الْبَعْثِ لِلْبَيْهَقِيِّ مِنْ طَرِيقِهِ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ عَنْ حُمَيْدٍ عَنْ أَنَسٍ نَحْوَهُ وَفِيهِ: مَا حَسِبْتُ أَنْ أَعِيشَ حَتَّى أَرَى مِثْلَكُمْ يُنْكِرُ الْحَوْضَ. وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضًا مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ الرَّقَاشِيِّ عَنْ أَنَسٍ فِي صِفَةِ الْحَوْضِ: «وَسَيَأْتِيهِ قَوْمٌ ذَابِلَةٌ شِفَاهُهُمْ لَا يُطْعَمُونَ مِنْهُ قَطْرَةً، مَنْ كَذَّبَ بِهِ الْيَوْمَ لَمْ يُصِبِ الشُّرْبَ مِنْهُ يَوْمَئِذٍ» وَيَزِيدُ ضَعِيفٌ لَكِنْ يُقَوِّيهِ مَا مَضَى، وَيُشْبِهُ أَنْ يَكُونَ الْكَلَامُ الْأَخِيرُ مِنْ قَوْلِ أَنَسٍ.

قَالَ عِيَاضٌ: أَخْرَجَ مُسْلِمٌ أَحَادِيثَ الْحَوْضِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَأَبِي سَعِيدٍ وَسَهْلِ بْنِ سَعْدٍ وَجُنْدُبٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو وَعَائِشَةَ وَأُمِّ سَلَمَةَ وَعُقْبَةَ بن عَامِرٍ وَابْنِ مَسْعُودٍ وَحُذَيْفَةَ وَحَارِثَةَ بْنِ وَهْبٍ وَالْمُسْتَوْرِدِ وَأَبِي ذَرٍّ وَثَوْبَانَ وَأَنَسٍ وَجَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ. قَالَ: وَرَوَاهُ غَيْرُ مُسْلِمٍ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَزَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ وَأَبِي أُمَامَةَ وَأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ وَخَوْلَةَ بِنْتِ قَيْسٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ وَسُوَيْدِ بْنِ جَبَلَةَ وَعَبْدِ اللَّهِ الصُّنَابِحِيِّ وَالْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ بَعْدَ حِكَايَةِ كَلَامِهِ مُسْتَدْرِكًا عَلَيْهِ: رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَرَوَاهُ غَيْرُهُمَا مِنْ رِوَايَةِ عُمَرَ وَعَائِذِ بْنِ عَمْرٍو وَآخَرِينَ، وَجَمَعَ ذَلِكَ كُلَّهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي الْبَعْثِ بِأَسَانِيدِهِ وَطُرُقِهِ الْمُتَكَاثِرَةِ.

قُلْتُ: أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ عَنِ الصَّحَابَةِ الَّذِينَ نَسَبَ عِيَاضٌ لِمُسْلِمٍ تَخْرِيجَهُ عَنْهُمْ إِلَّا أُمَّ سَلَمَةَ وَثَوْبَانَ وَجَابِرَ بْنَ سَمُرَةَ وَأَبَا ذَرٍّ. وَأَخْرَجَهُ أَيْضًا عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ زَيْدٍ وَأَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ. وَأَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ عَنْهُمَا أَيْضًا وَأَغْفَلَهُمَا عِيَاضٌ».

**يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ»**[١].

## موعدكم الحوض:

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ، قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ، ثُمَّ صَعِدَ الْمِنْبَرَ كَالْمُوَدِّعِ لِلْأَحْيَاءِ وَالْأَمْوَاتِ، فَقَالَ: «**إِنِّي فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَإِنَّ عَرْضَهُ كَمَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى الْجُحْفَةِ، إِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا وَتَقْتَتِلُوا، فَتَهْلِكُوا كَمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ**» قَالَ عُقْبَةُ: «فَكَانَتْ آخِرَ مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ»[٢].

---

(١) أخرجه مسلم (٢٢٩٤)، وأحمد في «المسند» (٢٤٩٠١).

**قال بدر الدين العينى في «عمدة القاري» (٢٤/ ١٧٦):** قَوْله: «أَنا على حَوْضِي» يَعْنِي: يَوْم الْقِيَامَة. قَوْله: «انْتظر مَن يرد عَلَيَّ» بتَشْديد الْيَاء، أَي: من يحضرني ليشْرب. قَوْله: «من دوني» أَي: من عِنْدِي. قَوْله: «فَيَقُول» أَي: فَيَقُول الله ﷻ. ويروى: «فَيُقَال». قَوْله: «لَا تَدْرِي» خطاب للنَّبِي. قَوْله: «مَشوا على الْقَهْقَرَى» والقهقرى مَقْصُور وَهُوَ الرُّجُوع إِلَى خلف، فَإِذا قلت: رجعت الْقَهْقَرَى، كَأَنَّك قلت: رجعت الرُّجُوع الَّذِي يُعرف بِهَذَا الِاسْم. لِأَن الْقَهْقَرَى ضَرْب من الرُّجُوع. وَقَالَ الْأَزْهَرِي: معنى الحَدِيث الارتداد عَمَّا كَانُوا عَلَيْهِ. قَوْله: «أَو نفتن» على صِيغَة الْمَجْهُول.

(٢) أخرجه البخاري (٤٢٠٤)، ومسلم (٢٢٩٦).

**قال القاري في «مرقاة المفاتيح» (٩/ ٣٨٤٤):** (وأنا عليكم شهيد)، أي: مطلع على أحوالكم إذ تعرض عَلَيَّ أعمالكم، أو أنا شاهد لكم ومُثْنٍ عليكم (وإن موعدكم)، أي: مكان وعدكم للشفاعة الخاصة بكم في يوم الجمع (الحوض)، أي: وروده، فإنه حينئذٍ يتميز الخبيث من الطيب. والمنافق من المؤمن، فتكون الشفاعة لأمة الإجابة (وإني لأنظر)، أي: الآن (إليه)، أي: إلى الحوض (وأنا في مقامي هذا)، أي: فوق المنبر. وهو على ظاهره، وكأنه كُشف له عنه في تلك الحالة (وإني قد أعطيت مفاتيح خزائن الأرض)، أي: ستفتح لأمتي خزائن الأرض بفتح =

## من يُسقي الواردين على الحوض:

وعن ابن مسعود قال: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الحَوْضِ، لَيُرْفَعَنَّ إِلَيَّ رِجَالٌ مِنْكُمْ، حَتَّى إِذَا أَهْوَيْتُ لِأُنَاوِلَهُمْ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَأَقُولُ: أَي: رَبِّ أَصْحَابِي، يَقُولُ: لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»[(١)].

## منبري على حوضي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «**مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الجَنَّةِ، وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي**»[(٢)].

## الحوض لأمتي دون سائر الأمم:

عن جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ، قال: «**أَنَا فَرَطُكُمْ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُونِي فَأَنَا عَلَى الحَوْضِ، وَالحَوْضُ مَا بَيْنَ أَيْلَةَ إِلَى مَكَّةَ، وَسَيَأْتِي أَقْوَامٌ رِجَالٌ وَنِسَاءٌ بِآنِيَةٍ مِنْ وَرِقٍ، ثُمَّ**

= بلادها وإيمان عبادها، (وإني لست أخشى عليكم)، أي: على مجموعكم (أن تشركوا بعدي)؛ لأن ذلك قد وقع من بعض (ولكني قد أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا): بحذف إحدى التاءين أي: ترغبوا (فيها). رغبة الشيء النفيس، وتميلوا إليها كل الميل، فإن المنافسة لا تناسب النعم الفانية، بل تختص بالأمور الباقية، ولذا قال تعالى: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطفّفين: الآية ٢٦].

(١) أخرجه البخاري (٧٠٤٩).

(٢) أخرجه البخاري (١٨٨٨)، وغيره.

**قال ابن حجر في «فتح الباري» (٤/ ١٠٠):** قَوْلُهُ: «وَمِنْبَرِي عَلَى حَوْضِي» أي: يُنْقَلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَيُنْصَبُ عَلَى الْحَوْضِ. وَقَالَ الْأَكْثَرُ: الْمُرَادُ مِنْبَرُهُ بِعَيْنِهِ الَّذِي قَالَ هَذِهِ الْمَقَالَةَ وَهُوَ فَوْقَهُ. وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْمِنْبَرُ الَّذِي يُوضَعُ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَالْأَوَّلُ أَظْهَرُ وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ أَبِي سَعِيدٍ الْمُتَقَدِّمُ، وَقَدْ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ رَفَعَهُ: «إِنَّ قَوَائِمَ مِنْبَرِي رَوَاتِبُ فِي الْجَنَّةِ» وَقِيلَ: مَعْنَاهُ أَنَّ قَصْدَ مِنْبَرِهِ وَالْحُضُورَ عِنْدَهُ لِمُلَازَمَةِ الْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ يُورِدُ صَاحِبَهُ إِلَى الْحَوْضِ وَيَقْتَضِي شُرْبَهُ مِنْهُ. وَاللهُ أَعْلَمُ.

**لا يَذُوقُونَ مِنْهُ شَيْئًا»**(١).

**سحق سحق للمطرودين من على الحوض:**

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ**»(٢).

وعن أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**إِنِّي عَلَى الْحَوْضِ حَتَّى أَنْظُرَ مَنْ يَرِدُ عَلَيَّ مِنْكُمْ، وَسَيُؤْخَذُ أُنَاسٌ دُونِي، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ مِنِّي وَمِنْ أُمَّتِي. فَيُقَالُ: أَمَا شَعَرْتَ مَا عَمِلُوا بَعْدَكَ؟ وَاللهِ مَا بَرِحُوا بَعْدَكَ يَرْجِعُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ**» قَالَ: فَكَانَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ يَقُولُ: «**اللهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَرْجِعَ عَلَى أَعْقَابِنَا أَوْ أَنْ نُفْتَنَ عَنْ دِينِنَا**»(٣).

وعن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لَيَرِدَنَّ عَلَيَّ الْحَوْضَ رِجَالٌ مِمَّنْ صَاحَبَنِي، حَتَّى إِذَا رَأَيْتُهُمْ وَرُفِعُوا إِلَيَّ اخْتُلِجُوا دُونِي، فَلَأَقُولَنَّ: أَيْ رَبِّ أُصَيْحَابِي، أُصَيْحَابِي، فَلَيُقَالَنَّ لِي: إِنَّكَ لَا تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**»(٤).

---

(١) **صحيح موقوف:** أخرجه أحمد في «المسند» (١٥١٢٠)، والبزار (٣٤٨١- كشف الأستار)، وابن حبان (٦٤٤٩).

**قال أبو حاتم ابن حبان:** قوله ﷺ: «وسيأتي رجال ونساء بآنية وقرب ثم لا يذوقون منه شيئًا» أريد به: من سائر الأمم الذين قد غفر لهم، يجيئون بأوانٍ ليستقوا بها من الحوض، فلا يُسقون منه لأن الحوض لهذه الأمة خاص دون سائر الأمم، إذ محال أن يقدر الكافر والمنافق على حمل الأواني والقرب في القيامة؛ لأنهم يساقون إلى النار، نعوذ بالله من ذلك».

(٢) أخرجه البخاري (٢٣٦٧)، ومسلم (٢٣٠٢)

(٣) أخرجه البخاري (٦٥٩٣)، ومسلم (٢٢٩٣).

(٤) أخرجه البخاري (٦٥٨٢)، ومسلم (٤٠) (٢٣٠٤)

وعَنِ ابْنِ شِهَابٍ، عَنِ ابْنِ المُسَيِّبِ، أَنَّهُ كَانَ يُحَدِّثُ عَنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: **«يرِدُ عَلَى الحَوْضِ رِجَالٌ مِنْ أَصْحَابِي، فَيُحَلَّئُونَ عَنْهُ، فَأَقُولُ: يَا رَبِّ أَصْحَابِي. فَيَقُولُ: إِنَّكَ لاَ عِلْمَ لَكَ بِمَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ، إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ القَهْقَرَى»**[1].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٦).

**قال بدر الدين العيني في «عمدة القاري» (١٢/ ٢١١):** قَوْله: «لأذودن» أي: لأطردن، من ذاد يذود ذيادًا، أي: دَفعه وطرده. ويروى «فليذادن رجال» أي: يُطردون. وَفِي الْمطَالع: كَذَا رَوَاهُ أَكثر الروَاة عَن مَالك فِي الْمُوَطَّأ، وَرَوَاهُ يحيى ومطرف وَابْن نَافِع: «فَلَا يذادن» وَرَوَاهُ ابْن وضاح على الرِّوَايَة الأولى، وَكِلَاهُمَا صَحِيح الْمَعْنى، والنافية أفْصح وَأعرف، وَمَعْنَاهُ: فَلَا تَفعلُوا فعلًا يُوجب ذَلِك، كَمَا قَالَ ﷺ: «لَا أَلفَيْنِ أحدكُم على رقبته بعير» أي: لَا تَفعلُوا مَا يُوجب ذَلِك.

قَوْله: «كَمَا تذاد الغريبة من الْإِبِل» أي: كَمَا تُطرد النَّاقة الغريبة من الْإِبِل عَن الْحَوْض إِذا أَرَادَت الشّرْب مَعَ إبِله. وَعَادَة الرَّاعِي إِذا سَاق الْإِبِل إِلَى الْحَوْض لتشرب أَن يطرد النَّاقة الغريبة إِذا رَآهَا بَينهم.

وَاخْتلف فِي هَؤُلَاءِ الرِّجَال: فَقيل: هم الْمُنَافِقُونَ. حَكَاهُ ابْن التِّين، وَقَالَ ابْن الْجَوْزِيّ: هم المبتدعون. وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: هم الَّذين لَا سِيمَا لَهُم من غير هَذِه الْأمة. وَذكر قبيصَة فِي صَحِيح البُخَارِيّ أَنهم هم المرتدون الَّذين بدلُوا. وَقَالَ ابْن بطال: فَإِن قيل: كَيفَ يأْتونَ غُرًّا وَالْمُرْتَدّ لَا غرَّة لَهُ؟! فَالْجَوَاب أَن النَّبِي ﷺ قَالَ: «تَأتي كل أمة فِيهَا منافقوها» وَقد قَالَ الله تَعَالَى: ﴿يَوۡمَ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلۡمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱنظُرُونَا نَقۡتَبِسۡ مِن نُّورِكُمۡ﴾ [الحديد: الآية ١٣] فصح أَن الْمُؤمنِينَ يُحشرون وَفِيهِمْ الْمُنَافِقُونَ الَّذين كَانُوا مَعَهم فِي الدُّنْيَا حَتَّى يضْرب بَينهم بسور وَالْمُنَافِق لَا غرَّة لَهُ وَلَا تحجيل، لَكِن الْمُؤْمِنُونَ سُمُّوا غُرًّا بِالْجُمْلَةِ وَإِن كَانَ الْمُنَافِق فِي خلالهم.

وَقَالَ ابْن الْجَوْزِيّ: فَإِن قيل: كَيفَ خَفِي حَالهم على سيدنَا رَسُول الله ﷺ وَقد قَالَ: «تُعرض علي أَعمال أمتِي»؟ فَالْجَوَاب أَنه إِنَّمَا تُعْرض أَعمال الْمُوَحِّدين لَا =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= الْمُنَافِقِين والكافرين».

**وقال النووي في «شرحه» على مسلم (١٥/ ٦٤):** قَوْلُهُ ﷺ: (لَأَذُودَنَّ عَنْ حَوْضِي رِجَالًا كَمَا تُذَادُ الْغَرِيبَةُ مِنَ الْإِبِلِ) مَعْنَاهُ: كَمَا يَذُودُ السَّاقِي النَّاقَةَ الْغَرِيبَةَ عَنْ إِبِلِهِ إِذَا أَرَادَتِ الشُّرْبَ مَعَ إِبِلِهِ

**وقال أيضًا (١٥/ ٦٤):** أَمَّا (اخْتُلِجُوا) فَمَعْنَاهُ اقْتُطِعُوا. وَأَمَّا (أُصَيْحَابِي) فَوَقَعَ فِي الرِّوَايَاتِ مُصَغَّرًا مُكَرَّرًا، وَفِي بَعْضِ النُّسَخِ (أَصْحَابِي أَصْحَابِي) مُكَبَّرًا مُكَرَّرًا، قَالَ الْقَاضِي: هَذَا دَلِيلٌ لِصِحَّةِ تَأْوِيلِ مَنْ تَأَوَّلَ أَنَّهُمْ أَهْلُ الرِّدَّةِ وَلِهَذَا قَالَ فِيهِمْ: (سُحْقًا سُحْقًا) وَلَا يَقُولُ ذَلِكَ فِي مُذْنِبِي الْأُمَّةِ بَلْ يَشْفَعُ لَهُمْ وَيَهْتَمُّ لِأَمْرِهِمْ. قَالَ: وَقِيلَ: هَؤُلَاءِ صِنْفَانِ: أَحَدُهُمَا: عُصَاةٌ مُرْتَدُّونَ عَنِ الِاسْتِقَامَةِ لَا عَنِ الْإِسْلَامِ وَهَؤُلَاءِ مُبَدِّلُونَ لِلْأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ بِالسَّيِّئَةِ. وَالثَّانِي: مُرْتَدُّونَ إِلَى الْكُفْرِ حَقِيقَةً نَاكِصُونَ عَلَى أَعْقَابِهِمْ. وَاسْمُ التَّبْدِيلِ يَشْمَلُ الصِّنْفَيْنِ

**وقال أيضًا (٣/ ١٣٦):** قَوْلُهُ (وَهَلْ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ)، وفِي الرِّوَايَةِ الْأُخْرَى: (قَدْ بَدَّلُوا بَعْدَكَ فَأَقُولُ: سُحْقًا سُحْقًا) هَذَا مِمَّا اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ فِي الْمُرَادِ بِهِ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُرْتَدُّونَ، فَيَجُوزُ أَنْ يُحْشَرُوا بِالْغُرَّةِ وَالتَّحْجِيلِ فَيُنَادِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ لِلسِّيمَا الَّتِي عَلَيْهِمْ فَيُقَالُ: لَيْسَ هَؤُلَاءِ مِمَّا وُعِدْتَ بِهِمْ إِنَّ هَؤُلَاءِ بَدَّلُوا بَعْدَكَ، أي: لَمْ يَمُوتُوا عَلَى مَا ظَهَرَ مِنْ إِسْلَامِهِمْ.

وَالثَّانِي: أَنَّ الْمُرَادَ مَنْ كَانَ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ ثُمَّ ارْتَدَّ بَعْدَهُ فَيُنَادِيهِمُ النَّبِيُّ ﷺ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِمْ سِيمَا الْوُضُوءِ لَمَا كَانَ يَعْرِفُهُ ﷺ فِي حَيَاتِهِ مِنْ إِسْلَامِهِمْ فَيُقَالُ: ارْتَدُّوا بَعْدَكَ.

وَالثَّالِثُ: أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَصْحَابُ الْمَعَاصِي وَالْكَبَائِرِ الَّذِينَ مَاتُوا عَلَى التَّوْحِيدِ وَأَصْحَابِ الْبِدَعِ الَّذِينَ لَمْ يَخْرُجُوا بِبِدْعَتِهِمْ عَنِ الْإِسْلَامِ.

وعلى هذا القول لا يقطع لِهَؤُلَاءِ الَّذِينَ يُذَادُونَ بِالنَّارِ، بَلْ يَجُوزُ أَنْ يُزَادُوا عُقُوبَةً لَهُمْ ثُمَّ يَرْحَمُهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَذَابٍ. قَالَ أَصْحَابُ هَذَا الْقَوْلِ: وَلَا يَمْتَنِعُ أَنْ يَكُونَ لَهُمْ غُرَّةٌ وَتَحْجِيلٌ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ كَانُوا فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ لَكِنْ عَرَفَهُمْ بِالسِّيمَا.

### من أعان على ظلم لا يمر على الحوض:

عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ قَالَ: خَرَجَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ تِسْعَةٌ: خَمْسَةٌ وَأَرْبَعَةٌ، أَحَدُ العَدَدَيْنِ مِنَ العَرَبِ وَالآخَرُ مِنَ العَجَمِ فَقَالَ: «**اسْمَعُوا، هَلْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ سَيَكُونُ بَعْدِي أُمَرَاءُ؟ فَمَنْ دَخَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَّقَهُمْ بِكَذِبِهِمْ وَأَعَانَهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي وَلَسْتُ مِنْهُ وَلَيْسَ بِوَارِدٍ عَلَيَّ الحَوْضَ، وَمَنْ لَمْ يَدْخُلْ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يُعِنْهُمْ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَلَمْ يُصَدِّقْهُمْ بِكَذِبِهِمْ فَهُوَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ وَهُوَ وَارِدٌ عَلَيَّ الحَوْضَ**»[1].

### لا يرد الحوض إلا القليل:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا قَائِمٌ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ. فَقُلْتُ: أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: وَمَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى. ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ، حَتَّى إِذَا**

---

(١) **حديث صحيح:** أخرجه الترمذي (٢٢٥٩)، والنسائي (٤٢١٨)، وأحمد (٢٤٣٤)، وغيرهم.

**قال الْقُرْطُبِيُّ كما في «لوامع الأنوار البهية» (٢/ ٢٠٠):** قَالَ عُلَمَاؤُنَا: كُلُّ مَنِ ارْتَدَّ عَنْ دِينِ اللَّهِ أَوْ أَحْدَثَ فِيهِ مَا لَا يَرْضَاهُ اللَّهُ وَلَمْ يُؤْذِنْ بِهِ، فَهُوَ مِنَ الْمَطْرُودِينَ عَنِ الْحَوْضِ، وَأَشَدُّهُمْ طَرْدًا مَنْ خَالَفَ جَمَاعَةَ الْمُسْلِمِينَ كَالْخَوَارِجِ وَالرَّوَافِضِ وَالْمُعْتَزِلَةِ عَلَى اخْتِلَافِ فِرَقِهِمْ، فَهَؤُلَاءِ كُلُّهُمْ مُبَدِّلُونَ، وَكَذَا الظَّلَمَةُ الْمُسْرِفُونَ فِي الْجَوْرِ وَالظُّلْمِ وَطَمْسِ الْحَقِّ وَإِذْلَالِ أَهْلِهِ، وَالْمُعْلِنُونَ بِكَبَائِرِ الذُّنُوبِ، والْمُسْتَخِفُّونَ بِالْمَعَاصِي، وَجَمَاعَةُ أَهْلِ الزَّيْغِ وَالْبِدَعِ. ثُمَّ الطَّرْدُ قَدْ يَكُونُ فِي حَالٍ، وَيُقَرَّبُونَ بَعْدَ الْمَغْفِرَةِ إِنْ كَانَ التَّبْدِيلُ فِي الْأَعْمَالِ وَلَمْ يَكُنْ فِي الْعَقَائِدِ.

قَالَ: وَقَدْ يُقَالُ: إِنَّ أَهْلَ الْكَبَائِرِ يَرِدُونَ وَيَشْرَبُونَ، وَإِذَا دَخَلُوا النَّارَ بَعْدَ ذَلِكَ لَمْ يُعَذَّبُوا بِالْعَطَشِ.

**عَرَفْتُهُمْ خَرَجَ رَجُلٌ مِنْ بَيْنِي وَبَيْنِهِمْ، فَقَالَ: هَلُمَّ. قُلْتُ أَيْنَ؟ قَالَ: إِلَى النَّارِ وَاللَّهِ. قُلْتُ: مَا شَأْنُهُمْ؟ قَالَ: إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا بَعْدَكَ عَلَى أَدْبَارِهِمُ القَهْقَرَى، فَلاَ أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ»**[١].

---

(١) أخرجه البخاري (٦٥٨٧).

**قال ابن حجر في «فتح الباري» (١١/ ٤٧٤):** قَوْلُهُ: «بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ» كَذَا بِالنُّونِ لِلْأَكْثَرِ ولِلْكُشْمِيهَنِيِّ: «قَائِمٌ» بِالْقَافِ وَهُوَ أَوْجَهُ، وَالْمُرَادُ بِهِ قِيَامُهُ عَلَى الْحَوْضِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ. وَتُوَجَّهُ الْأُولَى بِأَنَّهُ رَأَى فِي الْمَنَامِ فِي الدُّنْيَا مَا سَيَقَعُ لَهُ فِي الْآخِرَةِ. قَوْلُهُ: «ثُمَّ إِذَا زُمْرَةٌ حَتَّى إِذا عرفتهم خرج رجل من بيني وَبينهمْ فَقَالَ: هَلُمَّ» الْمُرَادُ بِالرَّجُلِ الْمَلَكُ الْمُوَكَّلُ بِذَلِكَ وَلَمْ أَقِفْ عَلَى اسْمِهِ. قَوْلُهُ: «إِنَّهُمُ ارْتَدُّوا الْقَهْقَرَى» أي: رَجَعُوا إِلَى خَلْفٍ. وَمَعْنَى قَوْلِهِمْ: (رَجَعَ الْقَهْقَرَى) رَجَعَ الرُّجُوعَ الْمُسَمَّى بِهَذَا الِاسْمِ وَهُوَ رُجُوعٌ مَخْصُوصٌ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ الْعَدْوُ الشَّدِيدُ. قَوْلُهُ: «فَلَا أُرَاهُ يَخْلُصُ مِنْهُمْ إِلَّا مِثْلُ هَمَلِ النَّعَمِ» يَعْنِي مِنْ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ دَنَوْا من الْحَوْض وَكَادُوا يَرِدُونَهُ فَصُدُّوا عَنْهُ. وَالْهَمَلُ (بِفَتْحَتَيْنِ) الْإِبِلُ بِلَا رَاعٍ. وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: الْهَمَلُ مَا لَا يَرْعَى وَلَا يُسْتَعْمَلُ، وَيُطْلَقُ عَلَى الضَّوَالِّ. وَالْمَعْنَى أَنَّهُ لَا يَرِدُهُ مِنْهُمْ إِلَّا الْقَلِيلُ لِأَنَّ الْهَمَلَ فِي الْإِبِلِ قَلِيلٌ بِالنِّسْبَةِ لِغَيْرِهِ.

**وقال بدر الدين العيني في «عمدة القاري» (٢٣/ ١٤٢):** قَوْله: (بَينا أَنا قَائِم) بِالْقَافِ فِي رِوَايَة الْكشميهني، وَفِي رِوَايَة الْأَكْثَرين بالنُّون بدل الْقَاف، وَالْأول أوجه لِأَن الْمُرَاد هُوَ قِيَامه على الْحَوْض. وَوجه الأول أَنه رأى فِي الْمَنَام مَا سيقع لَهُ فِي الْآخِرَة. قَوْله: (فَإِذا زمرة) كلمة: (إِذا) للمفاجأة، والزمرة الْجَمَاعَة. قَوْله: (خرج رجل) الْمُرَاد بِهِ الْمَلَك الْمُوكل بِهِ على صُورَة الْإِنْسَان. قَوْله: (هَلُمَّ) خطاب للزمرة. وَمَعْنَاهُ: تَعَالَوْا، وَهُوَ على لُغَة من لَا يَقُول: هَلُمَّا هَلُمُّوا هَلُمِّي. قَوْله: (فَقلت: أَيْن؟) الْقَائِل هُوَ النَّبِي ﷺ، أَي: تطلبهم إِلَى أَيْن تؤديهم؟ قَالَ: أؤديهم إِلَى النَّار. قَوْله: (وَمَا شَأْنهمْ؟) أَي: وَمَا حَالهم حَتَّى تروح بهم إِلَى النَّار؟ قَالَ: (إِنَّهُم ارْتَدُّوا) إِلَى آخِره. قَوْله: (فَلَا أرَاهُ) بِضَم الْهمزَة أَي: فَلَا أَظن أَمرهم أَنه (يخلص مِنْهُم إلاَّ مثل =

## عدالة الله في عباده:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ ٱتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٧٧][1].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النِّساء: الآية ١٢٤][2].

---

= همل النعم) بِفَتْح الْهَاء وَالْمِيم وَهُوَ مَا يُتْرك مهملًا لَا يُتعهد وَلَا يُرْعَى حَتَّى يضيع وَيهْلك، أَي: لَا يخلص مِنْهُم من النَّار إلاَّ قَلِيل، وَهَذَا يُشْعر بِأَنَّهُم صنفان: كفار وعصاة، وَقَالَ الْخطابِيّ: الهمل يُطلق على الضوال، وَيُقَال: الهمل الْإِبِل بِلَا رَاعٍ مثل النفش إلاَّ أَن النفش لَا يكون إلاَّ لَيْلًا والهمل يكون لَيْلًا وَنَهَارًا، وَيُقَال: إبلٌ هاملة وهمال وهوامل، و(تركتها هملًا) أَي: سُدًى إِذا أرسلتها ترعى لَيْلًا أَو نَهَارًا بِلَا راعٍ، وَفِي الْمثل: اخْتَلَط المرعى بالهمل.

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (٨/ ٥٥١):** يعني بقوله جل ثناؤه: ﴿قُلْ مَتَٰعُ ٱلدُّنْيَا قَلِيلٌ﴾ [النِّساء: الآية ٧٧]، قل يا محمد لهؤلاء القوم الذين قالوا: ﴿رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا ٱلْقِتَالَ لَوْلَآ أَخَّرْتَنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ﴾ [النِّساء: الآية ٧٧]: عيشكم في الدنيا وتمتعكم بها قليل؛ لأنها فانية وما فيها فان ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ [النِّساء: الآية ٧٧]، يعني: ونعيم الآخرة خير؛ لأنها باقية ونعيمها باقٍ دائم. وإنما قيل: ﴿وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ﴾ [النِّساء: الآية ٧٧]، ومعنى الكلام ما وصفت، من أنه معني به نعيمها؛ لدلالة ذكر الآخرة بالذي ذكرت به، على المعنى المراد منه ﴿لِمَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٠٣]، يعني: لمن اتقى الله بأداء فرائضه واجتناب معاصيه، فأطاعه في كل ذلك ﴿وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾ [النِّساء: الآية ٧٧]، يعني: ولا ينقصكم الله من أجور أعمالكم فتيلًا.

(٢) **قال الطبري في «تفسيره» (٩/ ٢٤٨):** وأما قوله: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾ [النِّساء: الآية ١٢٤]، فإنه يعني: ولا يظلم الله هؤلاء الذين يعملون الصالحات من ثواب عملهم مقدار النقرة التي تكون في ظهر النواة في القلة، فكيف بما هو أعظم من ذلك وأكثر؟ وإنما يخبر بذلك جل ثناؤه عباده أنه لا يبخسهم من جزاء أعمالهم قليلًا ولا كثيرًا، ولكن يوفيهم ذلك كما وعدهم.

وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧](١).

وقال تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٤﴾﴾ [يس: الآية ٥٤](٢).

### وما ربك بظلام للعبيد:

قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَـٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: ٤٧](٣).

---

(١) **قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥١):** يقول تعالى ذكره: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] العدل وهو القسط وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. وقوله: ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] يقول: لأهل يوم القيامة ومَن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه. وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى (في) كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة. وقوله: ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] يقول: فلا يظلم الله نفسًا ممن ورد عليه منهم شيئًا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئًا إلا بإساءته.

(٢) **قال الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٥٣٤):** يقول تعالى ذكره: ﴿فَٱلْيَوْمَ﴾ يعني يوم القيامة ﴿لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [يس: الآية ٥٤] كذلك ربنا لا يظلم نفسًا شيئًا، فلا يوفيها جزاء عملها الصالح، ولا يحمل عليها وزر غيرها، ولكنه يوفي كل نفس أجر ما عملت من صالح، ولا يعاقبها إلا بما اجترمت واكتسبت من شيء ﴿وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [يس: الآية ٥٤] يقول: ولا تكافئون إلا مكافأة أعمالكم التي كنتم تعملونها في الدنيا.

(٣) **قال الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥١):** يقول تعالى ذكره: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ﴾ العدل =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= وهو القسط وجعل القسط وهو موحد من نعت الموازين وهو جمع لأنه في مذهب عدل ورضا ونظر. وقوله: ﴿لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] يقول: لأهل يوم القيامة ومَن ورد على الله في ذلك اليوم من خلقه. وقد كان بعض أهل العربية يوجه معنى ذلك إلى (في) كأن معناه عنده: ونضع الموازين القسط في يوم القيامة. وقوله: ﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] يقول: فلا يظلم الله نفسًا ممن ورد عليه منهم شيئًا بأن يعاقبه بذنب لم يعمله أو يبخسه ثواب عمل عمله وطاعة أطاعه بها، ولكن يجازي المحسن بإحسانه، ولا يعاقب مسيئًا إلا بإساءته.

وبنحو الذي قلنا في ذلك قال أهل التأويل، حدثنا الحسن بن يحيى، قال: أخبرنا عبد الرزاق، قال: أخبرنا الثوري، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قول الله: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] قال: إنما هو مَثَل، كما يجوز الوزن كذلك يجوز الحقّ، قال الثوري: قال ليث عن مجاهد: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] قال: العدل.

**وقال الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٠٥):** وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] القسط من صفة الموازين وإن كان موحدًا. وهو بِمنزلة قولك للقوم: أنتم رضًا وعدل.

وكذلك الحق إذا كان من صفة واحد أو اثنين أو أكثر من ذلك كان واحدًا.

**وقال ابن كثير (٥/٣٤٥):** قوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلۡمَوَٰزِينَ ٱلۡقِسۡطَ لِيَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] أي: ونضع الموازين العدل ليوم القيامة. والأكثر على أنه إنما هو ميزان واحد، وإنما جُمع باعتبار تعدد الأعمال الموزونة فيه. وقوله: ﴿فَلَا تُظۡلَمُ نَفۡسٞ شَيۡـٔٗاۖ وَإِن كَانَ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٍ أَتَيۡنَا بِهَاۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظۡلِمُ رَبُّكَ أَحَدٗا﴾ [الكهف: الآية ٤٩]، وقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةٗ يُضَٰعِفۡهَا وَيُؤۡتِ مِن لَّدُنۡهُ أَجۡرًا عَظِيمٗا ۝٤٠﴾ [النّساء: الآية ٤٠]، وقال لقمان: ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثۡقَالَ حَبَّةٖ مِّنۡ خَرۡدَلٖ فَتَكُن فِي صَخۡرَةٍ أَوۡ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ يَأۡتِ بِهَا ٱللَّهُۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٞ ۝١٦﴾ [لقمان: الآية ١٦]. وفي الصحيحين: البخاري (٦٤٠٦)، ومسلم (٢٦٩٤) عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، حبيبتان إلى الرحمن: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**». =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= **وقال ابن أبي العز في «شرح الطحاوية» (ص٢٨١):** وقوله: «والميزان» أي: ونؤمن بالميزان. قال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧]. وقال تعالى: ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فِى جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾.

قال القرطبي: قال العلماء: إذا انقضى الحساب كان بعده وزن الأعمال؛ لأن الوزن للجزاء، فينبغي أن يكون بعد المحاسبة، فإن المحاسبة لتقرير الأعمال، والوزن لإظهار مقاديرها ليكون الجزاء بحسبها.

قال: وقوله: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] يحتمل أن يكون ثَم موازين متعددة توزن فيها الأعمال، ويحتمل أن يكون المراد الموزونات، فجُمع باعتبار تنوع الأعمال الموزونة، والله أعلم.

والذي دلت عليه السنة: أن ميزان الأعمال له كفتان حسيتان مشاهدتان.

روى الإمام أحمد، (٦٩٩٤) من حديث أبي عبد الرحمن الحُبُلي، قال: سمعت عبد الله بن عمرو يقول: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله سيخلص رجلًا من أمتي على رءوس الخلائق يوم القيامة، فينشر عليه تسعة وتسعين سجلًّا، كل سجل مد البصر، ثم يقول له: أتنكر من هذا شيئًا؟ أظلمتك كتبتي الحافظون؟ قال: لا يا رب. فيقول: ألك عذر أو حسنة؟ فيبهت الرجل، فيقول: لا يا رب. فيقول: بلى، إن لك عندنا حسنة واحدة، لا ظلم اليوم عليك. فتُخرج له بطاقة فيها: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبده ورسوله، فيقول: أحضروه. فيقول: يا رب، وما هذه البطاقة مع هذه السجلات؟! فيقال: إنك لا تُظلم. قال: فتوضع السجلات في كفة، والبطاقة في كفة، قال: فطاشت السجلات وثقلت البطاقة، ولا يثقل شيء بسم الله الرحمن الرحيم**».

وهكذا رواه الترمذي، وابن ماجه، وابن أبي الدنيا، من حديث الليث، زاد الترمذي: «**ولا يثقل مع اسم الله شيء**» وفي سياق آخر: «**توضع الموازين يوم القيامة، فيؤتى بالرجل فيوضع في كفة...**» الحديث.

وفي هذا السياق فائدة جليلة، وهي أن العامل يوزن مع عمله، ويشهد له ما روى البخاري عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ، قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين** =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= **يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة»** قال: «**اقرءوا إن شئتم:** ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: الآية ١٠٥].

وروى الإمام أحمد، عن ابن مسعود: «أنه كان يجني سواكًا من الأراك، وكان دقيق الساقين، فجعلت الريح تكفؤه، فضحك القوم منه، فقال رسول الله ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: يا نبي الله، من دقة ساقيه. فقال: «**والذي نفسي بيده، لهما أثقل في الميزان من أُحُد**».

وقد وردت الأحاديث أيضًا بوزن الأعمال أنفسها، كما في صحيح مسلم، عن أبي مالك الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الطهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان**».

وفي الصحيح - وهو خاتمة كتاب البخاري - قوله ﷺ: «**كلمتان خفيفتان على اللسان، حبيبتان إلى الرحمن، ثقيلتان في الميزان: سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**».

وروى الحافظ أبو بكر البيهقي، عن أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**يؤتى بابن آدم يوم القيامة، فيوقف بين كفتي الميزان، ويوكل به ملك، فإن ثقل ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: سَعِد فلان سعادة لا يشقى بعدها أبدًا. وإن خف ميزانه، نادى الملك بصوت يسمع الخلائق: شَقِي فلان شقاوة لا يسعد بعدها أبدًا**».

فلا يُلتفت إلى ملحد معاند يقول: الأعمال أعراض لا تقبل الوزن، وإنما يقبل الوزن الأجسام!! فإن الله يقلب الأعراض أجسامًا، كما تقدم، وكما روى الإمام أحمد، «المسند» (٣٩٩١)، وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «**يؤتى بالموت كبشًا أغثر، فيوقف بين الجنة والنار، فيقال: يا أهل الجنة، فيشرئبون وينظرون، ويقال: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، ويرون أن قد جاء الفرج، فيُذبح، ويقال: خلود لا موت**». ورواه البخاري بمعناه.

فثبت وزن الأعمال والعامل وصحائف الأعمال، وثبت أن الميزان له كفتان. والله تعالى أعلم بما وراء ذلك من الكيفيات. فعلينا الإيمان بالغيب. كما أخبرنا الصادق ﷺ من غير زيادة ولا نقصان.

ويا خيبة من ينفي وضع الموازين القسط ليوم القيامة كما أخبر الشارع؛ لخفاء الحكمة عليه، ويقدح في النصوص بقوله: لا يحتاج إلى الميزان إلا البقال =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= والفوال!! وما أحراه بأن يكون من الذين لا يقيم الله لهم يوم القيامة وزنًا. ولو لم يكن من الحكمة في وزن الأعمال إلا ظهور عدله سبحانه لجميع عباده، فإنه لا أحد أحب إليه العذر من الله؛ من أجل ذلك أرسل الرسل مبشرين ومنذرين. فكيف ووراء ذلك من الحِكم ما لا اطلاع لنا عليه. فتأمل قول الملائكة لما قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوٓاْ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّيٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: الآية ٣٠]. وقال تعالى: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: الآية ٨٥].

وقد تقدم عند ذكر الحوض كلام القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن الحوض قبل الميزان، والصراط بعد الميزان. ففي الصحيحين: «**أن المؤمنين إذا عبروا الصراط وقفوا على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض، فإذا هُذبوا ونُقوا أُذن لهم في دخول الجنة**». وجعل القرطبي في التذكرة هذه القنطرة صراطًا ثانيًا للمؤمنين خاصة، وليس يسقط منه أحد في النار، والله تعالى أعلم.

**وقال القرطبي (١١/ ٢٩٣):** قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] الْمَوَازِينُ جَمْعُ مِيزَانٍ:

فَقِيلَ: إِنَّهُ يَدُلُّ بِظَاهِرِهِ عَلَى أَنَّ لِكُلِّ مُكَلَّفٍ مِيزَانًا تُوزَنُ بِهِ أَعْمَالُهُ، فَتُوضَعُ الْحَسَنَاتُ فِي كِفَّةٍ، وَالسَّيِّئَاتُ فِي كِفَّةٍ.

وَقِيلَ: يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ مَوَازِينُ لِلْعَامِلِ الْوَاحِدِ، يُوزَنُ بِكُلِ مِيزَانٍ مِنْهَا صِنْفٌ مِنْ أَعْمَالِهِ، كَمَا قَالَ:

**مَلِكٌ تَقُومُ الْحَادِثَاتُ لِعَدْلِهِ ... فَلِكُلِّ حَادِثَةٍ لَهَا مِيزَانُ**

وَيُمْكِنُ أَنْ يَكُونَ مِيزَانًا وَاحِدًا عَبَّرَ عَنْهُ بِلَفْظِ الجَمْعِ.

وَخَرَّجَ اللَّالَكَائِيُّ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَنَسٍ يَرْفَعُهُ: «**إِنَّ مَلَكًا مُوَكَّلًا بِالْمِيزَانِ، فَيُؤْتَى بِابْنِ آدَمَ فَيُوقَفُ بَيْنَ كِفَّتَيْ الْمِيزَانِ فَإِنْ رَجَحَ نَادَى الْمَلَكُ بِصَوْتٍ يُسْمِعُ الْخَلَائِقَ: سَعِدَ فُلَانٌ سَعَادَةً لَا يَشْقَى بَعْدَهَا أَبَدًا. وَإِنْ خَفَّ نَادَى الْمَلَكُ: شَقِيَ فُلَانٌ شَقَاوَةً لَا يَسْعَدُ بَعْدَهَا أَبَدًا**».

وَخَرَّجَ عَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَاحِبُ الْمِيزَانِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ».

وَقِيلَ: لِلْمِيزَانِ كِفَّتَانِ وَخُيُوطٌ وَلِسَانٌ وَالشَّاهَيْنِ، فَالْجَمْعُ يَرْجِعُ إِلَيْهَا. =

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾﴾ [طه: الآية ١١٢].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ ۖ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَٰعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾﴾ [النِّساء: الآية ٤٠].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا ﴿١٢٤﴾﴾ [النِّساء: الآية ١٢٤].

* * *

---

= وَقَالَ مُجَاهِدٌ وَقَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: ذِكْرُ المِيزَانِ مَثَلٌ وَلَيْسَ ثَمَّ مِيزَانٌ وَإِنَّمَا هُوَ الْعَدْلُ. وَالَّذِي وَرَدَتْ بِهِ الْأَخْبَارُ وَعَلَيْهِ السَّوَادُ الْأَعْظَمُ الْقَوْلُ الْأَوَّلُ.

**وقال القاسمي (٧/ ١٩٨):** نَضَعُ الْمَوازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيامَةِ بيان لما سيقع عند إتيان ما أُنذروه، أي: نقيم الموازين العادلة الحقيقية التي توزن بها صحائف الأعمال. وقيل: وَضْع الموازين تمثيل لإرصاد الحساب السويّ والجزاء على حسب الأعمال بالعدل والنصفة، من غير أن يظلم مثقال ذرة. وإنما وُصفت الموازين بالقسط وهو مفرد لأنه مصدر وُصف به للمبالغة، كأنها في نفسها قسط. أو على حذف المضاف أي: ذوات القسط. وقيل: إنه مفعول له. واللام في ﴿لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] للتعليل أو بمعنى (في) أي: لجزاء يوم القيامة أو لأهله أو فيه ﴿فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] أي: من حقوقها. أي: شيئًا ما من الظلم. بل يوفى كل ذي حق حقه ﴿وَإِن كَانَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٨٠] العمل أو الظلم ﴿مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ﴾ [الأنبياء: الآية ٤٧] أي: أحضرنا ذلك العمل المعبر عنه بمثقال حبة الخردل للوزن. وأنث لإضافته إلى الحبة.

﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ أي: وحَسْب مَن شهد ذلك الموقف بنا حاسبين؛ لأنه لا أحد أعلم بأعمالهم وما سلف في الدنيا من صالح أو سيء - منا.



# الجنة

الحمد لله المشكور على ما أعطى، والمجاب إلى ما دعا، والمرغوب فيما رغب فيه ومنى، أعطانا التوحيد بتعرفه إلينا، وحَبَّبَنَا إلى طاعته بتوفيقه لنا، ورَغَّبنا في كرامته وجنته بعد أن حَلَّاها لنا ورَغَّبنا فيها، فهو السلام، وداره دار السلام، والسلام على من سارع إلى طاعته، وسابق إلى مرضاته ليحظى بدخول داره التي يأمن فيها من الآفات، ويسلم فيها من العاهات، التي من دخلها أَمِن من البوار، وسَلِم من الدمار، وحظي بجوار المنعم الجبار، ذكر تحثيث الله تعالى على المسابقين إلى جنته العريضة، وساحته الفسيحة، التي خلقها عدة لمن وحده، وألقى الشرك وعبده، قال الله تعالى: ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ أُعِدَّتۡ لِلۡمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣]، وقال: ﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ وَجَنَّةٍ عَرۡضُهَا كَعَرۡضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أُعِدَّتۡ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ﴾ [الحديد: ٢١].

إذا حُشر المتقون إلى الرحمن وفدًا، فهم في روضات الجنة يتقلبون، وعلى أسِرّتها يجلسون وعلى بطائنها يتكئون، جزاء بما كانوا يعملون(١).

(١) «صفة الجنة» لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٣٠).

## المطلب الأول: تعريف الجنة

الجنة هي الجزاء العظيم والثواب الجزيل الذي أعده الله لأوليائه وأهل طاعته، وهي نعيم كامل لا يشوبه نقص، ولا يعكر صفوه كدر، وما حدثنا الله به عنها وما أخبرنا به الرسول ﷺ يحير العقل ويذهله؛ لأن تَصَوُّر عظمة ذلك النعيم يعجز العقل عن إدراكه واستيعابه، استمع إلى قوله تبارك وتعالى في الحديث القدسي: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر**» ثم قال الرسول ﷺ: «**اقرؤوا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءً بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧]»[١]. وتظهر عظمة النعيم بمقارنته بمتاع الدنيا، فإن متاع الدنيا بجانب نعيم الآخرة تافه حقير لا يساوي شيئًا. ففي صحيح البخاري عن سهل بن سعد الساعدي قال: قال رسول الله ﷺ: «**موضع سوط في الجنة خير من الدنيا وما فيها**»[٢].

ولذا كان دخول الجنة والنجاة من النار في حكم الله وتقديره هو الفلاح العظيم، والفوز الكبير، والنجاة العظمى قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ۗ وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۖ فَمَن زُحْزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدْخِلَ ٱلْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وقال: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَـٰتِ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ [التوبَة: الآية ٧٢]، وقال أيضًا: ﴿تِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٣﴾﴾ [النِّساء: الآية ١٣].

---

(١) «صفة الجنة» لأبي نعيم الأصبهاني (١/ ٣٠).

(٢) رواه البخاري (٣٢٥٠). انظر: «الجنة والنار» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١١٧).

## المطلب الثاني: خلود الجنة والنار

الجنة خالدة أبدًا، والأدلة على ذلك كثيرة، وهي تدل على خلود أهل الجنة وهذا يستلزم خلود الجنة ولازم الحق حق.

**وقد دل على خلود الجنة الكتاب والسنة:**

قال تعالى: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ١٠٨﴾ [هُود: الآية ١٠٨]. يعني غير مقطوع.

وقال تعالى: ﴿لَا يَمَسُّهُمۡ فِيهَا نَصَبٞ وَمَا هُم مِّنۡهَا بِمُخۡرَجِينَ﴾ [الحِجر: الآية ٤٨]. فقد نفى الله تعالى عنهم الخروج منها والموت فيها تأكيدًا لمعنى أبدية الخلود.

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ لَّهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَنُدۡخِلُهُمۡ ظِلّٗا ظَلِيلًا ٥٧﴾ [النِّساء: الآية ٥٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۖ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٗاۚ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا ١٢٢﴾ [النِّساء: الآية ١٢٢][1].

وأما في السنة، فمنها قوله ﷺ: «**ينادي منادٍ: - يعني أهل الجنة - إن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدًا، وإن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدًا، وإن لكم أن تشبوا لا تهرموا أبدًا، وإن لكم أن تنعموا ولا تبأسوا أبدًا**»، فذلك قوله ﷻ: ﴿وَنُودُوٓاْ أَن

---

(١) «اليوم الآخر» لعبد المحسن المطيري (ص٢٩٤). و«الإيمان باليوم الآخر» للصلابي (ص١٨٤).

﴿تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٣][(١)].

وعن أبي سعيد الخدري رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي مناد: يا أهل الجنة. فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت. وكلهم قد رآه فيُذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة خلود فلا موت، ويا أهل النار خلود فلا موت**». ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾﴾ [مريم: الآية ٣٩] وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: الآية ٣٩][(٢)].

## المطلب الثالث: الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن

الجنة والنار مخلوقتان وموجودتان الآن لقوله تعالى: ﴿أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: الآية ١٣٣] والإعداد التهيئة، وقد اتفق أهل السنة على هذا.

**ومن الأدلة على أنهما موجودتان الآن** الأحاديث التي يذكر فيها النبي ﷺ أنه رأى الجنة والنار ورأى أهلهما، كحديث عبد الله بن عباس أنه قال: خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ، فصلى رسول الله ﷺ والناس معه فقام قيامًا طويلًا... الحديث وفيه: قالوا: يا رسول الله رأيناك تناولت شيئًا في مقامك هذا ثم رأيناك تكعكعت. فقال: «**إني رأيت الجنة فتناولت منها عنقودًا، ولو أخذته لأكلتم منه ما بقيت الدنيا، ورأيت النار فلم أر كاليوم منظرًا قط، ورأيت أكثر أهلها النساء**»، قالوا: لمَ يا رسول الله؟! قال: «**بكفرهن**»، قيل: يكفرن

---

(١) مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، رقم (٢٨٣٧)، و«اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة» (ص٣٩٤).

(٢) البخاري كتاب التفسير رقم (٤٤٥٣)، مسلم (٢٨٤٩).

بالله؟ قال: «**يكفرن العشير، ويكفرن الإحسان، ولو أحسنت إلى إحداهن الدهر ثم رأت منك شيئًا قالت: ما رأيت منك خيرًا قط**»[١].

وعن أنس قال: قال رسول الله ﷺ: «**والذي نفس محمد بيده لو رأيتم ما رأيت لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا**»، قالوا: وما رأيت يا رسول الله؟ قال: «**رأيت الجنة والنار**»[٢].

**قال الشيخ يوسف الغفيص حفظه الله في «شرحه للطحاوية» (ص٢٦٩):** قال المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: (والجنة والنار مخلوقتان). وهذا بإجماع أهل السنة، وقد عُرض ذلك للنبي ﷺ في المنام، ورأى ﷺ بعض أحوال العصاة ثم ذكر بعض أحوال أهل النعيم، وصريح الكتاب والسنة يدلان على أن الجنة والنار مخلوقتان، والآثار بذلك مستفيضة عن رسول الله ﷺ، وعلى هذا أجمع السلف. . .

بقاء الجنة والنار وعدم فنائهما. . .أي أنهما في دوام مستمر، وهذا قد اتفق عليه السلف خلافًا للجهم بن صفوان وأمثاله ممن لم يُثبتوا دوام الجنة أو دوام النار، أو ممن يقول بقول أبي الهذيل العلاف، بأن أهل الجنة وأهل النار تنقطع حركاتهم ويظلون في سكون دائم. لأن التسلسل عندهم في المستقبل ممتنع، فهذه أصول باطلة في العقل فضلًا عن بطلانها في الشرع.

**نسبة القول بفناء النار إلى ابن تيمية نُسب لشيخ الإسلام ابن تيمية** رَحِمَهُ ٱللَّهُ **القول بفناء النار.. فنقول:**

أولًا: يجب أن يفرق بين هذا القول -على ما فيه من التعقب- من حيث هو ومن حيث كونه قولًا لشيخ الإسلام، فيجب أن يفرق بين هذا القول،

(١) البخاري رقم (٤٩٠١)، مسلم رقم (٩٠٧).

(٢) مسلم رقم (٤٢٦).

وبين قول جهم بن صفوان، فإن الجهم بن صفوان يقول بفناء العذاب مع بقاء النار، والذي نُسب إلى شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو القول بأن النار تفنى، أي: تنتهي، وأما القول بأن النار تبقى وينقطع عذاب أهلها، فهذا قول لم يؤثر عن أحد البتة.

وهذه المسألة ذكرها ابن القيم في كتابه حادي الأرواح، وذكر أن طائفة من السلف، بل نُسب لبعض الصحابة، أنهم كانوا يقولون بفناء النار، وذكر أن في المسألة قولين لأهل السنة، وكأنه يميل إلى القول بالفناء، ولكنه لم يجزم به جزمًا صريحًا.

وعلى كل حال فنسبة هذا القول للإمام ابن القيم، فيه نوع من المقاربة، وإن كان كلامه في بعض كتبه يوحي بأنه يخالف هذا القول، ولكن إضافة هذا القول لابن القيم له حظ من النظر أو الاعتبار؛ لأن هذا هو ظاهر كلامه.

أما الإمام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ فإن نسبة هذا القول إليه لا تصح.

وهناك رسالة صرح فيها بهذا القول، وهي منسوبة لشيخ الإسلام وقد حُققت، ولكن الظاهر أنها لا تصح عنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ، بل ظاهر كلامه في أكثر من موضع من كتبه أنه يقرر هذه الحقيقة المجملة التي ذكرها أهل السنة، وهي أن الجنة والنار لا تفنيان، ولا يستثني من ذلك العذاب في النار أو ما إلى ذلك من الاستثناءات التي أضيفت إليها، ولو صحت هذه الرسالة لكان هذا مما يُجزم به قولًا لشيخ الإسلام، لكن هذه الرسالة وإن حُققت ونُسبت إليه إلا أن الأظهر أنها لا تصح عنه.

## المطلب الرابع: مكان الجنة

**فوق السماء السابعة وتحت عرش الرحمن:**

**أما كونها فوق السماء السابعة** فدل عليه القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ ۝١٤ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلۡمَأۡوَىٰٓ ۝١٥﴾ [النجم: ١٤، ١٥]. وسدرة المنتهى فوق السماء السابعة كما في حديث الإسراء المشهور، وفيه: «**ثم عرج إلى السماء السابعة فاستفتح جبريل، فقيل: من هذا؟ قال: جبريل. قيل: ومن معك؟ قال: محمد ﷺ، قيل: وقد بُعث إليه؟ قال: قد بُعث إليه. ففتح لنا فإذا أنا بإبراهيم عليه السلام مسندًا ظهره إلى البيت المعمور، وإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه، ثم ذُهب بي إلى سدرة المنتهى، وإذا ورقها كآذان الفيلة وإذا ثمرها كالقلال**» قال: «**فلما غشيها من أمر الله ما غشى تغيرت، فما أحد من خلق الله يستطيع أن ينعتها من حسنها، فأوحى الله إليّ ما أوحى ففرض عليَّ خمسين صلاة...**»(١).

فهذا الحديث يدل أن سدرة المنتهى بعد السماء السابعة، وبما أن الجنة عندها إذن فهي فوق السماء السابعة(٢).

**وأما كون الجنة تحت عرش الرحمن** فدل على ذلك السنة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**مَن آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان؛ كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة جاهد في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلد فيها**»، قالوا: يا رسول الله أفلا نبشر الناس بذلك؟ فقال: «**إن في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما في السماء**

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان رقم (١٦٢).

(٢) «اليوم الآخر» د. المطيري (ص٤١٠).

**والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنة وفوقه عرش الرحمن ومنه تفجر أنهار الجنة»**(١)، فأعلى درجات الجنة هو الفردوس - كما في الحديث - وفوقه عرش الرحمن، إذن فالجنة تحت عرشه سبحانه(٢).

## المطلب الخامس: الشفاعة في دخول الجنة

ثبت في الأحاديث الصحيحة أن المؤمنين عندما يطول عليهم الموقف في يوم الجزاء - يطلبون من الأنبياء أن يستفتحوا لهم باب الجنة، فكلهم يمتنع ويتأبى، ويقول: لست لها. حتى يبلغ الأمر نبينا محمد ﷺ فيشفع في ذلك، فيشفع.

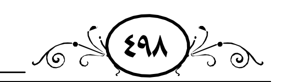
ففي «صحيح مسلم» عن حذيفة بن اليمان وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله ﷺ: «**يجمع الله تبارك وتعالى الناس، فيقوم المؤمنون حتى تزلف لهم الجنة، فيأتون آدم، فيقولون: يا أبانا، استفتح لنا الجنة. فيقول: وهل أخرجكم من الجنة إلا خطيئة أبيكم آدم؟! لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى ابني إبراهيم خليل الله**»، قال: «**فيقول إبراهيم: لست بصاحب ذلك، إنما كنت خليلًا من وراء وراء، اعمدوا إلى موسى ﷺ الذي كلمه الله تكليمًا، فيأتون موسى ﷺ، فيقول: لست بصاحب ذلك، اذهبوا إلى عيسى كلمة الله وروحه. فيقول عيسى ﷺ: لست بصاحب ذلك، فيأتون محمدًا ﷺ، فيقوم فيؤذن له...**» الحديث(٣).

---

(١) البخاري، كتاب الجهاد رقم (٢٦٣٧).

(٢) «اليوم الآخر» د. المطيري (ص٤١٠).

(٣) رواه مسلم ( ٣٢٨-١٩٥).



## المطلب السادس: تهذيب المؤمنين وتنقيتهم قبل الدخول

بعد أن يجتاز المؤمنون الصراط يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار، ثم يهذبون وينقون، وذلك بأن يقتص لبعضهم من بعض إذا كانت بينهم مظالم في الدنيا، حتى إذا دخلوا الجنة كانوا أطهارًا أبرارًا، ليس لأحد عند الآخر مظلمة، ولا يطلب بعضهم بعضًا بشيء.

روى البخاري في «صحيحه» عن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**يخلص المؤمنون من النار، فيُحبسون على قنطرة بين الجنة والنار، فيقتص لبعضهم من بعض مظالم كانت بينهم في الدنيا، حتى إذا هُذبوا ونُقوا أُذن لهم في دخول الجنة، فوالذي نفس محمد بيده لأحدهم أهدى بمنزله في الجنة منه بمنزله كان في الدنيا**»[١].

ورسولنا ﷺ هو أول من يستفتح الجنة بعد أن يأبى أبو البشر آدم وأولو العزم من الرسل التعرض لهذه المهمة.

## المطلب السابع: أول من يقرع باب الجنة

إن أول من يقرع باب الجنة رسول الله ﷺ وأول من يدخلها من الأمم أمته:

فعن أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك**»[٢].

---

(١) رواه البخاري (٦٥٣٥).

(٢) رواه مسلم (٣٣٣ - ١٩٧).

وفي رواية: «**آتي باب الجنة يوم القيامة فأستفتح، فيقول الخازن: من أنت؟ فأقول: محمد. فيقول: بك أُمرت لا أفتح لأحد قبلك**»(١).

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: « **نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، ونحن أول من يدخل الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم، فاختلفوا، فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق، فهذا يومهم الذي اختلفوا فيه، هدانا الله له – قال: يوم الجمعة – فاليوم لنا، وغدًا لليهود، وبعد غد للنصارى**»(٢).

وفي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن السابقون الأولون يوم القيامة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم**»(٣).

## المطلب الثامن: أول زمرة تدخل الجنة في هذه الأمة

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يصقون فيها، ولا يمتخطون، ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان، يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًّا**».

وفي رواية: «... **أخلاقهم على خلق رجل واحد، على صورة أبيهم آدم، ستون ذراعًا في السماء**»(٤).

---

(١) رواه مسلم (٣٣١ - ١٩٦).

(٢) رواه مسلم (٢٠ - ٨٥٥).

(٣) رواه البخاري (٨٩٦)، ومسلم (٨٥٥).

(٤) رواه مسلم ( ١٥- ٢٨٣٤).

## المطلب التاسع: آخر من يدخل الجنة

عن عبد الله رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال النبي ﷺ: «**إني لأعلم آخر أهل النار خروجًا منها وآخر أهل الجنة دخولًا، رجل يخرج من النار كبوًا، فيقول الله: اذهب فادخل الجنة. فيأتيها، فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى. فيقول: اذهب فادخل الجنة. فيأتيها فيخيل إليه أنها ملأى، فيرجع فيقول: يا رب وجدتها ملأى. فيقول: اذهب فادخل الجنة، فإن لك مثل الدنيا وعشرة أمثالها - أو: إن لك مثل عشرة أمثال الدنيا - فيقول: تسخر مني - أو: تضحك مني - وأنت الملك؟!**».

فلقد رأيت رسول الله ﷺ ضحك حتى بدت نواجذه، وكان يقول: «**ذاك أدنى أهل الجنة منزلة**»[1].

## المطلب العاشر: الذين يدخلون الجنة بغير حساب

عن سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي ﷺ قال: «**ليدخلن الجنة من أمتي سبعون ألفًا أو سبعمائة ألف، لا يدخل أولهم حتى يدخل آخرهم، وجوههم على صورة القمر ليلة البدر**»[2].

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تلج الجنة صورتهم على صورة القمر ليلة البدر، لا يصقون فيها ولا يمتخطون ولا يتغوطون، آنيتهم فيها الذهب، أمشاطهم من الذهب والفضة، ومجامرهم الألوة، ورشحهم المسك، ولكل واحد منهم زوجتان يرى مخ سوقهما من وراء اللحم من الحسن، لا**

---

(١) رواه البخاري (٦٥٧١)، ومسلم (٣٠٨ - ١٨٦).

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٧).

**اختلاف بينهم ولا تباغض، قلوبهم قلب رجل واحد، يسبحون الله بكرة وعشيًّا»**(١).

وقد وصف الرسول ﷺ السبعين ألفًا الأوائل وبَيَّن علاماتهم، فعن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ: «**عُرضت عليَّ الأمم، فأخذ النبي يمر معه الأمة، والنبي يمر معه النفر، والنبي يمر معه العشرة، والنبي يمر معه الخمسة، والنبي يمر وحده، فنظرت فإذا سواد كثير، قلت: يا جبريل، هؤلاء أمتي؟ قال: لا، ولكن انظر إلى الأفق. فنظرت فإذا سواد كثير. قال: هؤلاء أمتك، وهؤلاء سبعون ألفًا قدامهم لا حساب عليهم ولا عذاب، قلت: ولمَ؟ قال: كانوا لا يكتوون، ولا يَسْتَرْقون، ولا يتطيرون، وعلى ربهم يتوكلون**» فقام إليه عكاشة بن محصن فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**اللهم اجعله منهم**». ثم قام إليه رجل آخر فقال: ادع الله أن يجعلني منهم. قال: «**سبقك بها عكاشة**»(٢).

## المطلب الحادي عشر: أسماء الجنة

**الجنة هي دار كرامة الله التي أعدها لعباده المتقين، ولها أسماء كثيرة، منها:**

**١- الجنة:** وهو الاسم المشهور لها، قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الحشر: الآية ٢٠].

**٢- جنة الخلد:** قال تعالى: ﴿قُلْ أَذَٰلِكَ خَيْرٌ أَمْ جَنَّةُ ٱلْخُلْدِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۚ كَانَتْ لَهُمْ جَزَآءً وَمَصِيرًا ﴿١٥﴾﴾ [الفرقان: الآية ١٥]، سُميت بذلك لخلود أهلها فيها.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٤٥).

(٢) رواه البخاري (٦٥٤١)، ومسلم (٢٢٠).

**٣- جنة النعيم:** قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْعَلْنِي مِن وَرَثَةِ جَنَّةِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨٥﴾﴾ [الشُّعَرَاء: الآية ٨٥]، سُميت بذلك لما فيها من النعيم المقيم الكريم.

**٤- جنة المأوى:** قال تعالى: ﴿عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾﴾ [النّجْم: الآية ١٥]. سُميت بذلك لأنها مأوى المؤمنين.

**٥- جنات عدن:** قال تعالى: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾ [ص: الآية ٥٠]. فهي درجة من درجات الجنة.

**٦- دار السلام:** قال تعالى: ﴿۞ لَهُمْ دَارُ ٱلسَّلَٰمِ عِندَ رَبِّهِمْ ۖ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٢٧﴾﴾ [الأنعَام: الآية ١٢٧].

وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾ [يُونس: الآية ٢٥].

**سميت بذلك لأمور، منها:**

- لأنها سالمة من كل المنغصات والمكدرات ومن كل بلية وآفة.

- لأنها دار السلام، ومن أسمائه «السلام» كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾﴾ [الحَشر: الآية ٢٣]. فهي دار السلام، يعني دار الله، فهو سبحانه الذي سَلَّمها وسَلَّم أهلها.

- ولأنها: ﴿تَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ﴾ [إبراهيم: الآية ٢٣]، ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ ۚ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾﴾ [الأحزَاب: الآية ٤٤].

- وأول ما تستقبلهم به خزنة الجنة هو السلام: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]. قال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾ [الرعد: ٢٣ - ٢٤] والرب يسلم عليهم من فوقهم: ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم

مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ﴿٥٨﴾﴾ [يس: ٥٧، ٥٨].

- ولأن كلامهم فيها سلام، أي: لا لغو فيها ولا فحش ولا باطل، لا يقولونه ولا يسمعونه، قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًا ۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: الآية ٦٢]. وقال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّٰبًا ﴿٣٥﴾﴾ [النبإ: الآية ٣٥]، وقال تعالى: ﴿لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾﴾ [الواقعة: ٢٥، ٢٦].

**٧ - دار المتقين:**

قال تعالى: ﴿وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [النحل: الآية ٣٠]، سميت بذلك لأنهم أهلها.

**٨ - دار الآخرة:**

قال تعالى: ﴿وَلَدَارُ ٱلْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ ٱتَّقَوْا ۗ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ [يوسف: الآية ١٠٩].

والغالب أن تذكر بلفظ التعريف للدار، فيقال: «الدار الآخرة». قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [القصص: الآية ٨٣].

**٩ - دار المقامة:**

قال تعالى: ﴿وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ ۖ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾ [فاطر: ٣٤، ٣٥]. دار المقامة يعني دار الإقامة.

ولو توسعنا في هذا لذكرنا أسماء كثيرة، مثل «المُدخل الكريم» المأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: الآية ٣١] «وحسن المآب» المأخوذ من قوله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٤٩، ٥٠].

**١٠ - الفردوس:**

قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَلَىٰ صَلَوَٰتِهِمْ يُحَافِظُونَ ۝٩ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْوَٰرِثُونَ ۝١٠ ٱلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْفِرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝١١﴾ [المؤمنون: ١٠، ١١] [١].

## المطلب الثاني عشر: الفقراء يسبقون الأغنياء إلى الجنة

روى مسلم في «صحيحه» عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن فقراء المهاجرين يسبقون الأغنياء يوم القيامة إلى الجنة بأربعين خريفًا**» [٢].

## المطلب الثالث عشر: بعض ما جاء في صفة الجنة ونعيمها

مهما كتب الكُتّاب والأدباء، وتخيّل المتخيلون، وأبدع المبدعون وصفًا للجنة؛ فلن نجد مثل وصف الله تبارك وتعالى ونبيه الكريم لحقيقتها.

**فقد وصفها الله عز وجل بأمور، منها:**

**١ - أبواب الجنة:**

قال تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ ۚ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ۝٤٩ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ [ص: ٤٩، ٥٠].

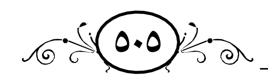
وقال تعالى: ﴿وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۝٢٣ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ۝٢٤﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وقال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا

---

(١) «الإيمان باليوم الآخر» (ص٢٨٥)، و«اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٥٢٣-٥٢٦).

(٢) رقم (٢٩٧٩).



وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾.

وقال ﷺ: «**في الجنة ثمانية أبواب، فيها باب يسمى الريان، لا يدخله إلا الصائمون**»(١).

وقال ﷺ: «**من قال أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، وأن عيسى عبد الله وابن أمته وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، وأن الجنة حق والنار حق؛ أدخله الله من أي أبواب الجنة الثمانية شاء**»(٢).

**٢ - قصور الجنة وخيامها:**

لقد بنى الله سبحانه في الجنة مساكن طيبة للإقامة المطمئنة الخالدة، وقد سمى الله ﷻ في مواضع من كتابه العزيز هذه المساكن بالغرفات، وهي القصور التي من فوقها غرف مبنية محكمة مزخرفة(٣) عالية، كما أن الغرفة أكرم من البهو فيما اعتاد الناس في البيوت في هذه الحياة الدنيا عندما يستقبلون الضيوف.

وأن في الجنة خيامًا عجيبة فهي من درة مجوفة.

وفي ذلك يقول سبحانه في آيات كثيرة، منها:

قال تعالى: ﴿**وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾**﴾ [التوبة: الآية ٧٢].

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُم بِٱلَّتِى تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰٓ إِلَّا مَنْ ءَامَنَ

---

(١) رواه البخاري (١٨٩٦)، ومسلم (١١٥٢).

(٢) رواه البخاري (٣٤٣٥)، ومسلم (٢٨).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٦).

وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَزَآءُ ٱلضِّعْفِ بِمَا عَمِلُواْ وَهُمْ فِى ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [سبإ: الآية ٣٧].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُجْزَوْنَ ٱلْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُواْ وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلَٰمًا ﴿٧٥﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ [الفرقان: ٧٥، ٧٦].

وقال تعالى: ﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ [الزمر: ٢٠].

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «**دخلت الجنة فرأيت فيها دارًا – أو: قصرًا – فقلت: لمن هذا؟ فقالوا: لعمر بن الخطاب. فأردت أن أدخل فذكرت غيرتك** – فبكى عمر وقال: أي رسول الله، أو عليك يغار؟!–»(١).

وقد وصف النبي ﷺ خيام الجنة بأنها درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلًا، عن أبي بكر الأشعري عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «**الخيمة درة مجوفة طولها في السماء ثلاثون ميلًا، في كل زاوية منها للمؤمن أهل لا يراهم الآخرون**»(٢).

### ٣- أشجار الجنة وثمارها:

وُصفت الجنة بأنها البستان المحفوف بالشجر، المتكاثف بالأعناب والنخيل والرمان، حيث الجمالُ الرائع والأشجار المتدانية القطوف الوفيرة الأثمار.

وقد حفل القرآن الكريم بشواهد لهذا الصنف من الخير والجمال، فقال تعالى: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ [النبأ: ٣١، ٣٢].

---

(١) رواه البخاري (٥٢٢٦)، ومسلم (٢٣٩٤).

(٢) رواه البخاري (٣٢٤٣)، ومسلم (٢٨٣٨).

وإلى جانب هذه الحدائق والأعناب هناك فاكهة كثيرة متنوعة ومنها ثمر النخيل والرمان ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٞ وَنَخۡلٞ وَرُمَّانٞ ٦٨﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٦٨].

كما أن من أشجار الجنة السدر المخضود الذي لا شوك فيه، بخلاف سدر الدنيا، فإنه كثير الأشواك قليل الثمر، وفي الآخرة على العكس، وأن من أشجار الجنة الطلح المنضود الذي هو يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وأنه متراكم الثمر(١)، قال تعالى: ﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣﴾ [الواقعة: ٢٧- ٣٣](٢).

وفواكه الجنة لا تُحجب عن مؤمن فضلًا عن كل معين يطلبه، وإذا كان قد ذكر بعض أنواع الفواكه فإن ما يحبه المؤمن من فاكهة يعرفها، له أن يدعو ليجد بغيته أمامه، قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ٥١﴾ [ص: الآية ٥١] وقال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٖ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ٢٠﴾ [الواقِعَة: الآية ٢٠]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُتَّقِينَ فِي ظِلَٰلٖ وَعُيُونٖ ٤١ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشۡتَهُونَ ٤٢ كُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ هَنِيٓـَٔۢا بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٩﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٣].

وأشجار الجنة دائمة العطاء، فهي ليست كأشجار الدنيا تعطي في وقت دون وقت، وفصل دون فصل، بل هي دائمة الإثمار والظلال، وهي نعمة تطمئن لها النفس وتستريح، قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ ٱلۡمُتَّقُونَۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ تِلۡكَ عُقۡبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَواْۖ وَّعُقۡبَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ﴾ [الرعد: ٣٥]. وقال سبحانه: ﴿وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣].

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٥٣).

(٢) **الطلح:** الموز: واحدتها طلحة.

ووَصَف الله ﷻ أشجار الجنة بأنها ذات أغصان جميلة، وأنها شديدة الخضرة، وأن ثمارها قريبة دانية مذللة ينالها أهل الجنة بيسر وسهولة.

قال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾﴾ [الرحمن: ٤٦ - ٤٨].

وقال ﷻ: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾﴾ [الرحمن: ٦٢ - ٦٤].

وقال سبحانه: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٤].

وقال تعالى: ﴿فِى جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ﴿٢٢﴾ قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الحاقة: ٢٢- ٢٣][(١)].

**وجاء في السنة عنه ﷺ:**

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة شجرة، يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**» واقرءوا إن شئتم: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾ [الواقِعَة: ٣٠][(٢)].

وعن سهل بن سعد رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «**إن في الجنة لشجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها**»[(٣)].

وعن أبي سعيد رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**إن في الجنة لشجرة، يسير الراكب الجواد المضمر السريع مائة عام ما يقطعها**»[(٤)].

---

(١) «الحياة في القرآن الكريم» (٢/ ٦٤٦).

(٢) رواه البخاري (٤٨٨١)، ومسلم (٢٨٢٦).

(٣) رواه البخاري (٦٥٥٢)، ومسلم (٢٨٢٧).

(٤) رواه البخاري (٦٥٥٣)، ومسلم (٢٨٢٨).

**٤ - درجات الجنة:**

قال تعالى: ﴿وَمَن يَأْتِهِۦ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلدَّرَجَٰتُ ٱلْعُلَىٰ ﴿٧٥﴾﴾ [طه: الآية ٧٥].

والجنة درجات متفاضلة تفاضلًا عظيمًا، وأولياء الله المتقون في تلك الدرجات بحَسَب إيمانهم وتقواهم. قال الله تبارك وتعالى: ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ١٨ - ٢١].

وأهل الدرجات العاليات يكونون في نعيم أرقى من الذين دونهم، فقد ذكر الله أنه أعد للذين يخافون مقامه جنتين: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٤٦]، ووصفهما ثم قال: ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٦٢]، أي: دون تلك الجنتين في المقام والمرتبة، ومَن تأمل صفات الجنتين اللتين ذكرهما الله آخرًا، علم أنهما دون الأوليين في الفضل، فالأوليان للمقربين، والأخريان لأصحاب اليمين.

**قال القرطبي:** لما وصف الجنتين أشار إلى الفرق بينهما، فقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٠]. وقال في الأخريين: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٦٦] أي: فوارتان بالماء، ولكنهما ليستا كالجاريتين لأن النضخ دون الجري.

وقال في الأوليين: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٢] معروف وغريب، رطب ويابس، فعم ولم يخص، وفي الأخريين: ﴿فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٦٨]، ولم يقل: من كل فاكهة زوجان.

وقال في الأوليين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ۚ﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٤] وهو الديباج.

وقال في الأخريين: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: ٧٦]،

والعبقري: الوشي، ولا شك أن الديباج أعلى من الوشي، والرفرف كسر الخبا، ولا شك أن الفرش المعدة للاتكاء فيها أفضل من الخبا.

وقال في الأوليين في صفة الحور العين: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلۡيَاقُوتُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ۝٥٨﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٨]. وفي الأخريين: ﴿فِيهِنَّ خَيۡرَٰتٌ حِسَانٞ ۝٧٠﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٧٠]. وليس كل حسن كحسن الياقوت والمرجان.

وقال في الأوليين: ﴿ذَوَاتَآ أَفۡنَانٖ ۝٤٨﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٤٨]، وفي الأخريين: ﴿مُدۡهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٦٤] أي: خضروان كأنهما من شدة خضرتهما سوداوان.

ووصف الأوليين بكثرة الأغصان، والأخريين بالخضرة وحدها[(١)].

وعن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**مَن آمن بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًّا على الله أن يدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلد فيها**»، قالوا: يا رسول الله، أفلا ننبئ الناس بذلك؟ قال: «**إن في الجنة مائة درجة، أعدها الله للمجاهدين في سبيله، كل درجتين ما بينهما كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فسلوه الفردوس؛ فإنه أوسط الجنة، وأعلى الجنة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجر أنهار الجنة**»[(٢)].

**٥ - أنهار الجنة:**

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥].

وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ جَنَّٰتُ عَدۡنٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ [الكهف: الآية ٣١].

(١) «التذكرة» للقرطبي (ص٤٤٠)، و«الجنة والنار» للأشقر (ص١٥٩).
(٢) رواه البخاري (٧٤٢٣).

وقال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ﴾ [محمد: الآية ١٥]. . .

وذكر سبحانه هذه الأجناس الأربعة ونفى عن كل واحد منها الآفة التي تعرض له في الدنيا: فآفة الماء أن يأسن ويأجن من طول مكثة. وآفة اللبن أن يتغير طعمه إلى الحموضة وأن يصير قارصًا. وآفة الخمر كراهة مذاقها المنافي للذة شرابها. وآفة العسل عدم التصفية.

وتأمل اجتماع هذه الأنهار الأربعة التي هي أفضل أشربة الناس، فهذا لشربهم وطهورهم - وهو الماء - وهذا لقوتهم وغذائهم - وهو اللبن - وهذا للذتهم وسرورهم - وهو الخمر - وهذا لشفائهم ومنفعتهم - وهو العسل[١].

ومن أنهار الجنة نهر الكوثر، قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ [الكوثر: الآية ١]، فعن أنس، أن النبي ﷺ قال: «**هو نهر في الجنة**»، قال: قال النبي ﷺ: «**رأيت نهرًا في الجنة حافتاه قباب اللؤلؤ، قلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر الذي أعطاكه الله**»[٢].

**٦ - عيون الجنة:**

في الجنة عيون كثيرة مختلفة الطعم واللذة، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝٤٥ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝٤٦﴾ [الحجر: ٤٥، ٤٦].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ۝٥١ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ﴾ [الدخان: ٥١، ٥٢].

وبعض هذه العيون يخرج ماؤها ثم يجري على أرض الجنة، قال تعالى:

---

(١) «حادي الأرواح إلى بلاد الأفراح» لابن القيم (ص٢١٨).

(٢) رواه البخاري (٤٦٨٠).

﴿فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٢﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآية ١٢].

وقال في وصف الجنتين اللتين أعدهما لمن خاف مقامه: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٠].

وقال سبحانه في وصف الجنتين اللتين دونهما: ﴿فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٦٦]. والنضخ فوران الماء وهو أبلغ من النضح.

**وقد ذكر الله تعالى لنا أسماء ثلاثة منها، وهي:**

**أ - عين الكافور:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴿٥﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾﴾ [الإنسان: ٥، ٦] فالأبرار يشربون ماء ممزوجًا بالكافور، بينما يشربه عباد الله المقربون صِرْفًا لا خلط فيه[١]، وقد عُلم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة[٢].

**ب - عين السلسبيل:**

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ﴿١٧﴾ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ﴿١٨﴾﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨] أي: ويسقون - يعني الأبرار - أيضًا من هذه الأكواب ﴿كَأْسًا﴾ [الطُّور: الآية ٢٣] أي: خمرًا ﴿كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا﴾ [الإنسان: الآية ١٧] فتارة يُمزج لهم الشراب بالكافور وهو بارد وتارة. بالزنجبيل وهو حار ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منها صرفًا كما قاله قتادة وغير واحد[٣].

---

(١) «اليوم الآخر في القرآن الكريم العظيم والسنة المطهرة» (ص ٥٥٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٥٤).

(٣) المصدر السابق.

وعن ثوبان مولى رسول الله ﷺ حدثه قال: كنت قائمًا عند رسول الله ﷺ فجاء حبر من أحبار اليهود فقال: السلام عليك يا محمد. فدفعتُه دفعة كاد يُصرع منها فقال: لِمَ تدفعني؟ فقلت: ألا تقول يا رسول الله؟! فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: «**إن اسمي محمد الذي سماني به أهلي**»، فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ: «**أينفعك شيء إن حدثتك؟**» قال: أسمع بأذني. فنكت رسول الله ﷺ بعود معه، فقال: «**سل**» فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هم في الظلمة دون الجسر**» قال: فمَن أول الناس إجازة؟

قال: «**فقراء المهاجرين**» قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: «**زيادة كبد النون**»، قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: «**يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**» قال: فما شرابهم عليه؟ قال: «**من عين فيها تسمى سلسبيلًا**» قال: صدقت...[1] الحديث.

**ج – عين التسنيم:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ﴿٢٢﴾ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ﴿٢٣﴾ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ﴿٢٤﴾ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [المطففين: ٢٢ – ٢٨].

**قال ابن عباس:** تسنيم: أشرف شراب أهل الجنة، وهو صِرف للمقربين ويُمزج لأصحاب اليمين[2].

(١) رواه مسلم، كتاب الحيض، رقم (٣١٥).

(٢) «البدور السافرة في أحوال الآخرة» (ص ٥٤٤).

**٧ – نور الجنة:**

والجنة لها نور كما قال تعالى: ﴿لَّا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَٰمًاۖ وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿٦٢﴾﴾ [مريم: الآية ٦٢].

في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: الآية ٦٢]: أي: في مثل وقت البكرات ووقت العشيات، لا أن هناك ليلًا ونهارًا، ولكنهم في أوقات تتعاقب يُعرف مضيها بأضواء وأنوار(١).

وقد قال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا ﴿١٣﴾﴾ [الإنسان: الآية ١٣]: والجنة ليس فيها شمس ولا قمر، ولا ليل ولا نهار، لكن البكرة والعشية تُعرفان بنور يظهر من قِبل العرش(٢).

**وقال القرطبي:** قال العلماء: ليس في الجنة ليل ونهار، وإنما هم في نور دائم، وإنما يعرفون مقدار الليل بإرخاء الحُجُب وإغلاق الأبواب. ذكره أبو الفرج ابن الجوزي(٣).

وتربة الجنة بيضاء كما جاء ذلك مصرحًا به في الحديث، فعن أبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ سأل ابن صائد عن تربة الجنة فقال: درمكة بيضاء مسك خالص. فقال رسول الله ﷺ: «**صدق**»(٤). درمكة البيضاء: هي الدقيق الأبيض(٥).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ١٢٩).

(٢) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣١٢).

(٣) «الجنة والنار» للأشقر (ص١٧٤).

(٤) مسلم، كتاب الفتن، رقم (٢٩٢٨).

(٥) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٥٦٢).

**٨ - ريح الجنة:**

عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**مَن قتل معاهدًا لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها توجد من مسيرة أربعين عامًا**»[١].

وعن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات، رءوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**»[٢].

**٩ - تربة الجنة:**

عن أبي هريرة قال: قلت: يا رسول الله، مِمَّ خُلق الخلق؟ قال: «**من ماء**». **قلنا: الجنة ما بناؤها؟ قال:** «**لبنة من ذهب، ولبنة من فضة، وملاطها المسك الأذفر، وحصباؤها الدر والياقوت، وتربتها الزعفران، من يدخلها ينعم ولا يبأس ويخلد ولا يموت، ولا يبلى ثيابه، ولا يفنى شبابه**»[٣].

عن أنس بن مالك، قال: كان أبو ذر يُحَدث أن رسول الله ﷺ قال: «**...ثم أدخلت الجنة، فإذا فيها جنادل اللؤلؤ وإذا ترابها المسك**»[٤].

**١٠ - في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر:**

قال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧].

---

(١) رواه البخاري (٣١٦٦).

(٢) رواه مسلم (١٢٥- ٢١٢٨).

(٣) **صحيح لشواهده:** أخرجه أحمد (٩٧٤٤)، وعبد بن حميد (١٤٢١).

(٤) رواه البخاري (٣٤٩)، ومسلم (١٦٣).

وقال رسول الله ﷺ فيما يرويه عن الله تبارك وتعالى: «**أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر، فاقرءوا إن شئتم:** ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السَّجدَة: الآية ١٧]»(١).

**١١- طعام أهل الجنة:**

الجنة لا جوع فيها ولا عطش، قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨، ١١٩].

وقال رسول الله ﷺ: «**إن أهل الجنة يأكلون فيها ويشربون، ولا يتفلون ولا يبولون ولا يتغوطون ولا يتمخطون**»، قالوا: فما بال الطعام؟ قال: «**جشاء ورشح كرشح المسك، يُلهمون التسبيح والتحميد، كما يُلهمون النَّفَس**»(٢).

**وقد ذكر الله تعالى أنواعًا كثيرة من طعامهم، منها:**

**الفاكهة بجميع أنواعها:** قال تعالى: ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ﴾ [الواقِعَة: الآية ٢٠] ومن هذه الفاكهة العنب ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا ﴿٣١﴾ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴿٣٢﴾﴾ [النبأ: ٣١، ٣٢] وهذه الفاكهة ليست بقليلة بل هي كثيرة ﴿لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾ [الزّخرُف: الآية ٧٣].

ولا يُتعب نفسه في إحضارها وجنيها، بل يطلب ذلك ويحضرها الخدم له ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾﴾ [ص: الآية ٥١].

وهذه الفاكهة من النوع الذي يختاره ويشتهيه حتى تكمل اللذة، فلا يأتونه بشيء لم يختره ولا يشتهيه ﴿وَفَٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾﴾ [الواقعة: ٢٠]، ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ﴿٤١﴾ وَفَوَٰكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٤٢﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ

(١) رواه البخاري (٣٠٧٢)، ومسلم (١٦٣).
(٢) رواه البخاري (٣٢٤٥)، ومسلم ( ١٥- ٢٨٣٤).

تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾﴾ [المرسلات: ٤١ - ٤٣].

وهذه الفاكهة لا تنقطع في وقت من الأوقات كما يحصل في فواكه الدنيا، بل هي متوفرة دائمًا، ولا تُمنع عن أصحاب الجنة أبدًا ﴿وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾﴾ [الواقعة: ٣٢، ٣٣] وإذا اشتهى أن يقطف الفاكهة بنفسه فإنها لا تعسر عليه، بل تذلل له الأغصان وتنزل حتى يأخذ منها ما شاء بلا تعب ولا عناء ﴿وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَٰلُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا ﴿١٤﴾﴾ [الإنسان: الآية ١٤] وقال: ﴿وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٤].

**لحم الطير:** قال تعالى: ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: ٢١].

وليس هذا فقط طعامهم، بل لهم كل ما اشتهت أنفسهم ولذته أعينهم ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزخرف: ٧١، ٧٢].

## ١٢- شراب أهل الجنة:

وأما شرابهم فإنه شراب طهور طيب، لا كما يفعل بعض الضالين الذين يشربون النجاسة، فتجدهم يشربون الخمر وبعضهم يشرب الدم المسفوح وبعضهم يشرب العرق وغير ذلك من النجاسات والقاذورات، وأما أهل الجنة فشرابهم طاهر طهور طيب، قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوٓاْ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: الآية ٢١].

**ومن هذه الأشربة:**

**- العسل واللبن والماء:**

قال تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ

وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِي ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمَّد: الآية ١٥].

– **الكافور:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ۝٥ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾ [الإنسان: ٥، ٦].

– **الزنجبيل:**

قال تعالى: ﴿وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنجَبِيلًا ۝١٧ عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّىٰ سَلْسَبِيلًا ۝١٨﴾ [الإنسان: ١٧، ١٨].

أخبر سبحانه عن مزاج شرابهم بشيئين: بالكافور في أول السورة، والزنجبيل في آخرها، فإن في الكافور من البرد وطيب الرائحة وفي الزنجبيل من الحرارة وطيب الراحة - ما يحدث لهم باجتماع الشرابين، ومجيء أحدهما على أثر الآخر حالة أخرى أكمل وأطيب وألذ من كل منهما بانفراده ويعدّل كيفية كل منهما بكيفية الآخر، وما ألطف موضع ذكر الكافور في أول السورة والزنجبيل في آخرها!! فإن شرابهم مُزج أولًا بالكافور وفيه من البرد ما يجيء الزنجبيل بعده فيعدله، والظاهر أن الكأس الثانية غير الأولى وأنهما نوعان لذيذان من الشراب أحدهما مُزج بكافور، والثاني مُزج بزنجبيل[1].

– **التسنيم:**

قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ۝٢٥ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ۝٢٦ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ۝٢٧ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ ۝٢٨﴾ [المطففين: ٢٥ -

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم (ص ٢٢٤).

٢٨]، قال ابن عباس: تسنيم أشرف شراب أهل الجنة وهو صِرْف للمقربين ويُمزج لأصحاب اليمين(١).

**- الخمر:**

تكلم الله تعالى عن خمر الجنة في غير ما آية ونفى عنها جميع آفات خمر الدنيا، قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٧- ١٩] وقال تعالى: ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾﴾ [الطور: ٢٣] وقال تعالى: ﴿وَأَنْهَارٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ﴾ [محمَّد: الآية ١٥].

فخمر الدنيا(٢)، طعمها غير لذيذ، وتُحْدث لمن شربها صداعًا، وتذهب بعقله. ويكثر عندها اللغو واللغط بل لا تحلو إلاَّ بكثرة اللغو، وتوقع الإنسان في الآثام العظام من دخول تحت اللعنة وارتكاب للمحظورات فلا يمتنع عن شيء منها وكيف يمتنع وهو لا عقل له؟

فهذه خمسة منغصات لخمر الدنيا نفاها الله عن خمر الآخرة، فالطعم لذة للشاربين، وهم لا يصدعون عنها، ولا ينزفون - أي: لا تذهب عقولهم - ولا لغو عندها، ولا إثم فيها(٣).

وقال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَاءَ لَذَّةٍ لِّلشَّارِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الصافات: ٤٥ - ٤٧].

وهذه الكأس من خمر الجنة، والمَعين: الجاري الكثير، ولون هذه الخمر بيضاء، أي: حسنة المنظر وهي ذات لذة، والغَوْل: صداع في الرأس

(١) «البدور السافرة في أحوال الآخرة».

(٢) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٦٠٣).

(٣) المصدر نفسه.

وقيل: وجع في البطن. وهي ليس فيها هذا ولا هذا ﴿يُنزِفُونَ﴾ أي: لا يسكرون منها(١)، فلا تذهب عقولهم وتبقى لذاتها.

والخمر هي المقصود بقوله تعالى: ﴿رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ﴾ قال تعالى: ﴿يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ﴿٢٥﴾ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ﴿٢٦﴾ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ﴿٢٧﴾﴾، والرحيق هو الخمر الصافية. ومن لذة الخمر أنها تُختم بالمسك(٢).

ولعل أعظم منغصات خمر الدنيا أن من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة، قال ﷺ: «**من شربه في الدنيا لم يشربه في الآخرة**»، وقال ﷺ: «**من شرب الخمر في الدنيا لم يشربها في الآخرة إلا أن يتوب**»(٣).

**١٣- آنية طعامهم وشرابهم:**

آنية طعام أهل الجنة من ذهب وفضة، قال تعالى: ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ ۖ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ۖ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾ [الزخرف: الآية ٧١](٤).

الصحاف جمع صحفة وهي القصعة وزنًا ومعنى، وهي من ذهب كما هو صريح الآية، والأكواب جمع كوب وهو الكوز المستدير الرأسي للذي لا عروة له ولا خرطوم(٥).

وقال رسول الله ﷺ: «**أول زمرة تدخل الجنة على صورة القمر ليلة البدر،**

---

(١) «التسهيل» لابن جزي (٢/ ٢٣٥).

(٢) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٦٠٤).

(٣) البخاري، كتاب الأشربة، رقم (٥٢٥٣).

(٤) أكواب: أي: من ذهب.

(٥) «لسان العرب» (١/ ٧٢٩)، و«حادي الأرواح» (ص٢٣٣).

**والذين على أثرهم كأشد كوكب إضاءة، قلوبهم على قلب رجل واحد، لا اختلاف بينهم ولا تباغض، لكل امرئ منهم زوجتان، كل واحد منهما يرى مخ ساقها من وراء لحمهما من الحُسن، يسبحون الله بكرة وعشيًا، لا يسقمون ولا يتمخطون ولا يصقون، آنيتهم الذهب والفضة، وأمشاطهم الذهب، ووقود مجامرهم الألوة – يعني العود – ورشحهم المسك**(١).

وقال تعالى: ﴿بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾﴾ [الواقعة: ١٧ – ١٩].

وقال تعالى: ﴿وَيُطَافُ عَلَيْهِم بِآنِيَةٍ مِّن فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا ﴿١٥﴾ قَوَارِيرَا مِن فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا﴾ [الإنسان: ١٥، ١٦].

وقال رسول الله ﷺ: «**جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن**»(٢).

## ١٤– لباس أهل الجنة وحُليهم وأساورهم:

لا عري في الجنة قال تعالى: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ [طه: ١١٨، ١١٩]. وقال ﷺ: «**من يدخل الجنة ينعم ولا يبأس، لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه**»(٣).

### ولهم أفضل أنواع اللباس، فمن ذلك:

– **الحرير**: الرقيق منه والغليظ، قال تعالى: ﴿وَجَزَاهُم بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا﴾

---

(١) البخاري، كتاب بدأ الخلق، رقم (٣٠٧٣).

(٢) مسلم، كتاب الجنة، رقم (٢٨٣٦).

(٣) البخاري رقم (٤٥٩٧)، مسلم رقم (١٨٠).

وقال تعالى: ﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ﴾. وقال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ [الكهف: الآية ٣١].

وقال سبحانه: ﴿يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الدّخان: الآية ٥٣].

والسندس ما رق من الديباج والحرير، والإستبرق ما غلظ منه، وقال الزجاج: هما نوعان من الحرير، وأحسن الألوان الأخضر، وألين اللباس الحرير، فجمع لهم بين حسن منظر اللباس والتلذذ به.

وقال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ﴾ [الإنسان: الآية ٢١] تأمل ما دلت عليه لفظة ﴿عَٰلِيَهُمْ﴾ من كون ذلك اللباس ظاهرًا بارزًا يحمل ظاهرهم ليس بمنزلة الشعار الباطن بل الذي يلبس فوق الثياب للزينة والجمال[١].

**وأما حُليهم وأساورهم فهي كالتالي:**

- **الفضة:** قال تعالى: ﴿عَٰلِيَهُمْ ثِيَابُ سُندُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ ۖ وَحُلُّوٓا۟ أَسَاوِرَ مِن فِضَّةٍ وَسَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ [الإنسان: الآية ٢١].

- **الذهب:** قال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فَاطِر: الآية ٣٣].

- **اللؤلؤ:** قال تعالى: ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾ [فَاطِر: الآية ٣٣].

فأساور أهل الجنة بعضها من الفضة وبعضها من ذهب وبعضها من لؤلؤ.
وقال تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا﴾ [فَاطِر: الآية ٣٣][٢].

---

(١) «حادي الأرواح» (ص ٢٣٧).

(٢) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص ٦١١).

**١٤- فرش أهل الجنة:**

قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٤].

ففرش أهل الجنة باطنها من حرير، فإذا كان هذا باطنها فكيف هو ظاهرها؟

وهذه الفرش عالية لها سُمك وحشو بين البطانة والظهارة كما قال تعالى: ﴿وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الواقِعَة: الآية ٣٤].

**١٦- بُسُط أهل الجنة:**

قال تعالى: ﴿وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ ﴿١٦﴾﴾ [الغَاشِيَة: الآية ١٦] والزرابي جمع زربية وهي البُسُط(١)، وهو مبثوثة على شكل متسق ومتكامل. وقال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٧٦].

**١٧- الوسائد:**

قال تعالى: ﴿وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٥﴾﴾ [الغاشية: ١٦].

النمارق جمع نمرقة وهي الوسادة، وهي التي توضع تحت الرأس - وقيل: المساند - وهي التي توضع خلف الظهر أو على الجنب - وقد يعمهما اللفظ(٢).

وهذه المخاد والوسائد مصفوفة ومعدة للاستناد إليها دائمًا. وترتيب الوسائد وصَفُّها أجمل للناظر من المبعثرة، وهكذا وسائد أهل الجنة، فينعمون حتى بالنظر(٣).

---

(١) «لسان العرب» (١/ ٤٤٧).

(٢) «صفة الجنة» لابن كثير (ص١٢٣).

(٣) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٦١٣).

**١٨- سُرُر أهل الجنة:**

قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ وَزَوَّجۡنَٰهُم بِحُورٍ عِينٖ﴾ [الطُّور: الآية ٢٠].

السرر: جمع سرير. وهو الذي يُجلس عليه(١).

**وذكر الله تعالى لهذه السرر ثلاث صفات:**

- قال تعالى: ﴿مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٖ مَّصۡفُوفَةٖۖ﴾ [الطُّور: الآية ٢٠] فالسرر مصفوفة بعضها إلى جانب بعض، ليس بعضها خلف بعض ولا بعيد عن بعض.

- وقال تعالى: ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ ۝١٥﴾ [الواقعة: ١٥] موضونة: أي: مرصعة ومتقاربة ومنسوجة بقضبان الذهب مشتبكة بالدر والياقوت والزبرجد.

- قال تعالى: ﴿فِيهَا سُرُرٞ مَّرۡفُوعَةٞ ۝١٣﴾ [الغَاشِيَة: الآية ١٣](٢).

**١٩- أرائك أهل الجنة:**

قال تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۚ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا﴾ [الكهف: ٣١].

- ﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدۡعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ وَشَرَابٖ ۝٥١﴾ [ص: الآية ٥١].

- ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ لَا يَرَوۡنَ فِيهَا شَمۡسٗا وَلَا زَمۡهَرِيرٗا ۝١٣﴾ [الإنسان: الآية ١٣].

- ﴿عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٢٣ تَعۡرِفُ فِي وُجُوهِهِمۡ نَضۡرَةَ ٱلنَّعِيمِ ۝٢٤﴾ [المطففين: ٢٣، ٢٤].

- ﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ۝٣٤ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ۝٣٥﴾ [المطففين: ٣٤، ٣٥].

الأرائك جمع أريكة.

**٢٠ - خدم أهل الجنة:**

قال تعالى: ﴿يَطُوفُ عَلَيۡهِمۡ وِلۡدَٰنٞ مُّخَلَّدُونَ ۝١٧﴾ [الواقعة: ١٧].

---

(١) «لسان» (٤/ ٣٦١)، و«اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٦١٤).

(٢) «اليوم الآخر في القرآن العظيم» (ص٦١٤).

وقال تعالى: ﴿۞ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُّخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا ﴿١٩﴾﴾ [الإنسان: الآية ١٩].

يطوف على أهل الجنة للخدمة ولدان من ولدان أهل الجنة ﴿مُّخَلَّدُونَ﴾ أي: على حالة واحدة مخلدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن.

وقوله تعالى: ﴿إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَّنثُورًا﴾. أي: إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة وكثرتهم وصباحة وجوههم وحسن ألوانهم وثيابهم وحُليهم، حسبتهم لؤلؤًا منثورًا، ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن[1].

**٢١ - سوق أهل الجنة:**

قال رسول الله ﷺ: «**إن في الجنة لسوقًا، يأتونها كل جمعة، فتهب ريح الشمال، فتحثوا في وجوههم وثيابهم، فيزدادون حسنًا وجمالًا، فيرجعون إلى أهليهم وقد ازدادوا حسنًا وجمالًا، فيقول لهم أهلوهم: والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا!! فيقولون: وأنتم والله لقد ازددتم بعدنا حسنًا وجمالًا**»[2].



(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٥٦).

(٢) مسلم، كتاب الجنة، رقم (٢٨٣٣).

## المطلب الرابع عشر: الحور العين

**١- جمال وحُسْن الحور العين:**

**شَبَّه الله تعالى الحور العين بثلاثة تشبيهات:**

قال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩].

وقال تعالى: ﴿وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾﴾ [الواقعة: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٨].

**٢- صفاتهن الخُلُقية:**

**- قاصرات الطرف:**

قال تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية ٥٦].

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ ﴿٤٩﴾﴾ [الصافات: ٤٨، ٤٩].

وقال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَـٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾﴾ [ص: الآية ٥٢].

والمفسرون كلهم على أن المعنى: قَصَرن طَرْفهن على أزواجهن فلا يطمحن إلى غيرهم، قال مجاهد: «قصرن أبصارهن وقلوبهن وأنفسهن على أزواجهن فلا يُرِدْنَ غيرهم».

وقيل: قَصَرن طَرْف أزواجهن عليهن فلا يدعهم حسنهن وجمالهن أن ينظروا إلى غيرهن[١].

---

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٢٦١).

- **متحببات:**

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ۝٣٥ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ۝٣٦ عُرُبًا أَتْرَابًا﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧].

عرب: جمع عَروبة أو عَرِبة أو عروب(١)، وهي المرأة الحسناء المتوددة المتحببة لزوجها(٢)، العاشقة له.

- **بهن جميع الأخلاق الحسنة الطاهرة:**

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥].

طهر باطنها من الأخلاق السيئة والصفات المذمومة، وطهر لسانها من الفحش والبذاء، وطهر طرفها من أن تطمح لغير زوجها، وطهرت أثوابها من أن يعرض لها دنس أو وسخ(٣).

**٣- صفاتهن الخَلْقِيَّة:**

**أ- مطهرات من الأنجاس:**

قال تعالى: ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢٥] أي: من الحيض والنفاس والبول والغائط والبصاق والمخاط والنخامة والمني والمذي والحدث وكل قذر وأذى يكون في نساء الدنيا(٤)، بل حتى إذا وطئها زوجها رجعت بعد نزعه طاهرة مطهرة، وقد سئل رسول الله ﷺ: أنطأ في الجنة؟

قال: «**نعم، والذي نفسي بيده دحمًا دحمًا، فإذا قام عنها رجعت مطهرة**

---

(١) «مفردات القرآن» للراغب (ص٥٥٧).

(٢) «لسان العرب» (١/ ٥٩١).

(٣) «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٢٥٨).

(٤) «البدور السافرة» (ص٥٥٤)، و«حادي الأرواح» (ص٢٥٨).

**بكرًا»**(١).

**ب - حور عين:**

قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٥٤﴾ [الدّخان: الآية ٥٤].

الحور جمع حوراء، وهي المرأة الشابة الحسنة الجميلة نقية اللون والجلد لبياضها(٢).

وهذا اللفظ مشتق من الحَوَر، والحَوَر أن يشتد بياض العين ويشتد سواد سوادها وتستدير حدقتها وترق جفونها مع شدة بياض الجسد، ولا تكون السمراء حوراء قال الأزهري: لا تسمى حوراء حتى تكون مع حَوَر عينيها بيضاء لون الجسد(٣).

وقيل: إن لفظ الحوراء مشتق من الحيرة؛ لأن الناظر إليها يحار من شدة جمالها، قال مجاهد: الحُور: التي يحار الطرف فيها(٤).

وقال تعالى: ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ۝٤٨﴾ [الصَّافات: الآية ٤٨] وعين: جمع عيناء وهي الواسعة العين(٥)، وجَمَعت أعينهن - مع السعة - صفات الحسن والملاحة(٦).

**ج - أتراب في السن:**

قال تعالى: ﴿۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ۝٥٢﴾ [ص: الآية ٥٢] وقال تعالى:

---

(١) أخرجه ابن حبان وسنده حسن، انظر: تحقيق «صفة الجنة» (ص١٤٣).

(٢) «حادي الأرواح» (ص٢٥٨).

(٣) «لسان العرب» (٤/ ٢١٩).

(٤) «البعث والنشور» للبيهقي (ص٢٠٣).

(٥) «لسان العرب» (١٣/ ٣٠٢).

(٦) «حادي الأرواح» (ص٢٥٩).

﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾﴾ [الواقعة: ٣٥ - ٣٧].

أتراب: أي: أقران، أسنانهن واحدة، مستويات على سن واحدة وميلاد واحد من الشباب والحسن. والمعنى من الإخبار باستواء أسنانهن أنهن ليس فيهن عجائز قد فات حسنهن، ولا ولائد لا يطقن الوطء[١].

**د - أبكار:**

الحور العين أبكار كما قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾ [الواقعة: ٣٥، ٣٦].

**هـ- كواعب:**

قال تعالى: ﴿وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ﴿٣٣﴾﴾ [النبإ: الآية ٣٣].

والتمتع بالحور العين يكون بالملابسة والحديث معهن وسماع غنائهن، والتلذذ بجمالهن والتمتع بشم رائحتهن الزكية.

**و- الملامسة:**

وما يصاحبها من مقدمات وضم وتقبيل، وهذا لازم الملامسة، قال تعالى: ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ [يس: ٥٥، ٥٦]، قال ابن مسعود وابن عباس وقتادة ومجاهد وغيرهم. شغلهم افتضاض الأبكار[٢].

**٤- سماع غنائهن:**

قال تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾﴾ [الزخرف: الآية ٧٠].

الحبرة: اللذة وسماع الغناء[٣].

---

(١) «حادي الأرواح» لابن القيم (ص٢٦١).

(٢) «الجامع لأحكام القرآن» للقرطبي (١٥/ ٣٠).

(٣) «البعث والنشور» للبيهقي (ص٢١١).

## المطلب الرابع عشر: رؤية الله ﷻ

إن مسألة رؤية المؤمنين لربهم ﷻ بالأبصار في الدار الآخرة من أشرف المسائل وأَجَلِّها، إذ هي الغاية القصوى، والنهاية العظمى، وأعلى الكرامات، وأفضل العطيات التي شمّر إليها السابقون، وتنافس فيها المتنافسون، واجتهد في نيلها العابدون.

وقد تضافرت النصوص من الكتاب العزيز والسنة النبوية الصحيحة على أن المؤمنين يرون الله ﷻ بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر[(١)].

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣].

وقال تعالى: ﴿۞ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ۖ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ ۚ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [يُونس: الآية ٢٦].

وقال تعالى: ﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ فِيهَا ۖ وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾ [ق: الآية ٣٥].

وقال ﷺ: «**إذا دخل أهل الجنة الجنة - قال - يقول الله تبارك وتعالى: تريدون شيئًا أزيدكم؟، فيقولون: ألم تبيض وجوهنا؟ ألم تُدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟**» **قال:** «**فيكشف الحجاب فما أُعطوا شيئًا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ﷻ**»، ثم تلا هذه الآية: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يُونس: الآية ٢٦][(٢)].

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناسًا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: «**نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟**» قالوا: لا. قال: «**هل تضارون في**

---

(١) «أقوال التابعين» لعبد العزيز عبد الله (٣/ ١٠٦٦).

(٢) رواه مسلم (٢٩٧-١٨١).

**رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟»** قالوا: لا. قال النبي ﷺ: «**ما تضارون من رؤية الله ﷻ يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما**»[(١)].

وعن أبي هريرة أن ناسًا قالوا لرسول الله ﷺ: يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله ﷺ: «**هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**هل تضارون في الشمس ليس دونها سحاب؟**» قالوا: لا يا رسول الله. قال: «**فإنكم ترونه كذلك**»[(٢)].

**قال أبو جعفر الطحاوي:** والرؤية حق لأهل الجنة بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣]. وتفسيره على ما أراده الله تعالى وعلمه، وكل ما جاء في ذلك من الحديث الصحيح عن الرسول ﷺ فهو كما قال ومعناه على ما أراد، لا ندخل في ذلك متأولين بآرائنا ولا متوهمين بأهوائنا؛ فإنه ما سَلِم في دينه إلا مَن سَلَّم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ورَدَّ عِلم ما اشتبه عليه إلى عالمه[(٣)].

---

(١) رواه البخاري (٧٠٠٢).

(٢) رواه البخاري (٧٠٠٠)، ومسلم (١٨٢).

(٣) «الطحاوية» (ص٤٣).

**قال الشيخ الغفيص** رَحِمَهُ اللهُ **في «شرح الطحاوية» (ص٨٨):** قال المصنف رَحِمَهُ اللهُ: والرؤية حق لأهل الجنة، بغير إحاطة ولا كيفية كما نطق به كتاب ربنا: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣] وتفسيره على ما أراد الله تعالى وعلمه.

الرؤية من أخص الصفات التي حصل فيها النزاع، وقد أجمع السلف على أن المؤمنين يرون ربهم عِيانًا بأبصارهم كما يرون القمر ليلة البدر، وكما يرون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، في عرصات القيامة، وفي الجنة.

والدليل على ذلك: الكتاب، والمتواتر من حديث النبي ﷺ، والإجماع.

وقد نفى الرؤية أئمة الجهمية والمعتزلة، وطوائف من الشيعة المقلدة للمعتزلة، =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

---

= وهذا المذهب بدعة بإجماع السلف، بل قال شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ: (إن من بلغته نصوص الرؤية ولم يقل بها، فإنه يكون كافرًا إذا قامت الحجة عليه بها)، وقد جاء عن غير واحد من السلف كأحمد ومالك أنهم سموا الخلاف في هذه المسألة كفرًا.
ولا شك أن الأمر كذلك؛ فإن من خالف صريح النصوص، ومتواتر السنة، وصريح الإجماع، فإن قوله يكون كفرًا وإن كان قائله لا يكفر ابتداءً كالمسألة التي تقدمت في قول من قال: (إن القرآن مخلوق) فلا فرق بين المسألتين في الحكم. . .

**أدلة إثبات رؤية الله تعالى في الآخرة:**

**وأما دلائل الرؤية فمن القرآن قوله:** ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]
فإن النظر أضيف إلى الوجوه وعُدي بـ (إلى)، فدل ذلك على أن المراد به النظر بالأبصار.

وتعلم أن النظر في «لسان العرب» يأتي بحَسَب سياقه على غير معناه كقولهم: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٣] وكقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾، فهذه معانٍ مختلفة.

وهذه قاعدة من أهم القواعد لطالب العلم في فقهه لمذهب أهل السنة ودلائلهم: وهي أن تفسير الأئمة للآيات والأحاديث النبوية ليس معتبرًا بوضع الكلمة المفردة في اللغة، بل هو معتبر بسياق الكلام نفسه.

وهذا يَرُد قول من قال: إن النظر في قوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]، بمعنى الانتظار؛ لأن النظر يأتي في كلام العرب على معنى الانتظار، ومنه قوله: ﴿ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ﴾ [الحديد: الآية ١٣] أو قال: إنه التفكر، لأنه يأتي في كلام العرب كذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ أي: نظر تفكر أو نحو ذلك.

ومثله في الصفات الأخرى، كقول من قال: إن اليد في قوله تعالى: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ [ص: الآية ٧٥] المراد بها هنا النعمة؛ لأن العرب تذكر اليد وتريد بها النعمة. ومنه قول عروة بن مسعود لأبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحديبية كما في الصحيح: (لولا يد لك عندي لم أجزك بها لأجبتك). أي: لولا نعمة لك عليَّ.

فالسياق يوجب أن تفسر اليد بالصفة ويُرَد تأويلهم؛ فإن قوله تعالى: =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص: الآية ٧٥] ذكر لفظ اليد هنا مثنى مضافًا، وإذا ذُكر مثنى مضافًا، فإنه لا بد أن يفسر بالصفة القائمة بموصوفها، ولا يمكن أن يكون المراد به النعمة أو نحو ذلك.

**ومن دلائل الرؤية قوله تعالى:** ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: الآية ٢٦]، فلفظ الزيادة لفظ مجمل، لكنه ﷺ في حديث صهيب الذي رواه مسلم فسر الزيادة بالنظر إلى وجه الله، ومن هنا كان هذا اللفظ مبينًا بالسنة.

**ومن دلائلها قوله تعالى:** ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣]، فإن الله نفى الإدراك، والإدراك قدر زائد على أصل الرؤية، فلما خص القَدْر الزائد بالنفي دل على أن ما دونه ثابت، وإلا فلا معنى لتخصيص القَدْر الزائد بالنفي، بمعنى أنه لو كان أصل الرؤية ممتنعًا فلن يكون لتخصيص القدر الزائد بالنفي معنى، ومعلوم في حس بني آدم أن بين الإدراك وأصل الرؤية فرقًا، فإنك إذا رأيت الشيء لا يلزم أن تكون قد أدركته. وقد قال رجل لابن عباس رضي الله عنهما: يا ابن عباس إن الله يقول: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ۝﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] ويقول: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣]!! فقال له ابن عباس رضي الله عنهما: ألست ترى السماء؟ قال الرجل: بلى. قال: أتدركها كلها؟ قال الرجل: لا. قال فالله أعظم.

وأما قول من قال: إن تفسير قوله: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ﴾ [الأنعام: الآية ١٠٣] أي: لا تراه في الدنيا. فهذا قول قاله طائفة من أهل السنة ولكنه ليس براجح، بل الصحيح أن الآية على عمومها، وأن من خصائصه سبحانه أنه يُرى ولا يدرَك، بخلاف غيره؛ فإنه إذا رُئي يدرَك أو يكون ممكن الإدراك، وهذا معنى قوله: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ [الشّورى: الآية ١١] أي: في صفاته الثابتة، فهو يُرى ولا يدرَك، كما أنه يُعْلَم من علمه شيء ولا يحاط به علمًا.

**ومن دلائل الرؤية عند أهل السنة قوله تعالى:** ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ ۚ قَالَ لَن تَرَانِي﴾.

ووجه الدلالة أن موسى عليه الصلاة والسلام سأل ربه الرؤية، ولو كان -كما تزعم المعتزلة- من أصل التوحيد أن الله سبحانه تمتنع عنه الرؤية، للزم من ذلك أن يبعث الله رسولًا ويصطفيه برسالته وبتكليمه على الناس، ويكون جاهلًا بأصل من =

## المطلب الخامس عشر: القائلون بفناء الجنة

**قال بفناء الجنة كما قال بفناء النار الجهم بن صفوان إمام المعطلة، وليس له سلف قط، لا من الصحابة ولا من التابعين لهم بإحسان، ولا من أئمة المسلمين، ولا من أهل السنة، وأنكره عليه عامة أهل السنة.**

وأبو الهذيل العلاف شيخ المعتزلة قال بفناء حركات أهل الجنة والنار، بحيث يصيرون إلى سكون دائم لا يقدر أحد منهم على حركة.

**وكل هذا باطل، قال شارح الطحاوية:** (فأما أبدية الجنة، وأنها لا تفنى ولا تبيد، فهذا مما يُعلم بالضرورة أن الرسول ﷺ أخبر به، قال تعالى: ﴿۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُواْ فَفِي ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ ﴿١٠٨﴾﴾ [هُود: الآية ١٠٨]، أي: غير مقطوع. ولا ينافي ذلك قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هُود: الآية ١٠٧]).

**وقد ذكر شارح الطحاوية اختلاف السلف في هذا الاستثناء فقال:** (واختلف

---

= أصول الربوبية! وقد علق الله رؤيته بأمرٍ ممكن، وهو استقرار الجبل مكانه، فدل على أنها ممكنة.

**ومن دليل أهل السنة والجماعة على إثبات رؤية المؤمنين لربهم:** متواتر الحديث؛ فإنه تواتر عن النبي ﷺ من طريق نحو ثلاثين من الصحابة، منهم العشرة المبشرون بالجنة، في الصحيحين والسنن والمسانيد - تصريحه ﷺ بين يدي أصحابه مع اختلاف أحوالهم: أن المؤمنين يرون ربهم، كما في قوله ﷺ في حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما: «**إنكم سترون ربكم كما ترون القمر ليلة البدر، وكما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، لا تضامون في رؤيته**» متفق عليه. ومن ذلك حديث أبي موسى في الصحيحين، وحديث صهيب عند مسلم، وحديث جرير بن عبد الله البجلي. . . إلى غير ذلك.

السلف في هذا الاستثناء:

**فقيل:** معناه إلا مدة مكثهم في النار، وهذا يكون لمن دخل منهم إلى النار ثم أُخرج منها، لا لكلهم.

**وقيل:** إلا مدة مقامهم في الموقف.

**وقيل:** إلا مدة مقامهم في القبور والموقف.

**وقيل:** هو استثناء الرب ولا يفعله، كما تقول: (والله لأضربنك إلا أن أرى غير ذلك)، وأنت لا تراه، بل تجزم بضربه.

**وقيل:** «إلا» بمعنى الواو، وهذا على قول بعض النحاة، وهو ضعيف. وسيبويه يجعل «إلا» بمعنى «لكن»، فيكون الاستثناء منقطعًا ورجحه ابن جرير وقال: إن الله تعالى لا خُلْف لوعده، وقد وصل الاستثناء بقوله: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هُود: الآية ١٠٨]، قالوا: ونظيره أن تقول: (أسكنتك داري حولًا إلا ما شئت)، أي: سوى ما شئت، ولكن ما شئت من الزيادة عليه.

**وقيل:** الاستثناء لإعلامهم بأنهم - مع خلودهم - في مشيئة الله؛ لأنهم لا يخرجون عن مشيئته، ولا ينافي ذلك عزيمته وجزمه لهم بالخلود، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَئِن شِئۡنَا لَنَذۡهَبَنَّ بِٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ بِهِۦ عَلَيۡنَا وَكِيلًا ٨٦﴾ [الإسرَاء: الآية ٨٦]، وقوله تعالى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخۡتِمۡ عَلَىٰ قَلۡبِكَۗ﴾ [الشّورى: الآية ٢٤]، وقوله: ﴿قُل لَّوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوۡتُهُۥ عَلَيۡكُمۡ وَلَآ أَدۡرَىٰكُم بِهِۦۖ فَقَدۡ لَبِثۡتُ فِيكُمۡ عُمُرٗا مِّن قَبۡلِهِۦٓۚ أَفَلَا تَعۡقِلُونَ ١٦﴾ [يُونس: الآية ١٦]، ونظائره كثيرة، يخبر عباده سبحانه أن الأمور كلها بمشيئته، ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

**وقيل:** إن «ما» بمعنى «مَن» أي: إلا مَن شاء الله دخوله النار بذنوبه من السعداء.

وقيل غير ذلك.

**وعلى كل تقدير،** فهذا الاستثناء من المتشابه.

وقوله: ﴿عَطَآءً غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ﴾ [هُود: ١٠٨]. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ﴾ [ص: الآية ٥٤]. وقوله: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٞ وَظِلُّهَاۚ﴾.

وقد أكد الله خلود أهل الجنة بالتأبيد في عدة مواضع من القرآن، وأخبر أنهم ﴿لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلۡمَوۡتَ إِلَّا ٱلۡمَوۡتَةَ ٱلۡأُولَىٰۖ﴾ [الدّخَان: الآية ٥٦]. وهذا الاستثناء منقطع، وإذا ضممته إلى الاستثناء في قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ﴾ [هُود: الآية ١٠٧]، - تبين أن المراد من الآيتين استثناء الوقت الذي لم يكونوا فيه في الجنة من مدة الخلود، كاستثناء الموتة الأولى من جملة الموت، فهذه موتة تقدمت على حياتهم الأبدية، وتلك مفارقة للجنة تقدمت على خلودهم فيها(١).



(١) «الجنة والنار» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١٤٣).



# النار

## المبحث الأول: تعريف النار

النار هي الدار التي أعدها الله للكافرين به، المتمردين على شرعه، المكذبين لرسله، وهي عذابه الذي يعذب فيه أعداءه، وسجنه الذي يسحن فيه المجرمين.

وهي الخزي الأكبر، والخسران العظيم، الذي لا خزي فوقه، ولا خسران أعظم منه، ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ ﴿١٩٢﴾﴾ [آل عِمرَان: الآية ١٩٢]، ﴿أَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّهُۥ مَن يُحَادِدِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَأَنَّ لَهُۥ نَارَ جَهَنَّمَ خَٰلِدًا فِيهَا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْخِزْىُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٣﴾﴾ [التّوبَة: الآية ٦٣]، ﴿إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ [الزُّمَر: الآية ١٥].

وكيف لا تكون النار كما وصفنا وفيها من العذاب والآلام والأحزان ما تعجز عن تسطيره أقلامنا، وعن وصفه ألسنتنا، وهي مع ذلك خالدة وأهلها فيها خالدون؛ ولذلك فإن الحق أطال في ذم مقام أهل النار في النار ﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ [الفُرقان: الآية ٦٦]، ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾ [ص: ٥٥ - ٥٦][(١)].

(١) «الجنة والنار» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١١).

## المبحث الثاني: خلود النار

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ۝٧٤ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ۝٧٥﴾ [الزخرف: ٧٤، ٧٥].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ۝٩٨ لَوْ كَانَ هَٰٓؤُلَآءِ ءَالِهَةً مَّا وَرَدُوهَا ۖ وَكُلٌّ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٩٩﴾ [الأنبياء: ٩٨، ٩٩].

وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَكَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَآ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٣٩]

وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۝٨١﴾ [البَقَرَة: الآية ٨١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ كُفَّارٌ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ۝١٦١ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ﴾ [البقرة: ١٦١، ١٦٢].

وقال تعالى: ﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البَقَرَة: الآية ٢١٧].

وأما السنة فحديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**مَن تَرَدَّى من جبل فقتل نفسه فهو في نار جهنم يتردى فيها خالدًا مخلدًا، ومَن تَحَسَّ سمًّا فقتل نفسه فسمه في يده يتحساه في نار جهنم خالدًا فيها أبدًا ومَن قتل نفسه بحديدة فحديدته في يده يجأ بها في بطنه في نار جهنم خالدًا مخلدًا فيها أبدًا**»[1].

---

(١) البخاري، كتاب الطب، رقم (٥٤٤٥)، ومسلم، رقم (١٠٩).

## المبحث الثالث: مكان النار

قال تعالى: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطففين، آية: ٧، ٩]. وفي حديث البراء: «فيقول الله عزّ وجلّ: اكتبوا كتابه في سجين في الأرض السفلى».

(سجين) فِعِّيل من السجن، وهو الضيق، كما يقال: فِسِّيق وشِرِّيب وخِمِّير وسِكِّير... ونحو ذلك، ولهذا أعظم الله أمره فقال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ [المطفّفين: الآية ٨]. أي: أمر عظيم وسجن مقيم وعذاب أليم، وقد فُسر في الحديث بأنه في الأرض السفلى. وقال بعضهم: صخرة تحت الأرض السابعة. وقيل: بئر في جهنم. وقيل غير ذلك مما لا دليل عليه، ولا قول بعد قول رسول الله ﷺ[1].

والظاهر من الآية أن (سِجين) هو اسم للكتاب لأنه تعالى قال: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾. ولكن قال الحافظ ابن كثير في تفسيره لقوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطفّفين: الآية ٩]: ليس تفسيرًا لقوله: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨﴾ [المطفّفين: الآية ٨]. وإنما هو تفسير لما كُتب لهم من المصير إلى سِجين، أي: مرقوم مكتوب مفروغ منه لا يزاد فيه أحد ولا ينقص منه أحد. قاله محمد بن كعب القرظي[2].

وهكذا قال الراغب والقاسمي[3]، وعليه فيكون قوله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ [المطفّفين: الآية ٩] تفسيرًا لقوله: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ﴾ [المطفّفين: الآية ٧]

(١) «الفتح الرباني شرح المسند» للبنا (٧/ ٧٧).
(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٤٨٥).
(٣) «محاسن التفسير» للقاسمي (٧/ ٢٨٢).

أي: إن كتاب الفجار كتاب مرقوم، ويكون قوله: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سِجِّينٞ ٨﴾ [المطففين: الآية ٨] جملةً معترضة بين المفسَّر والمفسِّر. وهذه الآية ليست صريحة في مكان النار.

## المبحث الرابع: من أسماء النار

**أسماء النار التي ذكرت من القرآن ثمانية، أولها وأشهرها النار، وأما البقية فهي كالآتي:**

**١ - سعير:** قال تعالى: ﴿بَلۡ كَذَّبُواْ بِٱلسَّاعَةِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ١١﴾ [الفرقان: الآية ١١]. وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلۡنَٰهَا رُجُومٗا لِّلشَّيَٰطِينِۖ وَأَعۡتَدۡنَا لَهُمۡ عَذَابَ ٱلسَّعِيرِ ٥﴾ [الملك: الآية ٥].

**٢ - جهنم:** قال تعالى: ﴿وَلِلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ عَذَابُ جَهَنَّمَۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ٦﴾ [الملك: الآية ٦]. وقال تعالى: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتۡ مِرۡصَادٗا ٢١﴾ [النبإ: الآية ٢١].

**٣ - لظى:** قال تعالى: ﴿كَلَّآۖ إِنَّهَا لَظَىٰ ١٥ نَزَّاعَةٗ لِّلشَّوَىٰ ١٦ تَدۡعُواْ مَنۡ أَدۡبَرَ وَتَوَلَّىٰ ١٧ وَجَمَعَ فَأَوۡعَىٰٓ ١٨﴾ [المعارج: ١٥ - ١٨]، اللظى: اللهب الخالص. وقال تعالى ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤ لَا يَصۡلَىٰهَآ إِلَّا ٱلۡأَشۡقَى ١٥﴾ [الليل: ١٤، ١٥]. التظاء النار: التهابها، وتلظيها: تلهبها. وقال تعالى: ﴿فَأَنذَرۡتُكُمۡ نَارٗا تَلَظَّىٰ ١٤﴾ [الليل: الآية ١٤]، أي: تتوهج وتتوقد[1].

**٤ - سقر:** قال تعالى: ﴿سَأُصۡلِيهِ سَقَرَ ٢٦ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ٣٠﴾ [المدثر: ٢٦ - ٣٠]. وقال تعالى: ﴿يَوۡمَ يُسۡحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمۡ ذُوقُواْ مَسَّ سَقَرَ ٤٨ إِنَّا كُلَّ شَيۡءٍ خَلَقۡنَٰهُ بِقَدَرٖ ٤٩﴾.

---

(١) «لسان العرب» (١٥/ ٢٤٨).

والسقر: البُعد. وسقرته الشمس: لوحته وآلمت دماغه بحرِّها. ويوم مسمقر: شديد الحر(١).

**٥ - الهاوية:** قال تعالى: ﴿فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ۝٩ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا هِيَهۡ ۝١٠ نَارٌ حَامِيَةُۢ ۝١١﴾ [القارعة: ٩، ١١]. وسميت النار بالهاوية لبُعد قعرها، فمَن سقط يهوي فيها، ومعنى أمه هاوية: أي: مستقره الهاوية(٢).

## المبحث الخامس: خزنة النار

**١- عدد خزنة النار:** قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا سَقَرُ ۝٢٧ لَا تُبۡقِي وَلَا تَذَرُ ۝٢٨ لَوَّاحَةٞ لِّلۡبَشَرِ ۝٢٩ عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدثر: ٢٧ - ٣٠](٣).

---

(١) المصدر نفسه (٤/ ٣٧٢).

(٢) «اليوم الآخر» د. المطيري (ص٤٢٥).

(٣) **قال الشيخ مصطفى العدوي حفظه الله في «سلسلة التفسير» (٧/ ٦٨):** فالخزنة تسعة عشر لقوله تعالى: ﴿عَلَيۡهَا تِسۡعَةَ عَشَرَ ۝٣٠﴾ [المدَّثِّر: الآية ٣٠] ولماذا تسعة عشر؟ لماذا هذا العدد بالذات؟ جعل الله هذا العدد فتنة: ﴿وَمَا جَعَلۡنَآ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ إِلَّا مَلَٰٓئِكَةٗۙ وَمَا جَعَلۡنَا عِدَّتَهُمۡ﴾ [المدَّثِّر: الآية ٣١] أي: عددهم ﴿إِلَّا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [المدَّثِّر: الآية ٣١].

لكن هل الخزنة هؤلاء لهم أتباع أو ليس لهم أتباع؟ وكذلك مَلَك الموت هل هو ملك واحد أم هم عدة ملائكة كبيرهم واحد وهو يأمرهم بالأمر وهم ينفذونه؟

من العلماء من قال: إن ملك الموت الكبير واحد وله أتباع لقوله تعالى: ﴿تَوَفَّتۡهُ رُسُلُنَا وَهُمۡ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: الآية ٦١] ومن العلماء من قال: هو واحد بلا أتباع لقوله تعالى: ﴿قُلۡ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلۡمَوۡتِ ٱلَّذِي وُكِّلَ بِكُمۡ﴾ [السَّجدَة: الآية ١١].

فهل يقال أيضًا في خزنة النار: إن الكبار هم التسعة عشر ولهم أتباع، أو نمسك عن ذلك إلى أن تأتينا نصوص أخر؟

هناك دليل قد يشهد للقول بأن لهم أتباعًا، وهو ما أخرجه مسلم في صحيحه - =

## المبحث السادس: ذِكر بعض صفات النار

**١- أبواب النار:** قال تعالى: ﴿وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ﴿٤٤﴾﴾ [الحجر: ٤٣، ٤٤].

وعندما يرد الكفار النار تُفتح الأبواب ثم يدخلونها خالدين، قال تعالى: ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الزمر: ٧١]. وبعد هذا الإقرار يقال لهم: ﴿ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾ [الزُّمَر: الآية ٧٢].

وهذه الأبواب تغلق على المجرمين، فلا مطمع لهم في الخروج منها بعد ذلك كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِنَا هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿١٩﴾ عَلَيْهِمْ نَارٌ مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ [البلد: ١٩، ٢٠][1]. ومؤصدة: مغلقة الأبواب، فأبواب النار مؤصدة مغلقة، وأسوارها ذات عمد ممدودة طويلة لا يمكن تخطيها، ﴿إِنَّهَا عَلَيْهِم مُّؤْصَدَةٌ ﴿٨﴾ فِى عَمَدٍ مُّمَدَّدَةٍۭ ﴿٩﴾﴾ [الهمزة: ٨، ٩][2].

**٢- دركات النار:**

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النِّساء: الآية ١٤٥].

**قال الراغب:** الدرك كالدرج، لكن الدرج يقال اعتبارًا بالصعود، والدرك

---

= وإن كان فيه نوع انتقاد- قال: «يؤتى بجهنم يوم القيامة لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها» في تفسير قوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾.

(١) «اليوم الآخر الجنة والنار» لعمر الأشقر (ص٢٨).

(٢) «اليوم الآخر» د. محسن المطيري (ص٤٣٨).

اعتبارًا بالحدود، ولهذا قيل: درجات الجنة ودركات النار[١].

وتتفاوت دركات أهل النار بحسب أعمالهم وسيئاتهم.

وقد بينا أن الله ﷻ ذكر أن المنافقين في الدرك الأسفل من النار، وكونهم في الدرك الأسفل يستلزم أنهم في أشد العذاب.

وليست هذه الدركة مختصة بالمنافقين فقط بل معهم غيرهم، فقد ذكر الله تعالى لنا ثلاثة أصناف من الناس أنهم في أشد العذاب[٢]:

**الأول:** فرعون وقومه، قال تعالى: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾ [غافر: الآية ٤٦].

**الثاني:** اليهود الذين آمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعضه، قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَٰرِهِمْ تَظَٰهَرُونَ عَلَيْهِم بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَٰرَىٰ تُفَٰدُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ ۚ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ ٱلْكِتَٰبِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ ۚ فَمَا جَزَآءُ مَن يَفْعَلُ ذَٰلِكَ مِنكُمْ إِلَّا خِزْىٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰٓ أَشَدِّ ٱلْعَذَابِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾﴾ [البَقَرَة: الآية ٨٥].

**الثالث:** الذين كفروا من أصحاب المائدة، قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ هَلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَن يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۖ قَالَ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا۟ نُرِيدُ أَن نَّأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَن قَدْ صَدَقْتَنَا وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ

---

(١) «مفردات القرآن» للراغب الأصفهاني (ص٣١١).

(٢) «اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة» (ص٤٤٢).

ٱللَّهُ إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَن يَكْفُرْ بَعْدُ مِنكُمْ فَإِنِّيٓ أُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا لَّآ أُعَذِّبُهُۥٓ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المائدة: ١١٢، ١١٥].

وأما أهون أهل النار عذابًا فهو رجل ينتعل بنعلين يغلي منهما دماغه، فعن أبي سعيد الخدري أن رسول الله ﷺ قال: «**إن أدنى أهل النار عذابًا ينتعل بنعلين من نار، يغلي دماغه من حرارة نعليه**»[1].

### ٣ - وقود النار:

وقود النار البشر والحجر، قال تعالى: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ فَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِي وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٤].

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَن تُغْنِيَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمْ وَقُودُ ٱلنَّارِ ﴿١٠﴾﴾ [آل عمران: الآية ١٠].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَٰرِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٩٨].

وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾﴾ [التحريم: الآية ٦].

### ٤ - شدة حرِّها وعظم دخانها وشرارها:

قال تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾﴾ [الواقعة: ٤١ - ٤٤].

وقال الحق مبينًا قوة هذه النار، ومدى تأثيرها في المعذبين: ﴿سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ﴿٢٦﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا سَقَرُ ﴿٢٧﴾ لَا تُبْقِى وَلَا تَذَرُ ﴿٢٨﴾ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ ﴿٢٩﴾﴾ [المدثر: ٢٧ - ٣٠].

---

(١) مسلم، كتاب الإيمان، رقم (٢١١).

**٥- النار تتكلم وتبصر وتغضب:**

الذي يقرأ النصوص من الكتاب والسنة التي تصف نار جهنم يجدها مخلوقًا يتكلم ويبصر ويغضب:

**أما كلامها** فيقول الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: الآية ٣٠].

**وأما رؤيتها للناس**، فيقول تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلسَّاعَةِ ۖ وَأَعْتَدْنَا لِمَن كَذَّبَ بِٱلسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١١﴾ إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا ﴿١٢﴾﴾ [الفرقان: ١١، ١٢].

فقوله: ﴿رَأَتْهُم﴾ يدل على أنها تبصر، وقوله: ﴿سَمِعُوا۟ لَهَا﴾ [الفرقان: الآية ١٢] يدل على أنها تتكلم، وقوله: ﴿تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ يدل على أنها تغضب.

**وأما غضبها** فيقول سبحانه: ﴿إِذَآ أُلْقُوا۟ فِيهَا سَمِعُوا۟ لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُورُ ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ ۖ كُلَّمَآ أُلْقِىَ فِيهَا فَوْجٌ سَأَلَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَذِيرٌ ﴿٨﴾﴾ [الملك: ٧، ٨].

ويقول تعالى: ﴿إِذَا رَأَتْهُم مِّن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ سَمِعُوا۟ لَهَا تَغَيُّظًا وَزَفِيرًا﴾ [الفرقان: الآية ١٢]، فهي تشهق وتزفر من غيظها على الكافرين، بل تكاد تتميز، أي: تتقطع من شدة غضبها عليهم[(١)].

**٦- أودية النار:**

**سمّى الله تعالى بعض أسماء هذه الأودية، وهي كالتالي:**

أ - **وادي الويل:** قال تعالى: ﴿وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ﴾ [الأنبياء: الآية ١٨].

وقال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ ﴿١﴾ ٱلَّذِى جَمَعَ مَالًا وَعَدَّدَهُۥ ﴿٢﴾ يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ﴿٣﴾﴾ [الهمزة: ١ - ٣].

---

(١) «اليوم الآخر في القرآن العظيم والسنة المطهرة» (ص٤٤٦).

**ب – وادي الغي:** قال تعالى: ﴿۞ فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ۝٥٩﴾ [مريم: الآية ٥٩].

**ج – وادي المَوْبق:** قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ نَادُواْ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُمۡ فَدَعَوۡهُمۡ فَلَمۡ يَسۡتَجِيبُواْ لَهُمۡ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقًا ۝٥٢﴾ [الكهف: الآية ٥٢]. قال مجاهد: قوله: ﴿وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُم مَّوۡبِقًا﴾ قال: واديًا في جهنم[(١)].

**٧- سرادق النار:**

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا﴾ [الكهف: الآية ٢٩]: السرادق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب أو خباء[(٢)].

**٨- سعة النار وبُعد قعرها وعظم عمقها:**

**يدل على ذلك أمور كثيرة، منها:**

**أ – أن من أسماء النار الهاوية:** أي: يُهوى بها لبعد قعرها، وعن أبي هريرة قال: كنا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبة فقال النبي ﷺ: «**تدرون ما هذا؟**» قال: قلنا: الله ورسوله أعلم. قال: «**هذا حجر رُمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حتى انتهى إلى قعرها**»[(٣)].

**ب – أن الكافر يكبر حجمه في النار:** قال رسول الله ﷺ: «**ضرس الكافر – أو: ناب الكافر – مثل أُحد، وغلظ جلده مسيرة ثلاث**»[(٤)].

والذين يدخلون النار أعداد لا تحصى، ومع هذا العدد الهائل من الناس

---

(١) «تفسير الطبري» (١٥/ ٢٩٧).

(٢) «النهاية في غريب الحديث» لابن الأثير (٢/ ٣٥٩).

(٣) مسلم رقم (٢٨٤٤).

(٤) مسلم، كتاب الجنة رقم (٢٨٥١).

وبهذا الحجم الكبير للكفار فإنها لا تمتلئ بل تطلب المزيد، قال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾﴾ [ق: الآية ٣٠].

ج - **ويدل على عظمها أيضًا كثرة الذين يَجُرونها من الملائكة:** فقد فسر النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿وَجِاْىٓءَ يَوْمَئِذٍۭ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر: الآية ٢٣] بأن الذين يجيئون بها ملائكة، قال رسول الله ﷺ: «**يؤتى بجهنم يومئذٍ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها**»(١).

**١٠- وَصْف عذاب النار:** إن الذي يتأمل ويتدبر في القرآن الكريم يجد في آيات كثيرة أن الله ﷻ قد وصف عذاب الحياة الآخرة بأوصاف كثيرة متنوعة، مما يدل على عظمة عذابها وشدته.

**فمن هذه الأوصاف:**

- **أنه أشق وأشد وأبقى:** قال تعالى: ﴿لَّهُمْ عَذَابٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَقُّ ۖ وَمَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٣٤﴾﴾ [الرّعد: الآية ٣٤].

وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِنۢ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ۚ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَىٰٓ﴾ [طه: ١٢٧].

- **غرام:** قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ ۖ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا ﴿٦٥﴾﴾ [الفُرقان: الآية ٦٥].

والغرام: اللازم الدائم، ومنه سُمي الغريم لملازمته، ويقال: فلان مغرم بكذا، أي: ملازم له ومولع به. هذا معناه في كلام العرب، كما ذكره ابن الأعربي وابن عرفة وغيرهما.

---

(١) مسلم رقم (٢٨٤٢).

## المبحث السابع: القائلون بفناء النار

**المخالفون لمذهب أهل الحق في هذه المسألة:**

**١ - الجهمية:** القائلون بفناء النار وفناء الجنة أيضًا.

وقد حكى الإمام أحمد في آخر كتاب (الرد على الزنادقة) مذهب الجهمية بأن النار والجنة تفنيان، ورَدّ عليهم ذاكرًا النصوص الدالة على عدم فنائهما.

**٢ - الخوارج والمعتزلة:** يقولون بخلود كل من يدخل النار ولو كانوا من أهل التوحيد.

وسر هذا القول أن الخوارج يُكفرون المسلمين بالذنوب، فكل من ارتكب ذنبًا، فإنه كافر خالد مخلد في نار جهنم، والمعتزلة يرون أن من ارتكب ذنبًا في منزلة بين المنزلتين، فلا هو مؤمن ولا هو كافر، ويُجْرون عليه أحكام الإسلام في الدنيا، ولكنه في الآخرة مخلد في نار جهنم. وهناك الكثير من النصوص الدالة على أن أهل التوحيد يخرجون من النار.

**٣ - اليهود:** الذين يزعمون أنهم يعذبون في النار وقتًا محدودًا، ثم يخلفهم غيرهم فيها، وقد أكذبهم الله في زعمهم، ورَدَّ عليهم مقالتهم.

﴿وَقَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠، ٨١].

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [آل عمران: ٢٣، ٢٤].

ونقل ابن جرير في تفسيره عن ابن عباس أنه قال في تفسير آية البقرة: (قال أعداء الله اليهود: لن يُدخلنا الله النار إلا تحلة القسم، الأيام التي أصبنا فيها العجل: أربعين يومًا، فإذا انقضت عنا تلك الأيام، انقطع عنا العذاب).

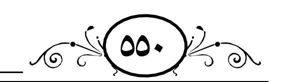
وذكر ابن جرير عن السدي قوله: (قالت اليهود: إن الله يُدخلنا النار أربعين ليلة، حتى إذا أكلت النار خطايانا، نادى مناد: أخرِجوا كل مختون من ولد بني إسرائيل. فلذلك أمرنا أن نختن. قالوا: فلا يَدَعون منا في النار أحدًا إلا أخرجوه).

وذكر أيضًا عن ابن عباس قال: (ذُكر أن اليهود وجدوا في التوراة مكتوبًا: إن ما بين طرفي جهنم مسيرة أربعين سنة إلى أن ينتهي إلى شجرة الزقوم ثابتة في أصل الجحيم)، وكان ابن عباس يقول: إن الجحيم سقر، وفيها شجرة الزقوم، فزعم أعداء الله أنه خلا العدد الذي وجدوا في كتابهم أيامًا معدودة).

قال ابن جرير: (وإنما يعني بذلك المسير الذي ينتهي في أصل الجحيم، فقالوا: إذا خلا العدد انتهى الأجل، فلا عذاب وتذهب جهنم وتهلك، فذلك قوله: ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۚ﴾ [آل عِمرَان: الآية ٢٤]. يعنون بذلك الأجل، فقال ابن عباس: (لما اقتحموا من باب جهنم ساروا في العذاب، حتى انتهوا إلى شجرة الزقوم آخر يوم من الأيام المعدودة، قال لهم خزان سقر: زعمتم أنكم لن تمسكم النار إلا أيامًا معدودة، فقد خلا العدد، وأنتم في الأبد. فأُخذ بهم في الصعود في جهنم يرهقون)[١].

---

(١) «تفسير الطبري» (١/ ٣٨١).

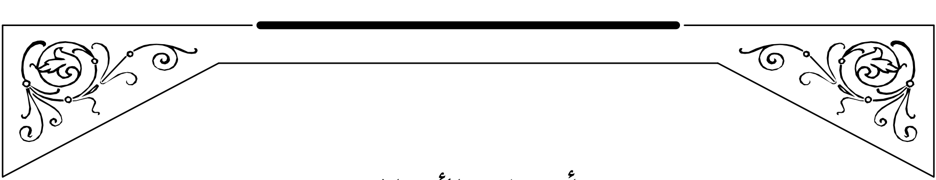


٤ - **قول إمام الاتحادية ابن عربي الطائي**، فإنه زعم أن أهلها يعذبون فيها مدة، ثم تنقلب طبائعهم نارية يتلذذون بالنار لموافقتها لطبائعهم.

قال ابن حجر في الفتح: (وهذا قول بعض مَن يُنسب إلى التصوف من الزنادقة)[1].



(١) «فتح الباري» (١١/ ٤٢١). «الجنة والنار» لعمر بن سليمان الأشقر (ص١١)، وانظر: «الموسوعة العقدية - الدرر السنية» (٥/ ١٥٠).



## أصحاب الأعراف

قال تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ [الأعراف: ٤٦ - ٤٨][(١)].

---

(١) **قال ابن كثير في «تفسيره» (٣/ ٤١٧)**: لما ذكر تعالى مخاطبة أهل الجنة مع أهل النار، نبه أن بين الجنة والنار حجابًا، وهو الحاجز المانع من وصول أهل النار إلى الجنة. قال ابن جرير: وهو السور الذي قال الله تعالى: ﴿فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ﴾ [الحديد: الآية ١٣] وهو الأعراف الذي قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] ثم روى بإسناده عن السدي أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] وهو السور، وهو الأعراف. وقال مجاهد: الأعراف: حجاب بين الجنة والنار، سور له باب. قال ابن جرير: والأعراف جمع «عُرْف»، وكل مرتفع من الأرض عند العرب يسمى «عرفًا»، وإنما قيل لعرف الديك عرفًا لارتفاعه. وحدثنا سفيان بن وكيع، حدثنا ابن عيينة، عن عبيد الله بن أبي يزيد، سمع ابن عباس يقول: الأعراف هو الشيء المشرف. وقال الثوري، عن جابر، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: الأعراف: سور كعرف الديك. وفي رواية عن ابن عباس: الأعراف تل بين الجنة والنار، حُبس عليه ناس من أهل الذنوب بين الجنة والنار. وفي رواية عنه: هو سور بين الجنة والنار. وكذلك قال الضحاك وغير واحد من علماء التفسير. وقال السدي: إنما سُمي «الأعراف» أعرافًا؛ لأن أصحابه يعرفون الناس. =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= واختلفت عبارات المفسرين في أصحاب الأعراف من هم، وكلها قريبة ترجع إلى معنى واحد، وهو أنهم قوم استوت حسناتهم وسيئاتهم. نص عليه حذيفة، وابن عباس، وابن مسعود، وغير واحد من السلف والخلف، رحمهم الله.

وقد جاء في حديث مرفوع رواه الحافظ أبو بكر بن مردويه: حدثنا عبد الله بن إسماعيل، حدثنا عبيد بن الحسين، حدثنا سليمان بن داود، حدثنا النعمان بن عبد السلام، حدثنا شيخ لنا يقال له: أبو عباد، عن عبد الله بن محمد بن عقيل، عن جابر بن عبد الله قال: سئل رسول الله ﷺ عمن استوت حسناته وسيئاته، فقال: «أولئك أصحاب الأعراف، لم يدخلوها وهم يطمعون».

وهذا حديث غريب من هذا الوجه ورواه من وجه آخر، عن سعيد بن سلمة عن أبي الحسام، عن محمد بن المنكدر عن رجل من مزينة قال: سئل رسول الله ﷺ عن أصحاب الأعراف، فقال: «**إنهم قوم خرجوا عصاة بغير إذن آبائهم، فقُتلوا في سبيل الله**»

وقال سعيد بن منصور: حدثنا أبو معشر، حدثنا يحيى بن شبل، عن يحيى بن عبد الرحمن المزني عن أبيه قال: سئل رسول الله ﷺ عن «أصحاب الأعراف» فقال: «**هم ناس قُتلوا في سبيل الله بمعصية آبائهم، فمنعهم من دخول الجنة معصية آبائهم، ومنعهم النار قتلهم في سبيل الله**». هكذا رواه ابن مردويه، وابن جرير، وابن أبي حاتم من طرق، عن أبي معشر به. وكذلك رواه ابن ماجه مرفوعًا، من حديث ابن عباس وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما.

والله أعلم بصحة هذه الأخبار المرفوعة وقصاراها أن تكون موقوفة وفيه دلالة على ما ذُكر.

**وقال القرطبي (٧/ ٢١٢):** ﴿وَعَلَى ٱلۡأَعۡرَافِ رِجَالٞ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] قَالَ: الْأَعْرَافُ مَوْضِعٌ عَالٍ عَلَى الصِّرَاطِ، عَلَيْهِ الْعَبَّاسُ وَحَمْزَةُ وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَجَعْفَرُ ذُو الْجَنَاحَيْنِ، رضي الله عنهم، يَعْرِفُونَ مُحِبِّيهِمْ بِبَيَاضِ الْوُجُوهِ وَمُبْغِضِيهِمْ بِسَوَادِ الْوُجُوهِ. وَحَكَى الزَّهْرَاوِيُّ أَنَّهُمْ عُدُولُ الْقِيَامَةِ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ عَلَى النَّاسِ بِأَعْمَالِهِمْ، وَهُمْ فِي كُلِّ أُمَّةٍ. وَاخْتَارَ هَذَا الْقَوْلَ النَّحَّاسُ، وَقَالَ: وَهُوَ مِنْ أَحْسَنِ مَا قِيلَ فِيهِ، فَهُمْ عَلَى السُّورِ بَيْنَ الْجَنَّةِ وَالنَّارِ. وَقَالَ الزَّجَّاجُ: هُمْ قَوْمٌ أَنْبِيَاءَ. وَقِيلَ: هُمْ قَوْمٌ كَانَتْ لَهُمْ صَغَائِرُ لَمْ تُكَفَّرْ عَنْهُمْ بِالْآلَامِ وَالْمَصَائِبِ فِي الدُّنْيَا وَلَيْسَتْ لَهُمْ كَبَائِرُ، فَيُحْبَسُونَ عَنِ الْجَنَّةِ لِيَنَالَهُمْ بِذَلِكَ =

. . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . . .

= غَمٌّ فَيَقَعُ فِي مُقَابَلَةِ صَغَائِرِهِمْ. وَتَمَنَّى سَالِمٌ مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ أَنْ يَكُونَ مِنْ أَصْحَابِ الْأَعْرَافِ؛ لِأَنَّ مَذْهَبَهُ أَنَّهُمْ مُذْنِبُونَ. وَقِيلَ: هُمْ أَوْلَادُ الزِّنَى، ذَكَرَهُ الْقُشَيْرِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَقِيلَ: هُمْ مَلَائِكَةٌ مُوَكَّلُونَ بِهَذَا السُّورِ، يُمَيِّزُونَ الْكَافِرِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ قَبْلَ إِدْخَالِهِمُ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، ذَكَرَهُ أَبُو مِجْلَزٍ. فَقِيلَ لَهُ: لَا يُقَالُ لِلْمَلَائِكَةِ رِجَالٌ؟ فَقَالَ: إِنَّهُمْ ذُكُورٌ وَلَيْسُوا بِإِنَاثٍ، فَلَا يَبْعُدُ إِيقَاعُ لَفْظِ الرِّجَالِ عَلَيْهِمْ، كَمَا أُوقِعَ عَلَى الْجِنِّ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [الجن: الآية ٦] فَهَؤُلَاءِ الْمَلَائِكَةُ يَعْرِفُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِعَلَامَاتِهِمْ وَالْكُفَّارَ بِعَلَامَاتِهِمْ، فَيُبَشِّرُونَ الْمُؤْمِنِينَ بِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ وَهُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا بَعْدُ فَيَطْمَعُونَ فِيهَا. وَإِذَا رَأَوْا أَهْلَ النَّارِ دَعَوْا لِأَنْفُسِهِمْ بِالسَّلَامَةِ مِنَ الْعَذَابِ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَاللَّازِمُ مِنَ الْآيَةِ أَنَّ عَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالًا مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ يَتَأَخَّرُ دُخُولُهُمْ وَيَقَعُ لَهُمْ مَا وُصِفَ مِنَ الِاعْتِبَارِ فِي الْفَرِيقَيْنِ. أي: بِعَلَامَاتِهِمْ، وَهِيَ بَيَاضُ الْوُجُوهِ وَحُسْنُهَا فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَسَوَادُهَا وَقُبْحُهَا فِي أَهْلِ النَّارِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنْ مَعْرِفَةِ حَيِّزِ هَؤُلَاءِ وحيز هؤلاء.

**وقال البغوي في «تفسيره» (٣/ ٢٣٣):** ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧] تَعَوَّذُوا بِاللَّهِ، ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧] يَعْنِي: الْكَافِرِينَ فِي النَّارِ.

**وقال أبو السعود في «تفسيره» (٣/ ٢٣٠):** ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧] أي: إلى جهتهم. وفي عدم التعرضِ لتعلق أنظارِهم بأصحاب الجنةِ، والتعبير عن تعلق أبصارهم بأصحاب النارِ بالصرف - إشعارٌ بأن التعلقَ الأولَ بطريق الرغبة، والميل الثاني بخلافه ﴿قَالُواْ﴾ متعوذين بالله تعالى من سوء حالِهم: ﴿رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: في النار. وفي وصفهم بالظلم دون ما هم عليه حينئذٍ من العذاب وسوءِ الحال الذي هو الموجبُ للدعاء - إشعارٌ بأن المحذورَ عندهم ليس نفيَ العذابِ فقط بل مع ما يوجبه ويؤدي إليه من الظلم.

**وقال السعدي في «تفسيره» (ص٢٩٠):** ﴿وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَٰرُهُمْ تِلْقَآءَ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧] ورأوا منظرًا شنيعًا، وهَوْلًا فظيعًا ﴿قَالُواْ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٧] فأهل الجنة إذا رآهم أهل الأعراف يطمعون أن يكونوا معهم في الجنة، ويحيونهم ويسلمون عليهم، وعند انصراف أبصارهم بغير اختيارهم لأهل النار يستجيرون =

**قال الشيخ يوسف الغفيص حفظه الله في «شرح الواسطية» (١٦/ ٣):** وهذه مسألة أخرى: أن من تساوت حسناته مع سيئاته من أهل الإسلام يُحبسون عن الجنة ولا يعذبون، لا يعذبون لأن سيئاتهم لم تزد، ولا يدخلون ابتداءً لأن حسناتهم لم تزد، فقالوا: يُحبسون، وما أدراك أنهم يُحبسون؟! وأما القول بأنهم ذُكِروا في قوله تعالى: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] فالذين في سورة الأعراف ليس في القرآن إلا أنهم رجال، أما ماهيتهم فقد قال كثير من السلف: إنهم قوم تساوت حسناتهم مع سيئاتهم ولكن هذا القول لم يصح عن صحابي واحد، وإنما هو مذكور عن التابعين ومَن بعدهم، وهو فقه في القرآن ليس صوابًا، والأصوب التوقف، وأن يقال: الله أعلم بهم. إنما هم رجال كما قال القرآن ردًّا لقول أبي مجلز بأنهم ملائكة. وليس صوابًا؛ لأن القرآن يقول: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] فهم رجال.

ولهذا من فقه ابن جرير الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسيره للآية أنه سرد الأقوال، ونقل عن ابن عباس وعن ابن مسعود وعن جابر بن عبد الله: أن أهل الأعراف رجال تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، ولكن الأسانيد المذكورة معلولة من جهة الانقطاع وجهات أخرى.

---

= بالله من حالهم. هذا على وجه العموم. ثم ذكر الخصوص بعد العموم فقال: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُم بِسِيمَٰهُمْ﴾ [الأعراف: الآية ٤٨] وهم من أهل النار، وقد كانوا في الدنيا لهم أبهة وشرف وأموال وأولاد، فقال لهم أصحاب الأعراف حين رأوهم منفردين في العذاب بلا ناصر ولا مغيث: ﴿مَآ أَغْنَىٰ عَنكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأعراف: الآية ٤٨] في الدنيا، الذي تستدفعون به المكاره، وتتوسلون به إلى مطالبكم في الدنيا، فاليوم اضمحل، ولا أغنى عنكم شيئًا، وكذلك، أي شيء نفعكم استكباركم على الحق وعلى من جاء به وعلى من اتبعه.

وأنت تعرف أن ابن جرير عنده قاعدة في تفسيره: أنه إذا كانت الآية في تفسيرها خلاف، وللصحابة قول ولمن بعدهم قول، فإنه -كقاعدة مطردة لا تنخرم أبدًا عند ابن جرير - يأخذ بمذهب الصحابي إلا إذا اختلف الصحابة، فابن جرير في هذه المرة مع أنه نقل عن بعض الصحابة أنه تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، ونقل أقوالًا أخرى قد تختلف عنها عن غيرهم - رجع في آخر بحثه للمسألة، وأبطل قول أبي مجلز أنهم ملائكة، قال: لأن القرآن يقول: «رجال» ثم رأى ابن جرير التوقف في المسألة: مَن هم أصحاب الأعراف؟ الله أعلم. وهذا هو الإيمان، وهذا هو الفقه أن يقال: الله أعلم بهم.

**وهنا تنبيه:** أحكام الله تنقسم إلى قسمين: أخبار وتشريع:

فالتشريع يُتفقه فيه؛ لأنها أحكام نوازل المسلمين والحالات الخاصة التي تطرأ.

مثلًا: التيمم، ما فيه من حديث لا يصل إلى عشرة أحاديث ربما، وسجود السهو مداره على ستة أو سبعة أحاديث، لكن صور التيمم التي تطرأ لآحاد الناس قد لا تتناهى، كل إنسان عنده صورة، هنا يكون الفقه في هذه النصوص.

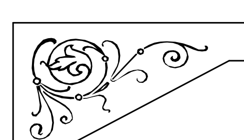
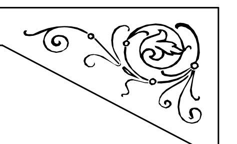
فنصوص الأمر والنهي يُتفقه فيها، فيخرج كثير من الصور من نص عام، لكن نصوص الأخبار تؤخذ على ظاهرها وتُتدبر من باب تحقيق الإيمان بها لا من باب التشقيق منها.

إذًا لما قال الله ﷻ: ﴿وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌۚ وَعَلَى ٱلْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّۢا بِسِيمَىٰهُمْۚ﴾ [الأعراف: الآية ٤٦] لماذا تأخروا وهم رجال؟

جاء مورد العقل هنا ومورد التفقه، فقال: لأنهم تساوت حسناتهم مع

سيئاتهم. وهذا ليس بلازم؛ لأنه يمكن عقلًا أن الله جعل ذلك عقوبتهم؛ لأنهم عصاة ما تساوت حسناتهم مع سيئاتهم، بل زادت سيئاتهم، ولم يعذبهم في النار، بل حبسهم عن الجنة، ألا يمكن هذا؟ يمكن، لكن لا نقول به، إنما نقول: الله أعلم؛ لأن مسألة تسمية الأشياء حكمة الله ﷻ في عدم التبليغ للناس، الناس يتفقهون في شيء الله سبحانه لم يُرِدْ أن يخبرهم به.



# فهرس الموضوعات